عرب إيران

إيران وتاريخ عرب الأهواز

ونقد كتاب كسروي «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان»
(تاريخ خوزستان ذو الخمسمائة سنة)

تأليف

عبد النبي القيِّم

ترجمة

كاظم الجابري

هلا للنشر والتوزيع

4-450

عرب إيران

إيران وتاريخ عرب الأهواز

ونقد كتاب كسروي «تاريخ بانصد ساله خوزستان»

(تاريخ خوزستان ذو الخمسمائة سنة)

تأليف

عبد النبي القيّم

ترجمة

كاظم الجابري

هلا للنشر والتوزيع

بطاقة فهرسة

القيم، عبد النبي.

عرب إيران: إيران وتاريخ عرب الأهواز/ تأليف عبد النبي القيم: ترجمة كاظم الجابري.ط١.-الجيزة: دار هلا للنشر والتوزيع . ٢٠١٢

ص: سم

تدمك ٤ ٤٢١ ٣٥٦ ٩٧٧ ٩٧٨

١- إيران - تاريخ.

أ. الجابري، كاظم (مترجم).

٩٥٥

اسم الكتاب: عرب إيران "إيران وتاريخ عرب الأهواز".

تأليف: عبد النبي القيم، ترجمة كاظم الجابري

الناشر: دار هلا للنشر والتوزيع

6 شارع الدكتور حجازي - الصحفيين - المهندسين - الجيزة

تليفون: 33041421 فاكس:33449139

الموقع الإلكتروني: www.halapublishing.net

البريد الإلكتروني: hala@halapublishing.net

مدير التسويق: hazimhala@yahoo.com

رقم الإيداع: 2012 / 4716

الترقيم الدولي: 978-977-356-421-4

طباعة: هلا للنشر والتوزيع

طبع وفصل الألوان: هلا للنشر والتوزيع

الغلاف: هلا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1434هـ - 2013م

إن الباحث في التاريخ الذي يشعر بأنه ينتمي إلى ساحة التعقل التي لا تحدها حدود ولا تعتريها العداوات، إذا استسلم في مسيرة أبحاثه إلى الأهواء السياسية أو الانتماءات العرقية أو الخصومات الدينية فإنه لا يستحق اسم العالم.

ويل ديورانت

بطاقة فهرسة

القيم، عبد النبي.

عرب إيران: إيران وتاريخ عرب الأهواز/ تأليف عبد النبي القيم؛ ترجمة كاظم الجابري.- ط1.- الجيزة: هلا للنشر والتوزيع ٢٠١٣.

تدمك ٤ ٤٢١ ٣٥٦ ٩٧٧ ٩٧٨

١- إيران - تاريخ

أ- الجابري، كاظم (مترجم)

٩٥٥

اســم الكـتــاب: عرب إيران "إيران وتاريخ عرب الأهواز"

المـؤلــف: عبد النبي القيم، ترجمة كاظم الجابري

الـنـاشـر: دار هلا للنشر والتوزيع

6 شارع الدكتور حجازي - الصحفيين - المهندسين - الجيزة

تليفون: 33041421 فاكس: 33449139

الموقع الإلكتروني: www.halapublishing.net

البريد الإلكتروني: hala@halapublishing.net

مدير التسويق: hazimhala@yahoo.com

رقم الإيداع: 2012 / 4716

الترقيم الدولي: 978-977-356-421-4

طـبـاعـة: هلا للنشر والتوزيع

طبع وفصل الألوان: هلا للنشر والتوزيع

الغـلاف: هلا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

1434هـ - 2013م

مقدمة

منذ فترة والمحافل العلمية تتداول فكرة ضرورة مراجعة ونقد كتاب (تاريخ بانصد ساله ي خوزستان) لأحمد كسروي ، باعتباره واحداً من أهم الأنشطة العلمية في مجال التاريخ والتأليف التاريخي. وقد دفع كتابة ونشر عدد من المقالات حول الكتب التاريخية ولاسيما مقالي الأخير « إطلالة سوسيولوجية لحياة وثقافة الشعب العربي في خوزستان(الأهواز)» الأصدقاء إلى إلحاح على نقد هذا الكتاب ولفت الأنظار إلى أهميته.

ولكنّ انشغالي في تأليف «المعجم المعاصر عربي – فارسي» اضطرّني إلى تأجيل تنفيذ الفكرة إلى ما بعد الفراغ من هذا المشروع. كان المقرر في البداية أن أكتب النقد في مقالة لا تزيد على خمس عشرة صفحة. ولكنّي حين شرعت العمل وخاصّة عند وصولي إلى مبحث المشعشعين لاحظت أنّ أكثر ما كتبه كسروي عن السيّد محمّد غير صحيح ومغرض. لذا تغيّر اطار العمل بسرعة كبيرة وأصبح نقد كتاب كسروي عاملاً وسبباً لوضع جميع الحوادث من خلالها في دائرة البحث والنقد. من هنا فإن هذا الكتاب بالإضافة إلى دراسة وسرد تاريخ عرب الأهواز، يكون نقداً وتحليلاً لكتاب «بانصد ساله ي خوزستان» تأليف أحمد كسروي.

ولابد أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى جميع الأشخاص الذين وضعوا الكتب والمقالات والمخطوطات في متناول يدي والشكر الخاص لإدارة مكتبة كلية الآداب واللغات الأجنبية في جامعة الشهيد تشمران في مدينة الأهواز والعاملين فيها.

استهلال

مما لا شك فيه أن كتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» تأليف السيد أحمد كسروي التبريزي واحد من أهم المؤلفات وأكثرها إثارة للجدل في مجال تاريخ

خوزستان. فمنذ نشره عام ١٣١٣ش [١] لفت اهتمام وعناية المهتمين والباحثين كأحد المصادر المهمة والأساسية في تاريخ الأهواز.

ومع أنّ الدكتور مصطفى أنصاري، بتقديمه لبحثه القيم «تاريخ خوزستان»، أضاف كتاباً آخر لقائمة كتبنا التاريخية وزادنا معرفة بفترة آلبوكاسب، فإن كتاب أحمد كسروي بقي أحد أهم كتب التاريخية الخاص بهذه المنطقة. ويكفي لبيان أهمية هذا الكتاب أن المستشرق المعروف فلاديمير مينورسكي تحدث عنه في إحدى مقالاته[٢].

بالرغم من الجهود المضنية لكسروي في تأليف هذا الكتاب، ومع أنه في تلك الظروف واجه ندرة شديدة في المصادر، فمازال هو وكتابه «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» موضع نقاش وجدل المهتمّين ولا سيما قرّائه العرب. هذا الجدل كان مصحوباً تارة بحدّة وشدّة وأخرى بهدوء وفتور بينما بلغ الأمر بالبعض إلى مقاطعة الكتاب دون إدراك أهميته.

من ناحية أخرى، عدم اهتمام الباحثين بتاريخ الأهواز والإفراط في التقصير في هذا المجال، وتهاون الكتّاب في نقد هذا الكتاب،أدى إلى عدم معرفة نقاط ضعفه بصورة صحيحة. ان عدم الاهتمام والعناية الذي كان سببه الأكبر سياسات النظام البهلوي وكذلك الأجواء السائدة في المحافل الثقافيّة بلغ إلى درجة جعلت بعض الباحثين يهملون ويسقطون كتاب «تاريخ بانصد ساله» من مؤلفات كسروي[٣]. هذا الأمر يؤكّد مرة أخرى صحّة الرأي القائل بأن تنفيذ أي مشروع من الأبحاث حول تاريخ الأهواز أو إبداء الرأي عن هذا النوع من الكتب يقع على عاتق الباحثين العرب الاهوازيين قبل غيرهم. وهم قادرون على ايصال الحقائق إلى جيلنا والأجيال التالية مستندين إلى الوثائق ومتجرّدين من كل الأحكام المسبّقة، وعلى تسجيل تاريخ عارٍ من الأحقاد والعصبيات.

ولما كان هذا الكتاب يعتبر مصدراً أساسيًا لدى مؤرّخي وباحثي تاريخ وثقافة

الأهواز ، حيث يستند إليه الباحثون الايرانيون وغير الايرانيين وخاصة العرب، ونظراً إلى أنّ جميع هؤلاء تأثّروا بآراء كسروي[٤]، ومع الأخذ بعين الاعتبار ما يحتويه الكتاب من أخطاء وتناقضات، فإن نقد كتاب (تاريخ بانصد ساله ي خوزستان) للسيد أحمد كسروي التبريزي[٥] يعتبر الخطوة الأولى في إنجاز هذا البحث. ومن المؤمّل أن يقدم باقي الباحثين صورة أنطق وأكثر شفّافية لتاريخ هذه الأرض من خلال القيام بالأبحاث العلميّة والدراسات المعمقة وترجمة المؤلفات التاريخيّة عن اللغتين العربية والانجليزية وينقذونا من هيمنة (تاريخ بانصد ساله ي خوزستان).

وقبل التدقيق والمراجعة لمؤلفات كسروي لابدّ لنا من القاء نظرة اجماليّة على الكتب التي تناولت تاريخ الأهواز وتبيين نقاط قوتها وضعفها.



الفصل الأول

إطلالة على الكتب المؤلفة عن تاريخ الأهواز

للأهواز (أو خوزستان كما يسميه الفرس) تاريخ طويل وهو أطول بآلاف السنين من تاريخ إيران[1]، مع هذا، فإن المؤلفات المتعلقة بتاريخ الأهواز وخاصة القديم منه قليلة جداً ولا تعطي صورة واضحة عنه. بل حتى معلوماتنا عن تاريخ العيلاميين الذي يعود إلى الألفية التاسعة قبل الميلاد قليلة للغاية [2]. إضافة إلى ذلك، فإن معلوماتنا عن تاريخ هذه المنطقة قبل الإسلام قليلة ومبعثرة. والحقيقة أن أوثق المؤلفات حول تاريخ الأهواز تتضمن حوادث أواسط القرن التاسع الهجري حين أقام السيد محمد ابن فلاح أول حكم شيعي إثر الثورة التي فجرها عام ٨٤٥هـ. ثم جرى تدوين حوادث الأهواز، من خلال نقل وقائع وصول السيد محمد إلى سدة الحكم.

١ـ تاريخ الغياثي

إن أول من قدم معلومات قيمة حول تاريخ الأهواز، هو عبد الله بن فتح الله البغدادي الملقب بـ «غياث» حيث خصص فصلاً من كتابه «تاريخ الغياثي» للسيد محمد بن فلاح الملقب بالمشعشع في معرض حديثه عن تاريخ العراق. ولكن بما أن غاية المؤلف كانت تاريخ «أرض العراق» لا تاريخ المشعشعين وكذلك بالنظر لوفاته في العقد الأول من القرن العاشر الهجري فلا يمكن اعتبار «تاريخ الغياثي» تاريخاً للأهواز، رغم أنه المصدر الوحيد الذي يذكر ثورة السيد محمد بن فلاح وحوادث تلك المرحلة بحيث أن كل الذين تحدثوا عن السيد محمد أخذوا منه مباشرة أو بشكل غير مباشر.

يبدو أنّ الفصل السادس من هذا الكتاب هو في «ذكر السيد محمد المعروف بالمشعشع» بالإضافة إلى أنه في الفصل الخامس وخلال حوادث عهد القراقويونليين، جاءت أخبار علاقات المشعشعين مع هاتين الدولتين [3].

يقول جاسم حسن شبّر في كتاب تاريخ المشعشعين، وهو يتكلم عن نسخة من كتاب تاريخ الغياثي موجودة في مكتبة الآثار ، نقلاً عن كتاب بحوث حول العراق تأليف يعقوب سركيس: يبدو أنّ عبد الله بن فتح الله البغدادي عاش حتى سنة ٨٩١هـ (١٤٨٦م)، والنسخة المذكورة هي النسخة الوحيدة الموجودة من كتاب تاريخ الغياثي. هذا الكتاب من مصادر كتاب مجالس المؤمنين ، وليس لدي اطلاع عن نسخته الثانية . ثم ذكر جاسم حسن شبر استناداً إلى فهرست الكتاب أن عبد الله ابن فتح الله البغدادي عاش حتى العقد الأول من القرن العاشر الهجري [٤]. أما كامل مصطفى الشيبي فيقول عن كتاب تاريخ الغياثي : «ان آخر تاريخ ذكره عبد الله بن فتح الله البغدادي في كتابه كان عام ٨٩١هـ.ق. والنسخة الخطيّة الوحيدة لهذا الكتاب محفوظة في مكتبة أوقاف بغداد وقد زود المجمع العلمي الباحثين بنسخة مصورة منه وكتب الدكتور مصطفى جواد (ص ٢١) حواشي متفرقة عنه»[٥].

وحصل محمد علي رنجبر على النسخة المنقحة على يد طارق نافع الحمداني وطبعت ونشرت عن طريق «مطبعة الأسعد» في العام ١٩٧٥[٦]. ويمكن القول ان أحمد كسروي لم ير هذا الكتاب بعينه وكل ما قاله عن السيد محمد مأخوذ من كتاب السيد علي المشعشعي حفيد السيد علي خان والي الحويزة في سنة ١١١٢ و١١٢٧ هـ[٧].

عرف الباحثون والمؤرخون عبد الله بن فتح الله البغدادي محبّاً ومؤيّداً لدولة الآق قوينلو[٨]. وحيث أنّ السيّد محمد بن فلاح كان على خلاف مع دولة التركمان، فإنه لم يكن من الممكن أن تكون كتابات غياثي عن ابن فلاح محايدة ، خاصّة وأنّ الأستاذ عباس العزّاوي يشكك في تشيعه[٩]. ويقول أحد الباحثين إنه بالرغم من أهميّة تاريخ الغياثي في دراسة المشعشعين، من حيث تقارب الأزمان وحصرية المعلومات، فإن انحياز المؤلف الصريح للآق قوينلوية واسلوبه في التقييم يقلل من أهميته واعتباره ويرفع من شأن المصادر الأخرى في هذا المجال[١٠].

الفصل الأول

إطلالة على الكتب المؤلفة عن تاريخ الأهواز

للأهواز (أو خوزستان كما يسميه الفرس) تاريخ طويل وهو أطول بالأحرى من تاريخ إيران[1]، ومع هذا فإن المؤلفات المتعلقة بتاريخ الأهواز وخاصة القديم منه قليلة جداً ولا تعطي صورة واضحة عنه. بل حتى معلوماتنا عن تاريخ العيلاميين الذي يعود إلى الألفية التاسعة قبل الميلاد قليلة للغاية[2]، إضافة إلى ذلك، فإن معلوماتنا عن تاريخ هذه المنطقة قبل الإسلام قليلة ومشوشة. والحقيقة أن أوثق المؤلفات حول تاريخ الأهواز تنحصر بحوادث أواسط القرن التاسع الهجري حين أقام السيد محمد ابن فلاح أول حكم شيعي إثر الثورة التي فجرها عام ٨٤٥هـ. ثم جرى تدوين حوادث الأهواز من خلال نظرة قوامها وصول السيد محمد إلى سدة الحكم.

أ- تاريخ الغياثي

[illegible]

[illegible]

اللقب بالمشعشع [illegible]

تاريخ وأرض العراق لا تاريخ المشعشعين وكذلك بالنظر لوفاته في العقد الأول من القرن العاشر الهجري فلا يمكن اعتبار تاريخ الغياثي تاريخاً للأهواز رغم أنه المصدر الوحيد الذي يذكر ثورة السيد محمد بن فلاح وحوادث تلك المرحلة، حيث أن كل الذين تحدثوا عن السيد محمد أخذوا منه بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر [illegible]

[illegible] علاقات المشعشعين مع هاتين الدولتين[1]

والمتكلمين وسلاطين الشيعة وأمرائهم. ألفه السيد نور الله المرعشي الحسيني التستري ابن السيد شريف الدين (ولد في تستر ٩٥٦هـ وتوفي في لاهور١٠١٩هـ) وكان قاضياً فقيهاً محدثاً ومن كبار علماء الشيعة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ويسميه بعض الشيعة ،الشهيد الثالث. هاجر من موطنه إلى الهند في العهد الصفوي وأقام في لاهور. وفي عام ٩٩٥ عينه أكبرشاه قاضياً على تلك المدينة. وعندما ألف كتاب «احقاق الحق» أصدر علماء السنة أمراً بقتله، وبأمر جهانكير تم جلده بسوط مرصع بأشواك، مات على أثره. بدأ القاضي نور الله تأليف «مجالس المؤمنين» في لاهور في رجب ٩٩٣هـ (١٥٨٥م) وفرغ منه في ٢٣ذي القعدة ١٠١٠هـ . بعد ذلك تم طبع الكتاب في إيران سنة ١٢٦٨هـ . إضافة إلى ذلك يوجد عدد من النسخ الخطية للكتاب في المتحف البريطاني (١٣).

نظراً لمعاصرة القاضي نور الله للمشعشعين ولإقامته في تستر واطلاعه على الروايات الشفهية عن بدايات الدولة المشعشعية فقد أورد معلومات قيمة في كتابه «مجالس المؤمنين». ومما رفع من قيمة كتابه حصوله على كتاب تاريخ الغياثي وايراده لكيفية وصول السيد محمد. لذا ينبغي على أي باحث يهدف تناول تاريخ المشعشعيين أن يقرأ كتاب القاضي نور الله بدقة وإمعان وأن يستفيد من نصوصه.

لقد وصف القاضي نور الله، عهد المشعشعيين من وصول السيد محمد إلى السلطة إلى عهد سجاد بن بدران بشكل اجمالي وملخص. وبالرغم من اختصار ما كتبه القاضي مقارنة بباقي المصادر إلاّ أنه مع ذلك يحوي معلومات قيمة.

استفاد كسروي في تأليف كتابه «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» من كتاب «مجالس المؤمنين» كثيراً ولكنه في الوقت نفسه سجل اعتراضات خاطئة على القاضي وعلى كتابه.

٤- كتاب «الإمارة الكعبية في القبان والفلاحية»

وهو من الكتب الأخرى التي تناولت حوادث عهد بني كعب من سنة ١١٠٦هـ وما بعدها وخاصة أحوال شيوخ بني كعب. ألفه الحاج علوان بن عبد الله الشويكي. النسخة الأصلية لهذا الكتاب كانت لدى العلامة السيد محمد آل السيد نعمة الله الجزائري وقد كتب لها المرحوم السيد هادي باليل مقدمة قصيرة. ويفهم من ما كتبه السيد هادي باليل أن الحاج علوان كان من المشاركين في (معركة الجهاد) سنة ١٣١٣هـ ضد البريطانيين بفتوى السيد محمد كاظم اليزدي وباقي مراجع التقليد. وكان أيضًا من المعارضين الأشداء لألبوكاسب وخاصة الشيخ خزعل ومن أنصار شيوخ بني كعب الفلاحية.

لقد ألف كتابه استناداً إلى الوثائق التي استقاها من شيوخ بني كعب وكذلك القصص المروية عنهم. يقول السيد هادي باليل إن الكتاب تم تأليفه سنة ١٣٥١هـ[١٤].

يشتمل هذا الكتاب على معلومات قيمة حول تاريخ بني كعب ويعتبر من المصادر الأساسية لكسروي في تسجيل تاريخ الكعبيين. ولكن نظرا إلى أن أحمد كسروي لم يذكر اسم الكتاب ولا اسم مؤلفه في كتابه فقد جعل من المتعذر على القارئ معرفة مؤلف كتاب «تاريخ كعب» أو «كراس تاريخ كعب» وما اذا كان الكتابان منفصلين أو كتابا واحدا. كما لا يعلم القارئ ما اذا كان هذان الاسمان حقيقيين أم أن كسروي هو الذي اختارهما لهما.

يذكر مصطفى الأنصاري في كتابه تحت عنوان « سجلات الوقائع» كتابا اسمه «تاريخ كعب» وهو مجهول المؤلف ولم يطبع حتى الآن. ويقول إنه لا تتوافر أية نسخة من الكتاب ويشير إلى نسخة مترجمة منه إلى الانجليزية بواسطة القنصل البريطاني في المحمرة مك دوال وهي موجودة في وزارة الخارجية البريطانية بعنوان «تاريخ عربستان» وتحت رقم ٤ / ٤٦٠ ملف ٢٠[١٥].

٥ـ تاريخ بانصد ساله ي خوزستان

يمكن اعتبار هذا الكتاب الذي ألفه السيد أحمد كسروي التبريزي أول كتاب في تاريخ الأهواز غطى بشكل مستقل حوادث القرون الخمسة الأخيرة منذ وصول السيد محمد بن فلاح إلى السلطة وما بعدها. وعلى الرغم من النواقص التي يعاني منها الكتاب ومجانبة المؤلف للحياد ونهجه المغرض في كتابة تاريخ الأهواز إلاّ أنه قدم خدمة جليلة للعلم وكتابة التاريخ. يقول أحد الباحثين: «بصدور كتاب تاريخ بانصد ساله ى خوزستان سنة ١٣١٣ش أصبح لعرب خوزستان، لأول مرة، تاريخ مستقل. فحتى ذلك الوقت كان كل من يتطرق إلى عرب خوزستان كان يتناولهم ضمن شعب خوزستان بأكمله فكان يشار اليهم ضمن حكومات السلالات الايرانية. حتى وضع السيد أحمد كسروي التبريزي(١٢٦٩-١٣٢٤ش) كتابه تاريخ بانصد ساله ي خوزستان فقدم بذلك خدمة كبيرة لعرب خوزستان»[١٦].

وبما أني سأتناول في الفصول التالية أخطاء كسروي وتناقضاته وانحيازه في تأليف هذا الكتاب فاني سأكتفي بهذا المقدار، على أن أتناول الكتاب بالنقد في فصول أخرى.

٦ـ تاريخ المشعشعيين وتراجم أعلامهم

مؤلف الكتاب هو جاسم حسن شبر[١٧]. وهو من الأسرة المشعشعية وقد ألف هذا الكتاب لدفع شبهة وشائبة ادعاء المهدوية لسيد محمد بن فلاح وكذلك ابطال الادعاء بغلوه وغلو ابنه المولى علي. ومع أن جاسم حسن شبر بدأ كتابه بمقدمة رصينة وموثقة، إلاّ أن كتابه يعاني الانحياز والمحاباة حيث يبدي رأيه بالسيد محمد بن فلاح المشعشعي دون الرجوع إلى كتاب «كلام المهدي» وحتى دون الحصول على نسخة منه. إضافة إلى أنه شرع في تأليف الكتاب وهو يحمل مسبقا فكرة براءة السيد محمد من التهمتين. وهكذا فإن كتابه متحيز وبعيد كل البعد عن البحث العلمي.

يدفع جاسم حسن شبر شبهة ادعاء المهدوية والغلو عن السيد محمد والمولى

علي بافتراض التبعية السياسية والارتزاق في مؤرخي تلك الفترة ومنهم غياثي الذي حرّف الحقائق واتهم السيد محمد بن فلاح بالغلو وادعاء المهدوية بسبب ولائه للحكم التركماني. أما فيما يخص غلو المولى علي فإنه يشير إلى ميزاته الفذة من شجاعة وجرأة وإقدام ويقول ان تلك الميزات خدعت «عقول العوام»، فظنوا أن روح علي(ع) حل في جسده(١٨).

كما أن كل ما قاله جاسم حسن شبر عن زعماء المشعشعين غير منتظم ومبعثر وموجز ولا يعطي تصوراً كاملاً عن تاريخهم. ويتضح من كتاباته أنه لم يطلع على كتاب «كلام المهدي» فحسب، بل لم يقرأ كتاب السيد علي الموسوي المشعشعي «الرحلة المكية» بما يكفي بل استفاد منه بشكل عابر. إضافة إلى ذلك يمكن ملاحظة عدم الدقة والإهمال بوضوح في بعض مواضعه. ففي الصفحة ٧٦ من الكتاب يخلط بين القاضي نور الله التستري مؤلف «مجالس المؤمنين» وجده مير نور الله التستري. ولو أنه تنبه لسنة ولادة القاضي نور الله ووفاته لما وقع في مثل هذا الخطأ. وله أيضاً أخطاء وتساهلات أخرى سأشير اليها في هذا الكتاب.

مهما يكن من أمر فقد وقع جاسم حسن شبر في نفس الخطأ الذي ارتكبه كسروي وهو النظرة الأحادية للموضوع. فكما انساق كسروي إلى كرهه للمشعشعين فانهال عليهم ذماً وتكفيراً، انبرى جاسم حسن شبر يكيل المديح لهم ويبرئ ساحتهم من شبهة الغلو وادعاء المهدوية.

خلاصة القول هي أنه لو حصل جاسم حسن شبر على كتاب «كلام المهدي» ودرسه دراسة جيدة لتعرف بوضوح وبشكل صحيح على آراء السيد محمد بن فلاح ومعتقداته ولتمكن، بالاستدلال الرصين لا التعميمات الواهية، من دفع تهمة الادعاء بالمهدوية التي ألصقها به كسروي.

٧- مشعشعيان

«مشعشعيان، ماهيت فكري – اجتماعي وفرايند تحولات تاريخي» (المشعشعيون، الطبيعة الفكرية – الاجتماعية والتطورات التاريخية) هو كتاب ألفه محمد علي رنجبر في السنوات الأخيرة (١٣٨٢ ش)، تناول فيه حوادث عهد المشعشعيين من سنة ٨٤٥ هـ حتى الحكم البهلوي وتعرض إلى آرائهم بأسلوب علمي رصين خالٍ من المسبقات. يعتبر محمد علي رنجبر، بعد أحمد كسروي، أول من تناول الطبيعة الفكرية للمشعشعيين والحوادث التي مرت بهم بشكل شامل ،فأعطى صورة واضحة لهم من بين الكثير من الكتب والمقالات. فقبله دأب الكتّاب على التعرض لآراء السيد محمد بن فلاح بالتحليل والنقد دون الاطلاع على كتابه «كلام المهدي». حتى كامل مصطفى الشيبي في بحثه القيم نراه يتناول آراء السيد محمد ويدرجها في كتابه «التشيع والتصوف» مكتفياً بالاستناد إلى ما أورده أحمد كسروي في «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان». أما جاسم حسن شبر الذي انبرى للدفاع عن السيد محمد والمولى علي فلم يطلع على كتاب «كلام المهدي». في حين أن محمد علي رنجبر قرأ «كلام المهدي» فصلاً فصلاً قراءة دقيقة للاقتراب من أفكار السيد محمد والوقوف على حقيقتها.

إضافة إلى ذلك بحث محمد علي رنجبر عن نسخة لكتاب «تاريخ الغياثي» لتحقيق معرفة أكثر عن ابن فلاح ولم يبد رأيه بالسيد محمد ونجله إلاّ بعد العثور على الكتاب. ولكي ندرك أهميه هذا الأمر يكفي أن نعرف أن أحمد كسروي نفسه لم يحصل على «تاريخ الغياثي» وأن ما كتبه في هذا المجال كتبه بشكل غير مباشر وعن طريق كتاب «الرحلة المكية» للسيد علي.

الميزة الأخرى لهذا الكتاب تتمثل في الروح العلمي والأكاديمي الذي تمتع به المؤلف وترفّعه عن الأحكام المسبقة ومشاعر الحقد وتبييت الغايات المغرضة. هذا الروح العلمي والرؤية الصحيحة للحوادث والوقائع وكذلك التحليل الصحيح لكتابات المشعشع ضاعف من قيمة بحثه.

يصف محمد علي رنجبر آراء كسروي حول السيد محمد بن فلاح الملقب بالمشعشع بالمتحيزة ويرد نسبته ادعاء المهدوية له ويعتبرها مجانبة للحقيقة. على أن هناك بعض الملاحظات والوقفات على كتاب (مشعشعيان) ، على أية حال، ملاحظات بسيطة لا تنتقص من أهمية عمل رنجبر[١٩].

٨ـ سفرنامه عربستان

في السنة ١٢٩٩ هـ أمر ناصر الدين شاه، الحاج عبد الغفار النجم الملك باستكشاف سد الأهواز وتقدير تكلفة بنائه رطريقة تشييده وأمور أخرى ،فتوجه إلى الأهواز الحاج عبد الغفار ثم دوّن مشاهداته في رحلته إلى هناك تحت عنوان (سفرنامه عربستان). بعدها تكفل محمد دبير سياقي في السنة ١٣٤١ بتصحيح كتاب الرحلة وتنقيحه وقام بطبعه ونشره وغيَر عنوان الكتاب بـ(سفرنامه خوزستان).

يتضمن كتاب رحلة الحاج عبد الغفار نجم الملك على معلومات قيمة حول أوضاع الأهواز السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عهد الشيخ مزعل وهذا ما يجعله موضع اهتمام الباحثين والمؤرخين للأهواز ويضعه في جملة المصادر الرئيسة التي يقصدها الباحثون في هذا الميدان. يقدم الحاج عبد الغفار، بنظرته الثاقبة ودقته المتميزة، صورة حية وناطقة لمشاهداته. ومما يزيد في قيمة كتابه تجرده من العصبية العرقية واجتنابه للشوفينية والعنصرية [٢٠]. لا نرى في كتاب رحلة الحاج عبد الغفار أثراً لمشاعر الحب والكره أو الحقد،انه ينقل مشاهداته دون ادراج شيء من عنده عليها.

٩ـ شيخ خزعل وبادشاهى رضاخان

وهو كتاب ألفه جوردن واترفلد جمع فيه مذكرات الوزير البريطاني المفوض في إيران السير برسي لورن. ترجم الكتاب إلى الفارسية محمد رفيعي مهرآبادي وقامت دار (فلسفة) للنشر بطبعه ونشره عام ١٣٦٣ش[٢١].

يستعرض كتاب «خاطرات سر برسي لورين» (مذكرات ...) أو «شيخ خزعل وبادشاهى رضاخان» (الشيخ خزعل وحكم رضاخان) السياسة البريطانية في إيران بالتفصيل. ويبين بوضوح الدور الأساسي والمحوري للسير برسي لورين في إدارة هذه السياسة وتقلباتها. من هنا فإن الكتاب يقدم للقارئ معلومات قيمة. بل ان أية كتابة عن تاريخ خوزستان وخاصة تاريخها المتأخر تعتبر ناقصة وغير مكتملة ان لم تشفع بقراءة ودراسة هذا الكتاب والاستفادة من محتوياته الثمينة.

الرسائل الجامعية

إضافة إلى ما تقدم، تم طبع ونشر أبحاث ومؤلفات أخرى حول تاريخ الأهواز. ولكن أغلب هذه الكتابات تناولت فترات من تاريخ الأهواز ونادراً ما نجد بينها كتاباً يتناول تاريخ الأهواز بأكمله أو حتى فترات أطول منه. ولعل الصفة المشتركة بينها جميعاً، عدا كتاب علي نعمة الحلو، أنها تمثل رسائل جامعية وهذا ما يمنحها اعتباراً وتوثيقاً عالياً.

فبالرغم من دقة الأبحاث ومراعاة الحياد وعدم التحيز في إبداء وجهات النظر وتقديم التحليلات ،هناك بعض الملاحظات ، علماً بأن ذلك لا ينتقص من أهميتها العلمية.

١ـ تاريخ خوزستان (١٨٧٨ - ١٩٢٥)

وهو من الكتب المعتبرة حول تاريخ الأهواز ويتناول عهد أسرة كعب والشيخ خزعل ،ألفه الدكتور مصطفى الأنصاري[٢٢]. يركز الباحث في الكتاب على الفترة المحصورة بين أواخر عهد الحاج جابر خان حتى صعود الشيخ خزعل إلى السلطة وقد قام محمد جواهر كلام بترجمته إلى الفارسية.

تتلخص أهمية الكتاب في أكثر من مورد. الأول هو أن مؤلفه استفاد فيه من وثائق وزارة الخارجية الايرانية وأرشيف دائرة الوثائق العامة في وزارة الخارجية البريطانية وكذلك أرشيف دائرة الحرب فضلاً عن الكتب والمقالات المنشورة وباقي

الوثائق المعتبرة. والثاني أنه حاول نقل الحوادث كما هي ، دون أن يتدخل في تفسيرها حسب هواه. والثالث أن الكتاب قدم، بالإضافة إلى المعلومات الوفيرة القيمة عن مرحلة بني كعب والشيخ خزعل، صورة شاملة وواضحة للعلاقات الداخلية والدولية. أمّا الميزة الرابعة لهذا الكتاب فهي أنه يعرض للأمور الاقتصادية والأمور المالية في خوزستان. النقص الوحيد البارز في هذا البحث الثمين للدكتور مصطفى الأنصاري هو عدم تبيانه لعلاقة رضا خان مع الانجليز. ولاشك أنه لو كان اتخذ جميع المصادر غير الانجليزية ومن بينها الكتب والمقالات العربية مصادر له، ولو أنه وضع كتاب السير برسي لورن ضمن خطة عمله، لأصبح بحثه أكمل وأشمل. لقد كان مصطفى الانصاري غافلا عن هذه النقطة ،إذ لم يكن من الممكن صعود رضا خان إلى السلطة من دون تدخل الانجليز المباشر وحمايتهم له ولما استطاع أن يتغلب على منافسيه وأعدائه الصغار والكبار.

٢ـ كتاب حكم الشيخ خزعل بن جابر

من بين الدراسات والأبحاث حول تاريخ الأهواز، كتاب «حكم الشيخ خزعل بن جابر» لوليم ثيودور استرنك. وهو أيضا رسالة جامعية نظير كتاب الدكتور مصطفى الأنصاري وكتاب مصطفى عبد القادر النجار وكتاب السيدة إنعام مهدي علي السلمان. هذا الكتاب هو أطروحة الدكتور استرنك الذي اختار هذه المرحلة من تاريخ الأهواز لغرض مناقشة الدور التوسعي الاستعماري لبريطانيا وقد قدم نتائج بحثه في نهاية الأمر إلى جامعة انديانا[٢٣]. وقام الدكتور عبد الجبار ناجي بترجمته إلى العربية. غير أن السيدة إنعام تقول ان الترجمة هذه لم تنشر[٢٤]. هذا الكتاب كان من المصادر الأساسية للسيدة إنعام في تأليفها لكتاب تاريخ خوزستان.

يبدو أن السيدة إنعام مهدي طبعت بحثها ونشرته قبل سنة ١٩٨٣م. فقد قام قسم أبحاث علم الاجتماع في جامعة البصرة بطبع الكتاب ونشره ،ثم أعادت طبعه «الدار العربية للموسوعات» في بيروت سنة ٢٠٠٦م.

وبالرغم من الجهود الكبيرة للسيد استرنك بقصد إعطاء صورة شفافة لدور الاستعمار البريطاني في الحوادث المذكورة، وبالرغم من القيمة العلمية لبحثه، إلاّ أن بعض الملاحظات قد سجلت على الكتاب. ان أول وأبرز نقص في عمل السيد استرنك، هو عدم تصويره الصحيح لشخصية رضا شاه.

إنه يتحدث عن رضا خان وكأنه قائد أمة أو أنه وصل إلى سُدَّة الحكم نتيجة انتفاضة شعبية. لقد بقي استرنك غافلا عن نقطة وهي عدم إمكانية وصول رضا خان إلى السلطة من دون تنسيق البريطانيين وتدخلهم في هذا الأمر.

الشيء الآخر الذي لم يبق خافياً عن أنظار المترجم المحترم الدكتور عبد الجبار ناجي، هو نقل السيد استرنك الطويل والكثير عن المستندات والوثائق. ان هذه الطريقة أدت إلى قلة التحليل والتفسير والاستعاضة بنقل الأقوال وروايات المستندات والمذكرات. كان من الممكن للمؤلف المحترم عوضاً عن هذه الطريقة أن يذكر المستندات والوثائق المهمة في كتابه. بالإضافة إلى ذلك كان عليه أن يشير إلى الأجزاء المهمة من الوثيقة عوضا عن ايرادها كاملة. ان طريقة السيد استرنك بالإضافة إلى كونها تضخيماً لحجم الكتاب فقد كانت تضييعاً لوقت القارئ.

المشكلة الثالثة في عمل السيد استرنك هي استفادته الضئيلة من المصادر الفارسية والعربية. لقد بنى كتابه على أساس الوثائق والمستندات البريطانية ولم ينتفع من باقي المصادر بشكل جيد. فمن بين المصادر الفارسية لم يستفد المؤلف إلاّ من كتابين فقط وذلك بالترجمة الانجليزية، أمّا من المصادر انعربية العظيمة، فلم ينتفع إلاّ من كتاب علي نعمة الحلو.

٣- التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية

هذا الكتاب يختص بحوادث السنوات المحصورة بين ١٨٩٧ و١٩٢٥م. وهو من المراجع الهامة في بحث الدكتور مصطفى الأنصاري في كتابه «تاريخ خوزستان» وكذلك في بحث السيدة إنعام مهدي علي السلمان[٢٥].

يقول أحد الباحثين ان هذا الكتاب يتفوق على كل ما عداه من كتب عربية حول خوزستان من حيث منهج البحث واسلوب التحرير والاستناد إلى المصادر العلمية المعتبرة. إنه في الحقيقة رسالة ماجستير تقدم بها المؤلف إلى كلية الآداب في جامعة عين شمس القاهرة (بإشراف الدكتور عبد الرحيم مصطفى) ويتناول أكثر مراحل هذا الإقليم إثارة للجدل وهي فترة (١٨٧٩-١٩٢٥م) التي شهدت حكم أسرة كعب في خوزستان[٣٦].

٤- حكم الشيخ خزعل في الأهواز (١٨٩٧-١٩٢٥)

السيدة أنعام مهدي علي السلمان قصرت بحثها على الفترة (١٨٩٧ – ١٩٢٥م) من تاريخ الأهواز في رسالتها الجامعية[٣٧]. وهو كتاب جدير بالعناية من حيث مصادره العربية ومنهج بحثه ويتمتع بقيمة عالية. وما يرفع من شأنه الجهد الذي بذلته الباحثة في تقصي الوثائق الرسمية العربية ودراسة المطبوعات المنشورة في تلك الفترة والرجوع إلى المصادر البريطانية للاستفادة منها.

من المصادر الفارسية استفادت السيدة إنعام مهدي في بحثها من كتاب أحمد كسروي وحده ولم ترجع إلى المصادر الفارسية الأخرى. والأمر الآخر هو عدم فهمها الصحيح لعلاقة رضاخان مع البريطانيين.

مؤلفات أخرى

كتاب تاريخ الأهواز

وهو كتاب في أربعة اجزاء ، ألفه علي نعمة الحلو ويقع في مجلدين. يعتبر كتاب علي نعمة الحلو من المراجع الهامة التي تتناول تاريخ الأهواز من عهد بني كعب آل ناصر حتى نهاية عهد الشيخ خزعل[٣٨]. لقد أفرد الكاتب قسماً كبيراً من كتابه للتعريف بالقبائل والعشائر العربية الاهوازية وأصولها. ومع أن المنهج البحثي المتبع

في الكتاب لا يخلو من الإشكالات إلاَّ أنه يحوي معلومات قيمة عن فترة بني كعب وهو مفيد بصفته سجل حوادث. ورغم محاولات علي نعمة الحلو الوصول إلى المعلومات والمصادر المعتبرة القيمة، إلاَّ أنها أغفلت الكثير من المصادر الفارسية والإنجليزية وحتى العربية.

الكتاب الآخر هو «إمارة المشعشعين» للدكتور محمد حسين الزبيدي الموجود في المكتبة الوطنية العراقية تحت الرقم ٥٤[٢٩]. وهو يتناول في مجمله علاقة المشعشعين بالصفويين والأفشاريين والزنديين والعثمانيين. ويقدم المؤلف دراسة جيدة نسبياً لهذه العلاقات استناداً إلى المؤلفات الأخرى والمصادر الأجنبية. غير أن ما يقلل من أهمية الكتاب أن مؤلفه يقدم مواضيع لا تتطابق مع باقي الوثائق أو غير موجودة في المصادر التي يحيل عليها. كذلك فإنه قد يطلق أسماء أخرى لأجداد السيد محمد بن فلاح المشعشعي. وفي موضع من كتابه يذكر أن الأفشارية حكموا إيران بعد الصفويين، والصحيح أنهم الأفغان الذين حكموا إيران بعد الصفوية.

إن أغلب الكتب الصادرة حول تاريخ خوزستان لا تتمتع بأهمية وقيمة علمية كبيرة بسبب افتقارها للمعلومات والبيانات الجديدة وكذلك عدم مراعاتها للمنهج العلمي في تناول الموضوعات. فكتاب نيِّره زمان رشيديان« نكاهي به تاريخ خوزستان»(نظرة على تاريخ خوزستان) لا يستحق اسم كتاب فهو لا يتعدى الملاحظات عن خوزستان. والغريب المثير للأسف أن مقدمته كتبها باحث لامع هو الدكتور إبراهيم باستاني باريزي[٣٠].

الكتاب الآخر في هذا المجال هو« خوزستان وتمدن ديرينه آن» للسيد ايرج أفشار سيستاني الذي تولت وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي طبعه في مجلدين ونشره في ربيع ١٣٧٣ش[٣١]. إن مؤلف الكتاب ليس فقط لا يقدم معلومات جديدة عن الأهواز بل إن كل ما كتبه هو اقتباس من الآخرين حيث يقول المرحوم محمود جعفري إن الكتاب ليس إلاَّ جمعاً ونسخاً حرفياً لمؤلفات مختلفة وربما متناقضة لآخرين، ويمكن القول بالتأكيد إنه ليس في «الكتاب» سطر واحد يمثل استنتاج «المؤلف»[٣٢].

هوامش المقدمة

(١) يرى محمد جواهر كلام أن كتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» صدر سنة ١٣١٣. أمّا محمود كتيرايي فيرى أنه صدر سنة ١٣١٢ (محمود كتيرايي، «كتاب شناسي كسروي، ص٣٧٢).

كسروي يشير في الصفحة ٢٠٦ من الكتاب إلى حوادث ذلك اليوم ويقول ان سنة ١٩٣٣م (١٣١٢ش) هي السنة التي كتب فيها الأبواب الختامية للكتاب. من هنا يبدو أن سنة ١٣١٣ هي سنة نشر الكتاب.

(٢) نقلاً عن محمد جواهر كلام، «درباره ي تاريخ بانصد ساله خوزستان»، شهرية كلك، الأعداد ٨٩ – ٩٣ (في مجلد واحد)، من شهر مرداد إلى آذر ٧٦، ص٤١٢.

انظر كذلك: **Bulletin of school of Oriental studies VIII 4, 1936, pp. 1172-75.**

(٣) في الصفحة ٣٥ من كتاب «كسروي وتاريخ مشروطه إيران» نشر ني، الطبعة الأولى بهمن ٧٦، تحت عنوان «كسروي مورخ» وفي معرض حديثه عن كتابة كسروي للتاريخ مع الإشارة إلى جميع كتبه التاريخية لا يشير سهراب يزداني إلى «تاريخ بانصد ساله ى خوزستان» .

أكثر من ذلك، السيد سهراب يزداني لا يذكر لا «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» ولا مقالة «عرب ها در إيران» لكسروي في فهرس مقالاته وكتبه الذي يدرجه في الصفحة ١٧٥ من الكتاب المذكور.

كذلك فإن السيدة سيمين فصيحي تذكر «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» باعتباره أحد مؤلفات كسروي في كتابها «جريان هاي أصلي تاريخ نكاري در دوره بهلوي» ، ولكنها لا تبدي أية وجهة نظر حول الكتاب ولا كيفية تأليفه. انها تناقش كتابة كسروي للتاريخ دون تناول هذا الكتاب.

(٤) يقول الأستاذ عباس العزاوي مؤلف « تاريخ العراق بين احتلالين» في المجلد الثالث ،عن كتاب كسروي : «من أهم الكتب في هذا المجال [آل المشعشع] كتاب تاريخ بانصد ساله ى خوزستان للسيد أحمد كسروي. هذا الكتاب القيم نظم على أساس تاريخ غياثي وغيره ويعتبر من المصادر المهمة وأغلب نصوصه صحيح» عباس العزاوي . «تاريخ العراق بين احتلالين» ، المجلد الثالث، ص١١٨.

(٥)قام كسروي في البداية بطبع مختصر هذا الكتاب في الأعداد ١و٢و٣ (سنة ١٣٠٤ش) من شهرية «آينده» ويبدو أنه كان يريد أن يؤلف كتابًا يسميه «تازيكان در إيران» على أن تكون هذه المقالات إطارًا وأساسًا للكتاب ولكنه بعد ذلك جمع تلك المقالات بشكل أكمل في كتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان». راجع أحمد كسروي «شهرياران كمنام»، ، صص ١١٣-١٣.

الفصل الثاني

(23)1.William Theodore Strunk, The Reign of Shaykh Khaz'al bn Jabir and The Supression of the principally of' Arabistan : A Study in British Imperialism in southwestern Iran, 1897, 1925, Phd, dissertation in the Department of History, Indiana, University, August 1977.

آراء أحمد كسروي وطريقته في التفكير، وأي جهد في هذا الاتجاه دون التعرف على وجهات النظر الخاصة بكسروي في رؤيته للمواضيع الاجتماعية والسياسية والدينية وحتى الأدبية يعتبر ناقصاً وغير مجدٍ. من جانب آخر يساور ناقد كتاب «تاريخ پانصد ساله ي خوزستان» هاجس أن يكون في محاولته النقدية هذه يطعن بجهود كسروي أو أن يؤدي إلى استنتاج أن هذا الكتاب فاقد للاعتبار والقيمة.

نظراً إلى الخدمة الجليلة التي قدمها [illegible] العربي الأهوازي وثقافته، وكذلك لكونه متوفراً [illegible] كبير [illegible] في [illegible] الكاتب يجد لزاماً على نفسه أن لا يبقي أي رأي يخص السيد كسروي إلا بعد قراءة أفكاره من خلال مؤلفاته. ولا ننسى أيضاً أن السيد كسروي هو أول من ألف في تاريخ الشعب العربي من المعاصرين، ومازال بعض أبحاثه حول هذا الشعب يحافظ على اعتباره حتى بعد مضي ثمانين سنة. ويتفق جميع الباحثين، سواء الموافقين أو المخالفين له، على صحة بعض أبحاثه [illegible] الباحثين ان عرب خوزستان وجدوا تاريخاً مستقلاً لأول مرة عند صدور كتاب «تاريخ پانصد ساله ي خوزستان» سنة ١٣١٣ش[1].

عموماً فإننا نتحدث عن رجل خلّف بعد حياته الثرة اثنين وتسعين كتاباً ومقالة[2] نالت اهتمام أهل العلم والأدب، فكانت منذ صدورها حتى اليوم موضع نقد وتحليل واستحسان أو قدح من أهل الرأي. وبتأليفه كتاب «آذري يا زبان باستان آذربايجان» (الآذرية أو لغة آذربايجان القديمة) سنة ١٣٠٤، أصبح كسروي معروفاً بين العلماء

در إيران).

(٢٢) مصطفى أنصاري، «تاريخ خوزستان ١٩٢٥ ـ ١٨٧٨» (دوره ي خاندان كعب وشيخ خزعل).

(23)1.William Theodore Strunk, The Reigm of shaykh Khaz'al bn Jabir and The Suprression of the principally of' Arabistan : A Study in British Imperialism in southwestern Iran, 1897, 1925, Phd, dissertation in the Department of History, Indiana, University, August 19770.

(٢٤) إنعام مهدي علي السلمان، نفس المصدر، ص٤ النسخة المترجمة بواسطة الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار موجودة لديه على حد تعبيرها.

(٢٥) مصطفى عبدالقادر النجار، «التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية»، ١٨٩٧ ـ ١٩٢٥.

(٢٦) محمد جواهر كلام، «فرجام شيخ خزعل»، كتاب خوزستان رقم (١)، ص٥٧.

(٢٧) إنعام مهدي علي السلمان، «حكم الشيخ خزعل في الأهواز» (١٨٩٧ـ١٩٢٥).

(٢٨) علي نعمة الحلو، «تاريخ الأهواز»، الكتاب الأول والثاني.

(٢٩) علي نعمه الحلو، «تاريخ الأهواز»، الكتاب الثالث والرابع.

(٣٠) محمد حسين الزبيدي، «إمارة المشعشعين أقدم إمارة عربية في عربستان»، ١٣٨٣. لمزيد من الاطلاع راجع:

عبد النبي قيم «نكاهي به تاريخ خوزستان يا يادداشتهايي درباره ي خوزستان».

(٣١) إيرج أفشار سيستاني، «خوزستان وتمدن ديرينه آن».

(٣٢) محمود جعفري، «جنكي از نوشته هاي متناقض»، كتاب خوزستان(٢).



الفصل الثاني

نبذة عن أحمد كسروي

لتقييم كتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» لا بد من التعرف قبل ذلك على آراء أحمد كسروي وطريقته في التفكير. وأي جهد في هذا الاتجاه دون التعرف على وجهات النظر الخاصة بكسروي ورؤيته للمواضيع الاجتماعية والسياسية والدينية وحتى الأدبية يعتبر ناقصاً وغير مُجْد. من جانب آخر يساور ناقد كتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» هاجس أن يكون في محاولته النقدية هذه يطعن بجهود كسروي أو أن يؤدي إلى استنتاج أن هذا الكتاب فاقد للاعتبار والمنفعة.

نظراً إلى الخدمة الجليلة التي قدمها السيد كسروي لتاريخ الشعب العربي الأهوازي وثقافته، وكذلك لكونه متوفى وليس على قيد الحياة، إضافة إلى أنه عالم كبير ترك آثاراً قيمة في مجالات مختلفة كان في معظمها صاحب رأي مستقل ،فإن الكاتب يجد لزاماً على نفسه أن لا يبدي أي رأي بحق السيد كسروي إلاَّ بعد دراسة أفكاره من خلال مؤلفاته. ولا ننسى أيضاً أن السيد كسروي هو أول من ألف في تاريخ الشعب العربي من المعاصرين. ومازال بعض أبحاثه حول هذا الشعب يحافظ على اعتباره حتى بعد مضي ثمانين سنة. ويتفق جميع الباحثين، سواء الموافقون أو المخالفون له، على صحة بعض أبحاثه. يقول أحد الباحثين ان عرب خوزستان وجدوا تاريخاً مستقلاً لأول مرة عند صدور كتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» سنة ١٣١٣ش[١].

عموماً فإننا نتحدث عن رجل خلّف بعد حياته الثرة اثنين وتسعين كتاباً ومقالة[٢] نالت اهتمام أهل العلم والأدب ،فكانت منذ صدورها حتى اليوم موضع نقد وتحليل واستحسان أو قدح من أهل الرأي. وبتأليفه كتاب «آذري يا زبان باستان آذربايجان» (الآذرية أو لغة آذربايجان القديمة) سنة ١٣٠٤، أصبح كسروي معروفاً بين العلماء

وذاع صيته في كل الأنحاء وقبلته خمسة مجامع علمية عالمية كبيرة لعضويته فيها من بينها «المجمع الآسيوي في لندن» و«الأكاديمية الأمريكية»[٣] .كذلك اختص ما لا يقل عن ١٥ كتابًا باللغة الفارسية و٦كتب باللغة الانجليزية بتحليل آثار كسروي ونقدها. بالإضافة إلى أن كماً كبيراً من التحليلات والدراسات خُصص لتحليل آراء كسروي وتحليلها حيث ضم نحو ٦٠كتاباً باللغة الفارسية و١٣كتاباً باللغة الانجليزية[٤].

لقد كتب كسروي، بالإضافة إلى الـ١٧كتاباً في المجالات التاريخية المختلفة، مقالات في الجغرافيا التاريخية واللسانيات والفلك والأدب وحتى الاقتصاد .انه كان يطالع ويكتب في كل موضوع يلمس فيه اضطراباً أو انحرافاً أو غموضاً. لقد شمل كسروي في أبحاثه المواضيع التاريخية والدراسات الجغرافية التاريخية كما كتب عن مواضيع قليلة الأهمية ومهملة[٥] .والجدير بالذكر أن كسروي كتب جميع مواضيعه بثقة بالنفس فريدة وشجاعة متميزة. وربما كانت ثقته بنفسه وشجاعته من عوامل نجاحه في أبحاثه. في الوقت نفسه كانت تلك الصفات السبب الأول في شطحاته. وسوف أبين في هذا الكتاب أن آراء كسروي القطعية حول الكثير من الأبحاث والشخصيات وأغلاقه باب الاحتمالات كانت سببا في وقوعه في الأخطاء.

ومن أخطائه التي ارتكبها في آخر سنة من حياته في سجل شهر مهر ١٣٢٤ش في الصفحة .ومن الملامح الأخرى اللافتة للنظر في حياة أحمد كسروي علاقته بالمناضلين والكتّاب المناصرين للحرية من جانب وعلاقته الوثيقة مع بلاط رضا خان من جانب آخر. فقد كان في البداية على علاقة حميمة مع الشيخ محمد خياباني بل كان في صفه ولكنه قطع تلك العلاقة فيما بعد.. من جانب آخر كان لكسروي علاقة قريبة مع وزير بلاط رضا شاه ،تيمورتاش منذ حضوره في العدلية. في الحقيقة كان تيمورتاش هو الذي رشح كسروي إلى وزارة العدل. ثم اقترح تيمورتاش عليه الانضمام إلى حزب إيران نو. كما طلب منه أن يترك القضاء ويعكف على الدراسات التاريخية واللغوية وطلب من وزارة الثقافة أن تمنحه راتبا ليتفرغ للتأليف[٦] كما كانت له صداقة قديمة مع كربلائي حسين آقا فشنكجي (مدير صحيفة تبريز) وهو من اقرباء رضا شاه[٧] .

شوفينية كسروي

مع أن بعض الباحثين يميزون بين قومية كسروي وقومية باقي المثقفين المعاصرين له فيعتبرونه «قوميا اصلاحيا»(٨) أو «من أنصار الوحدة الوطنية الايرانية»(٩) أو «منظّر التضامن الوطني في إيران»(١٠) محاولين كتمان تطرفه القومي وتعصبه العرقي واضفاء صبغة أخرى عليها. رغم هذا لا بد من القول بأن قومية كسروي لا تختلف كثيرا عن قومية عصره ولا نغالي ان قلنا انه «قومي متطرف». يقول سعيد نفيسي عن عدم اعتدال كسروي في اتجاهه الوطني وكان من أصدقائه: «أعتقد أن الاعتدال والتوازن من أول الضروريات في مجال الفكر وخاصة في القومية وعلى الإنسان أن يكون إلى حد كبير منصفا ومعتدلا ومنفتحا في نشر الحسّ القومي، فالحكمة تقتضي أن يحب الانسان كل ما يوافق العقل والمنطق والمصلحة والعلم. واذا رأى ما يشوبه العيب أو النقص أو ما كان قديمًا متهرئًا لا ينفع الحياة المعاصرة فلا ينبغي أن يتعصب له. وكان كسروي غافلاً عن هذه الملاحظة العقلانية. فكان أحيانًا مصيبًا في ما يقول ويفعل، في حين كان يبدو مخطئًا تمامًا في أحيان أخرى. وكان تطرفه وتفرده برأيه يجعله يلح على الخطأ ولم يكن على استعداد أبدا لتقبل الرأي الآخر»(١١). ومادامت القومية تهدف إلى الحفاظ على القيم الوطنية والموروث الثقافي للأمة أو للقوم ومنع الضياع الثقافي وتبعا له الاستقلال السياسي والاقتصادي فإنها تكون ذات مزايا ايجابية وتقدمية ويمكن أن تصب في مصلحة تطلعات الأمة. ولكن حينما تتجاوز القومية الحد بحجة الحفاظ على الموروث الثقافي وتخلق الخصومات والعداوات مع الثقافات والأقوام الأخرى تحت غطاء آخر، وتهدف إلى تحقير والاستهانة بالثقافات الأخرى بحثًا عن طرق لاستعلاء ثقافته وكذلك بالاستعانة بالطرق غير الإنسانية في تحطيم ثقافة ما والاستعلاء عليها ورفع الشعارات المعادية للغير، في هذه الحالة تصبح القومية غير مرغوبة به ومستوجبة للنقد والرفض. القومية في شكلها الأول أقرب إلى حب الوطن وحب القوم، أما في شكلها الثاني فترتبط بالشوفينية والعنصرية وتكون

مصحوبة بضيق النظر ، ضيق الأفق ، الاستبدادية والقمع.

كان كسروي ينقل الأخبار في تاريخ بانصد ساله خوزستان أحياناً بدون مراعاة زمان الحوادث ومكانها. أو كان ينقل الحادثة بشكل مضخم ويصور الشخصيات تصويراً خيالياً غير واقعي. كما كان يتجاوز حدود «اللياقة اللفظية» التي كان يتظاهر بها باعتبارها من الصفات الأساسية للمؤرخ، فيطلق لقلمه عنان الشتائم والعبارات القبيحة.

وكان إذا ذكر علماء المشعشعين وخاصة السيد محمد المشعشع تحدث عنهم بكراهية وكان يكتب عن مساوئهم بحقد بالغ وقد يوجه الكلام إلى السيد محمد بألفاظ لا تليق بشأن كسروي المفكر. وهو يُظْهر في أماكن كثيرة من الكتاب تحت عناوين مختلفة عدم رضاه وحقده على سلطة المشعشعين. ان كسروي بإلصاقه أوصاف مثل النهاب وقطاع الطرق بعرب الأهواز، كان ينحرف عن جادة الصواب. وفي حديثه عن الحرب الإيرانية البريطانية في المحمرة نراه يصف بشكل باهت وخافت شجاعة الحاج جابر والد الشيخ خزعل ورفاقه في تصديهم للبريطانيين ويمر مرور الكرام على جبن خانلر ميرزا عم ناصر الدين شاه وتخاذله ، كما يتجاهل صمود سادات نهر هاشم وحثهم لخانلر ميرزا على الثبات والمقاومة ولا يقول شيئاً عن هروب خانلر ميرزا. ولكنه لا يفوته أن يستهزئ باللهجة الفارسية لشيخ حداد شيخ قبيلة آل كثير. .

في حين يصف كسروي في موضع آخر قرارات السيد محمد المشعشع الرامية إلى مراعاة شروط الصحة والسلامة والعفة العامة بأنها «مجازر السيد محمد»[١٢]. ولكن القارئ حين يقرأ بضع صفحات من كتابه يكتشف أنها ليست مجازر بل مجرد شرح للقوانين والعقوبات المترتبة على مخالفة الأخلاق وعدم رعاية النظافة والتي يمكن إنزالها بالمخالفين. والحال أن كسروي ليس فقط لا يخبرنا عن عدد القتلى والمعاقبين الفعليين من قِبل السيد محمد المشعشع بل إنه لا يذكر إن كانت تلك العقوبات قد نفذت أم لا، وإذا كانت قد نفذت فكم كان عدد ضحاياها.

إن كتاب تاريخ «بانصد ساله» زاخر بمثل هذه الحالات وسترد بالتفصيل في موضعها. انها ناجمة عن شوفينية كسروي ورؤيته الخاطئة. مع هذا لا ينبغي أن يقرن اتجاه كسروي القومي باتجاه متشدد لدى الآخرين[١٣].

إن أهم ما يميز اتجاه كسروي القومي عن غيره من ذوي الاتجاه القومي المعاصرين له رأيه بتقبل الايرانيين للإسلام ورده على بعض المغرضين، يقول: «ان من دواعي فخر الإيرانيين أنهم اعتنقوا الإسلام حين أدركوا صحته وأحقيته بالاتباع ولم يدخروا وسعاً في احتضانه والترويج له بعد أن تصدوا له في بداية الأمر وقاتلوا بشراسة العرب الذين جاؤوا يبشرونهم به. ان الذين يظنون أن الإيرانيين دخلوا في الإسلام خوفاً ،إنما يكشفون عن جهلهم.»[١٤]. ويكتسب رأي كسروي هذا أهميته البالغة من أن بعض المثقفين المعاصرين له حاولوا ايجاد الفرقة بين الإيرانيين وباقي المسلمين بإطلاق آراء معينة حول قبول الإيرانيين الإسلام. انها آراء كانت تستبطن العداء للعرب وتدعي أن تخلف الإيرانيين وابتلاءهم بالمشاكل يعود إلى هجوم العرب عليهم واضطرارهم إلى الدخول في الإسلام.

ثم يعترض كسروي على المعتقدين بأن دخول الإيرانيين في الإسلام مخالف لوطنيتهم قائلاً: «... كيف لا يرى هؤلاء تقبل السينما والمسرح وقراءة الروايات وكتابتها من أوروبا مخالفاً للوطنية، ولكنهم يرون تقبل الأسلاف للإسلام مخالفاً للوطنية لأن نبي الإسلام جاء من خارج إيران؟»[١٥]. لقد أطلق كسروي رأيه هذا في وقت «لم يكن الاتجاه القومي يعترف بالدين معياراً للهوية بل استبدل به الانتماء القومي ـ الوطني.»[١٦]. على هذا فإن كسروي وان كان محسوباً على التيار القومي المتشدد إلا أن موقفه من الإسلام وتقبل الإيرانيين له كان موقفاً واقعياً بعيداً عن العصبية والأهداف المغرضة.

علم واحد، دين واحد، لغة واحدة

شهدت الفترة التي تلت الثورة الدستورية (المشروطة) وبمؤثرات داخلية وخارجية تنامياً للبحث عن مفهوم الوطنية والوحدة الوطنية لدى المثقفين والنخب الفارسية.

يقول كسروي: «ان إيران بلد متخلف لأن سكانه لم يتبلوروا بهيئة شعب بعد. ولقد أدى الاختلاف من حيث القومية واللغة والدين إلى عدم تحقيق الإيرانيين وحدتهم الوطنية.»(١٧). يعتقد كسروي أن تعدد القوميات واللغات والأديان في إيران يعرقل الوحدة. لذا لابد من توحيد الأديان واللغات لاستكمال المشروع الوطني. ومن هذا المنطلق رفع شعار «علم واحد، دين واحد، لغة واحدة»، وأصبح شعار مجلته أي مجلة بيمان

سأشير باختصار إلى آراء كسروي في الدين في الصفحات القادمة. أما في ما يخص اللغة الواحدة التي يعتبرها كسروي ركناً أساسياً في هيكل الأمة فلا بد من الإشارة إلى أن المثقفين القوميين بعد المشروطة يحملون في أغلبيتهم هذا الرأي. وهذه الفكرة قبل غيرها تكشف فهمهم الخاطئ لتعريف الأمة وافتقارهم إلى الدراسة النظرية لهذا المجال: أطلق محمود أفشار، سليل التجار من أهل يزد الذي حاز على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة لوزان السويسرية سنة ١٩١٩م، نظرية اللغة الواحدة ناسياً كيفية تكوين الشعوب الأوروبية ومُغْفلاً تجربة سويسرا الاتحادية بلغاتها الثلاث (الألمانية والفرنسية والإيطالية). يقول محمود أفشار وكان صديقاً لكسروي وأحد منظِّري النزعة القومية بعد المشروطة: «رغم تميز القومية الإيرانية عن جيرانها الصفر الطورانيين والعرب الساميين بتاريخها المجيد الممتد على آلاف السنين وبعرقها الآري المتفوق إلاَّ أنه يمكن القول بأن وحدتنا الوطنية ما زالت ناقصة بفضل تعدد اللغات كالتركية في آذربايجان والعربية في خوزستان والفارسية في سائر الولايات.»(١٨).

ويحمل كسروي رؤية عن اللغات مشابهة لرؤية محمود أفشار. لهذا رفعت مجلة بيمان شعارها الرئيس في توحيد اللغات بمحو لغات القوميات الأخرى في إيران(١٩).

وفي حين كان يبشر بإلغاء اللغات الأخرى عدا الفارسية نظرياً كان يمارس ذلك على نفسه عملياً باستعمال مفردات الفارسية الدرية التي عفى عليها الزمان ولم تعد قيد

التداول[٢٠]. يقول سعيد نفيسي في ذلك: «أخذ ينساق إلى المبالغة شيئاً فشيئاً حتى بدأ يكتب بلغة فارسية لا يفهمها أحد بحيث اضطروا لوضع معجم خاص لفهم لغته الفارسية. وكان جريئاً في اصطناع المفردات فكان يضع كلمات غير مسبوقة ولا تتوافق مع موازين اللغة الفارسية.»[٢١].

لم ينتبه كسروي ورفاقه لهذه التجربة التاريخية «أن ما جعل الغرب ينجح في مشروعه هو اعتماده التعددية والتنوع في المصالح المعنوية والسياسية والاقتصادية التي تزامنت مع التعددية والتنوع في المؤسسات السياسية والاجتماعية، بمعنى أنها توازت مع نمو الديمقراطية ونضجها وتبلورها.»[٢٢].

على أن آراء كسروي ورفاقه الشوفينيين حول الأمة الواحدة واللغة الواحدة أصبحت في ما بعد منهجاً لسياسة رضا شاه ودليلاً لجعل الايرانيين على شاكلة واحدة وازالة لغات القوميات المختلفة واذابة ثقافاتهم[٢٣]. ولهذا السبب منعوا العرب من دراسه لغتهم العربية واجبروهم على تعلُم اللغة الفارسية تمهيدًا لطمس هويتهم العربية واذابتهم في البوتقة الفارسية. مع أن مضي ثمانين عاما أثبت استحالة صهر القوميات في قومية واحدة إلاّ أن تلك الأفكار التي انطلقت قبل كل شيء من المصالح الطبقية للبرجوازية الوطنية[٢٤] ما زالت تترك آثارها السلبية في المجالين العملي والنظري. ان هذه النظرة تساوي بين الايرانية والفارسية وتعتبر كل من يتكلم بغير الفارسية هو غير إيراني[٢٥]. إن الجو السائد على المحافل الثقافية وكذلك النزعة القومية الحكومية لم تسمح لا بدراسة كيفية تكوين الأمة في الغرب ومناقشتها ولا حتى بعرض تلك الأفكار التي من شأنها، لو سمح لها بالظهور، أن تؤسس لحوارات تالية ونظريات أكثر جدية.

مهما يكن من أمر فإن كسروي كان متأثراً بهذه النزعة وهو ينسب عدم تكوين الأمة الإيرانية إلى «الاختلافات القومية واللغوية» لذا كان يهاجم بشدة كل ما كان من شأنه إيجاد هذه «الاختلافات» أو تقويتها. وكان يرى أن السيد محمد المشعشع

كان مؤسساً لواحدة من تلك «الاختلافات» في أحد أطراف إيران قبل خمسة قرون، فاستحق بذلك الطعن واللعن. يصف كسروي الشعب العربي الاهوازي، وخاصة في عهد المشعشعين، بأنهم نهابة وسلابة (٢٦).

على أنه لا ينبغي حمل عداء كسروي للمشعشعين واطلاقه الكلام البذيء على الشعب العربي على آرائه في الأمة والعوامل المعيقة لتشكلها، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان رأي كسروي في الآذربايجانيين شبيهاً برأيه في العرب فقد كان دورهم في صنع الخلل المعيق لتشكل الأمة أكبر وأخطر وذلك لكثرة عددهم وسعة انتشارهم الجغرافي. علماً أنه قد أفرد قسماً كبيراً من كتابه «تاريخ مشروطه ي إيران» لحوادث آذربايجان، فاستحق وصف البعض له بأنه ذو«تعصب إقليمي»(٢٧). في موضع آخر وصف كسروي عدم تعاونه مع رئيس الدائرة السياسية البريطانية الميجور إدموند ضد الشيخ محمد خياباني أو عدم تضامنه مع آقا ميرزا علي هيئت بقوله: «فضلا عن ذلك لم أكن أرغب في أن أظهر موقفا عدائيا من حركة صادرة من آذربايجان»(٢٨). ان الشعور بالحب الشديد والانتماء لدى كسروي إلى آذربايجان يبين أن نظرته المغرضة إلى عرب الأهواز لا تعود إلى مشروع تشكيل الأمة فحسب. ان كسروي، شأنه شأن جميع ذوي النزعة القومية بعد المشروطة، لأن النزعة القومية الحكومية والنزعة القومية عند المثقفين كلتاهما نزعة إحياء التاريخ القديم ومعاداة العرب، كلتاهما تنظر إلى تاريخ إيران في العصر الإسلامي بنظرة دونية. والفرق الوحيد بين الاثنتين هو أن النزعة القومية الحكومية كانت تؤكد على المكانة المتميزة للمؤسسة الشاهنشاهية في تاريخ إيران. أما قومية المثقفين، مقارنة بالقومية الحكومية، فكانت معادية للاسلام علنا ولا تؤكد كثيرا على المؤسسة الملكية(٢٩). لقد بلغ التوجه المعادي للاسلام لدى المثقفين القوميين حدا جعل بعض الباحثين يفسر مخالفة كسروي لشعراء كبار أمثال حافظ ومولوي بسبب معاداته للإسلا م. «ان إعادة القيمة الحقيقية لإرث المجوس بصفتهم «الإيرانيين الأصيلين» وان جاءت متأخرة كانت من واجب مجموعة من المثقفين تعتبر

الاسلام جملة اعتراضية تاريخية مشؤومة في قدر إيران. لقد ذهب بعض القوميين الايرانيين أمثال أحمد كسروي في الحطّ من الاسلام بعيدا ،حتى اتهموا شعراء عرفانيين مسلمين أمثال حافظ ومولوي وهما من المفاخر الأدبية الإيرانية واعتبروهم من أسباب انحطاط إيران.»[٣٠]. مع هذا نعتقد أن معارضة كسروي لهؤلاء الشعراء ليست نابعة من عدائه للاسلام فقط لأنه، كما أشرنا، كان أقل المثقفين تحاملاً على الإسلام. بل انه ينتقد النظام الصفوي من حيث ترويجه للعن الخلفاء وسبّهم. «بعد أن تربع الأمويون والعباسيون على كرسي الخلافة الإسلامية مستغلين قربهم من النبي آذوا العلويين الذين كانوا أقرب منهم إلى النبي وأتقى. ولم يقف الإيرانيون الغيارى مكتوفي الأيدي بل ناصروا العلويين حتى عُرفوا بالتشيع. أما معاداة الخلفاء الثلاثة الآخرين والشتم الذي روّج له الصفويون فقد كان مرفوضا من قِبل العقلاء.»[٣١].

عموماً فإن نظرة كسروي الخاطئة لعرب الأهواز والمتجلية بوضوح في القسم الأول من كتابه يمكن الإمعان فيها من زاويتين: الأولى النزعة الشوفينية ومعاداة العرب التي يتسم بها كسروي، والثانية وجود العرب في هذه البقعة وعرقلتهم لمشروع تشكيل الأمة الإيرانية[٣٢].

كتابة كسروي للتاريخ

يقول كسروي في أحد كتبه عن التاريخ: «إن التاريخ لأي تجمع بشري هو كالجذور للشجرة... إنه يجعل التجمع أقوى وأثبت. والناس لدى مواجهتهم الصعوبات يتذكرون الصعوبات المماثلة التي واجهوها عبر التاريخ وتغلبوا عليها فيستمدون من تاريخهم القوة والصمود. وبمعرفتهم أن آباءهم وحّدوا جهودهم عبر التاريخ وأسسوا ذلك التجمع أو تلك البلاد يشتد اقترابهم من بعضهم وانتماؤهم.»[٣٣] وفي موضع آخر يقسم كتابة التاريخ كما يلي: «التاريخ القصصي، سيرة رجال التاريخ، التاريخ السياسي، والتاريخ التحليلي. وأن أفضلها وأصعبها الأسلوب التحليلي الذي يعمل على تقييم الحوادث ويكشف عن علائقها ويبين نتائجها.»[٣٤] يتبين مما

يقوله كسروي أنه يطلق على طريقته في كتابة التاريخ الطريقة التحليلية. مع هذا يبدو أن فهمه لـ «التاريخ التحليلي» فهم بسيط وأولي وغير علمي، لأنه لم يتطرق أبداً في كتاباته التاريخية إلى الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية للأحداث. وربما كان يريد بقوله هذا أن يفهم القراء بأن كتابته للتاريخ تختلف عن سابقيه الذين كانوا يكتفون بسرد الحوادث. ولكن الحقيقة هي أن هذا هو نصف الحقيقة فقط، أما النصف الآخر فهو أنه لا مكان لهذا «التحليل التاريخي» في كتابات كسروي أبداً. انه يتناول حوادث الفترات المختلفة بمعزل عن مراحلها التاريخية. بل إن رؤيته لا تسمح له بالاهتمام بما وراء الظاهر والتعمق في كنه الحوادث والمصالح الاقتصادية للأفراد والجماعات. فتراه أحياناً يبدي وجهة نظره في الأحداث وكأنها وقعت في القرن العشرين وتحت ظروف معاصرة. لذا نجده في كتاباته يسقط المعايير والمقاييس العصرية على الشخصيات والحوادث القديمة.

يرينا سهراب يزداني في بحثه كيف أن كسروي لا يهتم بالخلفية الاجتماعية والاقتصادية في سرده لحوادث الثورة الدستورية (المشروطة) ويكتفي بالإشارة إلى عامل اليقظة وهو تقريباً ترديد لخطاب ناظم الإسلام كرماني نفسه في كتابه «تاريخ بيداري إيرانيان» (تاريخ يقظة الإيرانيين) ولكلام إدوارد براون في كتاب «انقلاب إيران» (الثورة الإيرانية). ويعزو عدم اهتمام كسروي بالأرضية الاجتماعية والاقتصادية لثورة المشروطة إلى افتقاره لتلك الرؤية[٣٥]. ويقول في موضع آخر عن أسلوب كسروي في التحليل: «لا بد من التوقف عند أسلوب كسروي في التحليل. انه لا يتعامل مع الخلفيات والبنى الاجتماعية والاقتصادية للظواهر التاريخية. ومكانة الطبقات والشرائح الاجتماعية غير واضحة في كتاباته. فبدلاً من استعمال مصطلحات مثل «طبقة» و«شريحة» وما شاكلها نراه يستعمل مصطلحات أخرى مثل: رجال البلاط العظام، الأفراد المغمورون الوضيعون، الأدباء والفضلاء، والأميون، ورجال الدولة، وجماهير الشعب، وهذه مصطلحات غير دقيقة ومضللة ولا توضح مساهمة

الطبقات والشرائح الاجتماعية في أحداث المشروطة. إنها تعتبر من نقاط ضعف منهج كسروي في كتابة التاريخ من وجهة نظر علم كتابة التاريخ الحديث[٣٦]. نقطة الضعف هذه يمكن ملاحظتها بوضوح في «تاريخ بانصد ساله خوزستان». يقول في معرض حديثه عن حكم البصرة وجنوب العراق: «خاصة البصرة وجنوب العراق الذي كان أغلب الوقت تحت سيطرة المتمردين ، وكما أسلفنا كان المشعشعيون يستولون عليه أحياناً.»[٣٧] فمن الواضح أن مصطلح «المتمردين» لا يمكن أن يكون مصطلحاً علمياً واضحاً ودقيقاً. فللكلمة طابع سياسي دعائي قبل أن يكون لها دلالة علمية. فهل المقصود بالمتمردين، الأوباش الذين استولوا على الحكم؟ أم أنهم يمثلون مجموعة متميزة قائمة بذاتها لم ترضخ للظلم؟ والأهم من ذلك، هل هم من قطاع الطرق أم من الأثرياء الأغنياء؟

ويرى باحث آخر أن كسروي لم يكن محللاً ومفسرا تاريخياً كبيراً ولكن مسجل حوادث بارز، يدون الأحداث بمعزل عن ظروفها الزمانية والمكانية: «نعم، لقد افتتن كسروي المصلح بمقام المنقذ والمصلح الاجتماعي، ومنذ أواسط عمره بمنزلة «المبعوث الإلهي» حتى حسب أن مقام المؤرخ البارز قليل له ودون شأنه. إن الحماس المتعالي الذي كان يرعاه في رأسه وحاجته إلى التاريخ كوسيلة لإظهار أفكاره ليس إلاً، لم يترك لكسروي المؤرخ فرصة أكبر لإبراز مواهبه الفذة في البحث في التاريخ وتخليصها من النواقص. لذا فإن كسروي يعتبر في كتابة التاريخ الإيرانية المعاصرة مدون حوادث بارزاً أكثر منه محللاً تاريخيًا ،لأن التحليل التاريخي يتطلب رؤية تاريخية واطلاعاً على النسبية الزمانية والمكانية للقيم ومعرفة .إن معايير تمييز «الحسن والقبح» في أية واقعة تاريخية لابد أن تكون مؤطرة بالأطر ثقافية وموضوعية لعصر وقوعها[٣٨].

إن رؤية كسروي الخاصة لا تسمح له بأن ينظر إلى الحوادث والظواهر نظرة عميقة، هذا ما منعه من إدراك الخلفية الاقتصادية والاجتماعية لظهور نادرشاه، ففسر هجومه على الهند بالرغبة في الحفاظ على استقلال البلاد ثم برر المجازر التي

ارتكبها بحق الشعب بعدم تقدير الناس لنادر حق قدره: «مما يؤسف له أن الشعب الإيراني الغبي لم يعرف قيمة الاستقلال الذي أعاده نادر إلى البلاد ولم يثمن السمعة الرفيعة التي جلبها له بين دول العالم. وهذا ما صغّر إنجازاته في أعين الناس بل أخذوا عليه محاربته حسب أسلوب الشيعة الدنيء في السب واللعن فكانوا يمقتونه من أجل ذلك. ثم يواصل توجيه الإهانات إلى الشعب لتبرير أفعال نادر: ... كانوا يجلسون ويتحدثون بمنتهى الغباء، ويقول: انظروا كم كانوا أغبياء ومشؤومين، ويقول: مع غبائهم المشؤوم هذا، ويقول: بلغ الغدر حداً ، ويضيف: هذا ما لم يكتب عنه أو يصرح به حتى الآن. لقد دفع الناس بسلوكهم الدنيء نادراً إلى ترك اسلوبه المعتدل الهادئ. ولو كنتم مكان نادر وواجهتم مثل تلك التصرفات فهل تسكتون؟ ألم تكونوا ستقولون: هؤلاء حيوانات مؤذية يجب القضاء عليها؟ عموماً لابد أن أحد دوافع نادر إلى تلك المجازر التي ارتكبها في أواخر حياته كان تلك المواقف ولكنها لم تكشف حتى الآن.»[٣٩].

إن آراء كسروي في نادرشاه وأحكامه عليه هي من آرائه وأحكامه المنحازة وغير العادلة. إنه يغمض عينيه ويتغاضى عن كل الحقائق والوقائع ويمضي في إبداء رأيه إلى أن يصف الشعب الإيراني بالغبي والمشؤوم والغدار، وأنه يتكلم في غاية الغباء. لقد منعت كسروي أفكارُه القومية من الخروج من دائرة النظرة الأحادية الضيقة والنظر إلى المظالم التي ارتكبها نادر بحق الشعب الإيراني. يقول المستشرق الألماني كارستن نيبور، الذي زار إيران بعد وفاة نادرشاه بسنوات وتجول في جنوب البلاد، واصفاً في إحدى أسفاره من شيراز إلى بوشهر ظلم نادر للإيرانيين:

من المحزن جداً أن ألتقي بعد ١٨ سنة من وفاة نادرشاه بالكثير ممن فقدوا إحدى عينيهم بسبب غضبه. من هؤلاء المساكين كان الكثير من أهالي البحرين العرب. حتى في سورت ومسقط والبصرة وبغداد أيضاً وجدت الكثير من ضحايا قسوة نادر من التجار الأرمن والمسلمين. لقد ترك هؤلاء بلدانهم بعد أن فقدوا عيونهم[٤٠].

كسروي لم ينتبه إلى الفرق والاختلاف الواضح لمفهوم ومعنى الاستقلال في عصرنا ومفهومه في عصر نادرشاه ، يتحدث عن استقلال البلاد على يد نادر ويجعل منه بطلا قوميا غاضاً النظر عن أفعاله السوداء. في حين أن حروب نادر شاه المتواصلة ولدت ضغطا لا يطاق على الشعب وجرت اقتصاد البلاد إلى مزيد من الاضمحلال. يقال ان الاقتصاد الايراني كان في القرن التاسع عشر الميلادي أضعف وأكثر تخلفا منه في القرن السابع عشر (٤١).

ومن المثير للعجب أن كسروي ينقض أقواله بنفسه. ويظهر ذلك جليا من ما ورد في كتبه ومقالاته. فيبدو أنه نسي ما نقله بنفسه عن مؤلف «تذكرة شوشتر» وما ذكره في كتابه «تاريخ بانصد ساله خوزستان» عن تهتّك النساء والفتيات في تستر والحويزة. ان المجزرة والاستباحة التي ارتكبها جنود نادر في الحويزة وتستر بأمره، وخاصة المنافي منها للعفة، تندى لفظاعتها جباه القرّاء. يقول كسروي نقلا عن مؤلف «تذكرة شوشتر» بعد استيلاء نادر شاه على تستر: «لقد حلّ بالمدينة طوفان يتضاءل أمامه طوفان نوح هُتكت فيه الحرمات حتى كانت الفتيات الباكرات تباع وتشترى في الأسواق والأزقة مثل أسرى اليهود والنصارى حتى أنست تلك الفتنة، فتنة جنكيز.»(٤٢). وقال باحثون آخرون مؤيدين هذه الرواية: «أوقع نادر شاه مجزرة في الحويزة وتستر وأباح أهاليها لجنوده ثلاثة أيام.»(٤٣) ومع كل هذه التفاصيل يندفع كسروي لتمجيد نادر بتعصب فيكيل الإهانات إلى الشعب الإيراني لتبرير جرائمه.

بعد أن يتحدث كسروي في «تاريخ بانصد ساله خوزستان» عن الفظائع التي ارتكبها نادر في تستر والحويزة يتحول إلى الحديث عن مجازره وجرائمه ويقول أنها كانت السبب في مقتله سنة ١١٦٠هـ (٤٤).مثل هذا التناقض في آراء كسروي كثير. أنها آراء تبين ازدواجيته وتقلبه في الأمكنة والأزمنة المختلفة.

فبعد تعرفنا على رؤية كسروي نحاول استكشاف دوافعه إلى كتابة التاريخ وغايته منه. المؤكد أن كسروي لم يكن دافعه الوحيد أظهار الحقائق والكشف عن الوقائع .

مع أننا بينّا في الأسطر الماضية كيف أنه يعرض الحقائق بشكل مغاير. بل كان مدفوعاً إلى غاية في نفسه هادفاً إلى اثبات مقولة معينة. ولكن هناك آراءً متفاوتة في هذا المجال. يقول أبراهاميان: «يعتقد البعض أن كسروي استخدم التاريخ لفرض آرائه وإرعاب معارضيه.»[٤٥]. بينما يعتقد سهراب يزداني «أن كسروي لا يرى في التاريخ علماً أصيلا وبحتا. ولا يعتقد أن غايته الكشف عن حوادث الماضي أو الإشارة إلى قضايا الحاضر. هو يعتقد أن علم التاريخ له رسالة. ويرى أن معرفة التاريخ هي جزء من الوعي الجماعي لغرض تثبيت الهوية الوطنية. لذا فإن التاريخ لا يمثل الحقيقة بكاملها بل هو جزء منتقى منها انتزعه المؤرخ وفق آرائه واهوائه.»[٤٦].يظهر أن هدف أحمد كسروي من كتابة التاريخ كان بيان الماضي المشترك للشعب من أجل توطيد الوحدة الوطنية والتصدي للتشتت والتمزق. هذا الأمر على درجة من الوضوح في تاب تاريخ المشروطة. يعتقد بعض الباحثين بأن كسروي لم يكن مؤرخاً محترفاً وأن دوافعه إلى كتابة التاريخ كانت دوافع سياسية ـ اجتماعية[٤٧]. هذا الرأي يدعم الرأي القائل بأن غاية كسروي من كتابة التاريخ كانت المساهمة في تشكيل الأمة وتوطيد الوحدة الوطنية. ويمكن معرفة سبب موافقته على مهمة خوزستان في هذا الإطار.

تندرج جميع دراسات كسروي التاريخية وأبحاثه الجغرافية التاريخية وكذلك مقالاته في اللسانيات ضمن دائرة الفكرة المبينة آنفاً وفي سبيل اثباتها وتقويتها. حاول كسروي من خلال كتاباته التصدي للتنوع القومي واللغوي في إيران. فمقالاته «آذري يا زبان باستان آذربايجان» و«عرب ها در خوزستان» وأبحاثه في مجال أسماء القرى والمدن والأنهار والجبال في إيران تنطلق من هذه الرؤية. هذا الاتجاه يهمين على جميع كتابات كسروي. مثلاً يمكن ملاحظة ذلك بوضوح في مقالته خرده كيري ومو شكافي التي يعترض فيها على الفصل السادس عشر من كتاب المستشرق البريطاني لُو سترانج تحت عنوان أهواز وخوزستان وهويزه يصف آراءه بالزلات والهفوات، كما يعترض على ما يذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان وكما يصف كتابات حمدالله

مستوفي بأنها فاقدة تافهة وغير مهمة[٤٨].

على أية حال يقول في كتابه «زندكاني من» (قصة حياتي) حول هدفه من تأليف تاريخ خوزستان: «كان تناول تاريخ خوزستان يمثل لي مشغلة أخرى من المشاغل. فلخوزستان تاريخ طويل جداً. وهو أقدم من تاريخ إيران نفسها بآلاف السنين. ولكني اخترت تاريخ عصورها المتأخرة.

في هذا المجال بحثت عن زمن قدوم العرب إلى هذه المنطقة. ... ومتى آلت خوزستان إلى الخراب بعد أن كانت تعتبر من المناطق العامرة في إيران في صدر الإسلام؟ ماذا حدث لمدنها الكبيرة السوس والأهواز وجندي سابور وغيرها وكيف اختفت؟ متى انهار ودمر سد الأهواز التاريخي؟ متى انهار سد شادروان في تستر؟ منذ متى ظهر خزعل وأسرته؟.

خلال بحثي عن أجوبة لهذه الأسئلة وغيرها وجدت نفسي وجهاً لوجه مع قصة السيد محمد المشعشع وادعائه المهدوية. ولما رأيت أن لا أحد من الأوربيين أو غيرهم كتب كتاباً عن ذلك، ألزمت نفسي بأن أجمع نتائج أبحاثي في كتاب.»[٤٩]. ويكرر كلامه في مقدمة «تاريخ بانصد ساله خوزستان» ولكن بصيغة أخرى: «... رغم ذلك لم أتوقف عن أبحاثي التاريخية وحفزتني تلك الحادثة [فتنة الشيخ خزعل] لأيلاء تاريخ تلك العشائر اهتماماً خاصاً وأولوية على غيره لأعرف متى قدمت إلى تلك المنطقة ومتى وكيف استقوت ... ولما لم يكن أي من الإيرانيين أو المستشرقين الأوروبيين كتب شيئاً عن المشعشعيين والكعبيين فقد وجدت لزاماً أن أدفع هذا المؤلف إلى الطبع رغم جميع مشاغلي وابتعادي سنوات عن مثل هذه التأليفات.»[٥٠]. يتبين من كلام كسروي أن دوافعه الأساسية لتأليف «تاريخ بانصد ساله خوزستان» لم تكن حب الاستطلاع العلمي فحسب. لقد ضاعف من عزمه على تأليف الكتاب تكليفه بالمهمة إلى خوزستان ومشاهدته لقوة الشيخ خزعل. وربما كان يبحث في تأليف الكتاب عن ضالته المنشودة ليوظفها في خدمة نظريته الرئيسة.

شطحات أخرى

لقد كان كسروي عرضة لنقد الكثير من الكتاب والباحثين بسبب آرائه الشوفينية، ورؤيته الخاصة عن الدين وخاصة التشيع، ونثره اللاذع والجارح، ولإطلاقه الآراء التخصصية في بعض الميادين العلمية، وكذلك بسبب بعض الآراء الفاقدة للاستدلال الصحيح والمغرضة أحياناً، ولأحكامه المتناقضة. أما في مجال التاريخ فقد لا يكون رأي أبراهاميان حول استغلال كسروي التاريخ لفرض آرائه وإرهاب معارضيه رأيا اعتباطيا. يقول أحد الباحثين في هذا المجال: «حتى الادعاء بان كسروي كان يصفي حساباته مع خصومه من خلال كتاباته لا يفتقر إلى الأساس»(٥١).

بالإضافة إلى الأخطاء المذكورة، اقتحم كسروي عالم الاقتصاد مع نشر كتاب «كار وبيشه وبول» (العمل والمهنة والنقود). وبدون أي تخصص في هذا المجال بيّن تعريفه الخاص لمبادئ علم الاقتصاد. يبين لنا محمد علي كاتوزيان في بحثه كيف أن أحمد كسروي اقتحم هذا المجال من غير المعرفة بالمباحث الاقتصادية حتى ألف كتابا غير علمي في هذا المجال(٥٢). وقبل ذلك أشارت فاطمة سياح وعندما كان كسروي على قيد الحياة إلى أنه ليس له معرفة بالأدب القصصي(٥٣). وكذلك كان كسروي يذكر بعض المذاهب السياسية المختلفة في كتاباته ويوجه نقده اليها. وتكشف هذه الكتابات عن عدم معرفة الكاتب بهذه المذاهب. على سبيل المثال اعتبر كسروي في بعض كتاباته الأفكار الاشتراكية مرفوضة، ثم اعترف بأنه لم يقرأ أيا من كتبهم(٥٤).

يقول سعيد نفيسي حول هذا الموضوع: «... الأسوأ من ذلك كله أنه أهان بعض الاشخاص الذين لم يعرف أي شيء عنهم. فهو لم يقرأ تولستوي وآناتول فرانس وكان يقول عنهما أشياء غير صحيحة. وكلما تذكرت ذلك انتابني أسف مرير على هذه الشخصية الجليلة وتلك الدرجة العلمية كيف تنساق إلى التطرف والمبالغة إلى هذا الحد»(٥٥).

بالإضافة إلى هذا كان من بين الممارسات السيئة لكسروي حفلات احراق الكتب. فقد كان ورفاقه يقيمون حفلاً سنوياً في الأول من شهر دي(كانون الأول) يقومون فيه بإحراق الكتب التي يقدّرون أنها ضارة أو غير نافعة(٥٦).

كما أن طريقة كسروي في التعامل في دوامه الرسمي مع زملائه والعاملين تحت إشرافه والمراجعين تتسم بالحدة البالغة، بحيث أنه «لم يكلف بمهمة رسمية إلى مدينة ما إلاَّ واشتبك مع المسؤولين فيها والمراجعين وسبب لهم كدورة.»(٥٧) فبعد عزله من وزارة العدل طلب من سعيد نفيسي أن يأخذه إلى وزير العدلية أديب السلطنة حسين سميعي ليعهد إليه بمهمة. وبعد توسط سعيد نفيسي وافق الوزير على منحه عملاً آخر واشترط عليه أن يكون أكثر مرونة ودماثة وانسجاماً في التعامل فوافق على الشرط، ولكنه على حد تعبير سعيد نفيسي: «لم ينفذ ذلك الشرط أبداً كما يبدو»(٥٨).

إن عرض أفكار أحمد كسروي وآرائه مع وصف طريقته في كتابة التاريخ وكذلك ذكر أخطائه ونقاط ضعفه يجعل القارئ على معرفة دقيقة وعميقة بالمواضيع المطروحة فيما يخص «تاريخ بانصد ساله خوزستان». ان التطرق لهذه النقاط يزودنا بمعرفة أفضل عن كسروي وفي نفس الوقت يبين لنا أن أخطاءه ليست محصورة في تاريخ خوزستان بل تتعداه إلى كتب ومقالات أخرى.

حول عنوان الكتاب

قبل تناول كتاب «تاريخ بانصد ساله خوزستان» لابد من الاشارة إلى أن كسروي ارتكب نوعا من التناقض في اختيار عنوان الكتاب. فرغم انه اختار «تاريخ خوزستان ذو الخمسمائة عام» فإن كتابه يقتصر على حوادث عرب خوزستان والأسر العربية التي حكمت المنطقة. فمن جهة نعلم ان ما يسمى اليومبخوزستان في التقسيمات الإدارية للبلاد أوسع مما كانت عليه خوزستان في عصر كسروي. فحينئذ لم تكن المدن الفارسية مثل بهبهان ومسجد سليمان وايذج وآغاجاري واقعة ضمن خوزستان. إذاً

لا يمكن اعتبار خوزستان التي تحدث عنها كسروي نفسها خوزستان اليوم. ومع الأخذ بنظر الاعتبار أن المدن العربية ومعها تستر ودزفول ورامهرمز كانت تحمل اسم عربستان منذ عهد المشعشعين حتى سنة ١٣٠٢ش [٥٩] فإنه حتى لو كان قصد كسروي من خوزستان المنطقة الجغرافية المذكورة يبقى عنوان الكتاب لا يطابق محتواه. لأن كسروي لم يتطرق لحوادث مدن دزفول ورامهرمز وتستر في هذه السنوات الخمسمائة إلاّ قليلا.

ولو أنه تناول حوادث تستر ودزفول ورامهرمز لكان بالإمكان افتراض أن قصده من خوزستان مدنها العربية بالإضافة إلى المدن الثلاث المذكورة. أما في حالة خلو الكتاب من نظير هذه الحوادث واقتصاره على المشعشعين وبني كعب وآلبوكاسب، فإن ذلك يعكس أكثر فأكثر تخبط كسروي في اختيار العنوان[٦٠].

رحلة أم مهمة؟

يتحدث أحمد كسروي في السطر الأول من كتابه «تاريخ بانصد ساله خوزستان» عن رحلته إلى الأهواز وإقامته فيها خمسة عشر شهراً. يقول: «سافرت إلى خوزستان في شتاء ١٣٠٢ وأقمت فيها سنة وثلاثة أشهر. ان الحياة في هذه المنطقة لا تطاق خاصة لمن ...»[٦١] ولا يتحدث كسروي عن مهمة رسمية بل يصف ذهابه إلى الأهواز بأنها رحلة . ولا ندري لماذا يخفي أمر مهمته الرسمية إلى الأهواز وما كان الغرض من ذلك. وربما ليس من الضروري التطرق إلى المهمة الرسمية في كتاب تاريخي، ولكن بما أنه استهل كتابه بذكر رحلته إلى الأهواز وإقامته هناك خمسة عشر شهراً فإنه كان من المناسب أيضاً أن يذكر ولو باختصار أمر مهمته الرسمية. هذه النقطة مهمة خاصة بالنسبة للقارئ الذي يجهل سيرة كسروي. لذا فالقارئ لا يعرف ان كان الباحث قد زار الأهواز لغرض البحث أم للسفر والنزهة أم انه كان يؤدي مهمة رسمية، علماً أن عدم ذكر هذه النقطة في كتاب «تاريخ بانصد ساله خوزستان» لا يعد خللاً كبيراً أو حتى نقصاً فيه، ولكن مما لا شك فيه أن ذكر بديل غير حقيقي ومختلق لا يخلو من النقص.

ومادام الحديث عن مهمة أحمد كسروي الرسمية فلا بأس في نقل بعض ما يتعلق بتلك المهمة وكيفيتها والواجبات التي كُلف بها من خلالها عن لسانه: «في تلك الفترة كانت الحكومة في طهران ساقطة والقائد العام للجيش يتولى وزارة الحربية ورئاسة الوزراء لتشكيل حكومة جديدة. كان معاضد السلطنة وزيراً للعدلية والسيد ميرزا علي قمي وكيله. لم أفرح لتلك الأنباء لأنه لا الوزير ولا وكيله لم تربطهما بي معرفة، فحسبت أنني سأبقى على حالي في زنجان. غير أن هذا الظن جاء معكوساً حيث تلقيت في تلك الأيام رسالة من وكيل الوزارة تقول:

«نظراً إلى أن الحكومة لا تنظر إلاَّ إلى مصالح الشعب الحقيقية وهي عازمة على أن تستعيض، على قدر وسعها، عن البيروقراطية والمراسلات بالعمل الجاد في إجراء إصلاحات هامة. ووزارة العدلية بدورها تدرك أهمية منطقة عربستان السياسية وضرورة إناطة تشكيل محكمتها بشخصيات وطنية متقية. ولما كنا ننظر اليكم بعين حسن الظن والثقة بأن وطنيتكم تدعوكم لتحمل الصعاب، فإننا نطلب منكم طلباً شخصياً بتسنم هذا المنصب. على أن تصرف اليكم فروق الراتب. أرجو منكم الإسراع في الرد».

لم أدر كيف كان الوكيل يعرفني. مهما يكن فقد أرسلت الرد التالي دون أن يعلم به أحد: «أوافق على طلب وزارة العدلية. ولكني أطالب بالنظر في بعض التوصيات وبعض الصلاحيات التي تكفل نجاح سير العمل. فاذا تمت الموافقة عليها فإني جاهز للانطلاق». أرسلت الرسالة فجاءني الرد بعد ثلاثة أيام أو أربعة أن: «انطلق!».

ورغم الشتاء والصعوبات أدرت ظهري لبيتي واستأجرت سيارة وانطلقت في الأول من شهر دي (وهو اليوم الذي كنت قد توجهت فيه من طهران إلى زنجان العام الماضي). استقبلني وزير العدلية في اليوم التالي بحفاوة وقال: «لي معك مباحثات كثيرة. ولكن عليك أن تزورني ليلاً.» وعند مغادرتي قيل لي: « الوزير يأتي حتى في الليل». وحين ذهبت في الليل قال الوزير: «إن في نية السيد رئيس الوزراء أن يبسط

نفوذ الدولة في خوزستان. ولكن هناك موانع سياسية تمنع من الزحف العسكري عليها. لذا تقرر أن يصار إلى استعراض قوة الدولة بشكل سريع عن طريق العدلية والقانون للفت أنظار الرعية وتخليصهم من اليأس. اني أبعثك إلى هناك لتقيم جهاز عدل قوياً وتطبق القانون في كل مكان. وستوفر لك الحكومة كل أشكال الدعم.» ثم أضاف: «لم أكن أعرفك. ولكني استشرت بعض الجماعة وكانوا يعرفونك فأجمعوا على أنك الشخص المناسب لهذه المهمة. وقد حدثوني عن انجازاتك في زنجان وسمعت أنك تجيد العربية والإنجليزية أيضاً. هذا أيضاً سيكون له دور في المهمة».

قلت: «لقد سمعت الكثير عن خوزستان وشدة الحر وصعوبة العيش فيها ولكني لن أكترث لذلك وسأمضي إلى تلك المناطق الحارة رغم كوني من سكان المناطق الباردة. اني أبحث عن مهمة صعبة أنجزها. ولكن اذا أردتم أن تتم المهمة بنجاح فلابد للوزارة أن تستجيب لبعض مقترحاتي».

قال: «اكتب مقترحاتك واجلبها معك غداً مساءً. وأنا سأحدث السيد رئيس الوزراء.» وهكذا كتبت مقترحاتي في اليوم التالي على هذا النحو:

١. أن تعتبر محكمة البداية في خوزستان تساوي محكمة البداية في طهران ويمنح لي راتب رئاسة طهران (وهو الضعف).

٢. أن أختار المدعي العام بنفسي واذا أردت مستقبلاً أن يعزل فيعزل بتوصية مني.

٣. أن أتولى صلاحيات العدلية كاملة.

٤. أن توفر لي الحكومة كل ما أطلبه من دعم.

عندما قدمت إليه طلباتي ليلاً قال: «أنا اوافق عليها. بل أضيف على ذلك تخويلك اللقاء برؤساء العشائر. ولك صلاحية المراسلة المباشرة مع مكتب رئيس الوزراء وأن تكتب كل ما ترتئيه عن أوضاع خوزستان. لقد قدمتك لمدير مكتب رئيس الوزراء السيد صور إسرافيل وكان يعرفك من قبل. فاذهب غداً للقائه فلديه ما يقوله لك».

وذهبت في اليوم التالي للقاء السيد صور. لقد عاملني هذا الرجل الذي يفيض مودةً وتواضعاً بغاية اللطف. تبادلنا الكلام. وكان من القرارات التي تمخضت عن ذلك اللقاء إلغاء اسم عربستان وإعادة الاسم القديم للمنطقة وهو خوزستان. وكانت وزارة العدلية قد أبلغتني بأن «تستبدل شارات العدلية» وكنت قد طبعت أوراقاً تحمل شارة «خوزستان». فاستعملت واحدة منها للرد.

لقد تمت الموافقة على طلباتي. ولكني واصلت مقابلة الوزير في الليل فتجاذبنا أطراف الحديث في كل مجال. وذات ليلة قال لي: «عليك أن تذهب. ولكن السيد رئيس الوزراء[رضاشاه] يرغب في رؤيتك. تعال غدا إلى مجلس الوزراء» فذهبت في اليوم التالي إلى «المجلس». لم يكن معاضد السلطنة موجودا. نهض صور اسرافيل وسليمان ميرزا ليأخذاني إلى غرفة رئيس الوزراء فرأيناه ينزل من السلم. فوقف هناك واستقبلنا وكانت المرة الأولى التي أرى فيها القائد العام. قال بنبرة هادئة وبطيئة: «إن الحكومة ترسلك إلى خوزستان لتقيم فيها قضاءً مشرّفا. فعلى الجانب الآخر من شط العرب هناك القضاء البريطاني. فعليك أن تؤسس قضاء يضاهي ذلك القضاء.»[٦٢].

على هذا لا يمكن اعتبار وجود كسروي في خوزستان «رحلة» بل كانت مهمة أوسع من مهام رئيس عدلية[٦٣]؛ لذا المصداقية تقتضى أن يفتتح كسروي كتابه بذكر الحقيقة.



هوامش الفصل الثاني

(١) محمد جواهر كلام، نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٢) محمود كتيرايي، كتابشناسي كسروي (طرح بسيار مقدماتي)، فرهنك إيران زمين.

(٣) محمود كتيرايي، نفس المصدر، ص ٣٦٧.

(٤) سهراب يزداني، نفس المصدر، كذلك يشير محمود كتيرايي تحت عنوان «نوشته هاي ديكران» إلى ٣٤ مقالة وكتاب موافق ومخالف لأحمد كسروي ، صص ٣٩١ . ٣٩٥.

(٥) يمكن الإشارة إلى المقالات التالية من مقالات أحمد كسروي: تاريخجه ي جبق وغليان، دويست يا ده، هندوانه يا ميوه هندوستان، خربزه يا خيار بزرك، أصفهان يا أسبهان، عمو، خالو، خاله . در بيرامون تفك يا تفنك . روزها أز كجا مي آغازد . شنبه جه واجه اي است وجه معنى داردا؟ . كبيسه جيست . عطسه به صبر جه ربط دارد.

نقلاً عن كاروند كسروى، بجهود يحيى ذكاء.

(٦) أحمد كسروي، «زندكاني من»، صص ٢٩٨ و٢٧٩ و٢٧٢.

(٧) نفس المصدر، ص ٢٣٨.

(٨) سيمين فصيحي، نفس المصدر، ص ١٨٧.

(٩) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ٢١.

(10) Ervand Abrahamian. «Kasravi: The Integrative Nationalist of Iran» pp111-112

(١١) سعيد نفيسي، «خيمه شب بازي»، ص ١٣.

(١٢) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص ٣١.

(١٣) محمود كتيرايي، نفس المصدر، ص ٣٩٥.

(١٤) أحمد كسروي، «إيران وإسلام، كمونيستي در إيران، بولداران وآزمندان»، ص ٤.

(١٥) نفس المصدر، ص ٨

(١٦) نادر انتخابي، «ناسيوناليسم وتجدد در فرهنك سياسي بعد از مشروطيت»،

(١٧) أحمد كسروي، بيمان، السنة الثانية، ١٣١٣، ص ١٦٩.

(١٨) محمود أفشار، «مسئله مليت ووحدت ملي إيران»، ص ٥٦١.

(١٩) جاء في أحد أعداد صحيفة «طنين» التركية تحت عنوان «تركيه وتركان در أدبيات كنونى إيران، كسروى يكى أز نثر نويسان مفرط» (تركيا والأتراك في الأدب الإيراني المعاصر، كسروي أحد الناثرين المتطرفين) بقلم أحمد رسمي يارار: «يعود نسب السيد أحمد كسروي، وهو من الناثرين الإيرانيين المتطرفين والعلماء المعروفين في إيران، إلى أصول عربية باعتباره من سلالة رسول الله. ولكنه ينكر أصله ويبدي تعصباً عرقياً إيرانياً وقد كتب مقالات كثيرة في موضوع تطهير إيران من الأتراك».

يجيب كسروي: العبارات الأخيرة كاذبة. أنا لم أرغب أبداً في أن يخرج الأتراك من إيران ولم أقل أبداً ان إيران ليس فيها أتراك. كل ما قلته هو ان في إيران لغات عديدة كالتركية والعربية والأرمنية والآشورية ونصف لغات في المحافظات (مثل الجيلكية والمازندرانية والسمنانية والسرخية والسدهية والكردية واللرية والتسترية وأمثالها) وينبغي زوالها وتوحيد لغة الإيرانيين جميعا (باللغة الفارسية). هذه كانت رغبتي وفي سبيلها صرفت همتي.

نقلاً عن كاروند كسروي، نفس المصدر، ص ٥٤٠ و٥٤١، مقالة «ما وهمسايكان ما».

(٢٠) يستعمل كسروي «فهليدن» بدلاً من «مشغول شدن» و«يوفائيدن» من «نكهداری حساب» و«بارد» من «مادة» و«بسيجيدن» من «توليد» و«كساريدن» من «مصرف» و«بافه» من «إجارة». انظر: محمد علي كاتوزيان، نفس المصدر، ص ١٩١ إلى ٢٠٢.

(٢١) سعيد نفيسي، نفس المصدر.

(٢٢) بيجن رضايي؛ «ناسيوناليسم وموانع دموكراسى در إيران»، آرش، ص ١٠.

(٢٣) يشير علي أكبر سياسي، الذي كان من مؤسسي «أنجمن إيران جوان» (جمعية إيران الفتاة) مع محمود أفشار ومشرف نفيسي وإسماعيل مرآت وجواد عامري، في مذكراته إلى أن رضا شاه اقتبس اصلاحاته من برنامج «جمعية إيران الفتاة». ويقول انه بعد تأسيس الجمعية واعلان برنامجها بقليل دعا رئيس الوزراء ممثلي الجمعية في برج الحمل (فروردين) ١٣٠٠ش وكان وفد الجمعية يتكون من إسماعيل مرآت ومشرف نفيسي ومحسن رئيس وعلي أكبر سياسي نفسه ، ذهبوا إلى مقر أقامته في شارع سبه مقابل كلية الضباط الحالية وهم فريسة الخوف. كان رئيس الوزراء يجلس في باحة مقر إقامته على أريكة فدعاهم إلى الجلوس وسألهم: «ماذا تقولون أنتم الشباب الذي كنتم في الغرب؟ (...) ما معنى جمعية إيران الفتاة هذه؟» فأجاب سياسي نحن مجموعة من الشباب الوطنيين، الذي يؤلمه تخلف بلاده والبون الشاسع بين إيران والدول الأوربية ويسعى لردم هذه الهوة وقد وضعنا برنامج عمل جمعيتنا على هذا الأساس. فتناول رئيس الوزراء البرنامج منه ونظر فيه ثم قال: «ما كتبتموه جيد جداً (...) لا بأس في أن تعملوا على توعية الناس ببرنامجكم. منكم القول ومنا العمل (...) أطمئنكم (...) وأعدكم بأن أحقق كل أهدافكم لأنها أهدافي وسأحققها بالكامل (...) اتركوا هذه النسخة من البرنامج عندي لتأتيكم أخبارها في السنوات القادمة.» نقلاً عن نادر انتخابي، نفس المصدر، ص ٢٥.

(٢٤) مع أن أحمد كسروي لم يكن عضواً في جمعية إيران الفتاة إلاّ أنه كان يشارك أعضاءها رأيهم في الأعراق الصغيرة و«توحيد اللغة» وباقي الأفكار التي جاء بها منظر الجمعية محمود أفشار عن «تفوق العنصر الآري» والقضاء على «تعدد اللغات» وهي المنطلقات التي صدرت منها آراء كسروي.

(٢٥) انظر: جمشيد، سيار، در بيرامون جهان بينى أحمد كسروي تبريزى، ص ١٠٣.

يعلن أحمد كسروي بصراحة في «زندكانى من» و«ده سال در عدليه» أن عرب خوزستان غير أيرانيين، المصدرنفسه، ص ٢٣٢، ونرى هذا التعريف في «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» أيضاً.

(٢٦) في معرض حديثه عن حكم السيد سجاد في «تاريخ بانصد ساله ى خوزستان» يكرر أحمد كسروي ست مرات وفي الصفحتين ٤٨ و٤٩يصف العرب بالنهابة .

(٢٧) نور الدين جهاردهي، داعيان بيامبرى وخدايي، ص ٨٦.

(٢٨) أحمد كسروي، زندكانى من، ص ٩٨ و١٠٥.

(٢٩) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ٣٠ و٣١.

(٣٠) جان بير ديكار، برنار هوركاد، يان ريشار، إيران در قرن بيستم، ص ٤٦١. يقول سعيد نفيسي في هذا: «من جانب

آخر، ان كل ما قاله [كسروي] عن سعدي وحافظ والتصوف والتشيع ليس فقط لم يكن في صالح إيران بل كان، بكل صراحة، مغرضا. وفوق ذلك، انه أثار الضجة والشغب على أشخاص لا يعرف عنهم شيئاً أبداً.» سعيد نفيسي، نفس المصدر، ص ١٣.

(٣١) أحمد كسروي، «إيران وإسلام، كمونيستى در إيران، بولداران وآزمندان»، نفس المصدر.

(٣٢) يعتبر بعض الباحثين كسروي قومياً متطرفاً وفي بعض الحالات قومياً متعصباً ذا مشاعر وطنية ممزوجة بالعنصرية. للمزيد من المعلومات انظر: يوسف فضايي، تحقيق در عقايد شيخي كري، بابي كري، بهائي كري ... وكسروي كرائي، ص ص ٢٦٠ و٢٦٧.

(٣٣) أحمد كسروي، يك توده را جنان كه بايد ...، نفس المصدر، ص ٤١٩.

(٣٤) أحمد كسروي، تاريخ وتاريخ نكارى، كاروند كسروي، نفس المصدر، ص ١٧٥.

(٣٥) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ٤٩.

(٣٦) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ١٧٠.

(٣٧) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٦٧.

(٣٨) آرمان نهجيري، «أحمد كسروى، عاصى يا مصلح»، ص ص ٦٠ – ٦١.

(٣٩) أحمد كسروي، كاروند كسروى، مقالة ديباجه ى كتاب نادر شاه، صص ٢٢٠ و٢٢١.

(٤٠) كارستن نيبور؛ سفرنامه ى كارستن نيبور، ترجمة برويز رجبي، ص ١٦٦ـ١٦٧.

(41) Ahmad seyf. «Despotism and the Disintegration of the Iranian Economy, 1500 – 1800», P. 17

(٤٢) أحمد كسروي،نفس المصدر، ١٠٦.

(٤٣) علي رضاقلي، «جامعه شناسى نخبه كشى»، ص ٥٧.

(٤٤) يقول كسروي في الصفحة ١٠٩ :«ولكن ما يؤسف له أن نادراً ختم السنوات الأخيرة من حياته بسلسلة من الأعمال القبيحة حتى بلغ ظلمه وجوره حداً جعل الشعب كله يدعو الله بتعجيل موته وإن قتله في قوجان سنة ١١٦٠ جاء استجابة من الله لهذا الدعاء».

(45) E. Abrahamian «Kasravi The Integrative Nationalist Of Iran» Middle Eastern Studies, Vol, 9, No. 3, oct. 1973, P. 273

(٤٦) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ٣٨. وللمزيد من الاطلاع انظر: عبد العلي دستغيب، نقد آثار أحمد كسروى، وسيمين فصيحي، جريان هاى أصلى تاريخ نكارى در دوره ى بهلوى.

(٤٧) سيمين فصيحي، نفس المصدر، ص ٢٢٠.

(٤٨) أحمد كسروي، كاروند كسروي، خرده كيرى وموشكافى، ص ٢٣٨ و٢٤٧.

(٤٩) أحمد كسروي، زندكانى من، صص ٢٠٥ و٢٠٦.

(٥٠) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ى خوزستان، صص ٦ و8

(٥١) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ١٥٥-١٥٦.

(٥٢) محمد علي كاتوزيان، «أحمد كسروى: كار وبيشه وبول»، صص ١٨٩ إلى ٢٠٢.

(٥٣) فاطمة سياح، «كيفيت رمان»، نقد وسياحت، صص ٢٤٥ . ٢٥٣ ، وللاطلاع أكثر على على رؤى كسروي الأدبية انظر إلى: ايرج بارسي نجاد، «أحمد كسروى ونقد ادبي» .

(٥٤) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ٢٣.

(٥٥) سعيد نفيسي، نفس المصدر، ص ١٣.

(٥٦) ناصح ناطق، «سخناني در باره ى أحمد كسروى»، ص ١٦.

(٥٧) سعيد نفيسي، نفس المصدر، ص ١٢.

(٥٨) نفس المصدر.

(٥٩) يقول أحمد كسروي في الصفحة ٤٦ من كتابه ما يلي: «يبدو أن اسم عربستان اطلق على الجزء الغربي من خوزستان في عهد الشاه إسماعيل أو الشاه طهماسب وكان تحت سيطرة المشعشعين لتمييزه من الجزء الغربي الذي كان يضم شوشتر ورامهرمز وكان تحت سيطرة منتدبين من السلطات الصفوية.» ويواصل كلامه في الهامش: «... ولكن كما قلنا في المتن إن خوزستان لم تكن تسمى بأجمعها عربستان بل على الجزء الغربي منها فقط وعلى حد علمنا لم تكن تسمى عموما عربستان حتى نهاية الحكم الصفوي بل حتى في عهد نادر شاه. وبعد نادر شاه نسيت كلمة خوزستان وأصبح يطلق على المنطقة بأسرها اسم عربستان وظل هذا الاسم معروفا حتى سنة ١٣٠٢ش حين أعادت الحكومة اسم خوزستان إلى التداول.»، نفس المصدر، هامش رقم ٢٩، ص٢٥٧.

(٦٠) لم يفرد كسروي من كتابه تاريخ بانصد ساله ي خوزستان إلا صفحتين للحديث عن حكام دزفول وتستر آل رعناشي. وربما كان السبب في تناوله هذه الأسرة أن الملا قوام الدين كان معلما لأولاد السيد محمد المشعشعي فأفرد كسروي لهذه الأسرة مكانا في كتابه عندما كان يتناول أوضاع أسرة المشعشعين.

انظر: أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٤٢ و ٥٠و٥١.

(٦١) أحمد كسروي، نفس المصدر،ص٥.

(٦٢) جدير بالذكر أن كسروي بدأ كتابه بالتاريخ الهجري الشمسي ولكنه كان يؤرخ الأحداث بالتاريخ الهجري القمري في عموم كتابه. بل إنه لا يؤشر عبارة «هجري قمري» أو «هجري شمسي» وذلك ما يربك القارئ فيما يخص زمن وقوع الحوادث. لذا نجد الغموض المحير منتشراً في كتابه. السؤال المطروح هنا مثلا هو إنه كيف يكون كسروي قد زار خوزستان سنة ١٣٠٢ وأقام فيها سنة وثلاثة أشهر ولكنه يقول بعد ذلك إنه كان في خوزستان أثناء الصراع بين الشيخ خزعل ورضا خان سنة ١٣٤٢. كان على كسروي إما أن يؤرخ جميع الأحداث على التوقيت الشمسي أو يؤرخها جميعها على التوقيت القمري. وإلا كان يكفي أن يشير إلى موعد توقيت إزاء كل سنة.

(٦٣) أحمد كسروي، زندكاني من، ص١٨٦-١٨٩.

يقول أحمد كسروي في موضع آخر: «... كنت أقول لنفسي: كيف لي أن أعيش في مثل هذه المدينة؟ ثم كيف لي أن أطبق القانون وأقلل من قوة خزعل وأنجز المهام المسندة إلي في هذه المدينة؟» (نفس المصدر، ص ١٩٠).

الفصل الثالث

تاريخ الأهواز

الأهواز ،عربستان، خوزستان

للأرض التي نسميها اليوم خوزستان (الأهواز)تاريخ ضارب في القدم عمره يزيد على عمر تاريخ إيران بآلاف السنين[١]. لقد أظهرت التنقيبات الأخيرة في تل جغاميش الواقع على بعد ٤٠ كم شرق مدينة سوس ،شواهد ووثائق تفيد بأن هذه المنطقة شهدت نشاطا زراعيا في الألفية التاسعة قبل الميلاد[٢].

لقد سميت هذه المنطقة على مرّ التاريخ والعصور بأسماء مختلفة، بالإضافة إلى أن مساحتها في تلك العصور لم تكن واحدة. وتفيد بحوث علماء الآثار أن أول من سكن هذه الأرض هم العيلاميون الذين بنوا أقدم الحضارات الإنسانية عليها. واستنادا إلى أبحاث «كلمان هور» و«لويس دلابرت» فإن السكان الأصليين لهذه الأرض كانوا يسمونها حالتام أو حاتام والسومريون تبعا لهم كانوا يسمونها بهذا الاسم ، ويسمون بلاد الحالتامين ، بـ«حالتامتي»[٣] .أما الأكديون وهم جيران العلامين القريبون وأيضًا مثلهم ساميين فكانوا يلفظون كلمة حالتامي، حسب قواعد لغتهم، عيلامتو وتعني بلاد الحالتامين. وقد وردت هذه الكلمة في التوراة (علام) ووصلتنا اليوم «عيلام»[٤].

بعد ذلك وفي القرن الثالث عشر ق.م. ورد اسمهم سوسونكا في الألواح العيلامية والمحلية وتعني بلاد انشان والسوس[٥]. في تلك الفترة كان هذا الاسم يطلق على إحدى الدول التابعة للامبراطورية العيلامية ولم يكن أبداً يعني عيلام بأجمعها لأن البابليين والآشوريين كانوا يسمونها حينئذ علام[٦]. حتى الأخمينيون الذين ظهروا على حلبة التاريخ بعد ذلك بقرون كانوا يسمون تلك البلاد عيلام. وقد سماها داريوش أيضا بهذا الاسم حسب ترجمة النص العيلامي للفقرة ١٦ من الألواح حسب قراءة جول

ابيير[٧].

لقد أدى هجوم آشور بانيبال على عيلام واسقاط دولتها سنة ٦٤١ ق.م. إلى ورود اسم سوس التي كانت عاصمة عيلام إلى جانب اسم عيلام في الكتب والمصادر المختلفة. بعد ذلك وخاصة في عصر السلوقيين إثر هجوم الإسكندر أطلق المؤرخون اليونان والروم أمثال هيرودوتس وغزنفون وموسى خورني واسترابون على هذه المنطقة التي كانت أصغر بكثير من عيلام [٨] أسماء سوزيان، وسوزيانا، وسوزيس، واليمايس، واليماأين[٩]. وهي في الواقع ألفاظ إغريقية أو رومية لسوس.

لما كان الأخمينيون مجاورين لبلاد «أواج أو أوج «وهي جزء من كوه كيلويه الحالية وكانوا على معرفة واسعة بها فقد كانوا يطلقون على عيلام اسم «أوج»[١٠]. ثم تحول اللفظ الفارسي لأوج في العصر الساساني وفي اللغة البهلوية إلى «هوج» وأطلقوه على سكان غرب كوهكيلويه الحالية وشرق ايذج(في الشمال الشرقي من الأهواز على بعد ثلاثمائة كم) وسموا أرضهم هوجستان. يعتقد جهانكير قائم مقامي أن كلمة «أوج» في العصر الأخميني تحولت في العصر الساساني إلى «هوج» ثم بعد ذلك إلى «خوج» وسميت البلاد التي يسكنها هذا الشعب خوجستان[١١].

غير أنه في ذلك الوقت نفسه وفي المصادر المعتبرة كانت المنطقة بأسرها تسمى أهواز. فمحمد بن جرير الطبري، مثلاً، عندما يذكر حروب أردشير بابكان مع الأشكانيين (الفرثيين) يسمي البلاد بالأهواز[١٢]. وفي موضع آخر يذكر الأهواز على أنها منطقة واسعة تضم سبعين مدينة وقرية مركزها سوق الأهواز[١٣]. ويقول الطبري ان هذه المنطقة كانت تسمى الأهواز قبل الإسلام[١٤]. كما أن الكتّاب والمؤرخين الذين جاؤوا بعد الطبري أمثال كرديزي والبيهقي وكاتب أو كتّاب تاريخ سيستان[١٥] وكذلك ناصر خسرو[١٦] عرفوا هذه المنطقة باسم الأهواز وذكروه في كتبهم.

وحسب ما جاء في كتاب جهانكير قائم مقامي أن كتب التاريخ في تلك العصور وفي

كل مكان كانت تسمي هذه المنطقة الأهواز[١٧]. ويؤكد مؤلف «نزهة القلوب» حمد الله مستوفي أنه منذ عصر أردشير بابكان (٤٠٠سنة قبل الإسلام) كانت المنطقة بأسرها تسمى الأهواز[١٨].

وكما جاء في كتاب رفائيل بابو إسحاق أن من بين المذاهب أو المدارس الأربعة للاهوت النصارى في القرن الرابع قبل الميلاد، هي مدرسة الأهواز، وأن مدينتي الأهواز وكرخ السلوخ هما من المدن التي اباد سابور الساساني النصارى فيها[١٩].

كما ذكروا الشعراء العرب في عهد الرسول وما بعده اسم الأهواز في قصائدهم، ولما تواقف جرير والفرزدق بالمربد للهجاء اقتتلت بنو يربوع وبنو مجاشع. فأمدت بنو العم بني مجاشع وجاءوهم وفي ايديهم الخشب، فطردوا بني يربوع . فقال جرير: من هؤلاء ؟ قالوا : بنو العم .فقال جرير يهجوهم:

ما للفرزدق من عز يلوذ به | إلاَّ بنو العم في أيديهم الخشب

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم | ونهر تيري فلم تعرفكم العرب

الضاربو النخل لا تنبو مناجلهم | عن العذوق ولا يعييهم الكرب

يشير جرير في هذه الابيات إلى أن ثمة قبائل كانت تقطن المنطقه منذ ما قبل الإسلام، كما أنه يحدد أماكن تواجدها (الأهواز ونهر تيري) ويستقري الباحث العديد من العادات الموروثة عند العرب مثل إقامة الأحلاف في ما بين القبائل العربية [٢٠].

ويذكر الصحابي الجليل الشاعر والفارس الشجاع الذي شارك في عدة غزوات مع الرسول (ﷺ)و إسمه الكامل الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة بن النزل بن تميم التميمي (توفي سنة ٦٢ الهجري القمري) يروي فتح الأهواز على يد المسلمين[٢١].

لقد جاء اسم الأهواز في قصيدة قطري بن الفُجَاة وهو جعونة بن مازن بن يزيد الكناني المازني التميمي شاعر الخوارج وفارسهم الذي كان يلقب بين أصحابه بأمير

المؤمنين (توفي في عام ٧٨ هجر قمري)[٢٣]. وأعشى همدان(توفي ٨١ هجري قمري) هو الآخر الذي ذكر اسم الأهواز في قصيدته[٢٤].

أما مدن الأهواز فكانت كما يلي : الأهواز، عسكر مكرم، تستر، جندي سابور، سوس، رامهرمز، سرّق،دورق، نهر تيري ،حومه زط،حومه بنيان، سوق سنبيل، مناذر الكبرى، مناذر الصغرى،جبّى ، حصن مهدي[٢٤].

بعد ذلك، وحين نصل إلى القرن الرابع الهجري نجد مؤلف كتاب «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» (تأليف سنة ٣٧٢هـ) يذكر اسم خوزستان[٢٥] لأول مرة في كتابه[٢٦]. على ان كتاب التاريخ كانوا لا يزالون يستعملون اسم الأهواز، فكرديزي مؤلف «زين الأخبار»[٢٧] (حوالي ٤٣٢هـ) وبعده خواجه أبو الفضل البيهقي مؤلف تاريخ البيهقي[٢٨] (نهاية القرن الخامس الهجري) وكذلك ناصر خسرو يسمون هذه المنطقة الأهواز. لهذا السبب يمكن القول أن خوزستان ، ليس اسما آخر للأهواز ،بل اسما لإقليم ومنطقة أخرى.

إن أكثر الأقوال اعتبارا في وجه تسمية خوزستان هو «أن خوزيان هو الشكل المتحول لكلمة خوجستان أو هوجستان العصر الساساني» [٢٩] وهكذا فإن الفكرة هي أن جذور هذه الكلمة هي كلمة «أواج» أو «أوج» الأخمينيتان اللتان تعرضتا للتغيير أكثر من مرة في العصر الساساني ثم استقرتا على خوزيان. ثم تحولت خوزيان هذه فيما بعد وعلى مدى قرون إلى خوزستان وقد ذكرها مؤلف «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» المجهول لأول مرة في كتابه سنة ٣٧٢هـ . وبعده ذكر ابن البلخي اسم خوزستان في كتابه بعد ذكر اسم الأهواز[٣٠]. هذا الأمر يبين لنا أن خوزستان مكان آخر غير الأهواز[٣١].

ثم نصل إلى عصر المشعشعين وذلك سنة ٨٤٥هـ حيث سمي الجزء الذي يسكنه العرب من هذه المنطقة عربستان. وأول مرة ورد هذا الاسم في كتاب «مجالس المؤمنين»

للقاضي نور الله المرعشي التستري في الباب التاسع منه. شرع القاضي في كتابة هذا الكتاب سنة ٩٩٣هـ وفرغ من كتابته سنة ١٠١٠هـ . ومنذ ذلك الحين لم يرد اسم الأهواز بل حلّ محله اسم عربستان.

كانت عاصمة عربستان الحويزة[٣٢] وهي أكبر مدنه. وقام نادرشاه أفشار بضم دزفول وتستر إلى عربستان سنة ١١٥٠هـ [٣٣] وجعل تلك المدينة مقراً لحكم عربستان بأجمعها[٣٤]؛ فسميت المنطقة كلها منذئذ عربستان[٣٥].

إن كلمة عربستان كلمة فارسية مؤلفة من (غرب) و(ستان) وبما أن (ستان) في اللغة الفارسية ملحق يفيد المكان ويعني موضع سكن وإقامة قوم أو شعب[٣٦] فقد أطلقت هذه التسمية لتمييز المنطقة التي يقطنها العرب من غيرها [٣٧]، كما كانت تطلق كردستان وبلوشستان ولرستان على مناطق انتشار الكرد والبلوش واللر على التوالي.

ذكرنا أن المنطقة بأسرها سميت عربستان منذ عهد نادرشاه سنة ١١٥٠هـ. مع هذا ذكر بعض المؤرخين الاسمين معاً في كتبهم. ففي تأريخه لحركة كريمخان زند يذكر مؤرخ الزندية ميرزا صادق نامي اسم خوزستان وعربستان متتابعين[٣٨]. أما مؤلف «فارسنامه ناصري» فإنه بعد أن يذكر الاسمين يضيف بعد اسم عربستان كلمة (عجم) [٣٩]. وإن دل على شيء يدل على أن خوزستان منطقة وإقليم أخرى تختلف عن عربستان(أو الأهواز). ابن خلدون أيضًا عندما يتكلم عن تاريخ هذه الأرض يذكر اسم خوزستان والأهواز بصورة متتابعة ، وفي الحين الذي لم يذكر اسم خوزستان إلاّ نادرا، يذكر اسم الأهواز مرات عديدة على التوالي [٤٠].

عموماً فإن اسم عربستان كان يتردد في الكتب الرسمية والمراسيم الملكية وفي كل مكان في العصر القاجاري نرى حاكم خوزستان ولرستان الأمير حشمة الدولة يعرّف نفسه في رسالته إلى شيوخ قبيلة بني سالة في ربيع الأول ١٢٩٣هـ بأنه حاكم ولاية عربستان

ولرستان[٤١]. وفي عهد مظفر الدين شاه لا يذكر اسم خوزستان إلاّ نادراً ويطغى اسم عربستان ليس على كتب التاريخ أمثال «أفضل التواريخ المظفري» و«منتخب التواريخ المظفري» فحسب، بل على الصحف والصحيفة الرسمية للدولة ويطلق هذا الاسم على كل المنطقة[٤٢].

كما أن المؤرخين والباحثين الأجانب أيضاً حذوا حذو المؤرخين والصحفيين في ذلك العهد وسموا المنطقة عربستان. لقد ذكر السير برسي سايكس [٤٣] واللورد كرزن[٤٤] وكلمان هوز[٤٥] ونيبور ولايارد ولوريمر وديولافوا وهنري فيلد وآخرون هذا الاسم في كتبهم. لذا نجد الحاج عبد الغفار نجم الملك الذي أرسله ناصر الدين شاه سنة ١٢٩٩هـ لوضع دراسة عن سد الأهواز سمى كتاب رحلته الذي ألفه على أثرها «سفرنامه عربستان».

بعد ذلك، وفي عهد سلطة شيوخ آلبوكاسب وخاصة في عهد الشيخ خزعل كان هذا الاسم يطلق على المنطقة بأسرها. كان الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٣٠٣ش (١٣٤٢هـ) .وقبل ذلك بسنتين كان أحمد كسروي أول من استخدم هذه المفردة في المراسلات الرسمية ففي تلك السنة، وبعد القضاء على حكم الشيخ خزعل، شطبت الحكومة المركزية اسم عربستان من جميع المكاتبات الرسمية ووجهت خطاباً لأهالي خوزستان منعت فيه تداول اسم عربستان نهائياً وبهذا المرسوم استبدل رضا شاه خوزستان بعربستان[٤٦]. جدير بالذكر أن أحمد كسروي هو أول من استخدم هذه المفردة في المراسلات الرسمية وذلك في عام ١٣٠٢ش(١٣٤١هجري).

إطلالة على تاريخ الأهواز

ذكرنا أن للأهواز تاريخاً ضارباً في القدم يزيد على تاريخ إيران بآلاف السنين. كان العيلاميون أول من استوطن الأهواز حيث أقاموا على أرضها واحدة من أقدم الحضارات الإنسانية. لقد كانوا من العنصر السامي[٤٧] وأقاموا دولتهم الأولى قبل

ستة آلاف سنة على أرض واسعة. هذه الأرض شملت مناطق من شرق العراق امتدت حتى نهر دجلة[٤٨] ومناطق من غرب إيران وجنوبها الغربي وجنوبها. كانت عاصمة عيلام مقاطعة منها تقع فيها مدينة السوس. ومن بين الآثار التي خلفها "العيلاميون معبد جغازنبيل الذي بناه الملك العيلامي «أونتاش كال» عام ١٢٥٠ ق.م. في السنة ٦٤١ق.م هاجم الملك الآسوري آشور بانيبال، السوس وأجهز على الدولة العيلامية بعد أن أشاع القتل في المدينة ودمرها. ومنذ ذلك الحين أصبحت عيلام جزءاً من الإمبراطورية الآشورية الكبرى.

في العصر الأخميني وبسقوط بابل على يد كورش سنة ٥٣٨ق.م، خضعت عيلام للحكم الأخميني شأنها شأن جميع البلاد التي كانت خاضعة للبابليين[٤٩]. رغم ذلك كانت أول ولاية تثور بوجه داريوش الأخميني الذي أخمدها بقتل آترينا من الأسرة الحاكمة[٥٠]. يذكر في الفقرة السادسة من العمود الأول من حجر بيستون أن عيلام كانت من بين ٢٣ دولة تحت سلطة داريوش[٥١].

بعد هجوم الإسكندر المقدوني عام ٣٣٤ق.م وسقوط الدولة الأخمينية خضعت عيلام لحكم الإسكندر[٥٢]. وبعد وفاة الإسكندر وصعود خلفائه إلى السلطة قاد آنتيوخوس الثالث هجوماً على السوس في سنة ١٨٧ق.م للاستيلاء على معبد «بل» ولكنه واجه مقاومة شعبية عنيدة كلفته حياته[٥٣]. لم ينجح آنتيوخوس في ضم السوس إلى دولة السلوقيين وحافظت تلك البلاد على استقلالها[٥٤].

مع ظهور الفرثيين واستيلائهم على الأراضي التي كان يستولي عليها السلوقيون خضعت الأهواز إلى الحكم الفرثي ولكنها كانت تدار من قبل حكومة صنيعة للفرثيين،فحافظت على استقلالها الداخلي حتى نهاية حكمهم[٥٥]. وفي السنة ٢٢٤ شهدت أرض دشت هرمزدجان (رامهرمز الحالية) في هذه المنطقة المعركة الحاسمة التي دارت رحاها بين الملك الساساني أردشير بابكان والفرثي أردوان وسقطت بها الدولة الفرثية[٥٦]. في تلك المعركة قدمت قبيلة من بني تميم تسمى «بنو العم» يرجع

نسبها إلى مرة بن مالك بن حنظلة والتي كانت تقيم في تلك البقاع الدعم لأردشير بابكان ضد أردوان الفرثي (٥٧).

ولكن رغم الدعم الذي قدمه الأهوازيون لأردشير بابكان ضد الفرثيين إلاً أن أعقابه وخاصة سابور الثاني (٣١٠ ـ ٣٧٩م) ردوا عليهم بالمذابح والضغوط التي لا تطاق(٥٨). إن ظلم الملوك الساسانيين وفساد بلاطهم والتمييز الذي كانت تمارسه الطبقة الحاكمة دفع الأهوازيين(٥٩) إلى احتضان الجيوش الإسلامية والوقوف إلى جانبها.

في السنة ١٨هـ دعا والي عمر بن الخطاب على البصرة عتبة بن غزوان (٦٠)أهالي الأهواز واستطاع بمساعدتهم أن ينتصر على القائد الساساني الهرمزان(٦١). وفي السنة ١٩هـ توجه الجيش الإسلامي نحو السوس بعد أن فتح تستر وحاصرها، وهنا التحق عرب الأهواز بالجيش الإسلامي (٦٢) .ثم في سنة ٢١هـ قاد القائد العربي نعمان ابن مقرن المزني(٦٣)، الباصريين الذين كانوا يسكنون الأهواز على امتداد الكرخة وهزموا الجيش الإيراني في نهاوند(٦٤).

ومن أهم حوادث تلك الفترة ثورة أهل الأهواز سنة ٣٨هـ وقد أخمدت على يد القائد الإسلامي معقل بن قيس(٦٥). وفي عهد عثمان (٢٩ – ٣٥هـ) أصبح عبيدالله بن معمر حاكماً على الأهواز نصبه عليها والي البصرة عبدالله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس وهو ابن خال عثمان(٦٦). بعد ذلك أصبحت الأهواز تحت حكم زياد بن أبيه أيام خلافة الإمام علي(ع)(٦٧).

في السنة ٦٧هـ كانت الأهواز مركزا للحركة الأرزقية بقيادة نافع بن أرزق. توالى الأرزقية على حكم الأهواز حتى تمكن الحَجَّاج بن يوسف من القضاء عليهم سنة ٧٨هـ(٦٨). وكانت الأهواز من توابع البصرة في العهدين الأموي والعباسي كما كانت في العصر الإسلامي بحيث كان والي البصرة هو الذي يعين حاكم الأهواز(٦٩).

وفي القرن الثالث الهجري أصبحت الأهواز مقراً لثورة الزُّنْج حيث تولى علي بن محمد بن عيسى بن زيد الملقب بصاحب الزنج والذي يقول إن نسبه ينتهي إلى الإمام علي(ع) قيادة العبيد والزنج في الثورة على ظلم الحكام وجورهم ولم يلبث أن التف حوله الكثير من الرجال[٧٠]. كانت الأهواز مركز ثورة صاحب الزنج الذي استطاع أن يفتح البصرة سنة ٢٥٦هـ ثم يتقدم نحو الأبلة والتي كانت من توابع البصرة. وبعد السيطرة عليها تقدم نحو عبادان واستولى عليها. بعد ذلك تمكن صاحب الزنج من فتح مدن الأهواز الواحدة تلو الأخرى وإخضاعها لسلطته[٧١]. حكم الزنج الأهواز بالتناوب حتى سنة ٢٧٦هـ وهي السنة التي تمكن فيها العباسيون من إخماد ثورتهم وقتل صاحب الزنج[٧٢].

تزامناً مع هذه التحولات استعاد يعقوب بن ليث الصفاري سيستان من الطاهرية الموالية للخليفة العباسي ثم استولى على خراسان وفارس وتوجه نحو بغداد. وفي سنة ٢٦٢هـ انهزم أمام الجيش العباسي في منطقة يقال لها دير العاقول. بعد هذه الهزيمة قرر الاستيلاء على سوق الأهواز (الأهواز الحالية) ولكنه انهزم أمام رجال صاحب الزنج بقيادة علي بن أبان المهلبي ولم ينجح أبداً في الاستيلاء على الأهواز[٧٣]. وكانت نهاية يعقوب بن ليث الصفاري أن توفي في موضع يسمى جندي سابور في أطراف دزفول ودفن فيها وكان ذلك سنة ٢٦٥هـ.

بعد القضاء على ثورة الزنج سنة ٢٧٦هـ وإنهاء سيطرتهم على الأهواز عادت الأهواز إلى السيطرة العباسية كما كانت من قبل. وبعد ذلك بخمسين عاماً حين ظهرت الدولة البويهية ووسعت سلطانها إلى بغداد خضعت الأهواز ومدنها أيضاً إلى دولتهم[٧٤]. وبعد تشتت آل بويه عادت الأهواز كباقي المناطق تحت سلطة الخلافة واستمر الوضع على هذا الحال حتى هجوم المغول[٧٥].

وبعد سقوط بغداد على يد هولاكو وانتهاء حكم الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ وقعت الأهواز أيضاً تحت السلطة المغولية. بعد ذلك حكم خلفاء هولاكو وحلفاؤه -

الأيلخانيون ـ مناطق من الأهواز بصورة متناوبة[٧٦]. لقد استمرت هذه الحالة حتى هجوم تيمورلنك سنة ٧٩٥ق. وبعد ذلك قام خلفاء تيمورلنك بحكم الأهواز.

جدير بالذكر أنه عندما هاجم تيمور الأهواز توجه في ٢٥ ربيع الثاني ٧٩٥هـ (آذار ١٣٩٣م) إلى شيراز عن طريق رامهرمز وبهبهان بعد احتلال تستر ولم يقترب قط من الأهواز وتلك المناطق[٧٧].

بعد ذلك حكم شاهرخ ميرزا ابن تيمورلنك إيران وتركستان قُبَيْل سنة ٨٤٥هـ. وقد جلس على عرش الملوكية في هرات بعد ان أسند عراق العجم وآذربايجان إلى جهان شاه قرقوينلو، أمّا فارس والأهواز فقد أوكلها إلى حفيده عبدالله سلطان الذي كان يقيم في شيراز موكلا أمر الأهواز إلى الشيخ أبي الخير الجزري الذي كان يقيم في تستر، والأخير أوكل ابنه الشيخ جلال على الحويزة وأطرافها[٧٨]. في ظل هذه الأوضاع ظهر السيد محمد بن فلاح المعروف بالمشعشع في الحويزة حيث أقام حكم المشعشعين بعد دحر الجيش التيموري.



هوامش الفصل الثالث

(١) أحمد كسروي، زندكاني من، ص٢٠٥.

(٢) عزت الله نكهبان، نفس المصدر، ص١٣.

(3) Par clement Hurat et Louis Delaporte. L'Iranantique ; Elam pt et parse et la civilization Iranienne, nouv, ed – Paris: A: Michel, 1943.

(٤) جهانكير قائم مقامي؛ «تطورات نام سرزمين خوزستان»، ص ١٧٢.

(٥) نفس المصدر، ص١٧٣.

(٦) نفس المصدر.

(٧) جهانكير قائم مقامي، مردم وزبان مادي ها، كتاب جول اب ير، ص ١٥٩.

(٨) أرض عيلام تمتد في الأراضي العراقية حتى نهر دجلة ومعها محافظات لرستان وايلام وخوزستان وكهكيلويه وبوير أحمد وفارس وكرمان وبوشهر وحتى سيستان وتصل من جهة الشمال إلى أطراف أصفهان.

رومان غيرشمن، «إيران أز آغاز تا إسلام»، ص ٢٧.

(٩) جهانكير قائم مقامي؛ «خوزستان، تطورات نام اين منطقة ووجوه تسميه آن»، ص ٢٩٣.

(١٠) جهانكير قائم مقامي؛ «تطورات نام سرزمين خوزستان»، ص ١٧٤.

(١١) نفس المصدر، ص ١٧٩.

(١٢) محمد بن جرير الطبري، تاريخ طبري، المجلد الثاني، ص ٥٨٣.

(١٣) نفس المصدر، نيل عنوان «خبر كشادن أهواز» (خبر فتح الأهواز).

(١٤) لمزيد من الاطلاع حول اسم الأهواز انظر: مبحث « عن مدينة الأهواز» في هذا الكتاب.

(١٥) جهانكير قائم مقامي، نفس المصدر، ص ١٧٩.

(١٦) ناصر خسرو؛ «سفرنامه ناصر خسرو» ، ص ١١٥.

(١٧) نفس المصدر، ص ١٧٦.

(١٨) حمد الله مستوفي؛ «نزهة القلوب» ، ص ١٣١.

(١٩) رفائيل بابو إسحاق ، «مدارس العراق قبل الاسلام»، ص١٤٥

(٢٠) محمد إسماعيل عبدالله الصاوي،«شرح ديوان جرير» ، ص٤٨

(٢١) محمد بن جرير طبري، «تاريخ الرسل والملوك»، جزء الثالث ،ص١٧٤

(٢٢) إحسان عباس « شعر الخوارج» ،دار الثقافة ، ص١١٣

(٢٣) أبو الفرج الأصفهاني، «الأغاني»، الجزء السادس ، ص٥٠

(٢٤) الإصطخري،«مسالك الممالك»ص٨٩،ابن حوقل«صورة الأرض»ص٢٥٢، مقدسي «أحسن التقاسيم»، ص٣٣١.

(٢٥) جهانكير قائم مقامي، مجلة يغما، السنة ٣ العدد ٨ آبان ١٣٢٩.

(٢٦) منوجهر ستوده (بجهود)؛ «حدود العالم من المشرق إلى المغرب»، ص ١٣٨.

(٢٧) أبو سعيد عبد الحي كرديزي، «تاريخ كرديزي»، ص ١٢٨.

(٢٨)أبو الفضل البيهقي، «تاريخ بيهقي»، ، ص ٢٩٣.

(٢٩) جهانكير قائم مقامي، نفس المصدر، ص ١٧٩.

(٣٠) ابن البلخي؛ «فارس نامه»، ص ٦٠.

(٣١)أبوعبدالله المقدسي،«أحسن التقاسيم»،ص٣١٠

(٣٢) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص ١٠٨.

(٣٣) جان. ر. بري؛ «كريم خان زند (تاريخ إيران بين سالهاي ١٧٧٩ ـ ١٤٧١)، ص ٤٩.

(٣٤) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص ١٠٨.

(٣٥) نفس المصدر، ص ٢٥٧.

(٣٦) غلامحسين صدري أفشار ونسرين حكيمي ونسترن حكمي؛ «فرهنك معاصر فارسى أمروز»، ص ٧٣٩.

(٣٧) جهانكير قائم مقامي، نفس المصدر، ص ١٨٠.

(٣٨) ميرزا محمد صادق نامي موسوي أصفهاني؛ «تاريخ كيتي كشا در تاريخ زنديه»، ص ١٣٠.

(٣٩) حاج ميرزا حسن حسيني فسايي «فارس نامه ي ناصرى»، المجلد الثاني ، ص ٩٦٦.

(٤٠) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، تاريخ ابن خلدون، ص١١١

(٤١) جهانكير قائم مقامي، ص ١٨٢.

(٤٢) جهانكير قائم مقامي، نفس المصدر.

(٤٣) السير برسي سايكس؛ «سفرنامه ي سايكس»، ص ٢٨٢.

(٤٤) جورج ناتل كرزن؛ «إيران وقضيه ي إيران»، ص ٢٨٩.

(٤٥) جهانكير قائم مقامي، يغما، المصدر نفسه.

(٤٦) جهانكير قائم مقامي، نفس المصدر، ص ١٨٣.

(٤٧) الساميون هم أبناء سام بن نوح وهم العرب والفنيقيون والآراميون والآشوريون والعيلاميون والعبرانيون وغيرهم.

(٤٨) نفس المصدر، ص ٤٩٨.

(٤٩) نصرت الله مشكوتي، «تاريخ نظامى إيران، جنك هاي دوران ماد وهخامنشي»، ص ١٣٨.

(٥٠) نفس المصدر، ص ١٨٢.

(٥١) م. آ. دندامايف؛ «إيران در دوران نخستين بادشاهان هخامنشي»، ص ٣٤٣.

(٥٢) نصرت الله مشكوتي، نفس المصدر، ص ٤٠٦.

(٥٣) حسن بير نيا؛ «تاريخ إيران باستان»، المجلد الثالث ، ص ٢١١٥.

(٥٤) الفرد فن كوتشمد؛ «تاريخ إيران وممالك همجوار آن أز زمان أسكندر تا أنقراض أشكانيان»، ص ٧.

(٥٥) محمد جواد مشكور ومسعود رجب نيا؛ «تاريخ سياسي واجتماعي أشكانيان»، ص ١٤٢.

(٥٦) آرثر كرستنسن؛ «إيران در زمان ساسانيان»، ترجمة رشيد ياسمي، ص ١٠٧.

(٥٧) محمد بن جرير الطبري، «تاريخ طبرى»، المجلد الرابع ، ص ٢٠٨.

(٥٨) كان شابور الثاني شديد القسوة والوحشية حتى سمي بذي الأكتاف لتفننه في تعذيب الناس وتثقيب أكتافهم.

جاء في «فارسنامه» ابن البلخي أن شابور أسكن بني حنظلة في الصحراء بين الأهواز والبصرة. وبنو حنظلة هم أنفسهم الذين أعانوا أردشير بابكان في الحرب من قبل.

ابن البلخي؛« فارس نامه، باهتمام كي لسترنج ورينولد آلن نيكلسون»، ص ٩٧.

(٥٩) في تلك الفترة «كان عموم خوزستان يسمى الأهواز».

حمد الله مستوفي؛ «نزهة القلوب»، ص ١١٥.

(٦٠) عتبة بن غزوان من صحابة النبي (ص) وسابع المؤمنين به وشارك في جميع غزواته جعله الخليفة عمر والياً على البصرة وهو الذي بناها. المنجد في الأعلام، ص ٤٥٥.

(٦١) حسن تقي زاده؛ «أز برويز تا جنكيز»، ص ١٩٦.

(٦٢) جميل قوزانلو، «تاريخ نظامي إيران»، المجلد الأول،ص ٣١٤.

(٦٣) نعمان بن مقرن المزني من صحابة النبي (ص) شارك معه في فتح مكة. المنجد في الأعلام، ص ٧١١.

(٦٤) البارون دوبد، نفس المصدر، ص ٤٢٣.

(٦٥) ابن الأثير؛ «أخبار إيران» ترجمة محمد إبراهيم باستاني باريزي، ص ٣٢٨.

(٦٦) محمد بن جرير الطبري؛ «تاريخ الطبري»، ج ٥، ص ٢١١١.

(٦٧) ابن الأثير، نفس المصدر، ص ٣٤١.

(٦٨) مرتضى راوندي؛ «تاريخ اجتماعي إيران»، ج٢، ص ١١٧.

(٦٩) لم تكن خوزستان وحدها تابعة للبصرة بل فارس أيضاً وكان والي البصرة يعين حاكماً يحكم خوزستان وفارس.

(٧٠) محمد بن جرير الطبري؛ «تاريخ الطبري»، ج ١٤، ص ٦٣٠٧.

(٧١) ن. و. بيكلوسكايا؛ «تاريخ إيران در دوران باستان تا بايان سده ي هجدهم ميلادي»، ص ٢٠٩.

(٧٢) غياث الدين خواندمير؛ «حبيب السير»، ج ٢، ص ٢٨١.

ولمزيد من الاطلاع على ثورة الزنج انظر:

حسين علي ممتحن؛ «نهضت صاحب الزنج يا قيام خونين بردكان سياه در عراق».

محمد عمارة؛ «ثورة الزنج»، دار الوحدة، بيروت، بلا تاريخ.

يعقوب آجند؛ «قيام زنكيان»، ١٣٦٤.

(٧٣) بروين تركمني آذر وصالح بركاري؛ «تاريخ تحولات سياسي، اجتماعي، اقتصادي وفرهنكي إيران در دوره ي صفويان وعلويان»، ص ٣٧ ـ ٤٥.

(٧٤) أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي؛ «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، ج ٢، ص ٦١٠ ـ ٦١٥.

(٧٥) جهانكير قائم مقامي؛ «تحولات تاريخي وأرضي واداري خوزستان»، ص ١٦١.

(٧٦) حسين قلي ستوده؛ «تاريخ آل مظفر»، ج ٢، ص ١٠٧.

(٧٧) شرف الدين علي يزدي ، نقلاً عن البارون دوبد، نفس المصدر، ص ٤٥٤.

(٧٨) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ١٨.



الفصل الرابع

المشعشعيون

بعد سلسلة من المعارك المتتالية والمتفرقة استطاع السيد محمد بن فلاح المشعشعي أن يهزم الجيش التيموري سنة ٨٤٥هـ ويفرض سيطرته المستقلة الكاملة على الجزائر والأهواز والبصرة وأطرافها حتى أطراف بغداد وبهبهان وكوه كيلويه وموانئ الخليج والبختيارية ولرستان وبشتكوه بل حتى على كرمانشاهان حسب قول السيد علي[١]. وبعد سنة ٩١٤ خضع حكم المشعشعيين إلى السلطة الصفوية. هذه التبعية تذبذبت بين القوة والضعف ولكنها لم تبلغ قوة وجبروت السنوات السبعين الأولى (٨٤٥-٩١٤هـ). وبعد الصفويين واصل المشعشعيون السلطة على مناطق من الأهواز وخاصة الغربية منها. ومع تنامي قوة بني كعب وسيطرتهم على الأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من الأهواز، بدأت قوة المشعشعين وسلطتهم بالضعف بحيث لم يجد المولى نصر الله بن المولى عبد الله في زمن قوة الشيخ خزعل وسيلة للبقاء غير التقرب إلى الشيخ خزعل.

حكم السيد محمد بن فلاح المشعشع

هو السيد محمد بن السيد فلاح بن هبة الله من أولاد عبد الله ابن الإمام موسى ابن جعفر(ع)[٢]. سافر في السابعة عشرة من عمره من واسط إلى الحِلّة بأمر والده ودرس العلوم الدينية في مدرسة الشيخ أحمد بن فهد. وبعد وفاة والده تزوج الشيخ أحمد من أمه كما تزوج هو من بنت الشيخ أحمد[٣]. بلغ السيد محمد درجة من الاجتهاد على يد الشيخ أحمد بن فهد وكان يلقي الدروس في غيابه[٤]. يصفه عبد الله ابن فتح الله البغدادي بأنه «عالم علوم المعقول والمنقول وعارف صاحب رياضة»[٥]. ويؤيد القاضي نور الله التستري هذا القول ويصفه بقوله: «جامع المعقول والمنقول والصوفي وصاحب رياضة ومكاشفة.»[٦]. لقد وضع السيد محمد بن فلاح الأسس

الفكرية لحركته من خلال رؤيته الخاصة للألوهية والإمامة، واستطاع أن يؤسس حكم آل المشعشع المستقل في فترة وجيزة. ولكن الذي جعل الناس يلتفون حوله ويقاتلون دونه استغلاله الذكي لصدقهم وقيامه بحركات وأعمال غريبة ومدهشة. استطاع السيد محمد بمساعدة تلك الأعمال أن يستقطب الناس. ومن خلال مواصلته لتلك الحركات نجح في رفع الروح القتالية وحب الشهادة فيهم. لقد علم أتباعه أنهم اذا كرروا تلاوة ذكر فيه اسم علي(ع) فإنهم سيغيبون عن الوعي ولا يشعرون بألم حتى لو أُدخلوا النار ولا يضرهم شيء، ولو أنهم رموا بأنفسهم على السيوف فإنها لا تنفذ في أبدانهم[٧]. هذه الأعمال وتلك الحركات التي تعلمها بفضل حصوله على كتاب «العلوم الغريبة» كان لها بالغ الأثر على العوام وكانت السبب في رواج أمره[٨].

وقد تهيأت لحركته أسباب النجاح من خلال تردي الأوضاع في ظل حكم التيموريين وازدهار المنهج الشيعي في تلك المرحلة وخاصة في مناطق البطائح وواسط والبصرة والأهواز والحويزة. ولعل الأرضية الممهدة كانت أساسا بفضل حالة الظلم والجور التي أشاعها التيموريون وحالة السخط المتفشية في الناس الذين التفوا حول السيد محمد وناصروا ثورته وكفاحه في سبيل تحقيق أهدافها. لقد وجد المشعشعيون في تعاليم السيد محمد بن فلاح أجوبة على الكثير من أسئلتهم واحتياجاتهم متأثرين بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي سادت القرن التاسع الهجري، فدعموا دعوته إلى حركة اجتماعية تستهدف الإطاحة بمراكز القوة السياسية في خوزستان وجنوب العراق حتى نجحوا أخيراً في إقامة حكم مستقل[٩].

إن الباحث الروسي الشهير بطروشفسكي أيضا يرى ثورة السيد محمد المشعشع ثورة تطالب بتحقيق العدالة: «في السنة ٨٤٥ هـ ثار أهالي خوزستان أيضا بقيادة السيد محمد فأسقطوا الأسر الحاكمة المحلية الإيرانية على أراضيهم. لقد قضوا على الإقطاعيين من المدنيين ورجال الدين واقتسموا أموالهم».

لقد كان المشعشع مؤسسا لفرقة خاصة من غلاة الشيعة يسمون أنفسهم طلائع المهدي ويبشرون بحكم المساواة العامة والعدالة الاجتماعية على الأرض. بلغ عدد أتباع المشعشع نحو عشرة آلاف رجل. وقد نشروا الذعر في قلوب الإقطاعيين في خوزستان وما حولها حتى انبرى شيخ الإسلام الشيراز للتصدي لهم على رأس جيش من كبار الشخصيات المحلية. في البداية واجه جيش الإقطاعيين صموداً باسلاً من الناس ولكنهم انتصروا على الثوار في نهاية المطاف بمساعدة أحد أمراء القرقوينلو. غير أن المشعشع نجح بعد بضع سنوات في إقامة دولة صغيرة شبيهة بدولة السربدارية في خراسان استمرت حتى بداية القرن العاشر الهجري[١٠].

المولى علي، معتقداته وزعامته للمشعشعيين

المولى علي هو الابن الأكبر للسيد محمد، انتزع الحكم من والده بعد سنوات من تأسيس الدولة الشعشعية، كان من عام ٨٥٨هـ حتى عام ٨٦١هـ القائد بلا منازع للمشعشعيين . وكان محاربا شجاعا ومعروفا[١١]، أظهر بسالة فائقة في معارك الحويزة سنة ٨٤٥هـ. وبصفته قائدا لجيش المشعشعيين ولشجاعته استطاع أن يستولي على السلطة بالكامل و«يمنع أباه العجوز من التدخل»[١٢].

ورغم اتفاق المؤرخين والباحثين في تاريخ المشعشعيين حول انتقال السلطة من السيد محمد إلى المولى علي إلاّ أن سبب هذا الانتقال لم يلقَ اهتماماً من الباحثين. حتى كسروي الذي يعتبر أوّل الباحثين في المشعشعيين لا يتطرق إلى أسباب هذا الانتقال. بل إنه لا يتحدث بوضوح عن استيلاء المولى علي على السلطة. إنه يخصص ثلاث صفحات من كتابه للمولى علي يتناوله فيها باختصار تحت عنوان «فضائح السيد محمد». ويظهر من هذا العنوان أن ما سيقوله كسروي يتّسم بالانفعالية والدعائية وليس له صلة بالتحليل التاريخي . وهكذا فإنه يملأ إحدى تلك الصفحات الثلاث بالشتائم يكيلها إلى السيد محمد والمولى علي: «السيد محمد كذّاب » و«هو رجل ذو وجهين» و«لا همّ له إلاّ خداع الناس» وغيرها. إضافة إلى هذا يشغل مقاطع من

الصفحة الثانية بالشتائم أيضاً: «عجباً لوقاحة هؤلاء الأخباث» ثم يعتبرهم مستحقين «لأن تراق دماؤهم بلا هوادة كالكلاب المسعورة». وهكذا فإن كل ما كتبه كسروي في هذا الصدد لا قيمة له من الناحية العلمية ومن منطلق الأبحاث ولا ينفعنا في معرفة حوادث تلك الفترة.

وقد ذكر القاضي نور الله المرعشي التستري في «مجالس المؤمنين» الخطوط العريضة لمعتقدات المولى علي وأعماله بشكل مختصر:

«لقد استولى المولى علي على سلطة أبيه في أواخر أيّامه وسلبه صلاحياته. وحل محله زعيما لذلك الشعب وأشاع بين الناس أن روح علي(ع) قد حلت في جسده واستغل ذلك في الهجوم على العراق والعتبات المقدسة ونهبها والقيام بما تندى له الجباه فيها. وقد عجز والده عن إصلاحه فكان عرضة لعتاب الملوك المجاورين له وكان يعترف لهم والده بعجزه.»[١٣].

كما يذكر السيد علي المشعشعي هذا الكلام في «الرحلة المكية» فيقول: «لقد صدّق الناس أنه هو الحق وأن روح أمير المؤمنين ... حلت فيه حقا وأنه [علي(ع)] لم يمت ولا يموت وليس له مزار وهذا ما برر هجومه على النجف الأشرف وقتل ساكنيها.»[١٤].

ما كتبه القاضي نور الله وما جاء في كتاب السيد علي جعل جاسم حسن شبّر يبرئ المولى علي من الغلوّ ويذكر أن صفاته الفذة كالشجاعة وقدرته على القتال ومميزاته الفريدة جعلت «عقول العوام» تعتقد بأن روح علي(ع) حل في جسده[١٥].

بينما ينبغي أن نبحث عن جذور هذه التصرفات وهذه الأعمال في معتقدات المولى علي. وأكبر دليل على بطلان رأي جاسم حسن شبّر أعمال المولى علي نفسها وخاصة إحراقه لمشهد الإمام علي(ع).

يواصل القاضي نور الله حديثه عن المولى علي قائلا: «... وينقل أن المولى علي لم يكتفِ بتلك الدعوى بل ادعى الألوهية أيضا.» والسيد علي المشعشعي أيضًا يصف معتقدات المولى علي بـ «الكفر والإلحاد».

لم يترك المولى علي أي كتاب أو مكتوب نستعين به على فهم أفكاره ومعتقداته. في هذه الحالة تكون روايات المؤرخين المحايدين وآراؤهم وكذلك ما كتبه السيد محمد بن فلاح في «كلام المهدي» أفضل المصادر لمعرفة أفكار المولى علي وأوثقها.

ورغم أن جذور معتقدات المولى علي وقناعاته تستقي من قناعات أبيه السيد محمد ورؤاه الخاصة وكما يقول كسروي «إن ادعاء المولى علي أحد ثمار ادعاء أبيه»، فإننا لا نستطيع افتراض أن أفكار المولى علي هي أفكار السيد محمد نفسها واعتبار الرجلين متطابقين. حتى أحمد كسروي الذي قدم بحثا متسرعا وانفعاليا حول المشعشعين يفرق بين آراء كل من الأب والابن. فهو يصف قناعات المولى علي بأنها «أكثر تطرفا» من قناعات السيد محمد[١٦]. أما كامل مصطفى الشيبي صاحب البحث القيم عن «التشيع والتصوف» فقد وصل إلى نتيجة مفادها أن لا فرق يذكر بين السيد محمد وابنه المولى علي إلا من حيث أن الوالد كان يعمل بالتقية أما الولد فكان من الطيش ما يجعله يجاهر بآرائه[١٧]. لقد توصل الشيبي إلى هذه النتيجة دون الاطلاع على «كلام المهدي» وقراءته وهذا أكبر خلل في منهج بحثه. أما محمد علي رنجبر فيحدد الفرق بين الرجلين في التوجه السياسي وأسلوب إدارة الحركة. إنه يقابل بين «جمود الحركة المشعشعية» بعد إقامة الحكم وتثبيته في الحويزة وبين «روح التمرد لدى المولى علي»، ويفسره بأنه «تراجع عن الأصول الأساسية والآمال الاجتماعية». إنه يعتقد أن الفرق بين السيد محمد والمولى علي لم يكن في القناعات والمعتقدات بل في طريقة إدارة الحركة المشعشعية وتوسيعها[١٨].

كما جاء سالفا أن معتقدات السيد محمد وقناعاته لا تشابه معتقدات المولى علي وقناعاته. وأكبر دليل على ذلك آراء المؤرخين في معتقدات الأب والابن. فالقاضي نور الله التستري يرى أن السيد محمد «جامع المعقول والمنقول والصوفي وصاحب الرياضة والمكاشفة»[١٩]. وكذلك يراه صاحب «تاريخ الغياثي» أنه «عالم المعقول والمنقول والعارف وصاحب الرياضة»[٢٠]. في حين يقول القاضي نور الله عن المولى

علي: «كان يعتقد أن روح الإمام علي(ع) حل في جسده وأن الإمام حي». ثم يضيف: «وينقل أن المولى علي لم يكتف بذلك بل ادعى الالوهية أيضاً.» ولو كان هناك تشابه في أفكار الأب والابن فمن المؤكد قد أشار إليه القاضي نورالله.

إن الهجوم على مشهد علي(ع) ومشهد الحسين(ع) ونهبهما والتطاول عليهما لا علاقة له بالفرق في التكتيك وأسلوب إدارة الحركة. ولو لم يكن المولى علي قد هاجم العتبات المقدسة لأمكن القول بأنه اختلاف في الأسلوب ولكنّ حرقه للمشهد وادعاءه بأنه «هو الحق وأن روح أمير المؤمنين ... حالٌ في جسده وأن الإمام علياً(ع) لم يمت ولا يموت وليس له مرقد ولا مزار» يبين أن المسألة أبعد وأكثر من اختلاف في التكتيك. إنه اختلاف في الأفكار والقناعات وكما يقول كسروي «تقدم الابن خطوة أبعد»[٢١].

إن ما قام به المولى علي من نهب للعتبات المقدسة وقتل الأبرياء كان تعبيراً عما يعتقد به. لقد احتل في البداية واسط سنة ٨٥٨هـ وبمحاصرته لها مات أكثر سكانها جوعاً[٢٢]. وفي السنة ٨٥٧هـ هاجم قافلة الحجاج التي كانت متوجهة من بغداد نحو النجف ثم احتل مدينة النجف نفسها. يروي «تاريخ الغياثي» الواقعة كما يلي: «خرج السلطان علي بجيشه على الحجاج وحاصرهم ثم قتلهم جميعاً ونهب كل ما كان معهم من أموال ومتاع وجِمال ومواشٍ... ثم دخل المدينة وحاصر مرقد [علي(ع)] وبعث لهم رسولاً يطلب منهم القناديل والسيوف. وكان في خزائن المرقد سيوف من الصحابة والسلاطين وكان كلما مات في العراق خليفة أو سلطان حمل سيفه إلى هناك. وقد أخرج [من تلك الخزائن] ١٥٠ سيفاً و١٢ قنديلاً ستة منها ذهبية والأخرى فضية.»[٢٣].

بعد ذلك خرج إليه جيش من بغداد وجيش من الحلة. ولكن الجيشين لم يحققا شيئاً يذكر بل انهزما أمامه. وبعد ذلك الانتصار توجه المولى علي نحو الحلة فهرب أهلها إلى بغداد ولكن الكثير منهم هلك أثناء الفرار، أما من بقي منهم في الحلة فقد قتل. وقام خلال إقامته في الحلة بإحراق المدينة وتدميرها[٢٤].

وبعد استيلائه على الحلة عاد مرة أخرى إلى النجف وكربلاء ففتحت له الأبواب فأخذ ما تبقى من القناديل والسيوف وكذلك الباب والكتيبة. ثم دخل المرقد وهو على حصانه وأمر بقلع الضريح الخشبي وإضرام النار فيه ثم أمر بقتل أهالي النجف وكربلاء من سادات وغيرهم في بيوتهم[٢٥].

في السنة ٨٦٠ هاجم المولى علي أطراف بغداد وأشاع فيها القتل والنهب وسبى النساء وأحرق الغلات. ثم مكث في بعقوبة والمدائن تسعة أيام فقتل أكابر أهل المدائن وأخذ بعضهم أسرى. بعد ذلك استولى السلطان علي[٢٦]. على بهبهان وأغلب توابع شيراز. ولكنه حين كان يحاصر قلعة بهبهان خرج إليه من القلعة رجل يدعى محمود بهرام فاحتال على السلطان علي فقتله[٢٧].

بمقتل المولى علي هدأ بال السيد محمد. لأن «السيد محمد عجز عن إصلاحه وكان عرضة لعتاب السلاطين القريبين فيعترف لهم بعجزه.»[٢٨]. والسيد محمد نفسه يقول في ذلك: «... حتى تمكن ولده وسقاه من العلقم ما لا يوصف بحد وجرى ما قد جرى ثم قتل ولده ومضى إلى رحمة الله ورضوانه تقبله الله تعالى وقابله بالعفو انه هو الغفور الرحيم.»[٢٩]. وفي رسالة وجهها السيد محمد إلى الأمير بيرقلي في حياة المولى علي، يقول أحد الباحثين إنها لعبت دوراً هاماً في هجوم الأمير بيرقلي على المولى علي[٣٠]، يشبّه ابنه بيزيد بسبب تهديمه لمشهدي الإمام علي(ع) والأمام الحسين(ع) ويعتبره من أهل النار: «إن الذي يهاجم المرقد الشريف مثل ما يفعل العدو وينتهك حرمته مما لا شك فيه أنه قاتل.» ثم يردد بيتاً من الشعر يصف فيه ابنه بأنه أسوأ من الكلب:

إذا العلوي تابع ناصبياً   بمذهبه فما هو من أبيه

وكان الكلب خيراً منه طبعاً   لأن الكلب طبع أبيه فيه

ويواصل السيد محمد رسالته قائلاً معبراً عن مخالفته لنهب مرقد علي(ع) والحسين(ع) وأنه يضحي بنفسه ولا يقبل بتلك الأموال.

وفي موضع آخر من «كلام المهدي» ورداً على العالم البغدادي في بيان مخالفته لأعمال ابنه يذكر إرساله رسولا إلى بسطام حاكم الحلة يحذره ويحذر باقي الأمراء من نية المشعشعين مهاجمة قوافل الحجيج وأن رسالته تلك قد تعرّضه إلى الهلاك. ويشهد «غالبية أهل العراق» على أنهم سمعوا منه هذا التحذير[٣١].

علاوة على ذلك فإن فكرة قتل المولى علي تبين ذروة الخلاف والسخط من السيد محمد نحو ابنه. حتى إنه يفكر في قتل ابنه المولى علي ولكن لا أحد ينفذ الفكرة[٣٢].

على أن تواصل المراسلات بين السيد محمد والأمير بيرقلي سنة ٨٦٢هـ وذلك بعد سنة واحدة من مقتل المولى علي على يد جيش الأمير بيرقلي، دليل آخر على عمق الخلاف بين السيد محمد والمولى علي[٣٣].

يتلخص المبحث إذًا في أفكار المولى علي المتطرفة واعتقاده بحلول روح الإمام علي(ع) في جسده، الأمر الذي دفعه إلى نهب العتبات المقدسة وإحراقها. كما لا يمكن تشبيه آراء السيد محمد بآراء المولى علي حتى وإن كانت أفكار الأخير حصيلة أفكار الأول وأنها «ثمرة دعوى الأب».

حكم السلطان محسن

بعد مقتل المولى علي سنة ٨٦١هـ استعاد أبوه السيد محمد السلطة ثانية. ولم يقع خلال الفترة الممتدة بين السنة ٨٦١هـ والسنة ٨٦٦هـ[٣٤] التي توفي السيد محمد فيها أي حادث هام إلاَّ هجوم الأمير ناصر من أمراء العراق على السيد محمد سنة ٨٦١هـ وهي السنة التي قتل فيها المولى علي. أدى ذلك الهجوم إلى وقوع معركة طاحنة بين الطرفين قرب الواسط ،انتصر فيها جيش السيد محمد ، في تلك المعركة «قتلوا جميعاً ولم ينج أحد منهم.»[٣٥].

ولم يذكر المؤرخون أي هجوم وقع على قوات السيد محمد بعد هذا الهجوم. ويبدو أن الحكومات الموجودة في ذلك الوقت قد اعترفت رسمياً بحكم السيد محمد والمناطق

الخاضعة له. بعد وفاة السيد محمد تسلّم السلطة ابنه الآخر السيد محسن ،فكان حاكما بلا منازع للمشعشعين. كان السلطان محسن كريما محبا للفضائل والعلم حتى كان علماء الشيعة يرسلون الرسائل والكتب باسمه من جميع الأطراف[٣٦]. كان قائدا «تقيّا صالحا» يتحلى بصفات «الكرم والمروءة والكمال والأدب وحب العلم.»[٣٧] وقد حقق لنفسه ولأسرته شأنا ووجاهة بفضل ما تمتع به من خصال على عكس ما جلبه المولى علي من لوم للسيد محمد بما حمله من أفكار ومعتقدات وما هتكه من حرمة العتبات المقدسة وقتل ونهب. وتتجلى منزلته من خلال إقبال علماء الشيعة عليه من كل الأطراف. لذا سمي «السلطان محسن» أو «الملك محسن»[٣٨]. لقد حكم السلطان محسن نحو أربعين سنة من وفاة والده حتى السنة ٩٠٥هـ[٣٩].

امتازت فترة حكم السلطان محسن بالازدهار وقوة حكم المشعشعين. بحيث أن أحمد كسروي رغم نظرته العدائية للمشعشعين أقر بهذه الحقيقة قائلا: «لما لم يجد السيد محسن المشعشع أمامه عدوا قويا» استطاع «أن يزيد من قوة المشعشعين وعظمتهم. وفي عهده شملت دولته الجزائر كلها وخوزستان والبصرة حتى أطراف بغداد وكذلك بهبهان وكوه كيلويه وموانئ الخليج والبختيارية ولرستان وبشتكوه وعلى حد تعبير السيد علي ضمت كرمانشاهان كذلك.»[٤٠]، أما السيد علي الموسوي المشعشعي فيرى أن البلاد التي حكمها السلطان محسن كانت أوسع من ذلك بكثير وضمت منطقة حكمه كلاً من: «الموصل والعراقين وأطرافها وما جاورها وناحية الجبل من جهة كرمانشاه حتى ولاية لرستان وما بينهما ومناطق بشتكوه وسميرا ودزفول ورامهرمز وبهبهان ودهدشت وزينان وشط بني تميم ودشتستان وجميع الموانئ حتى أطراف فارس وجميع توابع بغداد والعتبات المقدسة والبصرة وعبادان إلى الأحساء والقطيف»[٤١].

استولى السلطان محسن على مدينة الحلة في ذي القعدة سنة ٨٧٠هـ وضمها إلى منطقة حكمه. بعد ذلك ضرب النقود فيها باسمه بين سنة ٨٧١ و٨٧٢هـ[٤٢]. وبعد

وفاة أوزون حسن سنة ٨٨٢هـ هاجم السلطان محسن بعض مناطق العراق فأمر الحاكم المشعشعي على الرماحية قرب النجف بالهجوم على أطراف الحلة ، بينما قاد بنفسه معارك مع قبائل مختلفة على طريق بغداد. بعد ذلك وصل أطراف بغداد في ١٩ جمادى الثاني ٨٨٣هـ[٤٣]. وفي أواخر حكمه استولت قبيلة المنتفق (المنتفج) على مدينة البصرة. فهجم جيشه عليهم ثم اقترح السلطان محسن إقامة مبارزة فردية بينه وبين شيخ المنتفج حقنا للدماء وانتهت المبارزة بمقتل شيخ المنتفج يحيى بن محمد الأعمى فعادت البصرة إلى حكم المشعشعيين[٤٤].

كان السلطان محسن أول من بنى مدينة الحويزة من الطابوق واللِّبن فقد كانت قبله مبنية بالقصب[٤٥]. كما بنى في المدينة قلعة سماها «قلعة المدينة»[٤٦]. ويعتبر بناء هذه القلعة أول إجراءات السلطان محسن لتحصين الاستحكامات الدفاعية للمدينة. بعد ذلك قام ببناء قلعة «مشكوك» التي ضمت ٤٠٠ جندي مدرب ومزود بالسلاح والتجهيزات. كما أحاط المدينة بسور. ومن إنجازاته الأخرى في مجال تقوية القدرة الدفاعية للحكم المشعشعي بناء قلعة «سوس» على نهر الكرخه مقابل صدر كمال آباد وقلعة «داير» المعروفة باسم «أبو عمرو»[٤٧].

كذلك لابد من الإشارة إلى بناء مدينة «المحسنية» الواقعة بين نهرين ،يوفران لها موقعا دفاعيا ممتازا. وكانت مركزا لتجمع الجنود ومقرا لحفظ المدّخرات المالية للحكم المشعشعي وكان فيها ١٢٠٠٠ جندي[٤٨].

ذكرنا أن عهد السلطان محسن كان عهد ازدهار المشعشعين. وفيه انطوت تماماً صفحة تطلعات المولى علي إلى السلطة ومجازره وأعمال نهبه.

معتقدات السلطان محسن

يظهر من «حبه للعلم ورعايته له» وكذلك «إقبال علماء الشيعة من الأطراف والأكناف عليه» أن السلطان محسن كان يسترشد بوصية أبيه في اجتناب «كفر ومعاصي» المولى

علي. بعبارة أخرى كانت معتقدات السلطان محسن أقرب إلى الشيعة الإمامية. ولعلّ أفضل دليل على براءة السلطان محسن من «الكفر والإلحاد» هي رواية ضامن بن شدقم وفيها أن السلطان محسن كان مع المشعشعيين مضطرا ولكنه بعد انتهاء المراسيم عمد إلى التطهر وتغيير ثيابه والوقوف إلى الصلاة بضراعة وخشوع(٤٩). هذه الرواية تدلنا على أن معتقدات السلطان محسن وأبيه السيد محمد وقناعاتهما تختلف جذريا عن معتقدات المولى علي وقناعاته.

ويرى السيد علي المشعشعي أيضا أن السلطان محسن وضع نصب عينيه وصية أبيه باجتناب« معاصي وكفر» أخيه المولى علي منذ بداية حكمه. وقد بلغ في هذا الأمر درجة جعلت علماء الشيعة ينظرون إليه باعتباره عالم دين ويؤلفون الكتب باسمه. ومنها أنه لما كان مير صدر الدين الشيرازي قد وضع حاشية على كتاب «شرح التجريد» باسم السلطان بايزيد العثماني وكذلك وضع مولانا جلال الدين محمد الدواني حاشية أخرى على الكتاب باسم السلطان يعقوب بايندر فإن مولانا شمس الدين محمد الأسترآبادي وضع حاشية ثالثة للكتاب باسم السلطان محسن المشعشع الذي أعجب بعمله فأرسل إليه هدايا كثيرة(٥٠).

إن كتابة الحواشي باسم السلطان محسن تلفت النظر من جهتين: الأولى أنها تدل على قرب معتقداته من العقائد الشيعية الإمامية. والثانية أنها تدل على مكانة السلطان محسن السياسية بين الحكومات والدول الكبرى في عهده. فإذا كان العلماء السُّنة يكتبون الحواشي باسم السلطان العثماني وسلاطين الآق قوينلو فإن علماء الشيعة كانوا يعاملون السلطان محسن بالمثل ويرفعونه المنزلة ذاتها.

إن قيام الدولة المشعشعية واستقرار حكمها واستتباب سيطرتها على مناطق نفوذها أدى إلى استغناء السيد محمد وخلفائه عن الحركات الغريبة وتلاوة الأوراد والأذكار لاستمالة الناس وكسب ثقتهم. خاصة وأن استمرار تلك الحركات أدت في الماضي إلى ظهور توجهات متشددة متطرفة. لذا نجد السيد محسن يتمسك بتنفيذ

وصية والده بالبراءة من تلك الأعمال والحركات. ولابد من التنويه بأن تلك الأعمال والحركات لم تشكل أي تحدٍّ لأصول الدين ولا لفروعه في دولة السيد محمد ولم تمثل مخالفة لأساسيات المذهب الشيعي(٥١).

إن أكثر ما يعكس اعتدال السلطان محسن في أفكاره وتوجهاته حضور العالم الشيعي مير نور الله التستري في حكومته وأداؤه للدور الاستشاري المؤثر(٥٢). لقد هاجر مير نور الله وهو من أعقاب مير نجم الدين المرعشي في عهد السيد محمد بن فلاح بصحبة اثنين من السادات المرعشية إلى شيراز ومن ثم الهند. وبعد صعود السلطان محسن إلى السلطة عاد من شيراز إلى تستر.

يقول مؤلف «تذكرة شوشتر» : «كان السلطان محسن سلطانا عادلا متدينا مهتما غاية الاهتمام في حفظ شعائر الدين وإقامة نواميس الشرع وقد عاش الناس في دولته في أمن وأمان وذاع صيت مكارمه في الأطراف. وفي عهده رجع مير نور الله من شيراز إلى تستر. وكان السلطان محسن ومن بعده ابنه السلطان علي يكنان له فائق الاحترام وحسن الظن به ويأخذان برأيه في جميع الأمور صغيرها وكبيرها وقد وهباه أملاكاً ورقبات مرغوبة ... ولما كان مير نور الله مبسوط اليد في دولتهم فقد نشط في ترويج المذهب الشيعي الاثني عشري ونسخ المذهب المخالف بدعم من المسؤولين في الدولة.»(٥٣).

بالإضافة إلى السيد عبد الله الجزائري فإن القاضي نور الله التستري يذكر أيضا منزلة جده في دولة السلطان محسن ودوره المؤثر فيها.

إن قرب مير نور الله المرعشي من السلطان محسن ومنزلته منه ومن خلفائه وكذلك نفوذ ثلاثة من أشقاء زوجته في البلاط المشعشعي، يؤكد قرب معتقدات السلطان محسن وقناعاته منه.

جدير بالذكر أن مير نور الله المرعشي اضطر إلى الهجرة من تستر إلى شيراز بعد تولّي

السيد محمد بن فلاح الحكم ثم عاد إلى تستر في عهد السلطان محسن المشعشعي(٥٤). على هذا الأساس يمكن استنتاج أن السلطان محسن كان حتى أكثر اعتدالا في معتقداته وقناعاته من أبيه السيد محمد.

آل المشعشع في مواجهة الصفويين

من الفترات المعقدة التي يكتنفها الغموض والإبهام من تاريخ المشعشعين فترة السنوات التسع التي تلت وفاة السلطان محسن وحتى المواجهة مع الشاه إسماعيل الصفوي من ٩٠٥ الى ٩١٤هـ. وليس سبب التعقيد والغموض هنا قلة المصادر وندرتها بل، على العكس من ذلك، إلى كثرتها. ولكنها مصادر ومراجع متضاربة ينقل كل منها روايته عن تلك الفترة. ويشمل التضارب وعدم التطابق اسم خليفة السلطان محسن أو خلفائه وصلته بالسلطان المتوفى وكذلك المواجهة بين المشعشعين والصفويين. فالمصادر الصفوية غير الرسمية والخارجة عن إطار التأليف التاريخي الصفوي الرسمي المتمثلة بكتاب «مجالس المؤمنين» للقاضي نور الله المرعشي و«الرحلة المكية» للسيد علي المشعشعي و«تذكرة شوشتر» للسيد عبد الله الجزائري والمصادر الموالية للحكم الصفوي أو التي تمثل كتابة التاريخ الصفوية الرسمية مثل «حبيب السير في أخبار أفراد البشر» للخواندمير و«جهانكشاي خاقان (تاريخ شاه إسماعيل)» و«تاريخ عالم آراي صفوي» و«تاريخ جهان آرا» للقاضي أحمد غفاري ـ تروي الأحداث كل بروايته الخاصة.

فمصادر المجموعة الأولى تذكر السيد علي أو السيد علي والسيد أيوب على أنه (أو أنهما) خليفة (أو خليفتا) السلطان محسن. أما مصادر المجموعة الثانية فلا تذكر السيد علي ولا السيد أيوب بل تقول إن السلطان فياض هو خليفة السلطان محسن. والاختلاف يشمل كذلك الحديث عن المواجهة بين المشعشعين والصفويين.

إن أفضل طريق للوصول إلى حقيقة تلك الفترة وأوثقها هو مقارنة الكتابات المختلفة

والاستناد إلى روايات المؤرخين المحايدين في المقام الأول وإجماع المؤرخين في المقام الثاني. وواضح أيضاً أن رواية المؤرخين المحليين تحظى بأهمية أكبر من سواها.

بعد وفاة السلطان محسن سنة ٩٠٥هـ حل محله ابناه السيد علي والسيد أيوب[٥٥].

ويذكر أكثر المصادر التاريخية أنهما ابنا السلطان محسن. غير أن القاضي أحمد غفاري القزويني يقول في «تاريخ جهان آرا» إن السيد أيوب كان شقيق السلطان محسن وابن السيد محمد بن فلاح[٥٦]. أما أحمد كسروي فينظر إلى الموضوع نظرة مختلفة فهو يرفض قول القاضي نور الله بخلافتهما المشتركة واعتبر أنه «من غير المعقول أن يتولى القيادة اثنان في وقت واحد» وهو كلام لا يستقيم لأن من الممكن أن يحكم اثنان «في وقت واحد». وقد رأينا في تاريخ الأهواز، بل في كتاب كسروي بالذات، كيف أن اثنين حكما «في وقت واحد». ففي تاريخ بني كعب الفلاحية نجد الشيخ عثمان وأخاه الشيخ سلمان يحكمان بني كعب مشتركين. ذكر ذلك السيد عبد الله الجزائري في كتاب «تذكرة شوشتر» في سفره إلى الفلاحية[٥٧]. كما يصرح به كسروي نفسه في مبحث «ظهور الكعبيين في الدورق(الفلاحية)» فيقول: «ذكرنا أن زعيم الكعبيين حينئذ كان الشيخ سلمان وأخوه عثمان.»[٥٨]. وهذا التناقض موجود بكثرة في مؤلفات كسروي وكتاباته.

على أن اختلاف الروايات حول المواجهة بين المشعشعيين والصفويين ومقتل السيد علي والسيد أيوب أكثر منه في تسمية حاكم المشعشعيين. فهناك اتفاق بين المصادر الصفوية غير الرسمية حول اسم حاكم المشعشعيين. أما في ما يخص مقتل السيد علي والسيد أيوب فليس هناك أي اتفاق في الآراء بل روايات متفاوتة. فالقاضي نور الله التستري والسيد علي الموسوي المشعشعي والسيد عبد الله الجزائري المتفقون على خلافة السيد علي والسيد أيوب للسلطان محسن يختلفون حول مقتلهما. أما المصادر الأخرى، وخاصة المصادر التاريخية الصفوية الرسمية، فيروي كل واحد منها الحادثة على طريقته.

يقول القاضي نور الله المرعشي التستري: «سعى بعض المغرضين لدى الشاه إسماعيل بأن هذين الرجلين مغاليان كعمهما المولى علي». لهذا السبب زحف الشاه إسماعيل على الحويزة بعد هجومه على بغداد. وانخرط السيد علي في خدمة الشاه الصفوي مراهناً في ذلك على تشيعه إلا أن تحريضات أبناء رعناشي أثرت على صورة السيد علي في ذهن إسماعيل فبدا في نظره مغاليا فقام بقتل الأخوين ومعهما أعيان المشعشعين ثم استولى على الحويزة وتستر وباقي المناطق[٥٩].

ويؤيد السيد علي دخول جيش الشاه إسماعيل الحويزة واستقبال السيد علي والسيد أيوب له وتسليمه رسالة تفيد بتشيعهما. ويذكر أيضاً قبول الرسالة من جانب الصفويين وتبادل الهدايا بين الطرفين. بعد ذلك توجه الجيش الصفوي نحو إيران. ويذكر أن قتل السيد علي والسيد أيوب جرى بعد ذلك بعشر سنوات أي في سنة ٩٢٤هـ؛ وذلك بخدعة دبرها حاكم تستر حيث دعاهما إلى النزهة والصيد فقتلهما[٦٠].

أما السيد عبد الله الجزائري فيروي هذه الحادثة على النحو التالي: «توجه الشاه إسماعيل الصفوي إلى عراق العرب سنة ٩١٤هـ فانضم إليه السلطان علي مع أخيه السيد أيوب وسائر السادات المشعشعين وذلك لوحدة النسب والمذهب معه. وعند الهجوم على بغداد قام بقتلهم بتحريض من مير حاجي محمد والشيخ محمد رعناشي اللذين كانا ابنَيْ معلم أولاد السيد محمد. ولما توجه إلى الحويزة قام السيد فياض ابن السلطان محسن بتجهيز الجيش لمواجهته فدافع حتى قتل الجيش بأكمله.»[٦١].

وفي «حبيب السير» يقول خواند مير، بعد أن يذكر استيلاء الشاه الصفوي إسماعيل على بغداد، أن المشعشعين اعترفوا بألوهية فياض مما دعا الشاه إلى الإسراع إلى الحويزة. فجهز السيد فياض جيشا ووقعت معركة طاحنة خارج الحويزة أظهر فيها المشعشعيون بطولات لا توصف ولكن الحويزة سقطت في آخر النهار بعد مقتل السيد فياض وأمراء المشعشعين[٦٢].

يقول مؤلف «عالم آراي صفوي» في ذلك: « ... كان جلالته عازما على التوجه إلى العراق فقال له ملكشاه رستم إن الحويزة تقع في الجنوب قريبا من مناطقنا وإن السلطان فياض المشعشعي العلي اللهي هو ملكها ويدّعي الألوهية رغم العجز البشري ... فزحف جلالته على رأس اثني عشر ألف جندي من القزل باش من جهة كتل كيالان وانقض على السلطان فياض المشعشعي.»[٦٣].

وأياً ما أخذنا به من هذه الروايات أو رواية القاضي أحمد غفاري[٦٤] فإن أصل الموضوع هو أن قائد أو قادة المشعشعين قتلوا على يد الشاه إسماعيل الذي وضع حداً لاستقلال المشعشعين الذي دام سبعين سنة بقتله لحكامهم وكبارهم.

الصفويون والمشعشعيون، صراع مؤسستين شيعيتين

يعتبر حكم المشعشعين بقيادة السيد محمد بن فلاح في الحويزة الحكم الوحيد الذي طرح نفسه في إطار المذهب الشيعي الإمامي حتى ذلك الوقت (سنة ٨٤٥هـ). وبعد ٦٢ سنة أي في السنة ٩٠٧هـ أسس الشاه إسماعيل الدولة الصفوية كثاني حكم شيعي. من هنا كان من الطبيعي أن لا تستمر المؤسستان الشيعيتان على هذا النحو. ومن أسباب ذلك معتقدات وقناعات الشاه إسماعيل التي كانت قريبة من معتقدات المشعشعين في الإطار العقائدي الشيعي. والسبب الثاني هو أن الشاه إسماعيل كان يخطط لتوسيع نفوذه ودولته تحت غطاء هذه المعتقدات. وبما أن كلا الرجلين، الشاه إسماعيل الصفوي والسيد محمد بن فلاح، قد وصلا إلى السلطة عن طريق القوة الروحية والخلفية الفكرية والعقائدية[٦٥]، فقد كان من الطبيعي أن ينفرد أحد التيارين بالزعامة وقيادة الحركة الفكرية والعقائدية، أما الثاني فكان يجب أن يكون تابعا مطيعا. يقول فلاديمير مينورسكي: « ... كان لابد من أن تكون مواجهة بين الحركتين ... فضلا عن أن الشاه إسماعيل لم يكن ليرضى باستمرار وجود مؤسسة شيعية منافسة.»[٦٦]. ويؤيد محمد علي رنجبر هذا الرأي فيقول: «كان لابد من بقاء أحد الحاكمين الصفوي أو المشعشعي وكلاهما كان صاحب كرامات ومنزلة مقدسة تأخذ

غطاءها من أصول مذهبية واحدة (التشيع)، أما الآخر فإلى الزوال.»(٦٧).

ولا يقل العامل الثاني أهمية عن العامل الأول. والحقيقة أن العلة الأساسية والدافع الحقيقي لجميع قناعات وأفعال الشاه إسماعيل تكمن في حرصه وطمعه الشديد في توسيع مناطق نفوذه وتشكيل الإمبراطورية الصفوية. وينكشف هذا الأمر بشكل خاص بعد هزيمة دولة الآق قوينلو القوية وظهور المنافسة الشديدة مع الإمبراطورية العثمانية. لذا توجه الشاه إسماعيل بعد الهجوم على بغداد إلى الحويزة لإسقاط دولة المشعشعين. ورغم عدم اتفاق المؤرخين على طبيعة المواجهة بين الشاه إسماعيل وولدَي السلطان محسن، السلطان علي والسيد أيوب، بحيث يروي كل واحد منهم تلك الواقعة بطريقة مختلفة غير أن المهم في هذا الخصوص والمرتبط بموضوع هذا الكتاب هو المواجهة بين الشاه إسماعيل والمشعشعين وقتل السلطان علي والسيد أيوب وما تبقى من المشعشعين وتسليم الحكم إلى أحد أمراء القزل باش(٦٨).

ليس من السهولة الإتيان بتبرير ودليل مقنع لمواجهة الشاه إسماعيل للمشعشعين وقتله لزعمائهم مع العلم بادعاءاته ومعتقداته وكذلك كون المشعشعين شيعة، فذلك ما يبطل ادعاءاته. لهذا السبب نجده يزحف على الحويزة بذريعة «غلو» السلطان علي والسيد أيوب، أما الرسالة التي أرسلاها له موضحَين فيها أنهما شيعيان وأن الادعاءات الواصلة إليه ليست إلا وشايات مغرضة فلم يقبل بها إلا مؤقتا ثم يقضى عليهما بواسطة حاكم تستر(٦٩). لذا يصف جميع مؤرخي العصر الصفوي، وهم منتمون إلى بلاط الشاه إسماعيل الصفوي على نحوٍ ما، المشعشعين بأنهم «غلاة» و«علي اللهية» وذلك لتبرير هجوم الشاه على الحويزة وتصويره بأنه كان صحيحا وضروريا(٧٠). هؤلاء المؤرخون أنفسهم لعبوا دوراً أساسياً في إعطاء صورة مغايرة لأبناء السلطان محسن وكذلك سائر المشعشعين. في حين أن السلطان علي والسيد أيوب كانا في الحقيقة أفضل بكثير من الشاه إسماعيل اعتدالاً(٧١). وإذا مررنا على أناشيد الشاه إسماعيل تبين لنا أنه حتى السيد محمد بن فلاح بالذات لم يكن يملك

الجرأة على إطلاق مثل هذا الكلام وتلك المعتقدات. وليس عبثاً أن يقدم الشاه إسماعيل مكافأة سخيّة إلى أولاد مولانا قوام الدين رعناشي نظير سعايتهم على السلطان محسن وتشهيرهم به[٧٢] ويُعرض عن الفقيه المعروف مير نور الله المرعشي بل يسيء الظن به[٧٣].

ولعل غضب الشاه إسماعيل من مير نور الله المرعشي ومكافأته لأبناء مولانا قوام الدين يكشف لنا أن «الفقيه المعروف» مير نور الله لم يستجب لطلبه في الحكم على المشعشعين بـ «الغلو» أو على الأقل لم يؤيد ما فعله الشاه الصفوي. ونظراً لمخالفة كسروي لوجود المشعشعين في هذه المنطقة فإنه ليس فقط يبرر «مجازر الشاه إسماعيل وقبائحه الكثيرة وترويجه لأعمال قبيحة» بل إنه يجنح إلى السكوت إزاء البدعة الدينية لشاه إسماعيل، بينما هو الذي يعترف في موضع آخر من الكتاب بأن «جميع ملوك الصفوية ومنهم الشاه إسماعيل ملتزمون بالبدع الدينية.»[٧٤].

إن ما يؤكد عدم صحة إعلام الشاه إسماعيل الإبقاء على حكم المشعشعين من قبل الشاه الصفوي بعد قبولهم الطاعة والانقياد له. إن تسليم حكم الحويزة وغرب عربستان إلى السيد فلاح ابن السلطان محسن الأخ الآخر للسلطان علي وأيوب يكشف حقيقة أن صراع الشاه إسماعيل مع المشعشعين ما كان إلا من أجل إخضاعهم وتوسيع الدولة الصفوية على حسابهم[٧٥]. الحقيقة أن حرب الشاه إسماعيل مع المشعشعين كانت حرب هيمنة ونفوذ.

السيد فلاح بن السلطان محسن

بعد مقتل السيد علي والسيد أيوب سنة ٩١٤هـ هاجم السيد فلاح ابن السلطان محسن، وكان حينئذٍ يقيم في تستر، على الحويزة فانتزعها من أميرها صنيعة الشاه إسماعيل واستولى عليها. ثم أرسل «هدايا ثمينة» إلى الشاه إسماعيل ففوّضه «ولاية الحويزة»[٧٦].

إن ظهور السيد فلاح في حلبة الحكم المشعشعي وحصوله على ولاية الحويزة جدير بالاهتمام من زاويتين تتمثّلان في أسئلة تطرح في هذا المجال. وهي أسئلة لم يتناولها كسروي في كتابه ولم يقدّم لها أيّة أجوبة. الأول: كيف نجا السيد فلاح من المجزرة التي تلت مقتل السيد علي والسيد أيوب وحصدت رؤوس كبار المشعشعيين؟ وإذا كان يقيم في تستر فكيف نجا من المجزرة؟ والزاوية الثانية هي أن تسليم ولاية الحويزة إلى السيد فلاح شقيق السيد علي دليل على صحة القول بأن صراع الشاه إسماعيل مع المشعشعين كان على بسط السيطرة وتوسيع منطقة النفوذ من قبل ملوك الصفوية صرفا وأن ما يدّعيه مؤرخو الدولة الصفوية الرسميون أو أحمد كسروي في وصف هذه الحرب بأن غايتها كانت القضاء على «أهل الضلال» أو «الغلاة» أو «الخبثاء» أو «أصحاب البدع القبيحة» عارٍ عن الأساس. ويتّضح الموضوع أكثر إذا علمنا أن السيد فلاح قد انتزع الحويزة من حاكمها صنيعة الشاه إسماعيل، ومع ذلك فإن الشاه إسماعيل ليس لم يواجهه ويرسل إليه جيشاً لتأديبه بل فوّضه ولاية الحويزة. وهكذا نراه «يعيد فرصة الحكم للمشعشعين» على حد تعبير كسروي. وإذا علمنا أن المؤرخين والرواة لم يسجّلوا أي تغيّر ملموس في معتقدات السيد فلاح وقناعاته حيث بقي على عقيدة أبيه وإخوته فإن ذلك من شأنه أن يفضح نوايا الشاه إسماعيل وتخرّصات المؤرخين التابعين.

مهما يكن من أمر فقد حكم السيد فلاح من سنة ٩١٤ إلى سنة ٩٢٠هـ. ويروي مؤلف «تكملة الأخبار» أن حكمه استمرّ سبع سنوات[٧٧]. مع هذا فهناك نقود تعود إلى السنة ٩٠٦هـ ضربت باسمه في دزفول والدورق وتستر والحضرة[٧٨] وهذا ما يزيد في تعقيد لغز الفترة بين ٩٠٥ و٩١٤هـ والصراع على السلطة. لأن جميع المؤرخين تقريباً يجمعون على أن المشعشعين كانوا تحت حكم السيد علي والسيد أيوب بعد وفاة السيد محسن (٩٠٥هـ) حتى مقتلهما على يد الشاه إسماعيل (٩١٤هـ).

هذا وإن ظهور الشاه إسماعيل في حلبة الصراع على السلطة في تلك الفترة وهجومه

على بغداد ثم قتله للسيد علي والسيد أيوب ودخوله فارس عن طريق كوهكيلويه قلص مناطق حكم المشعشعين وجعلها أصغر بكثير مما كانت عليه في عهد السلطان محسن. فحتى دزفول وتستر لم تكونا تحت حكم السيد فلاح(٧٩).

يقول كسروي: يبدو أن اسم عربستان أطلق على الجزء الغربي من خوزستان في عهد الشاه إسماعيل أو ابنه الشاه طهماسب وكان بيد المشعشعين لتمييزه من الجانب الشرقي الذي يضم تستر ورامهرمز ويدار من قبل منتدبين من الحكومة الصفوية(٨٠). ويضيف: وجدنا هذا الاسم أول مرة في كتاب القاضي نور الله الذي شرع في تأليفه في عهد الشاه طهماسب وفرغ منه بعد وفاته. ولكن، كما ذكرنا في المتن، لم يكن هذا الاسم يطلق حينئذ إلا على الجزء الغربي من خوزستان. وعلى حدّ علمنا لم يكن اسم «عربستان» يطلق على عموم خوزستان حتى نهاية الدولة الصفوية بل حتى عهد نادر شاه. وبعد عهد نادر سميت المنطقة بأجمعها عربستان وظلّت معروفة به حتى سنة ١٣٠٢ش حيث أسقطته الحكومة (٨١).

السيد بدران ابن السيد فلاح

بعد وفاة السيد فلاح سنة ٩٢٠هـ خلفه ابنه السيد بدران فحكم الحويزة وتوابعها حتى توفي سنة ٩٤٨هـ بعد حكم دام ثماني وعشرين سنة. لقد تزامنت فترة حكم السيد بدران مع فترة ضعف حكم الشاه إسماعيل وفتوره النسبي حيث أن قوة الدولة الصفوية أخذت تتراجع بعد هزيمة الصفويين في معركة «جالديران» (٩٢٠هـ) مع العثمانيين. كذلك ومع ظهور طهماسب الأول أصابت الصراعات الداخلية الدولة الصفوية بالضعف. في تلك الفترة خضع العراق للحكم العثماني وخرج فعلياً من سلطة الصفويين.

يصف القاضي نور الله التستري ،السيد بدران بأنه وحيد زمانه في الشجاعة

والكرم [٨٢]، ويذكر السيد علي أيضاً في كتابه صفات السيد بدران الحميدة كالشجاعة والصلابة والكرم ويروي عنه حكاياتٍ في هذا الباب [٨٣].

أما أحمد كسروي الذي يبدو أنه آلى على نفسه أن يسوّد تاريخ المشعشعين متحاملا عليهم فيقول: «إن السيد علي يورد عنه حكايات لا نعرف صحتها أو عدم صحتها فلذلك السبب لا نذكرها ... ويبدو من كلامه أن بدران كانت له أفعال سيئة كذلك ومنها الشذوذ الذي يعاقب عليه الإسلام بالقتل والحرق كما أن السيد محمد أيضاً كان يعاقب عليه بالقتل.» [٨٤]. ويظهر أن كسروي واثق من صحة الخبر وإلا لما أورده كما فعل مع غيره. مع هذا فإن القاضي نور الله التستري لم يُشِر في كتابه أبداً إلى هذا. وكذلك «أعيان الشيعة» فلا يتطرّق إلى فعله المنكر حين يذكر السيد بدران [٨٥]. غير أن أفضل وثيقة في هذا المجال تكمن في أصل كتاب السيد علي ومطالعته بدقّة وإمعان، وقد تفضل الباحث السيد هادي باليل الموسوي بإرسال هذا الكتاب إلى كاتب هذه السطور [٨٦]. ولدى قراءتي لكتاب السيد علي المشعشعي تبيّن أن ما يرد فيه يختلف كلياً عن ما يورده كسروي في «تاريخ بانصد ساله خوزستان» وهو، مع الكثير من التساهل والحمل على حسن الظنّ، مؤشر على سوء فهم كسروي. ولما كان كسروي يجيد اللغة العربية ويتقن الكتابة بها فضلا عن القراءة فلا يمكن حمل فهمه الخاطئ على محمل عدم استيعابه للنص العربي.

ونظراً لأهمية الموضوع نرى من الضرورة تدبّر ما كتبه السيد علي عنه، فهو يقول: كان السيد بدران يركب البغلة، وهو أول من ركب البغلة من المهديين، فاتفق أنه كان راكبا بغلته قد انفرد عن عسكره بحيث لم يروه، فرأى رعاة أغنام وهم بغاية الأمن متفرقين برعاتهم فسأل أحدهم، يا أعرابي أرى حالكم غريب وأمركم عجيب، ما هذه الأمنية في هذه الأرض المخوفة؟ فأجابه الراعي: أغرب منه حالك، قال السيد بدران: لأي شيء يا أخي؟ قال الراعي: نعم أسألك من أين أتيت؟ أمن السماء سقطت أم من الأرض نبعت؟ أما سمعت بالملك الهمام والليث الضرغام مولانا وسيدنا سيد بدران؟ فقال

السيد بدران له: مدحت يا بدوي وأغرقت، فأجابه :بل كثيرا قصرت واختصرت، ولو أذكر لك بعض خصاله ، لكفاك شرح حاله، لكنه والله طويل الباع، رحب المحيا، شريف شجاع . فقال يا بدوي : جل من لاعيب فيه، أتذكر لي شيئا من المعايب فيه؟ قال البدوي: صدقت وإن لم تكن عيوب ، لكن فيها نقص لدولته، بل مزرية بوقاره ودينه، وهي شيئان أو ثلاثة، قال السيد بدران: ما هن؟ قال : الأول ينفرد عن العسكر وهو راكب بغلته وهذا ليس من الحزم والرأي ويستخدم المرد من الشبان بمجلسه ولا هي من الوقار ويشرب النبيذ وهو مزري بدينه ودنياه وغير ذلك ما فيه إلا الخصال الممدوحة الحميدة»[٨٧].

إن العبارة الواردة في النص هي « ... ويستخدم المرد من الشبان بمجلسه». والمرد جمع أمْرَد و«هو الذي لا لحية له ولا شارب أو الذي لم ينبت الشعر في وجهه». والأعرابي يعني الشبان الخالية وجوههم من اللحى الذين كانوا يخدمون السيد بدران في مجلسه. وهذا لا يعني العمل الشنيع الشاذ. وما يؤيد ذلك ورود كلمة «يستخدم»[٨٨] ولم يكن استخدام الشباب اليافعين في القيام ببعض الأعمال أمرا جديدا بل كان شائعا قبل السيد بدران وحتى اليوم حيث اتخذ أشكالا وطرقا جديدة. كما أن عبارة الأعرابي التي وصف بها عمل السيد بدران بأنه ليس من الوقار دليل على أنه كان يستخدم الشباب في إنجاز الأعمال ليس إلا. وإلا لاعتبره الأعرابي «حراما» و«خلافا للشرع». حيث إن العقوبة الشرعية لمثل هذه المعاصي، كما يقول كسروي، هي الموت[٨٩].

ولكن كسروي يحمّل القضية بعداً أخلاقياً شاذاً منطلقاً من نظرته المتحيزة والمغرضة ضد المشعشعين ويستغل هذه الجملة للتشهير بالسيد بدران وتخطئته. وهو لا يورد كلام الراعي الواضح والصريح في كرم السيد بدران وشجاعته بل يهمله بحجة عدم اليقين في «صحته أو عدم صحته». ولكنه يسارع إلى قذف الرجل بتهمة شنيعة لا تثبت في الشريعة الإسلامية إلا وفق شروط معينة.

وكتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» زاخر بحالات عدم الأمانة في النقل عن الآخرين.

حكم السيد سجاد

يعتبر عهد السيد سجاد من أطول عهود حكم المشعشعين. فقد تولى السيد سجاد حكم الحويزة بعد وفاة أبيه السيد بدران سنة ٩٤٨هـ واستمر حتى سنة ٩٩٢هـ. وقد تزامن عهده الذي دام ٤٥ سنة مع حكم ثلاثة ملوك صفويين، هم الشاه طهماسب (٩٣٠-٩٨٤هـ) والشاه إسماعيل الثاني (٩٨٤-٩٨٥هـ) والسلطان محمد شاه (٩٨٥-٩٩٤هـ) فشهد حوادث كثيرة.

من المشاكل التي واجهها السيد سجاد تمرد بعض القبائل ومعارضتها له والمحاولات التوسعية للدولة العثمانية وتعرضها لمناطق نفوذ المشعشعين. فقد أعلنت قبائل نيس وبني تميم وكربلا تمردها على السيد سجاد واتخذت من مناطقها ميدانا لشنّ الهجمات[٩٠].

من جانب آخر قام مصطفى باشا بمهاجمة الحويزة سنة ٩٦١هـ (١٥٥٣م) بهدف الاستيلاء عليها ولكن صمود المشعشعين أجبره على التراجع[٩١]. وفي سنة ٩٩٢هـ هجم حاكم بغداد علي باشا بجيشه على الحويزة لاحتلالها[٩٢]. ويفيد كسكل والمصادر العثمانية أن السيد سجاد سلم العثمانيين مناطق من أرضه[٩٣]. ويورد كسكل في كتابه رسالة من الإمبراطور العثماني إلى السيد سجاد يطلب فيها عقد اتفاق بين الطرفين بقصد الاستيلاء على تستر. كما يذكر رسالتين من القائد العثماني إلى والي الحويزة يبلغ فيهما ابن السيد سجاد بأن دزفول أصبحت من المتصرفات العثمانية بعد وفاة والده السيد سجاد[٩٤].

إن صراع السيد سجاد مع العثمانيين والحوادث التي شهدها عهده تبين لنا أن وجود المشعشعين وكذلك بني كعب في هذه المنطقة كان يمثل أفضل الموانع بوجه التوسع العثماني وأقواها. لقد لعبوا دورا أساسيا ومهما للغاية في تحجيم الأطماع العثمانية وكانوا مانعا لاستيلائهم على تلك المنطقة[٩٥].

ولكن «تاريخ بانصد ساله خوزستان» لا يتضمن أي إشارة لما ذكرنا. وهكذا يتضح أن رواية كسروي عن فترة حكم السيد سجاد تشكو من نقص كبير ولا تعطينا صورة عن حوادثها. الشيء الوحيد الذي ذكره كسروي عن السيد سجاد هو «النهب والسرقة» التي قام بها هو وشعبه بحيث يكرر عبارة «النهب والسرقة» و«الهجوم والإغارة» و«السيد سجاد» و«العرب» ما لا يقل عن ٦ مرات في صفحتين. وهو ليس لا يحلل الأحداث في هذا المبحث فحسب، بل لا يكتبها وهذا ما يثبت نقص كتابة كسروي للتأريخ.

عدم مشاركة السيد زنبور في هجوم العثمانيين على دزفول

توفي السيد سجاد سنة ٩٩٢هـ فخلفه ابنه السيد زنبور. وتفيد أبحاث كسكل بأن القائد العثماني جيهال زاده أبلغ السيد زنبور بعد وفاة السيد سجاد برسالة تهديدية بأن دزفول تعتبر من المتصرفات العثمانية بعد وفاة أبيه وأن الإيرانيين لا يطالبون بها حسب مباحثات السلام. ثم رغّب السيد زنبور بالتعاون معه في الاستيلاء على دزفول ووعده بأن تكون بعض المناطق تحت تصرفه في حالة نجاح العملية العسكرية. ولكن السيد زنبور لم يوافق، رغم ذلك، على المشاركة في الهجوم العسكري المشترك على خوزستان وخاصة دزفول[٩٦] وهكذا لم يكتب للهجوم العثماني على دزفول أن يرى النور.

يتحدث السيد علي المشعشعي عن دعم شيوخ قبيلة نيس للسيد زنبور الذي استطاع أن يتغلب على أخيه إلياس[٩٧]. دام حكم السيد زنبور حتى سنة ٩٩٨هـ وفيها تغلب عليه السيد مبارك ابن السيد مطّلب ابن عمه (كان السيد سجاد والسيد مطّلب ابنَي السيد بدران) وانتزع منه الحويزة[٩٨].

حكم السيد مبارك

يعتبر السيد مبارك بن السيد مطّلب (حكم في الفترة ٩٩٨-١٠٢٥هـ) أقوى حاكم

مشعشعي في الفترة التي تلت السلطان محسن. وهو «أول مشعشعي حاز على لقب خان، ويقول السيد علي إنه لم يكن يدفع إلى الشاه شيئا من إيرادات الحويزة وعربستان. يقول: كان الشاه يرسل له هدايا ثمينة وخِلَعًا نفيسة في سنة ويرسل هو إلى الشاه ١٥ حصانا في سنة أخرى.»[٩٩] وتظهر قوة السيد مبارك وعظمته بشكل أوضح إذا علمنا أن سنوات حكمه الثماني والعشرين تزامنت كلها مع حكم الشاه عباس الصفوي (حكم في الفترة ٩٩٦ – ١٠٣٨هـ). وهي الفترة التي أعقبت سنوات من التشتت والضعف النسبي فأبدلتها بمركزية السلطة لدى الصفويين.

كما أسلفنا أن السيد زنبور استولى على الحويزة بدعم من قبيلة نيس وبسط سيطرته فيها. ولكن قبيلة كربلا كانت في نزاع مع قبيلة نيس وكان ذلك الوضع لا يروق لها. ومن جانب آخر كانت على علم بالخلاف بين مطّلب وزنبور. لذا مدّ زعيم قبيلة كربلا الأمير بركة يد المساعدة إلى مطّلب، فأطلع السيد مطلب ابنه السيد مبارك على رسالة الأمير بركة والذي هو خال السيد مبارك. فتضاعفت دوافع السيد مبارك للاستيلاء على السلطة. واستطاع أن يغلب السيد زنبور بمساعدة قبيلة كربلا واستولى على الحويزة وبسط سلطانه عليها[١٠٠].

يقول السيد علي إن خلافا دبّ بين السيد مبارك والأمير بركة قبل الاستيلاء على الحويزة ، انتهى بمقتل الأمير بركة على يد السيد مبارك الذي أصبح شيخ قبيلة كربلا بعده. ويبدو أن هذا الكلام غير صحيح، أولاً لأن الأصول العشائرية العربية تشترط في الشيخ أن يكون من القبيلة بالذات. بمعنى أنه ليس هناك عشيرة شيخها لا ينتمي إليها بالنسب والدم. وثانيا أن السيد مبارك لم يكن لديه جيش يستعين به على السيد زنبور فالمكون الأساسي لجيشه كان من قبيلة كربلا فإذا قتل شيخها فهذا يعني أن انتصار السيد مبارك يكون متعذرا بل إن الكربلائيين أنفسهم سيثورون عليه مطالبين بدم شيخهم. وحتى أحمد كسروي الذي لا يحب المشعشعين لا يقبل بفرضية قتل السيد مبارك للأمير بركة ويقول: «ولا ندري إن كانت هذه الحكاية صادقة أم كاذبة»[١٠١].

كما ذكرنا فإن المصدر الوحيد المتبقي عن تاريخ المشعشعين من سنة ٩٩٧ وما بعدها هو كتاب السيد علي. ونظرا إلى عدم تناول حوادث هذه الفترة في أي كتاب آخر فما على المؤرخ إلا الاستعانة بالمصدر الوحيد المتوافر وتحليل محتوياته للوصول إلى الحقيقة بعد تمييز الصحيح من غير الصحيح. ومن المسائل المهمة الجديرة بالنظر سيرة السيد مبارك وخاصة في مرحلة الشباب ومقارنة أعماله فيها مع أعماله في مرحلة تصديه للحكم. إن ما يعرضه السيد علي عن السيد مبارك في شبابه يعطي عنه صورة لقاطع طريق وسفّاح لا يفكر إلا بالقتل وسفك الدماء. وقد اضطر السيد مطّلب بسبب طيش السيد مبارك وتمرده إلى أن يرسله من الدورق إلى رامهرمز تحت سلطة علي الأفشار[١٠٢]. فأقام السيد مبارك في موضع يسمى جغاشيران وهو تلّ مرتفع شمال رامهرمز ثم قام بقتل السلطان علي الأفشار ثم قتل خليفته والذي كان أخاه، وقد جاء للثأر لأخيه من قاتله[١٠٣].

دحر السيد مبارك ،في سنة ٩٩٩ هـ السيد زنبور في دزفول وقتله. وفي تلك السنة نفسها هجم العثمانيون على المشعشعين وأجبروهم على التراجع واستولوا على دزفول والقلاع المجاورة لها. وحين سيطر السيد مبارك على البصرة استرجع دزفول من براثن العثمانيين[١٠٤].

لقد استرد السيد مبارك الدورق من الأفشارية وعيّن والده حاكما عليها . وفي السنة ١٠٠٤ استولى على الجزائر وتقدم نحو البصرة وفرض عليها إتاوة كانت تدفع يوميا[١٠٥].

من أهم الحوادث التي شهدها عهد السيد مبارك ثورة الأفشارية على الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٠٣ هـ واستنجادهم بالسيد مبارك، وبعد ذلك ثورة الأفشارية الثانية سنة ١٠٠٥ هـ ولجوؤهم إلى السيد مبارك .

كانت قبيلة الأفشارية التي نزلت خوزستان في القرن السادس الهجري قد

استوطنت كهكيلويه ورامهرمز والدورق وتستر في العصر الصفوي. وفي عهد الشاه عباس تمردوا على الدولة. ولم يكن موقفهم «مرغوبا به لدى» الشاه. ومن جانب آخر كان الأفشاريون قريبين من السيد مبارك ويتخذون من عربستان ملاذا لهم. لذا أرسل الشاه عباس قائد الطلائع مراد بيك إلى تستر سنة ١٠٠٣ هـ لتأديبهم. وبعد وصوله إلى تستر قام بقتل زعيمهم شاهوردي خان رغم ترحيبه به. أدى مقتل حاكم الأفشارية إلى تصاعد غضبهم وسخطهم فطلبوا العون من السيد مبارك لمواجهة الجيش الصفوي. وحال وصول مبعوث الأفشارية إلى السيد مبارك قام بإرسال جيش من عربستان إلى خوزستان واستولى على دزفول وعين أحد أقربائه حاكما عليها ثم زحف على تستر وحاصر قلعتها (١٠٦).

أرسل الشاه عباس جيشا كبيرا بقيادة الوزير حاتم بيك اعتماد الدولة وبصحبة القائد العام فرهاد خان إلى خوزستان. فما كان من السيد مبارك إلا أن قدم اعتذارا. وهكذا خمدت ثورة الأفشارية بدون قتال.

بعد ذلك، وفي سنة ١٠٠٥هـ، تجمع الأفشاريون في رامهرمز وأعلنوا الثورة. فتصدى لهم حاكم تستر مهدي قلي خان شاملو وهزمهم. وعلى إثر تلك الهزيمة لجأ الأفشاريون إلى والي عربستان السيد مبارك. فخرج السيد مبارك بجيشه من الحويزة واشتبك مع مهدي قلي خان الذي لجأ إلى إحدى قلاع المنطقة. في تلك الأثناء جرت مباحثات السلام بين الطرفين وتقرر أن يعود كلٌ إلى منطقته في الحويزة وتستر (١٠٧).

ورغم استجابة السيد مبارك إلى طلب الأفشاريين ومشاركته الواسعة في ميدان القتال فإن الشاه عباس لم يعامل السيد مبارك كما عامل الأفشاريين والألوار من قبل. فقد أمر حاكم فارس الله وردي خان بالتوجه إلى كوهكيلويه لتأديب الأفشارية. ولم يكتف الله وردي خان بقتل الأفشارية بل أشاع القتل في اللُر كذلك(١٠٨).

لقد عجز كسروي عن تحليل الحوادث بسبب عدم فهمه الصحيح للأوضاع في تلك

الفترة وكذلك تقييمه للحوادث على أساس أوضاع مرحلة أخرى. لذا نجده مندهشا لمعاملة الشاه عباس الأول للسيد مبارك فيقول: «من العجيب أن الشاه عباس لم يعاقب السيد مبارك هذه المرة أيضا بل عفا عنه»[١٠٩]. ولو أنه كان يملك فهما صحيحا للسيد مبارك ونوع العلاقة التي كانت تربطه بالشاه عباس الأول لما أصابته الدهشة ولقدم تحليلا واقعيا للحوادث. في الحقيقة أن السيد مبارك المشعشعي حاله حال أسلافه كان يتمتع بنوع من الاستقلال. لهذا السبب أحمد كسروي لم ينتبه لهذا الأمر، على أنه أجاب عن تساؤله بنفسه بعد أن عبّر عن دهشته منتبها إلى أن وجود الدولة العثمانية واحتمال تقارب السيد مبارك منها هو الذي جعل الشاه عباس يعامله بتلك الطريقة، وكما يقول إسكندر بيك فإن: «صاحب الجلالة لم يشأ أن يقطع السيد مبارك رجاءه من دولته»[١١٠].

لابد من الأخذ بنظر الاعتبار أن الصفويين لم ينجحوا أبداً في إخضاع المشعشعين بشكل كامل وضم مناطق نفوذهم إلى سيطرتهم المباشرة بسبب نسيجهم الاجتماعي والعقائدي[١١١] لذا لا ينبغي النظر إلى السيد مبارك وحكم الحويزة بنفس النظر إلى فارس أو الأفشارية أو الألوار. وهذا هو سبب عدم معاملة الشاه عباس للسيد مبارك بنفس طريقة معاملته للأفشارية والألوار بل بالمداراة فيكتب إلى «حاكم تسترمهدي قلي خان أمرا ملزما بالإحسان إلى السيد مبارك وعدم التطاول على حدود بلاده أو المساس بالقبائل العربية التابعة له.»[١١٢].

لقد أرسل السيد مبارك ابنه الأكبر السيد ناصر منذ طفولته، وكان ذلك في السنوات الأولى من حكمه، إلى قصر الشاه عباس حتى يقول إسكندر بيك المنشي إن السيد ناصر «نشأ وترعرع في ركاب جلالة الملك» ثم تزوج من إحدى شقيقات الشاه عباس[١١٣]، ولم يقتصر الأمر على السيد ناصر بل شمل أخاه السيد بدر أيضا فكان في قصر الشاه عباس. على أن الدكتور الزبيدي يعتبر السيد بدر «سفير مبارك» لدى الشاه عباس[١١٤]، ويتحدث أيضا عن تشاور الشاه عباس مع السيد بدر حول شؤون

الحكومة. وإذا تجاوزنا هذه النقطة فإن وجود أبناء السيد مبارك في حكومة الشاه عباس وزواج السيد ناصر من أخته، مؤشر على قوة شوكة السيد مبارك واستقلالية حكمه ومنزلته الرفيعة في حلبات الصراع والتجاذبات.

يصف الدكتور محمد حسين الزبيدي نقلا عن الجزء السابع الصفحة ٣٣٥٩ من كتاب «دليل الخليج» تأليف ج. ج. لوريمر، عهد السيد مبارك بأنه كان العصر الذهبي لأهل الحويزة. ويعتبر السيّد مبارك أقوى حاكم مشعشعي. وينقل عن الرحالة البرتغالي الأب واسكويا قوله: أقام العثمانيون من خشية السيد مبارك قلاعا كثيرة على ساحل شط العرب لأنه كان يعتقد بأن مدينة البصرة تابعة له. وكان للسيد مبارك معاهدة دفاع مشترك مع البرتغاليين[١١٥]، ويتحدث مؤلف كتاب «مشعشعيان، ماهيت فكري ...» عن معاهدة بين السيد مبارك والعثمانيين نقلا عن و. كسكل واستنادا إلى وثائق العثمانية[١١٦].

وهكذا كان السيد مبارك من القوة ما شجعه على مراسلة عبد المؤمن خان الأزبك في بداية حكم الشاه عباس الصفوي وطلب التعاون معه للتخلص من الشاه عباس[١١٧].

السيد مطلب و«طريقة التشعشع»

مما لا شك فيه أن السيد مطّلب ابن السيد بدران كان من أبرز الوجوه بين المشعشعين في مجال العلم والثقافة. فقد كان له إنجازات وخدمات ثقافية كبيرة وذلك لأنه لم يكن مهتما بالزعامة والسلطة ولم يلج ميدان الصراعات الناجمة عنها. إن المولى مطّلب امتاز من بين الموالي المشعشعين بأن أباه (السيد بدران) وأخاه (السيد سجاد) وابنه (السيد مبارك) كانوا جميعا حكاماً ولكنه رغم ذلك لم يفكر في الوصول إلى الحكم. فهو لم يكن معرضا عن السلطة والمناصب فحسب بل استغل سلطة ابنه السيد مبارك في نشر العلوم الدينية وتعليمها. لقد أثبت المولى مطّلب للجميع أن كلام كسروي عن المشعشعين لا ينطبق عليهم جميعا وأنه كلام عديم الأساس إلى حد بعيد[١١٨].

بعد وصول السيد مبارك إلى السلطة سنة ٩٩٨هـ دعا السيد مطّلب، الشيخ عبداللطيف الجامعي إلى الحويزة لغرض إزالة «طريقة التشعشع» التي كانت منتشرة بين المشعشعين منذ عهد السيد محمد بن فلاح. وقام بتأسيس مدرسة دينية في المدينة مستهدفا تخريج جيل جديد من الأمراء المشعشعيين المسلحين بالعلم والراعين له[١١٩].

يظهر أن الاتجاه نحو الاعتدال في عقائد المشعشعيين والابتعاد عن الغلو قد بدأ في عهد السيد محسن بن السيد محمد. وهذا التحول يمكن ملاحظته على العبارات المنقوشة في النقود[١٢٠]؛ ولكن رغم الاعتدال فإن بعض «الأعمال الغريبة» استمرت في الفترات التالية كجزء من معتقدات المشعشعيين وطقوسهم. وهي طقوس تمد جذورها في المعتقدات المغالية. لقد وضع السيد مطلب بنسخه تلك الطقوس حداً لإقامة «طريقة التشعشع» على مدى ١٥٠ سنة.

والجدير بالذكر في هذا الصدد تزامن هذه القضية مع «أفول بعض المعتقدات الباقية لدى القزلباش وهي معتقدات تمد جذورها في الميول الصوفية التي لم تكن بعيدة عن الغلو.»[١٢١] من هنا يمكن تصور أن الاتجاه نحو الاعتدال والابتعاد عن الغلو لم يقتصر على المشعشعين بل شمل الصفوية من قبل[١٢٢].

السيد مطلب، عالم ومحب للعلم[١٢٣]

ذكرنا أن السيد مطلب ابن السيد بدران لم يكن أبدا مهتما بالزعامة والسلطة. وبالإضافة إلى إلغائه «طريقة التشعشع» فقد دعا الشيخ عبد اللطيف الجامعي للمشاركة بتأسيس مدرسة دينية في الحويزة لتخريج جيل جديد من الأمراء المشعشعين المسلحين بالعلم والراعين له. وقبل ذلك أيضا كان يكن غاية الاحترام والإكرام لوالد الشيخ عبد اللطيف وهو الشيخ نور الدين علي وقد أسكنه الدورق. وكان الشيخ نور الدين علي من تلاميذ الشهيد الثاني وقد هاجر من جبل عامل إلى العراق فذهب إلى النجف

ومن ثم إلى الدورق[١٢٤]، أما الشيخ عبد اللطيف فكان هو الآخر من علماء الدين واستحق لقب «أبي الجامع» لإحاطته بالعلوم. وكان من تلاميذ الشيخ البهائي ويصفه مؤلف أمل الآمل بأنه «فقيه صالح»[١٢٥]. ويدل اهتمام السيد مطلب بنشر العلوم وعنايته الخاصة بالشيخ نور الدين علي ثم بالشيخ عبد اللطيف على حبه للعلم ورعايته له. وهذا ما دعا مولانا كمال الدين محمد بن حسن الأسترابادي إلى وضع شرح فصول خواجه نصير باسم السيد مطلب المشعشعي[١٢٦].

لقد لعبت المدرسة الدينية التي أسسها السيد مطلب في الحويزة بإرشاد الشيخ عبد اللطيف الجامعي وإدارته دوراً هاماً في نشر العلوم الدينية في المناطق الواقعة تحت نفوذ المشعشعيين. وقد انخرط فيها عدد كبير من الطلبة وكذلك أمراء الأسرة المشعشعية وتخرج فيها علماء كبار. ومن بين خريجيها السيد خلف والسيد راشد ابنا السيد مطلب.

يعتبر السيد خلف المشعشعي امتدادا للسيد مطلب[١٢٧] فقد نهج نهج والده في حب علوم عصره ومتابعتها بل تقدم في هذا المجال حتى أصبح أحد علماء الشيعة[١٢٨] وهو ابن السيد مطلب وأمه من بني تميم أمضى شبابه مع أخيه الأكبر السيد مبارك وقاتل معه في الكثير من المعارك وأظهر شجاعة فائقة. كما يذكر أن السيد خلف كان مولعا بالبناء وإعمار القرى وإحياء الأراضي والري. وإليه ينسب بناء خلف آباد وهي من القصبات المشعشعية المهمة لذا سميت باسمه[١٢٩].

ولكن ما يعكس شأن السيد خلف المشعشعي ومنزلته العلمية هو كتبه. ويأتي بعد السيد خلف ابنه السيد علي المعروف بالسيد علي خان وهو من علماء الكبار. يقول عنه صاحب «رياض العلماء» إنه كان من «أكابر العلماء» ويميل إلى التصوف. ويقول أيضا إن أغلب ما كتبه السيد نعمة الله الجزائري التستري مأخوذ من مؤلفاته[١٣٠]. ويصفه أيضا العلاّمة محمد بن الحسن الحرّ العاملي بأنه عالم فاضل شاعر وأديب كبير له مؤلفات في الأصول والإمامة [١٣١].

لقد شجع اهتمام الأمراء المشعشعين بالعلم ،السيد نعمة الله الجزائري الجد الأكبر للسادات الجزائرية في الأهواز على أن ينتقل من الجزائر إلى الحويزة في عهد السيد علي المشعشعي لينتقل بعد فترة منها إلى تستر[١٣٢]. وفي كتابه «الأنوار النعمانية» يتحدث السيد نعمة الله عن صداقته للسيد علي واتصاله به ويقول عنه انه كان غاية في العلم والأدب والعبادة والشعر وقضاء حوائج الناس[١٣٣].

خلافا للسيد مطلب والسيد خلف فقد حكم السيد علي خان المشعشعي في الحويزة وتوابعها من سنة ١٠٦٠ حتى سنة ١٠٨٨هـ. ورغم هذا ومع وجود الاضطرابات والنزاعات في تلك الفترة فقد خلف وراءه المؤلفات التالية: «الأنوار المبينة» في الحديث في أربعة أجزاء، و«خير المقال في مدح النبي والآل» في أربعة أجزاء، و«نكت البيان» في ثلاثة فصول الأول في تفسير القرآن، و«منتخب التفاسير» في تفسير القرآن، و«خير الجليس ونعم الأنيس» وهو ديوان شعر، و«المقاصد» وهو رسالة أهداها إلى الشيخ علي ابن الشهيد الثاني، إضافة إلى قصائد كثيرة[١٣٤].

لقد أدى ما قام به السيد مطّلب من تأسيس لمدارس دينية إلى استمرار عمله مع الأجيال التالية وجعل أبناء الأمراء المشعشعيين لا يقصرون همتهم على الوصول إلى السلطة والزعامة بل يوجهون جانبا كبيرا منها إلى طلب العلم في المجالات الدينية[١٣٥].

لم يذر سروى فى كتابه إلى الشاعر المعروف في العهد المشعشعي شهاب الدين الموسوي المعروف بابن معتوق. في حين يذكره و. كسكل في أبحاثه ويستشهد بشعره في وصف أوضاع عصره[١٣٦]. كما يتجاهل كسروي العالم والشاعر في ذلك العصر عبد علي بن رحمة الحويزي المتوفى سنة ١٠٥٣هـ. واسمه الكامل عبد علي بن ناصر بن رحمة الحويزي وكان ينظم الشعر بالفارسية والتركية فضلا عن العربية وله ديوان باللغة العربية. ومن مؤلفاته «المعوّل في شرح المطوّل» و «قطر الغمام في شرح كلام الملوك ملوك الكلام» وكتاب في النحو والحكمة والعَرُوض ورسالة في الرمل وكتاب في

الموسيقى[١٣٧]. يقول عنه الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي بأنه كان مثال عصره في جميع العلوم[١٣٨].

مهما يكن فإن التوجه العلمي بين الأمراء المشعشعيين الذي بدأ مع السيد مطّلب لم يستمر سوى جيلين أو ثلاثة. فلم ينجب المشعشعيون أي عالم بعد السيد علي بن السيد عبد الله مؤلف كتاب الرحلة المكية (سنة ١١٢٨هـ) مثل السيد خلف وابنه السيد علي. ولا تتوافر معلومات عن مصير مدرسة الحويزة الدينية التي شيدها السيد مطّلب وأدارها الشيخ عبد اللطيف الجامعي وهي المدرسة التي كان من شأنها، لو كتب لها الدوام، أن تنجب أجيالا جديدة من العلماء والفضلاء وتجعل من الحويزة مركزا علميا متميزا. غير أن الصراعات داخل الأسرة المشعشعية والتنامي الجامح لحب السلطة المصحوب بالانقسامات العائلية أبدل تطور الحويزة في العلم والأدب بالتخلف. وقد بلغ تردّي الوضع حداً قام معه مطّلب آخر هو المولى مطّلب بن السيد محمد ابن السيد فرج الله بالتحالف مع باشا بغداد سنة ١١٧٥هـ على القيام بزحف عسكري واسع على شيخ بني كعب الحيم والمحنك الشيخ سلمان الكعبي.

أفول السلطة بعد السيد مبارك

فقد السيد مبارك ولديه بدر وبركة في حياته ،لذلك طلب من الشاه عباس الصفوي سنة ١٠٢٥هـ أن يعيد إليه السيد ناصر. فعاد السيد ناصر إلى الحويزة في تلك السنة ولكن السيد مبارك توفي بعد فترة فخلفه ناصر. ولم يدم حكم السيد ناصر طويلا حيث فارق الحياة بعد أيام من تسلم السلطة[١٣٩] .يقول بيترو دلاواله في كتاب رحلته: «كان العرب يريدون تحرير بلادهم فلم يستقبلوه بحفاوة بل سببوا له مشاكل كثيرة وسمعت أخيرا أنهم قتلوا السيد ناصر المسكين.»[١٤٠] ومع هذا فإن ناصر كان ضعيفا عاجزا ولو لم يمت لما كان يليق بالحكم[١٤١].

وبعد وفاة السيد ناصر خلفه ابن عمه السيد راشد بن سالم بن مطّلب. ورغم أن

السيد علي يتحدث عن عدم رغبة السيد راشد في ممارسة الحكم إلا إنه وجد نفسه في دائرة الصراع بسبب الخلافات والنزاعات بين قبائل نيس وكربلا وانحياز قبيلة نيس إليه (السيد راشد)[١٤٢] .أصبح السيد راشد حاكما للمشعشعية منذ سنة ١٠٢٥هـ. وقتل في سنة ١٠٢٩هـ في معركة مع آل الغزّي قرب البصرة. كان آل الغزّي من القبائل الخاضعة للمشعشعين ونزحت بعد وفاة السيد مبارك إلى أطراف البصرة والتجأت إلى أفراسياب باشا. وحاول السيد راشد إعادتهم إلى مناطق نفوذ المشعشعين فخاض معهم معركة انتهت بمقتله[١٤٣].

بعد وفاة السيد راشد استولى السيد سلامة المشعشعي على الدورق. فأرسل الصفويون جيشاً لمواجهته بقيادة حاكم فارس أمام قلي خان فاسترجع الدورق منه[١٤٤].

بعد السيد راشد، أصبح السيد منصور أخو السيد مبارك حاكم المشعشعين. وبعد وفاة السيد مبارك ذهب السيد منصور إلى قصر الشاه عباس طالباً منه منصب الوالي على الحويزة. ولكن الشاه عباس أرسل السيد منصور إلى أستر آباد بقصد دعم السيد راشد. وبعد وفاة السيد راشد أصبح السيد منصور والياً على الحويزة وتلقى حاكم لرستان وحاكم تستر أوامر بالتعاون مع السيد منصور[١٤٥].

في السنة ١٠٣٣هـ رفض السيد منصور طلب الشاه عباس الصفوي إليه بالانضمام مع جيشه إلى الجيش الصفوي للزحف على بغداد. فقام الشاه عباس بعزله بعد أن انتصر في الهجوم على بغداد وأحل محله السيد محمد بن السيد مبارك بعد أن منحه «لقب خان»[١٤٦]. وكان السيد محمد على علاقة صداقة قوية مع حاكم فارس إمام قلي خان وتزوج ابنته. ومن جانبه وضع إمام قلي خان الجيش الصفوي في كمال آباد قرب المحسنية دعماً للسيد محمد. وتتحدث المصادر عن مرافقة السيد محمد بجيشه لإمام قلي خان سنة ١٠٣٧هـ في الهجوم على البصرة. وفي ذلك الهجوم وصلت أنباء

وفاة الشاه عباس وجلوس الشاه صفي خلفا له فأنهى إمام قلي خان حصار البصرة وعاد أدراجه. وكان بين الشاه صفي وإمام قلي خان فتور في العلاقات فأمر الشاه صفي بقتله مع عائلته[١٤٧].

وفي السنة ١٠٤٤هـ استغل السيد منصور العداء بين الشاه صفي وإمام قلي خان أبعد الاستغلال ،فتوجه إلى قصر الشاه وطلب عزل السيد محمد صهر إمام قلي خان. وهكذا أصدر الشاه صفي أمر ولاية عربستان باسم السيد منصور. فعزل السيد محمد وسمل عينيه. ويذكر السيد علي، السيد محمد بسوء ويقول: كانت السطوة في عهده للأشرار وضاع الكثير من مناطق نفوذ المشعشعين[١٤٨].

حكم السيد منصور تسع سنوات وفي السنة ١٠٥٣هـ اشتدّ الصراع بينه وبين ابنه السيد بركة فاستدعاهما الشاه عباس الثاني إلى أصفهان فأرسل السيد منصور إلى خراسان وعيّن السيد بركة حاكما على عربستان.

وبالرغم من شجاعة السيد بركة ومهارته في الفروسية إلا أنه فشل في حلّ الخلافات والقضاء على التشتت وهكذا عانى الناس في فترة حكمه معاناة كبيرة. وفي السنة ١٠٦٠هـ تم عزله وحلّ محله السيد علي خان بن السيد خلف.

لم يستطع خلفاء السيد مبارك أن يُحيوا عصره الذهبي الذي تمثل في انبعاث قوة المشعشعين. غير أنّ موته خلّف أفولاً للقوة وتشتتا. ولا شك في أن ذلك الضعف والانحطاط يعود إلى الخلافات التي استشرت وخاصة القبلية والعشائرية منها.

السيد علي خان ابن السيد خلف، استمرار الخلافات وضعف السلطة

أصبح السيد علي خان ابن السيد خلف ابن السيد مطّلب زعيم المشعشعين سنة ١٠٦٠هـ وكان من «أكابر العلماء» في العلم والمعرفة[١٤٩]. وكان رجلاً صالحاً مسالماً نقياً من العنف الذي يرافق الحكام في العادة[١٥٠] وهذا ما طبع الأمور في عهده بالفوضى

وجعل الناس غير راضين عنه.

وبعد تولّي السيد علي خان الحكم بسنوات نهض لمقاتلته أخوه جود الله بمساعدة آل فضول. فشكا السيد علي الأمر إلى أبيه السيد خلف[١٥١] فشجع السيد خلف السيد علي على قتال أخيه. وقتل السيد جود الله في تلك المعركة فاغتمّ السيد خلف بشدّة وذهب إلى خلف آباد ولم يغادرها حتى وفاته[١٥٢].

لم تنته الخلافات في معسكر المشعشعين رغم وفاة جود الله، وقد لعبت الصراعات القبلية العربية دورا في تأجيج تلك الخلافات. فقامت بعض القبائل بتحريض السيد حسين على أبيه السيد علي خان فطردوا من الحويزة وأحلوا ابنه محله. أما الدولة الصفوية فقد أرسلت حاكم لرّستان منوجهر خان إلى هناك للتصدي للموقف فقام العرب ضده بالثورة والقتال ولكنهم لم يلبثوا أن قبلوا بحكمه. ولم يبق منوجهر خان في الحويزة أكثر من سنتين ،لأنه كان شديد الطمع بالجياد العربية فاستولى على كل ما وجده من خيول أصيلة وانتزعها من مالكيها قسرا، الأمر الذي دفع القبائل العربية المختلفة كقبيلة بني ساله وآل خميس وبني خالد وآل كثير إلى التوحد ضده فتصاعدت الأوضاع حتى اعترف منوجهر خان بأن الحويزة لا ينجح حكمها إلا على أيدي السادات المشعشعين. وهذا ما جعل المسؤولين الصفويين يعيدون السيد علي خان إلى الحويزة ليكون واليا عليها بعد إقامة أربع سنوات في أصفهان. واستمرّ واليا للحويزة حتى وفاته سنة ١٠٨٨هـ [١٥٣].

من أهم الأحداث التي شهدتها فترة حكم السيد علي خان هجوم العثمانيين على البصرة وتفرق أهل البصرة والجزائر وهجرتهم إلى الحويزة. يروي السيد علي ابن السيد عبد الله أن تلك الحادثة وقعت سنة ١٠٧٨هـ . وهي السنة التي وصل فيها السيد نعمة الله الجزائري العالم ومؤلف كتب كثيرة ومنها «زهر الربيع» وجدّ السادات الجزائريين إلى الحويزة. ورغم إلحاح السيد علي خان ابن السيد خلف عليه بالإقامة في الحويزة إلاّ أنه توجه إلى تستر ليقيم فيها. وهناك استقبله الميرزا عبد الله المرعشي

التستري بحفاوة بالغة وهيأ له حاكم شوشتر فتحعليخان بن واخشتوخان سكناً مناسباً وأجرى له معاشاً يليق بشأنه. وتولى السيد نعمة الله مهمة الإرشاد والتعليم الديني في المدينة وتوابعها(١٥٤).

في المبحث الخاص بحكم السيد علي خان بن السيد خلف يعزو أحمد كسروي عدم انقراض المشعشعيين في خوزستان إلى «التدهور» و«الانحطاط» و«التناقص المتزايد لقدرة الصفويين». يقول: «شهدت تلك الفترة كذلك تدهور الصفويين وانحطاطهم وتناقصاً متزايداً في قدرتهم بالإضافة إلى تضاؤل قوة الولاة المشعشعيين فكانت الفوضى تعم أوضاعهم أكثر فأكثر ... ورغم ذلك لم يتغلب الولاة على العرب وكانوا أعجز من أن يمنعوا ثوراتهم وتعرضاتهم. ولو كان الصفويون في قوة عصرهم الذهبي لكان من السهولة اجتثاث المشعشعيين من خوزستان.»(١٥٥) كلام كسروي هذا ينم عن تمنياته ورغائبه أكثر مما يعبر عن تحليله للحوادث. لأن الصفويين لم يستطيعوا اجتثاث المشعشعيين حتى في عصرهم الذهبي، لا في عهد الشاه إسماعيل سنة ٩١٤هـ ولا في عهد الشاه عباس الأول (٩٩٦ – ١٠٣٨هـ). أمّا الشاه إسماعيل فبالرغم من قتله للسيد علي والسيد أيوب وباقي الأمراء المشعشعيين فقد اضطر في نهاية الأمر إلى الاعتراف بحكم أخيهما السيد فلاح الذي انتزع الحويزة بقوة السيف من أمير القزلباش المعين من قبل الشاه إسماعيل نفسه.

المثال الآخر الذي يثبت خطأ رأي كسروي إجارة السيد مبارك للأفشاريين ومشاركته في حربهم على الصفويين. فقد حارب الصفويين مسانداً للأفشاريين مرتين. وقد فعل ذلك في ذروة مجد الشاه عباس ولكن الشاه عباس لم يواجه السيد مبارك أبداً. فبالرغم من المجزرة التي صنعها بالأفشارية والتأديب القاسي الذي نفذه في الألوار نراه يوصي مهدي قلي خان بـ «معاملة السيد مبارك بالحسنى وعدم التطاول على حدود مملكته وعدم التعرض للقبائل والعشائر العربية التابعين له.»(١٥٦).

المثال الآخر هو السنتان اللتان حكم فيهما والي لرستان منوجهر خان الحويزة

حيث اعترف في نهايتهما بأن «الحويزة لا يحكمها إلاّ السادة المشعشعيون». لقد عكس كسروي في كتابه «تاريخ بانصد ساله خوزستان» أكثر ما عكس عواطفه وانفعالاته وصبها في قالب من كتابة التاريخ أو تحليل الحوادث قبل أن يقدمها إلى القراء.

حتى نادرشاه الذي جعل الحويزة عاصمة لعموم عربستان وكان يعين عليها الحكام من قبله لم يقض على البنية المشعشعية. فقد أرسل حاكم الحويزة السيد فرج الله إلى الدورق ليكون حاكماً عليها. وهكذا تمكن السيد مطلب المشعشعي أن يفرض نفسه حاكماً على الحويزة بعد تغلبه على عمال نادر بسنوات[١٥٧].

المشعشعيون، صراع على السلطة

بعد وفاة السيد علي خان سنة ١٠٨٨هـ ذهب ابنه الآخر السيد حيدر إلى أصفهان وحصل على أمر حكم الحويزة من الشاه الصفوي. واستمر والياً عليها حتى وفاته سنة ١٠٩٢هـ. وخلال تلك الفترة تواصلت الخلافات بين المشعشعيين ومحاولات الإطاحة ببعضهم البعض. فمن جانب كان هناك عداء بين أبناء السيد جود الله عم السيد حيدر، ومن جانب آخر اصطف إخوة السيد حيدر وهم السيد عبد الله والسيد محمد والسيد فرج الله ضده. واستطاع السيد حيدر أن يقنع البلاط الصفوي بسجن السيد عبد الله الذي كان ذاهباً إلى أصفهان لأخذ الأمر الملكي بالولاية وإرساله فيما نفي إلى مشهد. كما حاول استمالة أبناء السيد جود الله بالملاطفة والمداراة وتكريم أكبرهم سناً وهو السيد محفوظ. أمّا إخوة السيد حيدر فقد تحالفوا مع عشائر آل كثير وآل سلطان والفضول[١٥٨] وهاجموه بجيوشهم. فكتب إلى أبناء عمومته أولاد السيد خلف يطلب منهم الدعم. فتحرك السيد محفوظ وإخوته نحو قرية موران وعبروا نهر كارون واشتبكوا معهم وانهزم جيش السيد حيدر وقتل السيد محفوظ وعمه المولى عبد الحي[١٥٩].

اشتد الصراع بين المشعشعيين على السلطة بعد وفاة السيد حيدر سنة ١٠٩٢هـ.

وكان كل واحد من الموالي يسعى لكسب السلطة. ولم يكن أحد منهم يفكر في الناس الذين تحت حكمهم. حتى لم يهتموا بأسرتهم . لم يشغلهم إلاَّ التفكير بالحكم وان كان على أرض صغيرة. لذا «توجه وفد كبير من أبناء القادة المشعشعين في الحويزة وأحفادهم بعد وفاة السيد حيدر إلى أصفهان للحصول على الأمر الملكي بالحكم.»(١٦٠)

ولكن ضعف البلاط الصفوي وتدفق المشعشعين على أصفهان وعدم اتفاقهم ترك الحويزة بلا وال خمس سنوات. بعدها اتفق المشعشعون على اختيار السيد عبد الله حاكماً عليهم فعادوا إلى الحويزة حاملين أمراً ملكياً صفوياً بذلك. غير أن حكم السيد عبد الله لم يدم، بعد هذه النزاعات، إلاَّ سبعة أشهر وعشرين يوماً إذ توفي سنة ١٠٩٧هـ(١٦١) بعد وفاة السيد عبد الله ذهب أخوه الآخر فرج الله إلى أصفهان وعاد حاملاً أمراً ملكياً بولاية الحويزة. ثم تواصل الصراع الداخلي بين المشعشعين على السلطة. كما شهدت فترة حكم السيد فرج الله نزاعات بين القبائل. وفيها أيضاً وقعت معركة بين الفضول حلفاء السيد فرج الله وآل كثير، وانهزم آل كثير هزيمة نكراء(١٦٢).

كان مؤلف «الرحلة المكية» السيد علي ابن السيد عبد الله ممثل عمه السيد فرج لدى البلاط الصفوي وضابط ارتباطه معه وهذا ما دعاه إلى زيارة أصفهان أكثر من مرة. غير أنه لم يلبث أن دبت الخلافات بينهم(١٦٣).

إن أهم حوادث فترة حكم السيد فرج الله هجومه على البصرة واستيلاؤه عليها سنة ١١٠٩هـ. فقد استغل شيخ قبيلة المنتفق الشيخ مانع بن مغامس ضعف الدولة العثمانية فهجم على البصرة واستولى عليها. وكانت علاقة السيد فرج الله بالشيخ مانع علاقة عداء بسبب مناصرة الشيخ مانع لابن أخيه السيد علي. إضافة إلى ذلك كان يخشى أن تتحول البصرة إلى ملجأ وملاذ للأمراء المشعشعين المعارضين. لذا طلب دعم الجيش الصفوي في هجومه على البصرة. ووافق الشاه سلطان حسين على هجوم السيد فرج الله على البصرة وأمر حاكم تستر وآخرين بالتعاون معه ومرافقته.

وقبل هجوم السيد فرج الله على البصرة وقعت اشتباكات عدّة بين جيش الشيخ مانع

وجيش السيد فرج الله قتل في إحداها صقر، شقيق الشيخ مانع وألقي القبض على السيد محمود المشعشعي ابن أخ السيد فرج الله وكان قد التحق بمعسكر الشيخ مانع فألقى القبض عليه قائد الجيش المشعشعي السيد عبد الله ابن السيد فرج الله. وخلال هجوم السيد فرج على البصرة وسيطرته عليها نجح الشيخ مانع بالفرار وبعد ذلك استطاع أن يستعيد البصرة ويسيطر عليها ويتطاول على الحويزة بمساعدة بعض القبائل العربية. وبعد فترة أصدر البلاط الصفوي أوامره لجيش لرّستان بالتحرك نحو البصرة ثم تم تعيين حاكم الدورق إبراهيم خان حاكما على البصرة وعاد السيد فرج الله إلى الحويزة[١٦٤].

انزعج السيد فرج الله من موقف البلاط الصفوي فساءت علاقته بإبراهيم خان وتحالف مع الشيخ مانع. فرفع إبراهيم خان تقريرا إلى البلاط الصفوي عن السيد فرج الله يصفه فيه بأنه « أكبر مثير للفتن» وهو يسعى إلى «الاستقلال». وهكذا قام البلاط الصفوي بعزل السيد فرج الله وتعيين عمه السيد هيبة الله ابن السيد خلف واليا على الحويزة سنة ١١١١هـ وكان شيخا ضعيفا. ولاذ السيد فرج الله بالفرار ولكنه قام بعد فترة بمساعدة الشيخ مانع بتشكيل جيش مستغلا سخط وعدم رضا الناس من السيد هيبة الله واستطاع أن يستولي على الحويزة.

كان السيد فرج الله المشعشعي أحد الحكام المشعشعيين المغامرين وكان دائم التفكير في السلطة. وسنرى أنه سيصطدم بابنه من أجل أن لا يفقد السلطة حتى وصلت القضية بينهما إلى القتال. إن عوامل ضعف المشعشعيين وتدهور قوتهم، كما في أغلب الأسر الحاكمة، تتمثل في الخلافات والمنازعات الداخلية التي تعود إلى الطمع في السلطة وحب القدرة والنفوذ.

بعد انهزام السيد هيبة الله على يد السيد فرج الله وفراره ، تم تعيين السيد علي ابن السيد عبد الله واليا على الحويزة سنة ١١١٢هـ، وقبل ذلك كان السيد علي عند إبراهيم خان في البصرة. ولما كان السيد فرج الله يعتبر الولاية له فقد تصدّى له

بمساعدة قبيلة بني لام وقبيلة المنتفق بزعامة الشيخ مانع. ولم يدم حكم السيد علي أكثر من ثمانية أشهر حيث خلفه والي تستر عبد الله خان بشكل مؤقت في أواخر سنة ١١١٢هـ نفسها. حيث قام عبد الله خان بعزل السيد علي وحبسه في قلعة الحويزة[١٦٥] ثم عُفي عن السيد فرج الله[١٦٦] بشفاعة عبد الله خان ومحمود بيك جبه دارباشي ثم عاد واليا على الحويزة.

بعد عزل السيد علي سنة ١١١٢هـ عاد السيد فرج الله واليا على الحويزة مرة أخرى. وبعد فترة أرسل ابنه عبد الله إلى أصفهان للحصول على أمر بالولاية فوافق البلاط الصفوي على طلبه، وفي سنة ١١١٤هـ انعقدت الولاية للسيد عبد الله. غير أن السيد فرج الله لم يلبث أن ندم على ما فعل وامتنع عن تسليم الحكم للسيد عبد الله فدبّ بينهما الخلاف ثم تصاعد حتى انتهى إلى قتال وسفك دماء. وتفرق جيش فرج الله وأصيب هو في القتال ولكنه عاد ونظم جيشه مرة ثانية واستعد لمواجهة جيش ابنه فأصيب في المعركة الثانية أيضا وألقي القبض عليه.

أدى الصراع بين الوالد والولد وكذلك الأوضاع المضطربة في المنطقة إلى أن يطلق سراح السيد علي سنة ١١٢٠هـ بعد أن كان محبوسا في الحويزة منذ سنة ١١١٢هـ. وفي السنة ١١٢٢هـ ذهب السيد علي إلى الحج وعند عودته أقام في البصرة. في تلك الأثناء تصاعدت النزاعات والاضطرابات وقام أكثر من ثورة على السيد عبد الله حتى ألقي القبض عليه وعاد السيد علي واليا للحويزة (سنة ١١٢٥هـ). ولم تتوقف الخلافات والصراعات والحروب. لذا أرسل عوض خان من البلاط إلى الحويزة فقام بإعادة السيد عبد الله واليا عليها.

ولكن نظرا إلى أن السيد عبد الله لم يكن ناجحا في إنجاز مهامه وكانت الأوضاع تزداد سوءًا، فقد عاد السيد علي ليكون واليا على الحويزة سنة ١١٢٧هـ. وبهذا وصل الدور إلى السيد عبد الله في رفع راية المعارضة والشغب فقام بتأليب القبائل والسادات المشعشعية على السيد علي مضيقا عليه الخناق. فأصبحت الحويزة وأطرافها ميادين

لصولات قبائل المنتفق وآل باوي والفضول. وهكذا كان دأب المشعشعين إذا لم يعجبهم حاكم الحويزة فيلجئون إلى القبائل والعشائر ويؤلبونها عليه. وبلغ الأمر حدا اضطر السيد علي إلى مطالبة البلاط الصفوي بإرسال جيش أصفهان ولرّستان لمساعدته في إخماد الثورة والاضطرابات. غير أن دولة الشاه سلطان حسين كانت من الضعف على درجة أعجزتها عن نجدته. وتصاعدت أعمال شغب السيد عبد الله إلى حد جعل السيد علي يلجأ إلى الدولة العثمانية بعد أن يئس من دعم الصفويين.

إن كتاب السيد علي «الرحلة المكية» زاخر بقصص المعارك والخلافات والصراعات التي تعود جميعها إلى الطمع الشديد لدى السادات المشعشعين في السلطة. ولهذا السبب أيضا يقول أحد الباحثين: «يتبين أن الخلافات والنزاعات على السلطة بين أمراء المشعشعين فضلا عن الصراعات القبلية ليس لها نهاية»[١٦٧].

حكام الحويزة بعد السيد علي

ذكرنا أن المصدر الوحيد عن تاريخ المشعشعين هو كتاب «الرحلة المكية» للسيد علي ابن السيد عبد الله. وبما أن هذا الكتاب يغطي الحوادث حتى سنة ١١٢٨هـ، فإن المعلومات التاريخية المتعلقة بموالي الحويزة بعد هذا التاريخ غير منسجمة ولا منتظمة بل مبعثرة وناقصة للغاية.

لا توجد معلومات دقيقة عن مصير السيد علي ابن السيد عبد الله ولا ندري كيف تعامل مع تلك الفتن والاضطربات. المعلومة الوحيدة المتوافرة ومصدرها «تذكرة شوشتر» هي أن حاكم الحويزة في السنة ١١٣٢هـ كان السيد محمد ابن السيد عبدالله. ويقول السيد عبد الله الجزائري إن أحد أحفاد واخشتوخان، واسمه عبد الله خان، كلف من قبل البلاط الصفوي في تلك السنة بالسكن في الحويزة. ولكنه «استأذن من والي الحويزة السيد محمد خان، لإخماد الفتنة، وذهب إلى تستر في شهر رمضان»[١٦٨].

وهكذا فإن حاكم الحويزة في سنة ١١٣٥هـ كان السيد عبد الله المشعشعي ولا ندري

حتى متى بقي السيد محمد ابن السيد عبد الله حاكماً ومتى خلفه السيد عبد الله. وهنا لابد من الإشارة إلى أن كسروي حين اعتبر أن السيد محمد كان حاكم الحويزة سنة ١١٣٥هـ أثناء الهجوم الأفغاني على أصفهان كان مخطئاً لأن جميع المصادر تفيد بأن الحاكم حينئذ كان السيد عبد الله(١٦٩) فقد أودع الأفغان السيد عبد الله السجن بعد سقوط أصفهان. وعين محمود أفغان ابن عمه، ربما كان السيد محمد، والياً على عربستان(١٧٠).

بعد ذلك كان السيد محمد حاكم الحويزة في سنة ١١٤١هـ . يقول عباس العزاوي في «تاريخ العراق بين احتلالين»: «توجه الوزير عبد الرحمن باشا إلى الحويزة وقام بتنصيب الأمير السابق المولى محمد حاكماً عليها»، ثم يضيف: «كان الإيرانيون قد عزلوا المولى محمد المنصّب من قبل العثمانيين وهكذا أعادت الدولة العثمانية السيد محمد حاكماً مرة أخرى.»(١٧١). ويذكر الدكتور محمد حسين الزبيدي أيضاً أن حاكم الحويزة سنة ١١٤١هـ كان السيد محمد بن فرج الله(١٧٢)، وهنا لابد من الإشارة إلى أنه كان هناك معاهدة صلح بين أشرف أفغان والدولة العثمانية سنة ١١٣٩هـ بعد استيلاء الأفغان على أصفهان سنة ١١٣٥هـ. وقد نصّت المعاهدة على أن تكون الحويزة وعدد من المدن الغربية تابعة إلى الدولة العثمانية(١٧٣) .

وفي ربيع ١١٤٢هـ، توجه نادر شاه إلى عربستان عن طريق فارس وكوهكيلويه فخرج والي الحويزة لاستقباله في رامهرمز(١٧٤). فإن حاكم الحويزة خلال سفر نادر الأول إلى عربستان يكون على الأرجح محمد بن فرج الله(١٧٥) كما يذكر محمد علي حزين الذي زار الحويزة بعد سقوط أصفهان أن واليها كان السيد محمد بن فرج الله خان(١٧٦).

هنا لابد من الإشارة إلى أنه قبل دخول نادر إلى عربستان، أي في السنوات السابقة لسنة ١١٤٢هـ كانت تستر تحت حكم الشيخ فارس بن مساعد بن ناصر بن خنيفر شيخ آل كثير أما تمشية الأمور فكانت موكولة لإسفنديار بيك(١٧٧) .

في السنة ١١٤٤هـ، ثار محمد خان البلوشي وسيطر على عربستان وكوهكيلويه وفارس وعيّن الشيخ فارس آل كثير حاكما على كوه كيلويه والسيد رضا أخا السيد علي حاكما على الحويزة(١٧٨). وبعد ذلك بأربعة أشهر وفي أعقاب انتصار نادر على الجيش العثماني كلف محمد حسين قاجار بإعادة السيد علي واليا على الحويزة.

من المفيد هنا التطرق إلى أسلوب كسروي في التأليف واستعمال عبارات التوهين والتحقير، التي تفوح شوفينية وعنصرية. عبارات مثل «العرب المتمردون» و«العرب المشاكسون أصحاب الفتن»(١٧٩) وهي عبارات عنصرية مُهينة تعكس شعوره بالتفوق العرقي. وكان بمقدوره بدل استعماله هذه التعابير أن يستعمل عبارات وكلمات أكثر تحديدا وأن يتجنب المصطلحات الدالة على العمومية الشاملة لكل العرب. ولكن الشوفينية والعنصرية تسعى دائما إلى الانتقاص من الآخرين.

ولو أن كاتبا استعمل عبارة «الإيرانيون المتمردون» أو «الإيرانيون المشاكسون أصحاب الفتن» أو «الفرس المتمردون» أو «الفرس المشاكسون أصحاب الفتن» ، ألم يكن أحمد كسروي ليتألم ويذمه ويشتمه؟

هجوم الأفغان ودور والي الحويزة

من المباحث التي تكشف بالكامل نوايا كسروي وتحيزه وأهدافه المغرضة مبحث «حكاية الأفغان وخيانة والي الحويزة». في هذا الموضع من الكتاب يركز كسروي همته، كما يفعل في بدايات الكتاب، على تسويد صورة والي الحويزة. فهو يختار مصدرين أجنبيين من بين الكثير من المصادر والمراجع الإيرانية والأجنبية. الأول هو كتاب السير جان مالكوم الذي كتبه بعد قرون عدة ولم يكن مؤلفه شاهدا للأحداث. وكسروي، فوق ذلك، لم يكن أمينا في النقل عنه ،بل حرَّف أقواله. والثاني كتاب أحد المبشرين المسيحيين يصفه كسروي بأنه «سائح أوروبي». ولأنه يتحدث ضد والي الحويزة بشكل كامل ،فإن كسروي يكتفي بنقل القصة كاملة عنه معرضا عن جميع المصادر الإيرانية وما يقوله الإيرانيون.

من المهم جدا، قبل التطرق إلى مؤلفات كسروي، الحديث عن هذه الحادثة عن طريق المصادر والمراجع المحايدة وهو أوثق الطرق المؤدية إلى الحقيقة. تنقسم المصادر والمراجع التي تحدثت عن تلك الواقعة إلى قسمين إيرانية وأجنبية. ومن بينها جميعا لم يذكر خيانة والي الحويزة ويصر عليها إلا مصدر واحد. وهو مصدر أجنبي لايعرف مؤلفه حتى مذهب والي الحويزة ويقول عنه، خطأ، إنه سُنّي[١٨٠]. مؤلف الكتاب هو المبشر المسيحي الذي بنى فرضيته على عدم معرفته بمذهب والي الحويزة فافترض أن كونه سُنيًا، وهذا خطأ، جعله يتعاون مع الأفغان وهم سنّة ضد الشاه سلطان حسين وهو شيعي.

غير أن أيًا من المصادر والمراجع الإيرانية لم يصف موقف والي الحويزة بالخيانة. وهي كتب ألفها أشخاص كانوا في أصفهان عند سقوطها وكان بعضهم من المقربين من البلاط ويتوفر على معلومات قيمة عن الدفاع عن أصفهان وكيفية سقوطها. بل حتى المصادر الأجنبية التي استند إليها كسروي وادعى أنها تحدثت عن خيانة والي الحويزة، لم تقل شيئا من هذا القبيل بل إن كسروي حرف كلامهم وزوره.

فيما يلي الآراء الصادرة من المصادر:

١. سفر نامه ي حزين	عدم ذكر خيانة والي الحويزة
٢. زبدة التواريخ	= = = = =
٣. مكافات نامه	= = = = =
٤. تاريخ إيران	= = = = =
٥. الممثل السياسي للويس الرابع عشر	= = = = =
٦. كتاب رحلة كروسينسكي	ذكر خيانة والي الحويزة

إذًا من بين المصادر الستة المذكورة، كروسينسكي وحده الذي يعتبر موقف والي

الحويزة خيانياً. أما كسروي فيغفل المصادر الخمسة الأخرى ويتشبث بكتاب رحلة كروسينسكي ويعتبره المصدر الوحيد ليثبت خيانة والي الحويزة من خلاله.

إن «كتاب رحلة حزين» هو في الحقيقة تاريخ محمد علي حزين اللاهيجي وكتاب رحلته في الوقت نفسه[١٨١] . وقد كان حزين بنفسه موجوداً في أصفهان إلى ما قبل سقوطها بأيام قليلة وشاهد حوادثها عن كثب، ولم يذكر شيئاً عن والي الحويزة.

وكذلك محمد حسن مستوفي فقد كان هو الآخر في أصفهان خلال محاصرة الأفغان لها بل كان مسؤولاً عن التفتيش عن المؤن المدَّخرة في المدينة. ولم يعتبر موقف «والي عربستان» السيد عبد الله بالخيانة[١٨٢].

وكذلك ناظم «مكافات نامه» وكان من أصحاب المناصب العليا في بلاط الشاه سلطان حسين الصفوي وقد وضع منظومته بأسلوب انتقادي في أسباب سقوط الصفويين، هو أيضاً لم يذكر خيانة والي الحويزة من قريب ولا بعيد[١٨٣].

وهنا تنكشف نوايا أحمد كسروي المغرضة أكثر من ذي قبل. فهو يتغاضى تماما عن المصادر الإيرانية ولا يستند إليها. فهل يمكن افتراض أنه لم يطلع عليها؟ إن هذا مستبعد تماما لأنها أشهر من أن يجهلها مؤرخ أو باحث؛ خاصة مثل كسروي الذي كان يتمتع بروح متقصية فهو بالذات قدم الكثير من الكتب إلى القراء لأول مرة بعد أن تقصى عنها وعثر عليها.

لقد تحدث محمد حسن مستوفي في «زبدة التواريخ» ومحمد علي حزين في «كتاب رحلة حزين» وناظم «مكافات نامه» جميعهم عن الخلافات بين قادة الجيش الصفوي وانتقدوا الأسلوب الذي واجهوا به الأفغان؛ ولكنهم لم يحمّلوا رجلا واحدا، مسؤولية الهزيمة[١٨٤].

علاوة على ذلك، فإن لورنس لكهارت يطرح موضوعاً تفصيلياً غاية في الأهمية فيما يتعلق بأسباب سقوط أصفهان ولكن كسروي يعرض عن ذكره، بل يخالفه أحياناً،

بسبب توجهاته الشوفينية وتطرفه العنصري. فقد كرر لكهارت في كتابه أكثر من مرة الإشارة إلى جبن وزير الشاه سلطان حسين، محمد قلي خان اعتماد الدولة وذكر، بالمقابل، شجاعة والي الحويزة وبسالته. لقد كان جبناً ذا تأثير حاسم في المعركة ضد الأفغان.

«كان السيد عبد الله في شجاعته يقف على الطرف المقابل من محمد قلي خان في جبنه وهذا ما خلق توتراً في العلاقة بين الاثنين[١٨٥]»،ويقول أيضا في موضع آخر عند حديثه عن معركة «كلون آباد»[١٨٦] : «امتنع [محمد قلي خان] اعتماد الدولة عن القيام بالخطوة الأولى بسبب جبنه المعهود وحذره المعروف ... في الوقت نفسه تقريبا تقدم والي عربستان وفرسانه بحركة دورانية واسعة في الصحراء حتى وصلوا إلى جنوب خطوط الأفغان»[١٨٧] . لقد كان محمد قلي خان اعتماد الدولة من الجبن المفضوح بحيث أن لكهارت حين يذكره يذكر معه تلك الصفة فيقول: «محمد قلي خان الجبان المعروف»[١٨٨] .

الوثيقة الأخرى تتمثل في معاملة محمود أفغان لوالي الحويزة. فالمعروف أن الخائن يحصل على مكافأة العدو بعد انتصاره إما على شكل غنائم أو منصب. ولكن محمود أفغان لم يكن يثق بالخونة. لذا قتلهم جميعا وكان من أولوياته إعدام الذين خانوا الشاه سلطان حسين[١٨٩] .فبعد أن فتح أصفهان لم يعدم والي الحويزة بل عامله مثل ما عامل الأمراء الصفويين حيث أودعه السجن[١٩٠] . وهذا هو أفضل دليل على عدم خيانة والي الحويزة.

إن ما أورده كسروي في «تاريخ بانصد ساله خوزستان» تحت عنوان «حكاية الأفغان وخيانات والي الحويزة» يفيض بالتحيز والإغراض. ولم تؤيد المصادر الإيرانية وشهود سقوط أصفهان رواية كسروي ورأيه. حتى السير جان مالكوم، الذي استند إليه كسروي في هذا المبحث، لم يقل شيئا من هذا، بل قام كسروي بتحريف أقواله ونسبة ما لم يقل إليه.

جرائم نادر في الحويزة وتستر

ذكر أن نادرشاه ذهب إلى عربستان مرتين الأولى في السنة ١١٤٢هـ، والثانية من أجل قمع ثورة محمد خان البلوشي سنة ١١٤٥هـ . فبعد إرساله محمد حسين خان قاجار بصفته «القائد العسكري للحويزة» توجه بنفسه في ١٥ رجب ١١٤٥هـ على رأس جيش جرار من بغداد إلى عربستان للتصدي لمحمد خان البلوشي. وقبل وصوله إلى الحويزة، وفي منطقة الفيلي، أرسل قوة بإمرة نجف سلطان إلى تستر لقمع الثورة فيها. أقام نادر في الحويزة تسعة أيام ثم غادرها إلى تستر. في تلك الأيام التسعة التي أمضاها في الحويزة قام بمجزرة كبيرة في الناس الأبرياء. ثم أباح المدينة لجنوده ثلاثة أيام[١٩١]. لقد كانت جريمة شنيعة تلك التي أشاع فيها القتل بالأبرياء من الناس وسلط جنده على الحرائر من نساء الحويزة وفتياتها. كانت جريمة بيَّضت وجه جنكيزخان المغولي.

يصف مؤلف «عالم آراي نادري»، ويبدو أنه كان يرافق نادراً إلى الحويزة، جرائم نادر بحق سكانها بقوله: «قام أولاً بقتل الرؤساء الذين تحصنوا في المباني والعمارات ثم أباح المدينة بنسائها وأطفالها للجند ثلاثة أيام بلياليها فلم يبق عرض إلاّ هتك وكانت جريمة لا يدركها خيال واصف وقد حلت بالمسلمين.»[١٩٢]

بعد تلك الجريمة المروعة توجه نادر إلى تستر واستولى عليها وأعاد فيها ما فعله بالحويزة. ففي يوم الأربعاء ٦ شعبان ١١٤٦هـ أمر جنده بمداهمة البيوت ونهبها وأن يفعلوا بأهلها الأبرياء العزل ما شاؤوا[١٩٣]، ويرسم السيد عبد الله الجزائري صورة مفجعة لتلك الجريمة: «في ساعات الجريمة لقي الناس ما لم يلقه قوم نوح من الطوفان. فلم يبق عرض إلاّ وانتهك وصارت الحرائر الأبكار تباع في الطرقات كالأسرى اليهود والنصارى. لقد كانت كارثة أنست كارثة جنكيزخان»[١٩٤].

أمّا محمد كاظم مروي فيقول عن جريمة تستر: «... قتل عدداً من أكابر المدينة الذين

اشتبه في ضلوعهم بمعارضته ،ثم أمر بالنهب والسبي حتى ارتكب بحق أهل تستر أضعاف ما ارتكبه بحق أهل الحويزة من هتك أعراض ودناءات ولم يتورع جنوده عن القيام بأ ي فعل شنيع»[١٩٥].

ولكن الأعجب هو ما فعله كسروي إذ ذكر جريمة نادر في تستر ولم يذكر جريمته في الجويزة. علماً أن نادراً لم يمكث في تستر سوى يومين، أما الحويزة فأقام فيها تسعة أيام ولا شك أن جريمته فيها أوضح.

آخر من حكم الحويزة

عيّن نادر شاه في سنة ١١٥٠هـ خواجه خان الملقب بسيف الدولة حاكماً على عربستان وجعل مقره مدينة الحويزة، وذلك من أجل فرض سيطرته عليها والحد من سلطة المشعشعين[١٩٦] وكان يرمي بذلك إلى إخراج الحويزة، بل عربستان ، من أيدي المشعشعين ،لذا جعل السيد فرج المشعشعي حاكماً على الدورق وأعاد إلى الحويزة، تستر ودزفول ورامهرمز بعنوان،نواحي تابعة له بعد أن كانت ملحقة بكوه كيلويه منذ عهد الشاه إسماعيل الصفوي[١٩٧].

في تلك الأثناء كانت قبيلة بني كعب المنتشرة في القبان تتنامى قوتها بشكل مُطرد وتفرض نفسها كقوة منافسة في خوزستان. وكذلك قبيلة آل كثير التي كانت تحكم تستر ودزفول في عهد الشيخ فارس (١١٣٨هـ) أخذت قوتها تتصاعد حتى بدأت تطمح بالسلطة.

في ربيع الأول ١١٦٠ هاجم حاكم الدورق المولى مطلب ابن السيد محمد خان ابن السيد فرج الله الحويزة بمساعدة وكيل ضريبة عربستان عباس قلي خان وبدعم من القبائل العربية وقبض على حاكمها. فأعد إبراهيم خان بن بابا خان الفيلي جيشاً للتصدي للمولى مطلب وتوجه به نحو الحويزة وفي طريقة انضم إليه حاكم تستر محمد رضا خان. فانطلق المولى مطلب لمواجهتهم فالتقى الجمعان في ٨ جمادى الأولى

قرب دزفول فانتصر المولى مطلب وهرب إبراهيم خان ومحمد رضا خان بعد الهزيمة متوجهين إلى ولايتيهما. وبعد ثلاثة أيام قام عباس قلي خان بمحاصرة تستر وفي يوم ١٧ أقام المولى مطلب معسكره على أطرافها مضيقاً الحصار عليها. وفي يوم ٢٣ من شهر رجب يئس أهالي تستر من المقاومة أمام المولى مطلب وجنحوا إلى المصالحة. فذهب محمد رضا خان إلى معسكر المولى مطلب وسلم نفسه إليه فأودعه السجن(١٩٨). ضاعفت تلك الانتصارات قوة المولى مطلب ووصل الأمر إلى درجة بحيث اعترف علي قلي خان بن إبراهيم خان ابن أخ نادر بولايته على الحويزة، بل أصدر باسمه مرسوماً بولاية عربستان.

نكرنا أن قبيلة آل كثير التي كانت تنتشر على أطراف تستر كانت تفرض سيطرتها على تلك المدينة ودزفول بين فترة وأخرى وتطالب بالحكم وتسعى إلى التفوق على المشعشعين. لذا توجه المولى مطلب في جمادى الآخرة ١١٦١ نحو تستر لتأديبهم فاشتبك الجانبان في منطقة يقال لها سرخكان قرب تستر. ولكن المولى مطلب انهزم أمام آل كثير هذه المرة ،فبسطوا سيطرتهم على تستر ودزفول. بعد ذلك وفي سنة ١١٦٥هـ وقعت معركة أخرى بين الجانبين على نهر الكرخة استمرت أربعة أشهر وانتهت بدون حسم. من جانب آخر كان الكعبيون يزدادون قوة بفضل حنكة الشيخ سلمان بني كعب فتحالف المولى مطلب مع والي بغداد علي باشا فأعد جيشاً ضخماً سنة ١١٧٥هـ وهجم على الفلاحية. ولكن النصر كان حليف الشيخ سلمان والكعبيين،والهزيمة من نصيب المولى مطلب ووالي بغداد.

بعد ذلك بسنة، أي في سنة ١١٧٦هـ، قُتل المولى مطلب بخيانة من زكي خان ابن عم كريم خان زند(١٩٩) ولكن أحمد كسروي ينسب قتله إلى علي محمد خان الزند ويقول إنه حدث في سنة ١١٧٦هـ(٢٠٠).غير أن مؤلف «مشعشعيان، ماهيت فكري ...» يؤكد قتله على يد زكي خان ابن عم كريم خان الزند، حيث كان قد لجأ إليه بعد معركته

مع آل كثير ولكنه غدر به بترغيب من آل كثير فقتله[٢٠١]، وكذلك ميرزا محمد صادق نامي الذي عاش في تلك الفترة ودوّن حوادث العصر الزندي يؤكد مقتله على يد زكي خان[٢٠٢] وهكذا يتبين خطأ كسروي.

عموماً، يمكن اعتبار المولى مطلب المشعشعي آخر حاكم مشعشعي مقتدر. فبعده لم يتمكن أي حاكم مشعشعي آخر أن يبلغ بالحكم تلك الدرجة من القوة. فقد قبض على حاكم عربستان محمد خان وانتزع منه حكم الحويزة. ثم هزم جيش لرستان وجيش تستر واستولى على تستر. وكبّد آل كثير هزيمة قاسية وضم تستر ودزفول وتوابعها إلى حكمه. وفي السنة ١١٧٥هـ، تحالف مع والي بغداد علي باشا وذهب إلى حرب بني كعب بجيش جرار ولكنه هزم ومعه والي بغداد أمام جيش الشيخ سلمان بني كعب. وكانت تلك الهزيمة بداية النهاية للمولى مطلب. كما أدى تنامي قوة بني كعب في الفلاحية وتوابعها ،ووجود آل كثير القوي والمقتدر في الشمال إلى تقلص منطقة نفوذ المشعشعين وقوتهم حتى انحصر نفوذهم في الحويزة وحدها. ومما زاد في ذلك الضعف والتراجع ،الموقف المعارض لموالي الحويزة من قبل زعماء قبيلة بني طرف سعياً وراء السلطة فكانوا في صراع مستمر. ولكن الذي منع السقوط الكامل عن المشعشعين الاحترام الذي كان يكنُّه بنو كعب لهم والمداراة التي كانوا يعاملونهم بها والحصانة التي كان يمدهم بها انتسابهم إلى أهل البيت.

المشعشعيون وبنو طرف

قبيلة بني طرف من القبائل العربية الكبيرة في الأهواز. موطنها الأصلي دست ميسان بمركزية مدينة الخفاجية . تعود جذور هذه القبيلة إلى قبيلة طيء العربية المعروفة. لذا ينسب بنو طرف أنفسهم إلى حاتم الطائي. وفي قصة ظهور السيد محمد بن فلاح ورد ذكر قبيلة نيس وكربلا ومعاوية وبني خفاجة ولم يرد ذكر بني طرف. يتميز بنو طرف بالجد والمثابرة وصعوبة المراس وعدم الخضوع للحكام بسهولة. وهذا ما جعلهم في صراع دائم مع السلطات المحلية لأنهم يرون أنفسهم جديرين بالزعامة لا بالتبعية.

ومن بوادر ذلك صراعهم مع المشعشيين؛ وكذلك مع الشيخ خزعل على مدى الـ ١٥٠ سنة الأخيرة[٢٠٣].

ورد اسم بني طرف في تاريخ الأهواز لأول مرة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، في تلك الفترة حلّ المولى عبد العلي ابن المولى إسماعيل محل المولى مطلب ابن المولى محمد المشعشعي بعد وفاته. ويبدو أن ماء الكرخة فاض في زمن المولى عبد العلي وحطم سد نهر هاشم ومنع الحويزة وأطرافها من الماء. بعد المولى عبد العلي أصبح المولى فرج الله زعيم المشعشعيين وحاكم الحويزة. ومع تسلمه السلطة أعلن بنو طرف التمرد عليه فذهب إلى وزير محمد شاه قاجار حاجي ميرزا آقاسي سنة ١٢٦٣هـ للحصول على دعم الدولة القاجارية في مواجهة بني طرف. ولم ينفع استقبال حاجي ميرزا آقاسي له «بحفاوة بالغة» ومنحه أمر حكم عربستان بأسرها في ردع بني طرف،الذين ثاروا عليه حتى قتلوه في معركة وقعت بينهم سنة ١٢٦٤هـ[٢٠٤].

بعد مقتل المولى فرج الله خلفه ابنه المولى عبد الله، أو كما يقال المولى عبد الله الثالث، الذي حكم عربستان بأسرها. فاحتال على بني طرف ليثأر لأبيه بمساعدة عرب بني سالة فدعا جماعة من شيوخهم إلى مأدبة ثم فتك بهم جميعاً[٢٠٥]. بعد ذلك وقعت معركة بين جيشه وبينهم سنة ١٢٨٤هـ انتهت بهزيمة المشعشعيين ومقتله.

بعد مقتل المولى عبد الله خَلَفه ابنه المولى نصر الله. وكان بينه وبين أخيه المولى مطلب خلاف ولكن صدر الحكم باسمه بعد حين. كان المولى نصر الله عازماً على التصالح مع بني طرف وبذل جهداً كبيراً في هذا السبيل ولكن بني طرف كانوا مصرين على مواصلة التمرد على المشعشعيين. واستمر الصراع بين الطرفين سبع سنوات امتنع بنو طرف خلالها من دفع الضريبة إلى المولى نصر الله الذي رفع أمرهم إلى حاكم القاجاري حشمة الدولة، وتفادياً للقتال قام حشمة الدولة بالهجوم عليهم بجيش كبير سنة ١٣٠٩هـ والقبض على شيخهم الشيخ مهاوي بن سندال ونفاه إلى طهران.

وبعد سنوات من الإقامة الجبرية في طهران عُفي عن الشيخ مهاوي وعاد إلى وطنه. ولكن المولى نصر الله لم يلبث أن قتله بالسم. وهكذا بدأت صفحة جديدة من صفحات الصراع بين بني طرف والمشعشعين وكانت أشد مما سبقها. وبعد مقتل الشيخ مهاوي أصبح الحاج منيشد بن عبد السيد بن سعد شيخَ بني طرف. وفي تلك الفترة توفي المولى نصر الله وحل محله ابنه المولى مطلب[٢٠٦] وكانت علاقة المولى مطلب مع بني طرف جيدة في بداية الأمر فتزوج من ابنة الحاج منيشد الطرفي. ولكنه لم يلبث أن عاملهم بالظلم والتعدي، فأخذ يطالبهم بما لا يطيقون من ضرائب. فما كان منهم إلاَّ أن ثاروا عليه وهزموه في معركة دارت بينهم وقتلوا عدداً من حلفائه من عشائر السواري والمزرعة. ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا يلاحقون المولى مطلب نفسه. فاتصل الحاج منيشد بشيخ المحمرة الشيخ مزعل آلبوكاسب (حكم من ١٢٩٧هـ إلى ١٣١٥هـ) وطلب منه الهجوم على موالي الحويزة للإطاحة بهم[٢٠٧].

وهكذا كان بنو طرف في تلك الفترة خارجين على سلطة الموالي وكانوا يدفعون الضرائب إلى الحكومة القاجارية مباشرة. ويذكر مؤلف «مشعشعيان، ماهيت فكري ...» أن سنة ١٣٠٩هـ كانت سنة خروج بني طرف على سلطة الموالي[٢٠٨].

نهاية المشعشعيين

في السنة ١١٧٦هـ خلف المولى جود الله، المولى مطلب وكان يأتمر بأمر كريم خان الزند ويرسل إليه هدايا في عيد نوروز من كل عام. وبعد وفاته خلفه على حكم الحويزة ابنه الأكبر المولى إسماعيل. وعندما خلف علي مراد خان، كريم خان الزند أصدر أمر الولاية باسم المولى محسن بدلاً من المولى إسماعيل، لأنه كان حينئذ مشلولاً وعاجزاً تماماً. وصادف أن كانت الحويزة تعاني شُحَّ الماء بسبب فتح نهر هاشم من نهر الكرخة فيئس الناس من المولى محسن فطلبوا من المولى محمد، الابن الآخر للمولى جود الله، أن يحل محله والياً على الحويزة. وفي عهد فتحعلي شاه القاجاري أصبح والي الحويزة المولى مطلب ابن المولى محمد ومن بعده المولى عبد العلي ابن المولى إسماعيل.

بعد المولى عبد العلي حكم الحويزة المولى فرج الله. وكان بنو طرف يعارضونه بشدة؛ لذا خاضوا معركة ضد المشعشعيين سنة ١٢٦٤هـ قتل فيها المولى فرج الله. وكان منوجهر خان معتمد الدولة قد أناط بالمولى فرج الله حكم عربستان بأسرها نظير تأييده وطاعته له، وذلك بعد القضاء على محمد تقي خان البختياري والشيخ ثامر بني كعب سنة ١٢٥٧هـ.

بعد المولى فرج الله حكم عربستان ابنه المولى عبد الله. واحتال على زعماء بني طرف فقتلهم في مأدبة دبرها لهم[٢٠٩]. وبعد مقتله، خلفه المولى نصر الله ولكن لم يلبث أن استولى المولى مطلب على الحكم. ولعل أهم حوادث تلك الفترة تمرد بنو طرف على حكم المشعشعيين سنة ١٣٠٩هـ وتحوله إلى اشتباك بين الطرفين أدى إلى خروج بني طرف على سلطة موالي الحويزة.

ذكرنا أن ظهور بني كعب في الفلاحية وتنامي نفوذهم في جنوب عربستان وجنوبها الشرقي، وكذلك ازدياد قوة آل كثير وسيطرتهم على تستر ودزفول كان على حساب مناطق نفوذ موالي الحويزة التي أخذت في التناقص باطراد. ومما عجل في هذا التناقص ظهور آلبوكاسب في المحمرة بعد سنة ١٢٦٧هـ وازدياد نفوذهم. ففي السنوات الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري (١٢٩٩هـ) لم يعد حاكم الحويزة الرجل الأول في عربستان بل الثاني[٢١٠]. فقد أدى خروج بني طرف من سلطة الموالي سنة ١٣٠٩هـ إلى تقلص نفوذهم أكثر من ذي قبل. وحين ظهر الشيخ خزعل خضعوا لحكمه. وتزوج الشيخ خزعل من إحدى فتياتهم وبعد تنحي المولى عبد العلي، عيّن أخاها حاكماً على الحويزة. ومنذ ذلك الحين أصبح موالي الحويزة يمارسون إدارتها أو ممثلين للحكومة. هذا المنصب استحقوه بتاريخ أسرتهم في حكم المنطقة بعد أن كانوا أسياد الحكم الذي ورثوه من جدهم الأكبر السيد محمد، وهو منصب تدرج في الهبوط حتى بلغ مستوى مدير قضاء أو بلدة في عام ١٣٢٠ش[٢١١].

نقود المشعشعين

يقول أحمد كسروي في «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» إن المشعشعين بدءوا ضرب النقود لأول مرة سنة ١٠٨٥هـ في الحويزة[٢١٢] ويؤكد على أنه «لم يُعثر على أية نقود تعود لأسلافهم، وإن كانت موجودة فإننا لم نرها»[٢١٣].

بالأخذ بنظر الاعتبار سنة ضرب العملة وهي ١٠٨٥هـ ومكان الضرب ، فالاحتمال القوى أن يكون الضرب في عهد السيد علي خان ابن السيد خلف؛ لأنه كان والي المشعشعين بين سنة ١٠٦٠ و١٠٨٨هـ [٢١٤].

الحقيقة أن المشعشعين ضربوا النقود قبل هذا التاريخ بنحو قرنين ولكن كسروي لم يعلم بذلك. والنقود التي يتحدث عنها كسروي هي من أواخر نقودهم. فالأستاذ العزاوي يتحدث، نقلاً لرأي «الأستاذ زانباور»، عن نقود تعود إلى السنة ٨٧١هـ ضربت في عهد السلطان محسن في منطقة بين الحلة وبغداد[٢١٥] نقش على أحد وجهيها «الله ومحمد، علي، الله وعلي». أمّا العبارات المنقوشة على الوجه الآخر فتكتسب أهميتها من كونها تعكس معتقدات المشعشعين في عهد السلطان محسن. إنها تبين الصبغة الشيعية لاعتقادهم عبر تكرار كلمة «الله وعلي» لتمييزهم من السنة. ولا ننس أن تخصيص أحد وجوه العملة لهذه العبارة وتكرارها أربع مرات إلى جوار لفظ الجلالة دليل على الاعتراف بمرتبة عالية للإمام علي، مرتبة أعلى من مرتبة اسم محمد (ص) ومساوية لمرتبة اسم الله.

كذلك السيد فلاح ابن السلطان محسن فقد ضرب النقود سنة ٩٠٦هـ في دزفول والدورق وتستر والحضرة. وكان على أحد وجهَي العملة عبارة «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» ومكان الضرب وفي الوسط ، سنة الضرب (٩٠٦) وعلى الوجه الآخر عبارة «عدل سلطان أعظم فلاح بن محسن خلد ...»[٢١٦]. وتدل العبارات المنقوشة على النقود على التحول العقائدي الذي طرأ على المشعشعين في عهد السيد فلاح

والاتجاه العام نحو الاعتدال الشيعي. وليس هناك أثر في هذه العملة لعبارة «الله وعلي» وتكرارهاأربع مرات.

إضافة إلى ذلك فإن هذه النقود تدل على حكم السيد فلاح للمناطق الأربع المذكورة على الأقل وهي التي واصل حكمها بعد وفاته السلطان محسن(٢١٧). ويحتمل أن يكون السيد فلاح قد حكم، بعد وفاة أبيه السلطان محسن، بعض المناطق التي كانت تحت السلطة المشعشعية مثل دزفول وتستر والدورق والحضرة.

بعد ذلك ضربت النقود في تستر ودزفول سنة ٩١٤هـ باسم «المهدي بن المحسن». وعلى أحد وجهي العملة المضروبة في تستر عبارة «محمد وعلي والحسن والحسين» وحولها «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله». وعلى الوجه الآخر عبارة «المهدي بن المحسن تستر» وحولها «السلطان العادل خلد الله ملكه وسلطانه». والعملة المضروبة في دزفول شبيهة تقريباً بالعملة المضروبة في تستر(٢١٨).

على أساس هذه النقود يعتقد مؤلف «تاريخ المشعشعين» أن السلطان مهدي بن محسن أحد الحكام المشعشعين الذين أغفلهم التاريخ والمؤرخون. وربما كان هذا الرأي صحيحاً لأن بعض المؤرخين تحدثوا عن السيد ماجد بن فلاح(٢١٩) مع هذا يبقى هناك احتمال لأن يكون «مهدي» لقباً للسيد فلاح. وما يقوي هذا الاحتمال ضرب النقود من قبل السيد فلاح في تستر ودزفول سنة ٩٠٦هـ(٢٢٠).

مقام ومنزلة الحكم المشعشعي

لا يعطي كسروي صورة صادقة للحكم المشعشعي وقوته ونفوذه حين يتحدث عنه. إنه يقدم صورة قريبة من الحقيقة للسنوات السبعين الأولى من حكمهم فقط. وربما لم تسمح له رؤيته بأن يكوّن لنفسه صورة صحيحة عن أوضاع تلك الفترة ليقدم بدوره صورة واقعية عن قوة الحكام المشعشعين وطبيعة علاقاتهم مع السلالات الحاكمة. لذا يعجز عن إدراك سبب ثبات دولتهم بعد زحف الشاه إسماعيل سنة ٩١٤هـ ويعتبر

الأمر غفلة من الشاه إسماعيل[٢٢١]. وهو أيضاً لا يبين ازدهار الحكم المشعشعي في العصر الصفوي.

إن المشعشعين كانوا يحكموا الأهواز باستقلالية ، حيث كانوا من القوة في عهد الشاه عباس الصفوي، وهو العصر الذهبي للصفويين. وكانوا من دافعي الخراج القلائل الذين ارتضوا الشاه مخولاً على أملاكهم، وهم أربعة ولاة كانوا يتمتعون بالاستقلال في الحكم وفي الوقت نفسه يدينون بالطاعة إلى الدولة الصفوية. أحد هؤلاء الولاة الأربعة كان والي الحويزة والثلاثة الآخرون هم ولاة جورجيا ولرستان وأردلان (كردستان الشرقية) وكان يحق لهم أن يجلسوا في حضرة الشاه في المناسبات الرسمية[٢٢٢]. وكانت منزلة والي الحويزة أرفع من الولاة الآخرين. يقول محمد سميع ميرزا سميعا: «... ولاة الولايات الإيرانية كانوا على أربعة أقسام تدل أسماؤهم على منزلة كل واحد منهم. الأول والي عربستان وهو عالي المرتبة يتمتع باحترام خاص ناجم من انتسابه للأسر العلوية وشجاعته وعدد القبائل المنضوية تحت لوائه. أما الباقون فهم ولاة لرستان وجورجيا وكردستان ويأتي بعدهم من حيث الأهمية حاكم عشائر البختيارية»[٢٢٣].

وكذلك يقسّم سانسون في كتاب رحلته، حكام العصر الصفوي إلى ستة أقسام يكون الوالي على رأسهم. وفي تعريفه للوالي يقول إنه من أبناء «السلاطين» وأعقابهم الذين استولى الصفويون على مناطقهم عنوة وأجبروهم على «الطاعة والخضوع». ويصف منزلة الولاة ومن بينهم والي الحويزة بقوله:

«يُنظر إلى الولاة، في إيران، نظرة الأمراء. ويتمتع الوالي بجميع الامتيازات التي يتمتع بها ضيوف الشاه ومنها مشاركة الشاه مائدة الطعام أثناء إقامتهم في البلاط»[٢٢٤].

جدير بالذكر أنه نتيجة لقوة المشعشعين وعظمتهم واستقلال حكمهم لم يدخل

الأفغان عربستان طيلة فترة حكمهم ولم يستطيعوا بسط سلطانهم عليها. بل حتى بعد توقيع المعاهدة بين أشرف أفغان والدولة العثمانية سنة ١١٤٠هـ لم يطأ أرض عربستان أي عثماني رغم نص المعاهدة على تبعيتها لهم وبقيت في مأمن منهم(٢٢٥).

رؤية و. كسكل تبين قوة المشعشعين واستقلالهم في عربستان ، يقول كسكل: «الحروب التي دارت رحاها على مدى قرون من أجل الحدود لعبت فيها الحويزة دور الحاجز بين الإيرانيين والعثمانيين»(٢٢٦). ويؤيد لورنس لكهارت هذا الرأي ويقول: «لم يكن للأتراك ولا الأفغان سيطرة على الجزء الأكبر من عربستان في بداية سنة ١٧٢٥م [١١٣٨هـ]»(٢٢٧).

اقتدار آل كثير

قبيلة آل كثير من القبائل العربية العريقة في الأهواز ذاع صيتها في عهد المشعشعين وخاصة بعد وفاة السيد مبارك المشعشعي (١٠٢٥هـ) كواحدة من القبائل القوية المؤثرة في الصراع على السلطة. تنتشر هذه القبيلة في الرقعة المحصورة بين نهر الكرخة ونهر الدز وفي مياناب دزفول وأطراف تستر. أمّا في الوقت الحاضر فتنتشر في مدن السوس ودزفول وتستر فضلاً عن المناطق المذكورة آنفاً(٢٢٨) وهم، إلى جانب بني مُرَّة وبني العم، من القاطنين القدامى لسهل الأهواز قبل الإسلام(٢٢٩) ويحتمل أن يعود إسكانهم لهذه المنطقة، كبني العم، إلى العصر الفرثي. غير أن اسمهم لم يرد في حلبة المنازعات على السلطة في الأهواز إلاّ في عهد السيد راشد المشعشعي (١٠٢٥-١٠٢٩هـ). فبعد وفاة السيد مبارك كان صراع قبيلتي نيس وكربلا مصحوباً باضطرابات وفقدان للأمن في المنطقة. وقد شاركت قبائل أخرى كقبيلة آل كثير وبني تميم أيضاً في هذا الصراع(٢٣٠).

ثم ظهر اسم قبيلة آل كثير مرة أخرى إبان حكم السيد علي ابن السيد خلف كواحدة من القبائل العربية المتحالفة ضد حاكم لرستان منوجهر خان(٢٣١). وفي السنة ١٠٩٠هـ، شارك آل كثير قبيلة آل سلطان والفضول وإخوة السيد حيدر في إلحاق

هزيمة قاسية بجيش السيد حيدر المشعشعي. وبعد وفاة السيد حيدر سنة ١٠٩٢هـ، وبروز الصراعات المتعددة داخل الأسرة المشعشعية حول تعيين خليفة السيد حيدر واستمرار الصراع لفترة خمس سنوات أخذت قوة القبائل الأخرى تزداد باطِّراد حتى فكرت في منافسة المشعشعيين. وكانت قبيلة آل كثير من بين تلك القبائل وهذا ما دفع السيد عبد الله لنفي اثنين من مشايخها إلى مرو بمجرد أن آلت إليه السلطة[٢٣٢].

مع وصول السيد فرج الله شقيق السيد عبد الله إلى السلطة سنة ١٠٩٧هـ ازدادت الخلافات والنزاعات الداخلية في الأسرة المشعشعية وكذلك بين القبائل، وكانت قبيلة آل كثير تسعى لبسط سيطرتها وتوسيع مناطق نفوذها. وهذا ما جعلها تصطدم بقبيلة الفضول العربية حليفة السيد فرج الله وتهزمها في معركة طاحنة. بعد ذلك خاضت الفضول معركة ضد آل كثير بمشاركة من السيد فرج الله انتصرت فيها الفضول[٢٣٣].

في السنة ١١١١هـ، وإبان حكم السيد هيبة، قام السيد فرج الله بهجوم على الحويزة بمساعدة شيخ المنتفق الشيخ مانع بن مغامس. في تلك المعركة طلب السيد هيبة العون من قبيلة آل كثير وآل خميس والفضول، فاستجابت لطلبه ولكنها انهزمت أمام السيد فرج الله وتفرقت. رغم تلك الهزيمة لم يدب الضعف والهوان في قبيلة آل كثير وواصلت سيطرتها على شمال الأهواز.

في السنة ١١٣٧هـ ادعى رجل من أهالي كرايي تستر أنه ابن الشاه سلطان حسين وسمى نفسه الشاه طهماسب الثاني. وتمكن من خداع أهالي البختيارية و«إقامة حكم ملكي» في أراضيهم، على حد تعبير كسروي[٢٣٤] ولكن بعد افتضاح خدعته وظهور الشاه طهماسب الحقيقي في آذربيجان، قام حاكم تستر أبو الفتح خان بالقبض عليه وحبسه. وهذا ما أسخط أهالي تستر ودزفول الذين كانوا يناصرون الشاه الكاذب، فثاروا على الحاكم وسيطروا على أزمّة الأمور. وطلبوا من الشيخ فارس بن مساعد ابن ناصر بن خنيفر شيخ آل كثير أن يأتي إلى المدينة ويتسلم حكمها[٢٣٥] واختار

الشيخ فارس نائباً يدير أمور تستر عنه اسمه إسفنديار بيك. فكان إسفنديار بيك حاكماً على تستر نيابة عن الشيخ فارس وآل كثير لحد دخول نادرشاه إليها سنة ١١٤٢هـ(٢٣٦).

بعد وصول نادر إلى سُدَّة الحكم شهدت عربستان وقائع ثورة محمد خان البلوشي الذي كان من رجال محمود أفغان جاء معه من قندهار. وكان محمود قد أرسله سفيراً(٢٣٧) إلى الدولة العثمانية(٢٣٨) وبعد أن طويت صفحة محمود، حضر محمد خان عند نادر في دزفول وطلب منه أن يقبله في دولته، فعينه نادر حاكماً على كوهكيلويه. وحين انهزم نادر من العثمانيين في كركوك سنة ١١٤٤هـ جاء محمد خان إلى دزفول وتستر وتوابعهما وأعلن الثورة على نادر. وقد ساعده على ذلك أهالي تستر وآل كثير بزعامة الشيخ فارس. وبعد أن تغلب محمد خان على أعدائه عين الشيخ فارس آل كثير حاكماً لكوهكيلويه وتوجه إلى شيراز(٢٣٩).

وبعد القضاء على ثورة محمد خان البلوشي توجه نادر من بغداد إلى عربستان سنة ١١٤٥هـ بعد أن كلف محمد حسين خان قاجار بقمع الشيخ فارس آل كثير توجه نحو الحويزة. ومع أن محمد حسين خان كان مكلفاً بقمع آل كثير؛ ولكن لم يقترب منهم ولم يقاتلهم(٢٤٠).

في السنة ١١٦٠هـ، تغلب السيد مطلب المشعشعي على محمد خان حاكم عربستان وتولى حكم الحويزة. ولما كانت قوة آل كثير في تزايد مستمر فقد قاد السيد مطلب هجوماً عليهم سنة ١١٦١هـ ووقعت المعركة بين الطرفين في سرخكان قرب شوشتر كبد فيها آل كثير السيد مطلب هزيمة منكرة. بعد تلك الهزيمة عاد السيد مطلب إلى الحويزة. أمّا آل كثير فقد تزايدت قوتهم بعد ذلك النصر وبسطوا نفوذهم على تستر ودزفول وجميع توابعهما(٢٤١).

في شهر رمضان ١١٦١هـ، ثار أهالي تستر أولاً ومن ثم أهالي دزفول على عباس قلي

خان حاكم المدينتين المعين من قبل الأفشارية . وفي تلك الثورة طلبوا المساعدة من آل كثير. وبعد هروب عباس قلي خان ومقتل أخيه محمد خان في تستر، التحق محمد رضا بيك ابن إسفنديار بيك من دزفول بمشايخ آل كثير ففوضوه على تستر نائباً لهم(٢٤٢).

في خضم تلك الأحداث ذهب أحد كبار أفشار كندزلو باسم شاه مراد بيك إلى خراسان وجلب أمراً بحكم تستر ودزفول . ولما سمع آل كثير بالأمر خرجوا إلى لرستان لاستباقه وقبضوا عليه وحبسوه عندهم. ولكن شاه مراد بيك استطاع أن يهرب من السجن ليلاً فلجأ إلى الحيدريين في تستر. وحاول حيدريُّو تستر تنصيبه كحاكم للمدينة، لهذا السبب طلب النعمتيون وهم أعداء الحيدريون ، العون من آل كثير إذ كانوا معارضين لحكمه. فانطلق آل كثير ووقعت معركة بينهم وبين أتراك الأفشار الكندزلو في قرية عقيلي تستر انتصر فيها عرب آل كثير وانهزم أتراك الكندزلو ولاذوا بالفرار(٢٤٣). وهكذا استمر حكم المدينة بيد آل كثير يديرها محمد رضا بيك نيابة عن شيخ آل كثير.

وبعد وصول شاهرخ ميرزا حفيد نادر إلى السلطة في خراسان طلب حاكم فارس منه أمراً بحكم تستر باسم محمد رضا بيك ، فتم له ذلك في ربيع الأول ١١٦٣هـ . غضب آل كثير لهذا العمل بشدة فنهضوا لمقاتلة محمد رضا بيك بمساعدة أهالي المدينة. في تلك الأثناء صدر أمر حكم تستر وتوابعها باسم الشيخ سعد آل كثير وكان محمد رضا بيك وأنصاره قد ضربتهم الذلة والضعف، فتقدموا بالاعتذار وطلب الرحمة من شيخ آل كثير، فقبل اعتذارهم وأعاد محمد رضا إلى حكم تستر نيابة عنه مرة أخرى وعاد هو إلى قبيلته(٢٤٤).

في صفر ١١٦٤هـ جاء إلى دزفول عباس قلي خان الذي سبق له أن هُزم على يد آل كثير سنة ١١٦١هـ وفر إلى بشتكوه الفيلي ، واستطاع بمساعدة أهالي دزفول أن يسقط حاكمها مهر علي خان ويخرجه من المدينة ويتبوأ مكانه. فقام الشيخ حرب بن كريم ابن خنيفر وهو من شيوخ آل كثير، وكانت تربطه مع مهر علي خان علاقة

«مصاهرة»، بتأليب الشيخ سعد وباقي شيوخ آل كثير على عباس قلي خان. فقام آل كثير بمحاصرة دزفول تمهيداً لاقتحامها. في تلك الأثناء زحف المولى مطلب المشعشعي ومعه الشيخ ثامر بن عبد القادر بن عبد الخالق بن فريح والشيخ مذكور بن عبد السلام بن بلاسم وباقي شيوخ آل سلطان قاصدين آل كثير الذين لم يجدوا بداً، حين أتتهم الأخبار بالزحف، من ترك محاصرة دزفول والعودة لمواجهة المولى مطلب. فأقاموا معسكرهم على ساحل نهر الكرخة وعسكر المولى مطلب على الجانب الآخر منه. ولكن الفصل كان ربيعاً ومنسوب ماء الكرخة مرتفعاً ، فكان عبور النهر متعذراً ،فاستمر الجيشان في التناوش عبر النهر أربعة أشهر ولما لم يستطع أي من الطرفين الغلبة على الآخر أوقف القتال دون حسم وعاد كل منهم إلى موطنه(٢٤٥).

حدث خلاف وانقسام بين شيوخ آل كثير فقد كان أغلبهم غير راضين عن تصرفات الشيخ سعد، وعلى رأسهم الشيخ ناصر بن كريم بن ناصر بن خنيفر وكان معروفا بالعقل والتدبير فاستطاع أن يستميل أكثر الكبراء وأبناء عمومة ومنهم الشيخ مطّلب شقيق الشيخ سعد. ثم وقعت معركة بين الطرفين قتل فيها الشيخ طعان شقيق الشيخ ناصر وابن أخيه الشيخ سلامة بن حرب. وفيها أيضا قبض على الشيخ سعد ثم أطلق سراحه بعد بضعة أيام، فتوجه الشيخ سعد مع أهله وعياله إلى قبيلة آل خميس. وهكذا أصبح الشيخ ناصر شيخ آل كثير(٢٤٦).

في الصراع الذي دار بين كريم خان الزند (ملك بلاد فارس) وعلي مردان خان البختياري قبل وصول كريم خان الزند إلى سدة الحكم، اتخذ آل كثير جانب علي مردان خان وهو موقف مُعادٍ لكريم خان الزند. وبعد إزاحة علي مردان خان البختياري عن مضمار الصراع مع كريم خان الزند لم تكف آل كثير عن موقفهم المعادي لكريم خان الزند حتى يقول أحد المؤرخين: «رغم ازدياد قوة كريم خان الزند المستمرة ، هؤلاء لم يرضخوا له»(٢٤٧).

الحادثة الأخرى التي تدل على قوة آل كثير دحرهم لجيش الزندية بقيادة والي لرستان سبز علي خان. حدث ذلك سنة ١١٧٤هـ في عهد كريم خان الزند وفيه قام جيش آل كثير بقيادة الشيخ علوان بقتل سبز علي خان(٢٤٨).

وفي السنة ١١٧٥هـ، لجأ إلى السيد مطلب في الحويزة ابن عم كريم خان وهو زكي خان الزند الذي كان يطمح بالسلطة بعد هزيمته على يد جيش نظر علي خان الزند. وبعد مقتل السيد مطلب توجه زكي خان مع أنصاره وجيشه إلى آل كثير فاستقبلوه بحفاوة بالغة لأنهم كانوا يعادون كريم خان الزند. ولكن القحط الذي حل بعربستان جعل زكي خان يذهب إلى بشتكوه لرستان(٢٤٩).

بعد وصول كريم خان الزند إلى السلطة توجه بجيشه من سيلاخور لرستان نحو عربستان لإخضاع الكعبيين حتى وصل إلى دزفول. ولم يهتم آل كثير به رغم وصول جيشه إلى دزفول ولم يخرجوا لاستقباله. ولكن جنود كريم خان، على الرغم من عدم تعرّض آل كثير لهم «أغاروا على أموالهم وممتلكاتهم ونهبوها» ودمروا ما كانوا يملكون(٢٥٠).

مع اضمحلال قوة المشعشعين ،ازدادت قوة آل كثير فكانوا في تلك الفترة يفعلون في دزفول وتستر ما يشاؤون وكان حكم هاتين المدينتين بأيديهم في أغلب الأوقات. وكان آخر حضور قوي لهم في بداية عهد ناصر الدين شاه القاجار ملك بلاد فارس (١٢٦٤-١٣١٣هـ) حيث طالبوا بالاستقلال في دزفول وتستر. فقد قاموا بالاستيلاء على قلعة السلاسل في تستر وأطلق شيخهم الشيخ حداد على نفسه اسم «شاه حداد». ولكن ذلك لم يدم فاضطر آل كثير إلى التراجع. وفي سنة ١٢٩٩هـ التي زار فيها الحاج عبد الغفار نجم الملك خوزستان ذكر عشيرة بيت سعد من قبيلة آل كثير وكذلك عشيرة أخرى من آل كثير قرب السوس شيخها يدعى علي الغافل(٢٥١).

لقد بلغت قوة آل كثير وسطوتهم على هذه المناطق حدًا جعل أحد الباحثين يضع لها

اسم إمارة آل كثير[٢٥٢] ويعتبرهم أعداء قدامى للمشعشعين. مع هذا يجب الإقرار بأن آل كثير لم يستطيعوا أبدا أن يخرجوا من حدود القبيلة الضيقة كما فعل آل المشعشع وبنو كعب فلم يبنوا مؤسسات حكم. ومن الأسباب الرئيسة لعدم تشكيلهم مؤسسات حكم ، ميل شيوخهم الشديد إلى الحياة القبلية والابتعاد عن الحياة المدنية إضافة إلى مجاورتهم للألوار وعدم تجانس النسيج القومي في مدن تستر ودزفول معهم، الأمر الذي كان عائقا لهم في هذا الخصوص.

ازدراء العرب وتحقيرهم

إن السيدأحمد كسروي، الذي يحمل اسمه تناقضًا واضحاً، يعود نسبه إلى أصول عربية ورغم هذا نجده في «تاريخ بانصد ساله خوستان» يستمرئ توجيه أكبر الإهانات إلى عرب الأهواز. وهذا ناجم عن نزعته الشوفينية، وبالأحرى عن تعصبه العنصري[٢٥٣].

بغض النظر عن المواضيع المهينة والحاقدة التي يبثها كسروي في عموم كتابه «تاريخ بانصد ساله خوزستان» عن أصل الكعبيين ونسبهم، فإنه يصف العرب بالنهّابة وقطاع الطرق واللصوص. وكما بينّا في مبحث آنفاً، فإن كسروي قد يكرر في الصفحة الواحدة ثلاث مرات متتالية مثل هذه العبارات[٢٥٤]. ففي الصفحة ٤٨ يقول عن السيد سجاد: «... يمضون أكثر وقتهم في النهب والسطو.»، ثم يقول بعد ذلك مباشرة عن بني لام: «... كان السيد سجاد يحرضهم على النهب والسطو في أطراف تستر.»، ويكمل في الصفحة ٤٩ :«... كانت ترفع شكاوى كثيرة عن مداهمات السطو والشرور التي كان يقوم بها عرب خوزستان.» ،ثم يقول: «كان عرب خوزستان لا يفوتون أية فرصة للنهب والسرقة وإشعال نار المداهمات والسطو في تلك المنطقة فيحرقون الزرع ويدمرون الأراضي. كذلك بعد وفاة طهماسب في عهد إسماعيل ميرزا والسلطان محمد كور عاد العرب ليشيعوا النهب والسطو في خوزستان ويشعلوا نار الحرب فيها.» إنه

يكرر مصطلحات النهب والسطو من قِبل عرب الأهواز ست مرات في أقل من صفحة واحدة(٢٥٥).

إنه يستعمل عبارة «الصولات والجولات» مع النهب والسطو وكأنه يوحي بأنها مترادفات لمعنى واحد. ويبدو أن تمرد عرب الأهواز على الحكومات التي كانت تحاول أن تفرض سطوتها المطلقة في فترات مختلفة كان يزعج السيد كسروي فيصفه بالصولات والجولات والسطو. وبتكراره لهذه العبارة يكشف كسروي عن حقده على هذا الشعب من جانب ويحاول، من جانب آخر، إعطاء صورة بشعة له، صورة المتوحش الناهب الشرس.

لدى حديثه عن حكم السيد عبد الله خان سنة ١١١٤هـ يعود كسروي فيصف العرب بأنهم ذوو مداهمات وفتن: «... في ذلك الوقت كانت خوزستان، وخاصة الجزء الغربي الذي يسكنه العرب منها، وكرًا للفتنة. فبالإضافة إلى العشائر العربية المستوطنة هناك والتي كانت تعتبر تابعة لإيران والتي كانت تثور وتصول وتجول على الدوام، فإن عشائر عربية أخرى كانت تسكن العراق التابع للدولة العثمانية مثل آل فضول وآل باوي وعشيرة المنتفق كانت تهاجم أراضي خوزستان باستمرار وتشيع فيها القتل والنهب.»(٢٥٦). وهذا القول امتداد لما سبقه. ومن جانب آخر فإن وصف أي منطقة يسكنها عرب الأهواز أو أي مكان في إيران أو في العالم بأنه وكر للفتنة تعبير وتوصيف غير علمي وذو تعقيد وغامض. إن المنهج العلمي لكتابة التاريخ الذي يبحث عن جذور الحوادث للكشف عن أسبابها بعيد كل البعد عن هذه العبارات.

وفي موضع آخر من الكتاب يتحدث عن مقتل المولى مطلب سنة ١١٧٦هـ على يد زكي خان وسبب انتصار جيشه الصغير على المشعشعيين فيقول: «واضح أن زكي خان لم يكن معه جيش كبير ليؤمّن له هذا النصر إلاَّ إذا كان مرد انتصاره إلى شجاعة الزنديين وعجز العرب.»(٢٥٧) وكان بمقدوره أن يستعيض عن «عجز العرب» بـ «عجز

المشعشعين» أو «عجز جيش المولى مطلب». ولكن بما أنه يرصد الأمور من نافذة عنصرية متطرفة فإنه يعمم العجز على جميع العرب.

إن ما يعجز كسروي عن فهمه هي ظروف الحياة للمجتمعات البشرية وخصوصيات كل مرحلة من الحياة الاجتماعية. فهناك فرق واضح بين نمط الحياة القبلية ذات الاقتصاد الرعوي وحياة الاستقرار ذات الاقتصاد القائم على الإنتاج. فموضوع مهاجمة الأراضي المجاورة للحصول على كلأ ومراتع والاستحواذ عليها أمر مألوف وطبيعي في المجتمعات القبَليّة. إنها جزء من حياة الترحل عند التجمعات القبلية. هذا النمط من الحياة له عاداته وثقافته الخاصة التي ليست لحياة الاستقرار. فمن النادر أن تحدث حروب مع البلدان المجاورة من أجل المراتع في الحياة المستقرة لأن الأمن من متطلبات حياة الاستقرار. لهذا السبب كانت الأراضي الخاضعة لحكم الشيخ سلمان الكعبي تتمتع بأمن عال مستتب(٢٥٨). في حين أن الحياة القبلية وحياة الترحل بين البختيارية واللر وكلتاهما من الفرس المجاورين للعرب حافظت على خصائصها حتى الوقت الحاضر.

يقول البارون دوبُد الذي سافر إلى لرستان وعربستان في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٤٤م : «تنتشر عادة الإغارة والسطو بين اللر كما عند جيرانهم البختيارية ولكن ليس بنفس الدرجة من العلنية. ويختلفون عنهم في عدم كثرة عدد المغيرين في كل مرة. وكذلك في طريقة شنهم للغارات فهم عادة ما يغيرون راجلين في حين يفضل البختيارية الإغارة راكبين.»(٢٥٩) ولا يذكر البارون دوبد في كتابه أي إشارة ولو مرة واحدة لإغارات عرب الأهواز.

ويقول السير هنري راولنسون في كتاب رحلته عن البختيارية: «لم يكف أفراد هذه القبائل عن الإغارة والسطو بعد ولكن نزاعاتهم الداخلية لا تسمح لهم بقطع الطريق.»(٢٦٠) وراولنسون أيضا كالبارون دوبد لم يتحدث عن غارات عرب الأهواز وعمليات سطوهم. وكذلك الحاج عبد الغفار نجم الملك، الخالي من الشوفينية والعنصرية

خلافا لأحمد كسروي، لا يشير إلى عمليات سطو العرب بل على العكس من ذلك يؤكد على كرمهم وضيافتهم.

بل إن بعض الباحثين يعزون هجوم تيمور على لرستان إلى الغارات التي كانت تتعرض لها قوافل الحجيج. يقول البارون دوبد نقلاً عن دوكين في كتاب «تاريخ تيموريان»: «نفهم من هجوم تيمور على إيران أن هذا الفاتح هجم على لرستان لمعاقبة الأهالي الذين يسطون على قوافل الحجيج القاصدة إلى مكة أو العائدة منها»[٢٦١].

عموما ،فإن هذه الصفات نتاج الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي بزوالها تمهد الأرضية لزوال تلك الصفات. لهذا السبب لا نجد لهذه الصفات أي أثر في عهد الشيخ خزعل بل ولا قبل ذلك بقرنين في عهد الشيخ سلمان.

إضافة إلى ما تقدم ، يوجه كسروي الإهانات إلى العرب عن طريق ألفاظ قبيحة. ولعله كان أول من أدخل تلك الألفاظ في المؤلفات الفارسية، ثم درج استعمالها من قبل باقي الكتاب العنصريين الفرس، حتى أصبحت من المفردات الشائعة في العصر البهلوي. وهي ألفاظ تزكم الأنوف برائحتها العنصرية المقززة من قَبيل «العرب البدو» و«العرب المتمردون» و«العرب مثيرو الفتن»[٢٦٢].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الباحثين في شوفينية كسروي وصفوه في أحسن الأحوال بأنه «قومي إصلاحي»[٢٦٣]. رغم أن مصطلح «القومي الإصلاحي» غير متداول وأن مطلقه أراد تلميع وجه كسروي «القومي المتطرف». مع هذا فإن كسروي ، شأنه شأن جميع الشوفينيين عهد المشروطة ، كان يتسم بالعداء للعرب لأن «النزعة القومية لدى النظام وكذلك لدى المثقفين كليهما كانت ذات اتجاه عرقي قديم ومُعادٍ للعرب»[٢٦٤]؛ إذًا يعود توجيه الإهانات لعرب الأهواز ووصفهم بقطاع الطرق ومحترفي السطو إلى صفة «معاداة العرب» الموجودة عند كسروي.

وهنا أيضا يعود إلى الذاكرة قول أحد السياسيين الأوروبيين بأن من صفات العرب

الصدق في القول والوفاء للعهد وأنهم إذا تسلموا أي مبلغ فإنهم يسلمون البضاعة المتعاقد عليها في موعدها بالإضافة إلى أن زعيم كل قبيلة يكون ضامنا لعهود قبيلته[٢٦٥].

وكسروي يستهزئ بطريقة العربي في نطق الفارسية فهو يسخر في متن كتابه وهامشه بكلام شيخ آل كثير الشيخ حداد ويقول إنه يتكلم الفارسية بلهجة دزفولية[٢٦٦]. ولا ريب في أن مثل هذه الحالات تقلل من أهمية الكتاب.

بل إن كسروي يورد كلمات قبيحة تصل إلى حد الكلام الفاحش والسباب المقذع، وهو ما يقلل من شأنه ويخفض منزلته. من ذلك وصفه للسيد محمد المشعشع ب «الرجل التافه الجاهل»[٢٦٧]. وفي موضع آخر يشتمه بوصفه بعبارة «عديم الحياء»[٢٦٨] وهي شتيمة لا سابقة لها في الكتب التاريخية إلا ما ندر، إذ ليس لها ولا لنظيراتها مكان في كتب التاريخ أو في أي مؤلف.



هوامش الفصل الرابع

(١) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٤٠.

(٢) يعرّف القاضي نور الله التستري نسب السيد محمد بما يلي: «السيد محمد ابن السيد فلاح بن هبة الله بن حسن ابن علي المرتضى ابن السيد عبد الحميد النسّابة بن أبي علي فخار بن أحمد بن أبي الغنائم بن أبي عبد الله الحسين ابن محمد بن إبراهيم المجاب بن محمد صالح بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.» مجالس المؤمنين، ص ٣٩٥.

(٣) عباس العزاوي؛ «تاريخ العراق بين احتلالين»، ج ٣، ص ١٠٩.

(٤) تاريخ غياثي، نقلاً عن تاريخ المشعشعين، المصدر نفسه، ص ١٠٤.

(٥) عباس العزاوي، نفس المصدر، ص ١٦١.

(٦) القاضي نور الله التستري، نفس المصدر، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٧) شيئاً فشيئاً أصبحت بعض الحركات الغريبة مثل وضع سيف حاد على البطن وغيرها جزءاً من طقوس المشعشعين. هذه الحركات كانت معروفة في المنطقة قبل ذلك ، فاستغلها السيد محمد في ثورته. ويذكر ابن بطوطة، الذي زار تلك المنطقة قبل ذلك الوقت بقرن، في حديثه عن زيارته لواسط مقبرة أبي العباس أحمد الرفاعي في قرية أم عبيدة. ويتحدث في زيارته القصيرة تلك عن طقوس يقيمها آلاف الدراويش تتمثل في دخولهم حلقات النار وسط الرقص على أنغام قرع الطبول والدفوف ويقول إنهم كانوا «يتدحرجون» في النار. وكان البعض يدخل النار في فيه ويبتلعها والبعض يقطعون رؤوس الثعابين الضخمة بأسنانهم.

محمد بن عبدالله بن بطوطة؛ «سفرنامه ي ابن بطوطه»، ج ١، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٨) القاضي نور الله التستري، نفس المصدر، ج ١، ص ٣٩٥.

يقول مؤلف أحسن التواريخ، الذي عاش في هذه الفترة ،نفس الكلام عن كتاب الشيخ أحمد بن فهد.

حسن روملو؛ «أحسن التواريخ» ، ص ٣٦٤.

الحقيقة أن السحر كان شائعاً في تلك المنطقة حينئذ. يؤكد ابن فهد المكي المتوفى سنة ٨٧١ في كتاب «لحظ الألحاظ» أن الشهيد الأول الذي ينسب إليه علم السحر تعلمه في مركز منطقة البطائح، الحويزة.

كامل مصطفى الشيبي، تشيع وتصوف، حتى بداية القرن الثاني عشر الهجري، ص ٣٠٥.

(٩) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص ٩.

(١٠) فرهاد نعماني، «تكامل فئوداليسم در إيران»، ج ١، ص ٤١٣.

(١١)حتى كسروي يؤيد شجاعة المولى علي، نفس المصدر، ص٢٩.

(١٢)القاضي نور الله المرعشي، نفس المصدر،ج٢، ص٣٩٩ .

(١٣)القاضي نور الله المرعشي، نفس المصدر، ج٢، ص٣٩٩ - ٤٠٠ .

(١٤) السيد علي المشعشعي، نفس المصدر، ص١٢.

(١٥) في الصفحة ٦٢ إلى ٦٤ من كتاب تاريخ المشعشعين يرد جاسم حسن شبر الآراء التي تتحدث عن «غلو» المولى علي ويستند إلى «نصوص صحيحة» دون أن يذكر اسمها ويستنتج «أن المولى علي المشعشعي لكفاءته الحربية وشجاعته المتناهية استطاع أن يستولي على الحكم في حياة أبيه ، وتصرف في عقول العامة حتى خلق منهم رجالا يدافعون عن دولة المشعشعين دفاعا مريرا واعتقدوا أن روح علي بن أبي طالب عليه السلام حالّة فيه فانتشرت عندئذ عقيدة الغلو، وبعد قتله جعلوها في علي بن أبي طالب عليه السلام وقد ساعد الجهل على رواجها في تلك المنطقة ولكن لم يكتب لها القدر أن تمكث مدة طويلة لأنها ليست من عقيدة رؤسائهم وذريتهم وإنما تقبلها المولى علي في حياة أبيه محمد وأخيه السلطان محسن وانمحت آثارها في زمن السيد عبد المطلب بن حيدر بن المحسن بن محمد المشعشعي».

(١٦)هذا الادعاء من المولى علي هو أحد ثمار ادعاء أبيه لأن السيد محمد كان يعتقد، وفق مذهب العلي اللهية، بأن «وجود» الله يكون في كل زمان في جسد ... فتقدم ابنه خطوة أبعد حين قال إن «الوجود المتنقل» لله هو اليوم في جسدي. نفس المصدر، ص٢٩.

(١٧) كامل مصطفى الشيبي، نفس المصدر، ص٣٠٣.

(١٨) لطالما واجه طيش المولى علي وصولاته وجولاته السريعة والقوية والتي بدت في الظاهر غير مبررة ردود أفعال من زعامة الحركة المشعشعية. التي رأت في حركاته خروجا على الأصول الأساسية والقيم الاجتماعية. محمد علي رنجبر، المصدر نفسه، ص١٧٦.

(١٩)القاضي نور الله المرعشي، نفس المصدر، ج٢، ص٣٩٦.

(٢٠)عباس العزاوي، نفس المصدر، ص١٦١.

(٢١) وجهة نظر كسروي هذه من وجهات نظره الصائبة النادرة جدا في مبحث المشعشعين. القاضي نور الله،نفس المصدر، ج٢، ص٣٩٩.

(٢٢) عبد الله بن فتح الله البغدادي، نفس المصدر، ص٣٠٨.

(٢٣) نفس المصدر، ص٣٠٩.

(٢٤) نفس المصدر، ص٣١٠.

(٢٥) يذكر أن تاريخ الغياثي يسمي المولى علي دائما السلطان علي.

(٢٦) عبد الله بن فتح الله البغدادي، نفس المصدر، ص٣١٢ ـ٣١٣.

(٢٧) لمزيد من الإطلاع عن معارك المولى علي وكيفية مقتله راجع : محمد علي رنجبر، نفس الكتاب، ص١٦٦ـ١٧٦.

(٢٨) على أن ما ورد في هذا الكتاب نقلا عن تاريخ الغياثي تم بوساطة أو بالاستفادة من المصدر المذكور.

(٢٩) القاضي نور الله المرعشي، نفس المصدر، ج٢، ص ٤٠٠.

(٣٠) ... حتى تمكن ولده وأسقاه من العلقم ما لا يوصف بحد وجرى ما قد جرى ثم قتل ولده ومضى إلى رحمة الله

ورضوانه، تقبله الله تعالى وقابله بالعفو إنه هو الغفور الرحيم. (كلام المهدي، صفحة ٩).

(٣١) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص١٧٢.

(٣٢) (كلام المهدي، صفحة ٣٣٦).

(٣٣) «كلام المهدي» صفحة ٦١.

(٣٤) سنة وفاة السيد محمد حسب ما كتبه السيد علي في «الرحلة المكية».

القاضي نور الله يرى أن سنة وفاة السيد محمد كانت ٨٧٠هـ.

(٣٥) القاضي نور الله المرعشي، نفس المصدر، ج ٢، ص٣٩٩. ٤٠٠.

(٣٦) نفس المصدر.

(٣٧) السيد علي خان؛ «الرحلة المكية»، صفحة ١٣.

(٣٨) يسميه القاضي نور الله في مجالس المؤمنين «السلطان محسن». ويقول السيد علي أيضاً في كتابه: «كان السيد محسن يلقب في المكاتبات والمراسلات مع الحكام والنواب بالملك محسن.»، صفحة ١٣.

(٣٩) يقول جاسم حسن شبر إن سنة وفاة السلطان محسن كانت ٩١٤هـ ولا يذكر المصدر الذي استند إليه. في حين أن السيد علي يقول إن سنة ٩٠٥هـ هي سنة وفاته. والمؤكد أن جاسم حسن شبر أخطأ في تحديد سنة وفاة السلطان محسن.

ومن حالات عدم الدقة لدى جاسم حسن شبر هو أنه مرة يتحدث عن وفاة السلطان محسن (ص ٧٧) وفي موضع آخر يتحدث عن مقتله (ص٢١٧).

(٤٠) أحمد كسروي؛ «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان»، ص ٤٠.

(٤١) السيد علي خان الموسوي؛ نفس المصدر،صفحة ٢٠.

(٤٢) عبدالله بن فتح الله البغدادي؛ نفس المصدر، ص٣٣١ ـ ٢.

(٤٣) عبد الله بن فتح الله البغدادي، نفس المصدر، ص ٣٩٤.

(٤٤) حقناً للدماء اقترح السلطان محسن على شيخ قبيلة المنتفج (المنتفق) أن يتبارزا. وبعد مقتل شيخ المنتفق استولى السلطان محسن على البصرة وأعطى ابنه ألف تومان وخصص له راتباً مجزياً ووهبه فرسه ودرعه. (السيد علي خان الموسوي؛ الرحلة المكية، المصدر نفسه، ص٢١).

(٤٥) مرتضى مدرسي جهاردهي؛ «مشعشعيان»، ص ١٦٠.

(٤٦) السيد علي خان الموسوي؛ «الرحلة المكية»، المصدر نفسه، ص ١٨.

(٤٧) يذكر جاسم حسن شبر هذه القلعة باسم «المزينة». (تاريخ المشعشعيين، ص٨٤).

(٤٨) نفس المصدر، ص١٩.

(٤٩) نفس المصدر.

(٥٠) انظر رواية ضامن بن شدقم في مبحث «السيد محمد والمشعشعيون» من هذا الكتاب.

(٥١) السيد علي خان الموسوي؛ «الرحلة المكية»، ص ١٢.

جدير بالذكر أن أحمد كسروي أيضاً يصف السلطان محسن المشعشع في تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» بالشيعي(ص١٤). ويبدو أنه الاسم الذي اختاره مولا شمس الدين محمد استرابادي.

(٥٢)السيد محمد بن فلاح يراعي في كلامه الإطار الرسمي للمذهب الشيعي. انظر: «محمد علي رنجبر»، نفس المصدر، ص٢٣٤.

(٥٣) خلط مؤلف «تاريخ المشعشعيين»جاسم حسن شبر بين القاضي نورالله التستري وجده مير نور الله التستري واعتبرهما واحداً بسبب تشابه اسميهما. ففي الصفحة ٧٦ من كتابه يعتبر القاضي نور الله مستشاراً للسيد علي والسيد أيوب ولدَي السيد محسن وذلك نقلاً عن أعيان الشيعة تأليف السيد محسن الأمين العاملي، الجزء٤٢ الصفحات١٦ و١٧. ولكننا إذا أخذنا بنظر الاعتبار سنة ولادة القاضي نور الله ووفاته (٩٥٦ ـ ١٠١٩هـ) وسنة مقتل علي وأيوب (٩١٤هـ) وجدنا أن القاضي ولد بعد مقتلهما بعقود. وهذا خطأ واضح من جاسم حسن شبر.

(٥٤) السيد عبد الله الجزائري المتخلص بفقير (توفي ١١٧٣هـ)، «تذكرة شوشتر»، ص٤٥ و٤٦.

(٥٥) الأرجح أن السلطان محسن طلب عودة مير نور الله المرعشي من شيراز لمكافحة المعتقدات المتطرفة وتقوية أسس التشيع.

(٥٦) القاضي نور الله المرعشي؛ مجالس المؤمنين، ج٢، ص ٤٠١؛ السيد علي خان الموسوي، «الرحلة المكية»، صفحة ١٣؛ السيد عبد الله الجزائري، «تذكرة شوشتر»، ص ٣٥؛ عبد علي بن عبد المؤمن، «تكملة الأخبار»، ص١١٢.

(٥٧) قاضي أحمد غفاري قزويني، «تاريخ جهان آرا»، مكتبة حافظ ، طهران، ١٣٤٣.

(٥٨) السيد عبد الله الجزائري، نفس المصدر،ص٢٠٣.

(٥٩) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٣٨.

(٦٠) القاضي نورالله المرعشي،نفس المصدر، ج٢، ص٤٠١.

(٦١) السيد علي خان الموسوي،نفس المصدر، ص١٣ ـ ١٤.

(٦٢ السيد عبد الله الجزائري، نفس المصدر، ص٤٦.

(٦٣) غياث الدين بن همام الدين حسيني ميرخواند، «تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر»، ج٤، ص٤٩٨.

(٦٤) يد الله شكري (بجهود)، «عالم آراي صفوي»، ص١٣٥.

وقع مؤلف «عالم آراي صفوي» في ارتباك بخصوص ذكر اسم والي الحويزة. فمرة يسميه «سلطان فياض» ومرة «فياض محسن» ثم «محسن» ثم «فياض» وأخيراً «محسن». نفسه،ص ١٣٥ ـ ١٣٨.

يتحدث القاضي أحمد غفاري قزويني عن الصراعات الداخلية في الأسرة المشعشعية بعد وفاة السلطان محسن سنة ٩٠٥هـ. بعدها يتطرق إلى هجوم الشاه إسماعيل والتحاق السيد علي والسيد أيوب بالمعسكر الصفوي ويقول انهما قتلا «نتيجة الغدر والنفاق» وكان ذلك سنة ٩١٤هـ؛ نفس المصدر، ص٩٤.

(٦٥) كامل مصطفى الشيبي، نفس المصدر، ص١٩٥.

(66) Minorsky, V.F: Persia in A.D 1478 - 1490, London. 1975, P. 84

(نقلاً عن كيوان لولوبي).

(٦٧)محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص١٩٨.

(٦٨) خواندمير، نفس المصدر، ج٤، ص ٤٩٨.

(٦٩) رواية السيد علي خان المشعشعي في «الرحلة المكية»، صفحة ١٣ . ١٤.

(٧٠) في معرض حديثه عن معركة الشاه إسماعيل مع السيد فياض يعتبر مؤلف «عالم آراي صفوي» السيد فياض «علي إلهيا» ومدعيا «بالألوهية» (عالم آراي صفوي، ص ١٣٥). يذهب ميرخواند في «حبيب السير» أبعد من ذلك فيقول إن «المشعشعين يقولون بألوهية فياض» [يبدو أنه لقب السلطان علي]. (المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٩٦). أمّا ولي قلي بن داود قلي شاملو في «قصص الخاقاني» فيعتبر «المشعشعين» قوماً «غالوا في التشيع فكانوا علي اللهية». (ج١، ص ٤٠). وفي كتاب آخر «يتحدث عن رواج فكرة ألوهية الحاكم المشعشعي بين أتباعه» (القاضي أحمد غفاري قزويني، تاريخ جهان آرا). ويتحدث مؤلف تكملة الأخبار (تاريخ صفويه أز آغاز تا ٩٧٨هـ) عن «فساد عقيدة علي وأيوب» و«غلو في المذهب». عبدي بيك شيرازي (نويدي) تكملة الأخبار»، ص ١٤٢.

(٧١) يحتل الإمام علي(ع) في قصائد الشاه إسماعيل الصفوي منزلة متميزة تتسم بالغلو. فمدحه مقدم على مدح النبي(ص). أمّا الخالق فيمتدح لأنه خلق علياً، وان من لا يؤمن بأن علياً هو« الحق» «كافر مطلق». محمد(ص) هو مجرد نبي ،أمّا علي(ع) فهو «مظهر الحقيقة» و«النور الإلهي». بل ان له منزلة إلهية.

(٧٢) كان مير حاجي محمد والشيخ محمد رعناشي ولدي مولانا قوام الدين رعناشي معلم أولاد السيد محمد. دفعهما الطمع في السلطة إلى الالتحاق بجيش الشاه إسماعيل عند هجومه على العراق ولعبا دوراً مؤثراً في تحريضه على الهجوم على الحويزة. كانا يعتبران السلطان علي والسيد أيوب «غاليين كعمهما» وهكذا قام الشاه إسماعيل «بالهجوم على تلك المنطقة» (القاضي نور الله المرعشي،نفس المصدر، ج ٢، ص٤٠١).

بعد استيلاء الصفويين على الحويزة حصل مير حاجي محمد على حكم شوشتر والشيخ محمد إمارة دزفول وكانت تلك جائزتهما على مرافقة الجيش الصفوي. (القاضي أحمد غفاري قزويني، نفس المصدر، ص ٩٤).

يتحدث محمد علي رنجبر عن الصراع بينهما وبين أولاد فلاح بن محسن، ماجد وبدران (حاكمي تستر ودزفول) قبل وصول الشاه إسماعيل إلى العراق واستغلالهما لوجود الشاه الصفوي في تقوية موقفهما والتخلص من خصومهما الذين أبعدوهما عن السلطة. (محمد علي رنجبر، المصدر نفسه، ص ١٩٦).

(٧٣)يبدو أن السيد مير نورالله المرعشي لم يحظ بالاهتمام الكافي بل انه كان موضع ارتياب. فقد صودرت أمواله في البداية، حسب رواية كسكل، ولكن تدخل أحد الأمراء جعل الملك الصفوي يعيد إليه أمواله ويرضيه. (انظر:

Caskel. P ، ٦٧ نقلاً ، عن محمد علي رنجبر، المصدر نفسه، ص ١٩٧).

(٧٤) أحمد كسروي، المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٧٥) لم يذكر المؤرخون شيئاً عن التحول العقائدي أو التغير الفكري لدى السيد فلاح. حتى كسروي نفسه لم يذكر شيئاً بهذا الخصوص.

(٧٦) السيد عبد الله الجزائري، نفس الكتاب، ج٢، ص ٤٠٠.

(٧٧) عبدي بيك شيرازي، نفس المصدر، ص ١٤٢.

(٧٨) لم يرد أي ذكر لهذه المسكوكات في أي مصدر تاريخي قبل هذا. وهذه هي أول مرة تُذكر فيها مثل هذه المسكوكات.
انظر: محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٧٩) أسرة رعناشي كانت تحكم دزفول ،وكان والي تستر أيضاً ممثلاً للحكومة الصفوية.

(٨٠) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص ٤٧

(٨١) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٢٥٧، هامش رقم ٢٠.

(٨٢) القاضي نور الله، نفس المصدر، ج٢، ص٤٠١.

(٨٣) السيد علي الموسوي المشعشعي، نفس الكتاب، ص٨٤ ـ ٨٨.

(٨٤) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٤٧.

(٨٥) السيد محسن الأمين، «أعيان الشيعة»، ج ١٣، ص٢٧٨.

(٨٦) السيد هادي باليل الموسوي من المحيطين والملمين بالتراث الثقافي لشعب خوزستان العربي. وله أبحاث قيمة في هذا المضمار وهو الآن يعكف على إنجاز المراحل النهائية لطبع كتاب «الياقوت الأزرق في أعلام الحويزة والدورق». وهو كتاب باللغة العربية وحصيلة عشرين سنة من البحث والتحقيق ويعتبر عملاً متميزاً من نوعه. وهو جدير بالعناية من حيث اختيار الموضوع وهو أعلام خوزستان وكذلك من حيث أسلوب البحث. لقد تجشم السيد هادي باليل عناء كبيراً وهو يتابع هذا العمل. وقد قرأت بضعة مقالات من الكتاب كانت تتعلق بعبد علي بن رحمة الحويزي وشهاب الدين الموسوي فكانت تتميز بطريقة التناول والاستناد إلى المصادر الأصيلة. والأمل يحدونا بأن يؤدي طبع الكتاب ونشره وترجمته إلى الفارسية إلى توسيع مداركنا عن أعلام خوزستان. كذلك فقد عثر السيد هادي باليل خلال بحثه ومتابعاته على النسخة المفقودة من «تذييل سلافة العصر» للسيد عبد الله الجزائري فقام بتصحيحه وكتابة مقدمة له ثم طبعه ونشره سنة ١٤٢٠هـ (١٣٧٨ش) عن طريق المكتبة الأدبية المختصة في قم. ولكن ما يؤسف له أن السيد هادي باليل الموسوي أغرق عشاق العلم والأدب في الحزن والهم حين فارق الدنيا بعد بضعة أشهر (شهر مهر ٨١ / ٢٠٠٣ م).

(٨٧) الأول ينفرد عن العسكر وهو راكب بغلته ! وهذا ليس من الحزم والرأي ويستخدم المرد من الشبان بمجلسه ولا هي من الوقار! ويشرب النبيذ وهو مُزْرٍ بدينه ودنياه. «الرحلة المكية»، ص٧٨ ـ ٨٨.

(٨٨) «يستخدم» تعني الاستفادة من الخدمات. واذا كان المراد الأفعال المشينة فيقال في العربية «يستعمل» و«استعمل» من باب «استفعال». فالسيد محمد بن فلاح في صفحة ٩٤ من «كلام المهدي»، مثلاً، وهو يتحدث عن بعض مخالفيه يستخدم كلمة «استعمل» في قوله: «... فإذا شاخ وكبر استعمل المردان...».

المرحوم السيد هادي باليل يعتقد أيضا ان المراد بـ «استخدام ويستخدم» هو أن الشبان كانوا في مجلس السيد بدران وفي خدمته.

(٨٩) يشير محمد علي رنجبر، متأثرًا بكتابات كسروي، إلى «الشذوذ الجنسي» لدى السيد بدران. ومن الغريب أن يعطي رنجبر هذا الرأي مع أنه مطلع على كتاب السيد علي ومراجعته لنص الكتابة ، وهذا يبين تأثره بكتابات كسروي.

(٩٠) السيد علي خان الموسوي المشعشعي، نفسه، ص٢١-٢٣.

(٩١) محمد حسين الزبيدي، نفس المصدر، ص٨٠.

كما ذكرنا سابقاً فإن هذا الكتاب هو بصورة عامة كتاب يتناول العلاقات الخارجية للمشعشعين. وإن ما كتبه و. كسكل حول العلاقات الخارجية للمشعشعين أكمل وأوثق من هذا الكتاب. فالدكتور الزبيدي ينقل في الصفحة ٦، استناداً إلى كتاب لا يتمتع بدرجة كافية من الاعتبار هو «تاريخ العمارة وعشائرها» لمحمد باقر جلالي، سلسلة آباء السيد محمد بن فلاح بشكل مغاير لكل ما جاء في المصادر المعتبرة ،فيعرفه بأنه السيد محمد بن فلاح بن مطيع الدين بن شرف الدين بن عوف بن نورالدين وأن لقب «المشعشع» سببه جمال وجه مطيع الدين وتألقه ثم أطلق على حفيده محمد بن فلاح. وهذا الكلام لا يستقيم لأن القاضي نور الله وآخرين لم يؤيدوا تلك الأسماء ولا تلك اللقب.

(٩٢) نفس المصدر، ص٨١.

(٩٣) نقلاً عن محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٠٩.

(٩٤) نقلاً عن محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣١٠.

(٩٥)هناك إشارات متفرقة في مصادر العصر الصفوي أيضاً عن وجود العثمانيين في هذه المنطقة. فأحد المصادر يتحدث عن حضور جيش الروم للاستيلاء على الحويزة وتستر سنة ٩٩٦هـ؛ أحمد بن شرف الدين حسين حسيني قمي، «خلاصة التواريخ»، ج٢، ص٨٧١.

(٩٦) نقلاً عن محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص ٣١٠-٣١١.

جدير بالذكر أيضا أن القاضي نورالله عاش في عهد السيد سجاد وبما أنه هاجر إلى الهند سنة ٩٩٢هـ لذا فإن ما يكتبه عن المشعشعين ينتهي باسم السيد سجاد وعهده.ومن ثم يصبح «الرحلة المكية» للسيد علي المشعشعي هو المصدر الأساسي لتاريخ المشعشعين.

(٩٧)السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص٢٣.

(٩٨)يذكر أن أم السيد مبارك كانت من قبيلة كربلا ونظراً للخلاف بين شيوخ كربلا وقبيلة نيس فقد طلبوا من ابن أختهم السيد مبارك أن يمنع سيطرة السيد زنبور، أو بالأحرى قبيلة نيس، على الحويزة. الرحلة المكية، الصفحة نفسها.

(٩٩)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٦٣.

(١٠٠) السيد علي خان الموسوي المشعشعي، نفس المصدر، ص٢٥ ـ ٢٦.

(١٠١) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٥٧.

(١٠٢) يتحدث السيد علي عن «الأعمال القبيحة» و«السرقة وقطع الطريق» من قبل مبارك بحيث اضطر أبوه إلى طرده من الدورق. ص ٢٤.

(١٠٣) السيد علي الموسوي المشعشعي، نفس المصدر، ص ٢٦.

(١٠٤) محمد حسين الزبيدي، نفس المصدر، ص ٨١.

(١٠٥) السيد علي الموسوي، نفس المصدر، ص٢٤.

(١٠٦) إسكندر بيك منشي، «تاريخ عالم آراي عباسي»، ص٥٠٠.

(١٠٧) نفس المصدر، ج١، ص٥٠٢.

(١٠٨) إسكندر بيك منشي، نفس الكتاب، ج١، ص٥٢٤.

(١٠٩) أحمد كسروي، نفس الكتاب، ص٦١.

(١١٠) نفس المصدر.

(١١١) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣١٨.

(١١٢) إسكندر بيك منشي، نفس المصدر، ج١، ص٥٢٥.

(١١٣) إسكندر بيك منشي، نفس المصدر، ج٢، ص٨٢٧.

كان الشاه عباس قد خصص أربعمائة تومان سنوياً لتغطية نفقات السيد ناصر ثم جعله حاكماً على ساوه.

(١١٤) محمد حسين الزبيدي، نفس المصدر، ص٦٠.

لم تؤيد المصادر المحايدة قول الدكتور الزبيدي هذا. وقد روى إسكندر بيك منشي هروب السيد بدر من البلاط وتورطه في لرستان.

(١١٥) نفس المصدر.

(١١٦) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣١٨.

(١١٧) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص٣١.

(١١٨) لدى حديثه عن ثورة الأفشاريين أطلق كسروي الحكم الكلي التالي: «لم يكن المشعشعيون ملتزمين إلاّ بالحكم و...» ص٦١.

(١١٩) ميرزا عبد الله أفندي تبريزي، رياض العلماء، ج٢، ص٢٤٢.

(١٢٠) راجع مبحث «مسكوكات (نقود) المشعشعين».

(١٢١) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٥١.

(١٢٢) لاشك أن وجود الشيخ البهائي في البلاط الصفوي ووجود تلميذه الشيخ عبد اللطيف الجامعي في الحويزة كان عاملاً أساسياً في هذا التحول العقائدي.

(١٢٣) نشرت هذه المقالة في العدد١٩، السنة الخامسة، خريف ١٣٨٣ من فصلية «تاريخ إسلام» تحت عنوان «إقدامات فرهنكي سيد مطلب مشعشعي» (الإنجازات الثقافية ...).

(١٢٤) ميرزا عبدالله أفندي، نفس المصدر، ج٣، ص٢٥٥.

(١٢٥) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٤٩.

(١٢٦) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص٩٦؛ أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٦٣.

(١٢٧) فقد السيد خلف بصره على يد أخيه السيد مبارك.

(١٢٨) محمد باقر خوانساري، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، ج٣، ص٢٦٣، ٢٦٦.

(١٢٩) خلف آباد اسم مدينة تقع على بعد ٩٠ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الأهواز على طريق أهواز – معشور. تم تغيير اسمها إلى رامشير في عهد رضا شاه ولكن الناس مازالوا يسمونها باسمها الأصلي،وخلف آباد بمعنى حي أو كوت خلف.

(١٣٠) ميرزا عبد الله أفندي التبريزي ،نفس الكتاب، ج٤، ص٧٧ ،٧٨.

(١٣١) محمد حسين الزبيدي، نفس المصدر، ص١٣٧.

(١٣٢) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٧٢.

(١٣٣) محمد حسين الزبيدي، نفس الكتاب،ص١٣٧.

(١٣٤) نفس الكتاب، ص١٣٨ – ١٣٩.

(١٣٥) ميرزا عبدالله أفندي، نفس الكتاب، ج٤، ص٧٧، ٨٠.

(١٣٦) و. كسكل، «واليان حويزة»، ترجمة الدكتور غلامرضا ورهرام، ص٧٨.

(١٣٧) محمد حسين الزبيدي، نفس المصدر، ص١١٣.

(١٣٨) الشيخ فتح الله الكعبي، «زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر»، ص٤٢.

(١٣٩) إسكندر بيك منشي، نفس المصدر، ج٢، ص ٩٢٨.

(١٤٠) بيترو دلاواله، سفرنامه بيترو دلاواله، ص ١١٥.

(١٤١) إسكندر بيك منشي، نفس المصدر.

(١٤٢) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص ٧٨.

(١٤٣) إسكندر بيك منشي، نفس المصدر، ج٢، ص ٩٥٢.

(١٤٤) نفس المصدر.

(١٤٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٩٥٩.

(١٤٦) نفس المصدر، ج٢، ص ١٠١٣.

(١٤٧) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص ٨٢.

(١٤٨) نفس المصدر، ص ٨٣.

(١٤٩) ميرزا عبدالله أفندي، نفس المصدر، ج٤، ص ٧٧.

(١٥٠) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص ٨٦.

(١٥١) بعد أن فقد السيد خلف بصره على يد أخيه السيد مبارك ذهب إلى جايزان وعاش هناك. يعتبر كسروي جايزان تابعة لكوهكيلويه وفارس، بينما جايزان اسم قرية على الطريق بين رامهرمز وبهبهان.

(١٥٢) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص ٨٧.

(١٥٣) نفس المصدر.

(١٥٤) نفس المصدر، ص ٣٦ – ٣٧.

(١٥٥) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٧٢.

(١٥٦) إسكندر بيك منشي، نفس المصدر، ج١، ص ٥٢٥.

(١٥٧) انظر: مبحث «حكام الحويزة بعد نادر» من هذا الكتاب.

(١٥٨) الشيخ فتح الله الكعبي، نفس المصدر، ص ١١٥.

(١٥٩) عندما يذكر كسروي قبيلة «الفضول» يذكرها باسم «آل فضول» وهذا خطأ. لأن «الـ» الفضول «الـ التعريف» على العكس من «آل كثير» و «آل سلطان» وهي بمعنى الأسرة والسلالة.

(١٦٠) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص ٣٢٧

(١٦١) السيد علي خان الموسوي المشعشعي، نفس المصدر، ص ٣٧.

(١٦٢) نفس المصدر، ص ١٢٤.

(١٦٣) نفس المصدر، ص ١٣٤.

(١٦٤) وردت تفاصيل هذه المعركة في كتاب «دستور شهرياران».

(١٦٥) يذكر أحد المصادر أن عزل السيد علي يعود إلى «ارتكاب الفسق والفجور» وكذلك «قبائح الأعمال وفضايح الأفعال». محمد إبراهيم نصيري، نفس المصدر، ص ٢٦٠.

(١٦٦) في كتابه ينسب السيد علي الوساطة للعفو عن السيد فرج الله إليه. ويورد كسروي ما كتبه السيد علي في «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان». نفس المصدر، ص٢٥٠ – ٥١.

(١٦٧) محمد علي رنجبر، نفس الكتاب، ص٣٣٨.

(١٦٨) نفس المصدر

(١٦٩) السيد عبد الله الجزائري،نفس الكتاب، ص٨٩.

(١٧٠) تاديوز يودا، كروسينسكي، سفرنامه ي كروسينسكي، يادداشتهاي كشيش لهستاني عصر صفوي» ، ص٥٩.

(١٧١) عباس العزاوي، نفس المصدر، ج٥، ص٢٢٣.

(١٧٢) يقول الدكتور الزبيدي في «إمارة المشعشعين» استناداً إلى كتاب شاكر صابر الضابط «العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران»: في السنة ١١٤٠هـ (١٧٢٧م)عقدت معاهدة تعيين الحدود الإيرانية العثمانية فخضعت الأراضي التي كانت تحت سيطرة المشعشعين إلى الدولة العثمانية. ويؤيد هذا القول سليمان فائق في «الحروب الإيرانية في العراق» الصفحة ٦٠ كما يلي: (... إبقاء لواء الحويزة إلى الدولة العثمانية). وقد تضمنت المعاهدة بنوداً نص أحدها على أنه إذا نجح عشائر المنطقة في تأمين الاستقرار وعدم إقلاق باشا بغداد فلن يكون من حق الدولة العثمانية فرض سيطرتها عليها والا جاز لها أن تبسط سيطرتها عليها ولا يحق للحكومة الايرانية الاعتراض. ثم يقول إنه بعد حدوث الاضطرابات والفتن في الحويزة قام الوزير أحمد باشا بتحشيد جيش كبير ضم في ما ضم قوة من القاهرة للهجوم على الحويزة حيث انطلق صوبها سنة ١١٤١هـ (١٧٢٨م) من البر والماء. وحين رأى الأهالي والأمير المشعشعي ضخامة الجيش أدركوا أن لا قبل لهم به فاستسلموا له. فطلب منهم والي بغداد دفع غرامة وتسليم السلاح ولكنه أبقى الأسرة المشعشعية على مسند السلطة. فجعل السيد محمد بن فرج الله المشعشعي والياً على الحويزة وعاد هو إلى بغداد. المصدر نفسه، ص٨٧.

(١٧٣) لورنس لكهارت، «انقراض سلسله ي صفويه وأيام استيلاي أفاغنه در إيران»، ص ٢٥٥.

(١٧٤) ميرزا مهدي استرابادي، «تاريخ جهانكشاي نادري»، ص١٥٦.

(١٧٥) متابعة لأحمد كسروي يعتبر محمد علي رنجبر أيضاً حاكم الحويزة سنة ١١٤٢هـ السيد علي خان. وهو يوافق رأي كسروي لأنه غير مطلع على حكم السيد محمد بن فرج الله سنة ١١٤١هـ ،نفس المصدر،ص٣٥٣.

(١٧٦) محمد علي حزين لاهيجي، «تاريخ وسفرنامه ي حزين»، ص٢١٥.

(١٧٧) السيد عبدالله الجزائري، نفسه، ص٩٢.

(١٧٨) ميرزا مهدي استرابادي، نفسه، ص٢٨٦.

(١٧٩) أحمد كسروي، نفسه، ص١٠٥.

(١٨٠) تاديوز يودا، كروسينسكي، نفس المصدر.

(١٨١) محمد علي حزين لاهيجي، نفس المصدر.

(١٨٢) محمد حسن مستوفي، «زبدة التواريخ»، ١٣٧٥.

(١٨٣) «علل برافتادن صفويان، مكافات نامه»، ١٣٧٢.

(١٨٤) مؤلف «مشعشعيان، ماهيت فكري...» يوافق هذا الرأي أيضاً. ص٣٤٢.

(١٨٥) لورنس لكهارت، نفس المصدر، ص١٥٥.

(١٨٦) «كلون آباد» قرية تبعد بضعة كيلومترات عن أصفهان شهدت المعركة المصيرية بين الأفغان والصفويين. يذكرها كسروي في كتابه باسم «كلناباد».

(١٨٧) نفس المصدر، ص١٦١.

(١٨٨) نفس المصدر، ص١٦٧.

(١٨٩) كان محمود يقول جهاراً: «لا يمكنني النظر بإحسان إلى من خانوا ملكهم ، فهم يرتكبون الخيانة كلما اضطروا إلى ذلك.» ولهذا قام بقتل جميع من خان الشاه سلطان حسين ، بينما أودع السجن جميع أمراء الأسرة الحاكمة للاطمئنان من جانبهم. (نقلاً عن لورنس لكهارت، المصدر نفسه، ص٢٣٠ و٢٣١).

(١٩٠) من بين الذين خانوا الشاه سلطان حسين فتحعلي خان داغستاني الذي كان من حاشية الملك. فقتله محمود أفغان لعدم ثقته بالخونة. (لورنس لكهارت، نفس المصدر،ص١٧٢).

(١٩١) علي رضاقلي، «جامعه شناسي نخبه كشي»، ص٥٧.

(١٩٢) محمد كاظم مروي؛ «عالم آراي نادري» ، ج١، ص٣٤٣.

(١٩٣) كان نادر من الاستبداد والقسوة بحيث أن أهالي تستر لم يملكوا الجرأة على مفاتحته بتحطم سد ميزان؛ السيد عبدالله الجزائري، نفس المصدر، ص١١٤.

(١٩٤) السيد عبدالله الجزائري، نفس المصدر، ص١١٩.

(١٩٥) نفس المصدر، ص٣٤٤.

(١٩٦) كان حاكم الولاية يسمي في العصر الصفوي «بيكلربيكي» والحاكم الذي يأتمر بامره «قول بيكي»؛ تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٢٦٣، هامش ٨٧.

(١٩٧) السيد عبدالله الجزائري، نفس المصدر، ص١٢٢.

(١٩٨) كريم خان زند (تاريخ إيران بين سالهاي ١٧٧٩-١٤٧٤)، ص٥٠.

(١٩٩) في الصفحة ٣٥٦ من كتاب «مشعشعيا، ماهيت فكري...» ذكر أن سنة وفاة المولى مطلب كانت ١١٦٧هـ فكان حكمه ١٦ سنة. ويبدو أن هناك خطأً مطبعياً جعل السنة ١١٧٦ تصبح ١١٦٧ ففي الصفحة التالية ذكر أن خليفة المولى مطلب حكم منذ ١١٧٦. أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١١٤.

(٢٠٠) أورد كسروي في الهامش رقم ٩٣ من الصفحة ٢٦٤ استنتاجاته الناتجة من كتابات الآخرين حول مقتل المولى

مطلب. لذا فكل ما يقوله كسروي عن مقتل المولى مطلب على يد محمد خان كلام ضعيف، على أن رواية محمد علي رنجبر في هذا المجال أصح وأكثر اعتباراً.

(٢٠١) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٥٦.

(٢٠٢) ميرزا محمد صادق نامي موسوي أصفهاني، تاريخ كيتي كشا در تاريخ زنديه، سنة ١٣٦٣.

(٢٠٣) يذكر أحمد كسروي في كتاب تاريخ بانصد ساله ي خوزستان ،بني طرف في ثلاثة مواضع مختلفة. في الصفحة ١٢٥ يقول انهم «محاربون شجعان» وفي الصفحة ٢١٧ يقول عنهم : «لعلهم أشجع عشائر خوزستان» وفي الصفحة ٢٤١ يقول انهم «أشجع عرب خوزستان». ان كلامه هذا وراءه ما وراءه من المصالح السياسية. أمّا من حيث شجاعة بني طرف فلا شك. ولكن ليس من المقبول وصفهم بأنهم أشجع من غيرهم من الشجعان.

لقد أعطى الحاج عبد الغفار في كتاب رحلته الموضوع حقه إذ قال: «العرب جميعهم شجعان ومحاربون ولا يرهبون الموت»؛ سفرنامه ي خوزستان، ص٤٨.

(٢٠٤) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٥٧، كذلك أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٢٤.

(٢٠٥) نفس المصدر.

(٢٠٦) حاج عبدالغفار نجم الملك، نفس المصدر، ص٦٠ و٦٥ و٧١.

(٢٠٧) جاسم حسن شبر، نفس المصدر، ص١٩٤،١٩٦.

(٢٠٨) نفس المصدر، ص٣٥٨.

(٢٠٩) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٥٧.

(٢١٠) «...المولى مطلب شخصية قوية صادقة حازمة، ويعتبر اليوم أكبر شخصية في خوزستان بعد المرحوم نصرت الملك [الشيخ مزعل آلبوكاسب]». حاج عبد الغفار نجم الملك، سفرنامه ي خوزستان، ص٦٠.

(٢١١) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٥٩.

(٢١٢) حسب الشرح الموجود في الهامش رقم ٧٠ من كتاب تاريخ بانصد ساله ى خوزستان يبدو الرقم «١٨٥»، إلاّ أن كسروي متأكد من أن المقصود هو «١٠٨٥» وأنه في ذلك الوقت كانت مثل هذه الأخطاء تقع بكثرة في الأرقام الهندية [!] كما تكثر حالات إسقاط الصفر. (أحمد كسروي، نفسه ص٢٦١).

(٢١٣) نفس المصدر، ص٨٧.

(٢١٤) نفس المصدر، ص٧٠ وص٨٤.

(٢١٥) عباس العزاوي، «تاريخ النقود العراقية». (نقلاً عن جاسم حسن شبر، ص٢١٦).

(٢١٦) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٠٥ و٣٠٦.

(٢١٧) وجود هذه المسكوكة يؤيد أن سنة وفاة السلطان محسن هي ٩٠٥هـ. فالمؤكد أن وجوده على قيد الحياة لا يتناسب

مع ضرب النقود من قبل ابنه السيد فلاح. وهكذا فإن ما نكره أكثر المؤرخين والباحثين عن تاريخ وفاة السلطان محسن صحيح، أمّا السنة التي يذكرها جاسم حسن شبر وهي ٩١٤هـ فهي ليست سنة وفاته.

(٢١٨) مجلة «علم المسكوكات البريطانية»، سنة ١٩٥٠م، ج١ و٢، ص١١٩ و١٢٠، ومجلة «علم المسكوكات الألمانية»، سنة ١٩٠٤م، ص٩٦ و٩٨. (نقلاً عن جاسم حسن شبر، المصدر نفسه، ص٢١٦ و٢١٧).

(٢١٩) القاضي أحمد غفاري، نفس المصدر، ص٩٣.

(٢٢٠) يعتبر جاسم حسن شبر التشابه بين نقود الآق قويتلو والنقود المشعشعية ووجود أسماء الأئمة الاثني عشر عليها دليلاً على تأثر الآق قويتلو بالمشعشعيين ،نظراً للعلاقات الوثيقة بين دانا خليل والسلطان محسن ابن السيد محمد. (جاسم حسن شبر، نفس المصدر، ص ص ٢١٥ إلى ٢١٩).

(٢٢١) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٤٧.

(٢٢٢) البارون دوبد، «سفرنامه ي لرستان وخوزستان»، ص٣١٨.

(٢٢٣) فلاديمير فدروفتش مينورسكي، «سازمان اداري حكومت صفوي» ، ص٤٤.

(٢٢٤) سانسون، سفرنامه ي سانسون، «وضع كشور شاهنشاهي إيران در زمان شاه سليمان صفوي»، ص٥٨.

(٢٢٥) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٩٧.

(٢٢٦) يقول لورنس لكهارت: أرسل أشرف، رسوله إسماعيل إلى قائد الجيش التركي حاملاً مشروع سلام في ١٥ صفر ١١٤٠هـ (٢ تشرين الأول / أكتوبر ١٧٢٧)... وكانت الاتفاقية تحتوي على ١٢ مادة. وفيها اعتبر سلطان تركيا إمام العالم الإسلامي بشكل رسمي وحصلت تركيا إلى الأبد على كرمانشاه وهمدان ومناطق سننذج وأردلان ونهاوند وخرم آباد ولرستان ومكري ومراغه وخوي وتبريز وجزء من آنربايجان وكنجه وقراباغ وايروان واردوباد ونخجوان وتبليسي وجميع ولايات جورجيا والمناطق الشمالية والحويزة وكذلك مناطق أخرى مثل أبهر وطارم التي سبق للأتراك أن استولوا عليها قبل نلك بسنة. (نفس المصدر، ص٣٣٦).

(٢٢٧) و. كسكل، «واليان حويزه»، ص٨٧.

(٢٢٨) لورنس لكهارت، المصدر نفسه، ص٣٤٥.

(٢٢٩) يعتبر كتاب «مشعشعيان، ماهيت فكري...» شرق خوزستان موطن آل كثير (ص ٣٥٦ و٣٥٧)، وهذا خطأ فآل كثير ينتشرون في غرب خوزستان والمناطق المذكورة في النص.

قبائل كعب من الماء إلى الماء، ص٤١٦.

(٢٣٠) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص٧٨.

(٢٣١) نفس المصدر، ص٢٦.

(٢٣٢) نفس المصدر، ص١٣١.

(٢٣٣) نفس المصدر، ص١٢٤.

(٢٣٤) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٩٨.

(٢٣٥) السيد عبد الله الجزائري، نفس المصدر، ص٩١-٩٢.

(٢٣٦) عندما دخل نادر شاه تستر توسط لديه كلبعلي خان فأعاد أبو الفتح خان حاكماً على تستر. نفس المصدر، ص١١٢.

(٢٣٧) إيلچي تعني السفير والمبعوث.

(٢٣٨) ميرزا مهدي إسترابادي، نفس المصدر، ص٢٨.

(٢٣٩) نفس المصدر، ص٧٢ و٧٦-٧٧.

(٢٤٠) ذكر محمد حسين خان قاجار في رسالة بعث بها إلى نادر أن «المتمردين الكعبيين» و«الشيخ فارس آل كثير» طلبوا الأمان؛ تاريخ جهانكشاي نادري، ص٧٨.

(٢٤١) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١١٣.

(٢٤٢) السيد عبد الله الجزائري، نفس المصدر، ص١٢٦.

(٢٤٣) نفس المصدر، ص١٢٩، ١٣٠.

(٢٤٤) نفس المصدر، ص١٣٠.

(٢٤٥) نفس المصدر، ص١٤٦ و١٤٧.

(٢٤٦) نفس المصدر، ص١٨٧- ١٨٨.

عند حديثه عن حوادث سنة ١١٦٧هـ و«فتنة شوشتر واضطراباتها» وانتشارها في عربستان في تذكرة تستر، يتحدث السيد عبدالله الجزائري عن «أن الشيخ سعد آل كثير كان مسجوناً في الحويزة». وليس معروفاً كيف وقع هذا الحبس. ص٢٠٢.

(٢٤٧) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١١٦.

(٢٤٨) ميرزا محمد صادق نامي موسوي أصفهاني، تاريخ كيتي كشا، ص١٠٩-١١٠.

(٢٤٩) نفس المصدر، ص١٢٣، ١٢٤.

(٢٥٠) نفس المصدر، ص١٣٠.

(٢٥١) حاج عبدالغفار نجم الملك، نفس المصدر، ص١١٩-١٢٣.

(٢٥٢) يوسف عزيزي، قبايل وعشاير عرب خوزستان، ص٨٠.

(٢٥٣) إن كونه سيداً [من سلالة النبي (ﷺ)] وفي الوقت نفسه كسروياً، أمر لا يخلو من غرابة. فهو من جانب يسمي نفسه السيد أحمد، ومن جانب آخر يدعي أنه ينتمي إلى شهربانو ابنة كسرى زوجة الإمام الحسين(ع). ان اختياره لهذا اللقب وهذا الانتساب يكشف عن عصبيته وتنصله من أصله. فهو من جهة الأم يعتبر نفسه من أحفاد الإمام الحسين(ع) في حين أن الناس تنسب إلى الآباء لا الأمهات. يقول يارار أفندي في صحيفة «طنين» التركية: «هو لا ينكر

كونه سيداً بل يسمي نفسه في جميع كتبه السيد أحمد.» فسألته: إذن ما وجه لقب كسروي؟! فأجاب: إن السادات هم إيرانيون من جهة الأم. فهو يعتبر نفسه إيراني الأصل بهذه الطريقة. كان يقول: «نحن من سلالة الإمام الحسين وبما أن زوجته كانت شهربانو بنت كسرى وهي جدتنا فإني كسروي.» في حين كان الأولى به أن ينسب نفسه إلى النبي وهو شرف لكل العالمين. إلاّ أنه أراد أن يحول أصله إلى الإيرانية فلصق نفسه بالكسروية.» نقلاً عن كاروند كسروي، المصدر نفسه، ص٥٤٩. في إحدى كتاباته يصف كسروي الأعراق غير الفارسية الموجودة في إيران بأنها أعراق صغيرة. وهو نفس كلام محمود أفشار القائم على أساس تفوق العنصر الآري.

(٢٥٤) أحمد كسروي، يك توده را جنان كه راه بايد راهنمايان هم بايد، ص٤٢٠.

(٢٥٥) يصف كسروي العرب في الصفحات ١٥ و١٦ و١٧ و١٩ و٢٢ و٣٦ و٤٨ و٤٩ و٩١ و٩٩ و١٠٣ و١٠٥ و١١١ و١٢٢ و١٢٣ و١٢٩ و١٣٠ و١٣٦ و١٤٦ و١٩٧ بأنهم نهابة يمتهنون النهب. هذا وقد تكررت ثلاث مرات في الصفحة ١٧ وثلاث مرات في الصفحة ٢٢ ومرتين في الصفحة ٤٨ وأربع مرات في الصفحة ٤٩ وخمس مرات في الصفحة ٩١ وأربع مرات في الصفحة ٩٩ ومرتين في الصفحة ١٠٥ ومرتين في الصفحة ١٣٦ ومرتين في الصفحة ١٩٨. هذه المواضيع مدرجة من أواخر الصفحة ٤٨ حتى أواسط الصفحة ٤٩ من كتاب تاريخ بانصد ساله ي خوزستان.

(٢٥٦) أحمد كسروي، المصدر نفسه، ص٩١.

(٢٥٧) أحمد كسروي، المصدر نفسه، ص٢٦٤، هامش رقم ٩٣.

جدير بالذكر أن مؤلف «مشعشعيان، ماهيت فكرى...» يعزو قتل السيد مطلب إلى خيانة زكي خان الزندي وهذا خلاف ما يذكره كسروي. على أساس هذا الكتاب فإن زكي خان بعد أن ثار على ابن عمه كريم خان وانهزم أمامه التجأ إلى السيد مطلب الذي آواه حسب مقتضيات العادات العربية ووفر له كل أسباب الراحة. بعد ذلك رافقه في المعركة التي دارت بين السيد مطلب وآل كثير. ولكن زكي خان قام بقتل السيد مطلب بتشجيع من آل كثير وتنسيق معه. (محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٣٥٦-٣٥٧)

(٢٥٨) يقول أحمد كسروي في الصفحة ١٣٨ من تاريخ بانصد ساله ي خوزستان نقلاً عن مؤلف تذكرة شوشتر: «بلغ الشيخ سلمان من حسن السياسة أن وجود اللصوص والسرّاق في مناطق نفوذه أصبح كوجود العنقاء ولو أن امرأة عمياء سارت ليلاً من قرية إلى قرية وعلى رأسها طبق مليء بالذهب لم يعترضها أحد».

(٢٥٩) البارون دوبد، نفسه المصدر، ص٤٣١.

(٢٦٠) السير هنري راولنسون، «سفرنامه ي راولنسون»، ص١٤٨.

(٢٦١) يذكر أن كسروي أشار إلى هذا الموضوع: «ولكن البختياريين انحدروا إلى خوزستان من ذلك الوقت [عهد ناصرالدين شاه] واتخذوها مشتى لهم وكعادتهم ألحقوا أضراراً فادحة بالقرى والقصبات فيها» تاريخ پانصد ساله خوزستان، ص١٨٧.

(٢٦٢) البارون دوبد، نفس المصدر، ص٤٢٤.

(٢٦٣) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٣٦، ١٠٥. سيمين فصيحي، نفس المصدر، ص١٨٧. رغم هذا الرأي فإن بعض الباحثين يرون في كسروي قومياً متطرفاً وفي بعض الحالات يعتقدون أنه شوفيني ذو مشاعر

قومية ممزوجة بالعنصرية. انظر: «تحقيق در تاريخ وعقايد شيخي كري،...» صص ٢٦٠ و٢٦٧.

(٢٦٤) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص٣٠.

(٢٦٥) السير برسي سايكس، ده هزار مايل در إيران يا سفرنامه جنرال سر برسي سايكس، ص٢٩١.

(٢٦٦) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص١٧٧، وانظر كذلك هامش رقم ١٣١، ص٢٦٩.

(٢٦٧) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٢٥١.

(٢٦٨) نفس المصدر، ص٣٨.



الفصل الخامس

بنو كعب

أصول بني كعب

جاء في كتاب «موسوعة قبائل العرب»، وهو أحدث ما كتب عن قبائل العرب، عن بني كعب[١] ما يلي: «كعب قبيلة كبيرة تتوزع على العراق والسعودية والإمارات العربية المتحدة وسوريا والأردن وإيران. كعب هو ابن ربيعة وهم عدنانية[٢]. ويقول ابن منظور المصري أيضاً في «لسان العرب»: كعب بن ربيعة بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٣].

شجرة النسب الأدنى تبين لنا أصول بني كعب وأصول بني خفاجة[٤].شجرة النسب هذه مستخرجة من أحد عشر كتاباً معتبراً يتضمن اسمين لكعب ،الأول كعب ابن ربيعة بن عامر والآخر كعب بن عمر بن كلاب بن ربيعة بن عامر. والحقيقة أن كعب الأول هو ابن ربيعة أما الثاني فابن حفيد ربيعة وهذا يبين أن الاثنين من نسل ربيعة.

ويقول أحمد بن عبد الله القلقشندي في كتابه أيضاً: بنو كعب أبناء عامر بن صعصعة[٥]. وربما تعمد القلقشندي عدم ذكر اسم أبي كعب وهو ربيعة وذهب مباشرة إلى جده. لأن الشكل التوضيحي في الصفحة التالية لم يرد فيه كعب بن عامر بن صعصعة. ومن جانب آخر فإن من الدارج عند العرب أن ينسب الأفراد (وليس الفرد) إلى جدهم.

وفي أحدث ما كتب عن العشائر العربية يقول عبد عون الروضان: بنو كعب أبناء ربيعة بن عامر بن صعصعة وهم عرب عدنانية[٦]. أمّا مؤلف كتاب «الدروع الداودية» الشيخ داود الكعبي فيرجع بأصل بني كعب إلى كعب بن عامر[٧].حتى عبد المسيح الأنطاكي في «الدرر الحسان» حين يذكر أسرة آلبوكاسب يقول إنهم كعبيون ومن قبيلة بني عامر[٨].

أمّا الحاج علوان بن عبد الله الشويكي ففي معرض حديثه عن معركة بني كعب مع والي البصرة في عهد الشيخ غيث فيعتبرهم «أبناء عامر»[٩]. ولا شك أبداً في انتساب بني كعب إلى عامر بن صعصعة وهذا ما تؤيده جميع الكتب المعتبرة. كما يؤيده كبراء بني كعب وجميع المعمرين والنسابين العرب في الأهواز. فبنو كعب الأهواز يصرون دائماً على انتسابهم إلى عامر ويعرفهم الناس كذلك من نسل عامر. حتى إن «نداء نخوتهم» هي «عامر»[١٠] .وفي الأهواز يحمل الكثير من الكعبيين لقب «عامري» وهناك محلة في مدينة الأهواز تحمل هذا الاسم وهي من المحلات القديمة في المدينة. بل إن بني عامر في مدينة نائين (قريبة من أصفهان) يقولون إنهم من نسل كعب بن عامر. والحاج عصمان الطرفي، وهو أحد النسابين الأهوازيين، كذلك يقول: بنو كعب أبناء عامر بن صعصعة بن معاوية[١١].

الاحتمال القوي أن بني كعب الأهواز، أبناء كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. والاحتمال الضعيف أنهم أبناء كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وليس هناك فرق كبير بين الاثنين وهم جميعاً ينتمون إلى جد واحد هو ربيعة بن عامر.

شجرة النسب لبني كعب وبني خفاجة

عدنان

مَعد

نزار

مضر

عيلان

قيس

خصفة

عكرمة

منصور

هوازن

بكر

معاوية

صعصعة

عامر

ربيعة

كعب

عُقيل

عمرو

خفاجة

كعب النويرة

بنو كعب وبنو خفاجة

يبدأ أحمد كسروي القسم الثاني من كتابه بشرح أصل بني كعب ونسبهم. ويقدم معلومات خاطئة بعيدة كل البعد عن الحقيقة دون أن يذكر المصادر التي استقى منها[١٢]. يبدأ كلامه بما يلي: «هناك قبائل عربية كثيرة باسم كعب. وعشيرة كعب هذه هي فرع من بني خفاجة.»[١٣] ولا يذكر المصدر الذي أخذ منه هذه المعلومة. وهذا ما يُفقد كلامه الاعتبار العلمي ،لأن إيراد أي معلومة من هذا القَبيل دون ذكر المصدر يجردها من اعتبارها العلمي.

ويوضح كسروي هذا الكلام في الهامش. ولكن التوضيح نفسه خالٍ من المصدر وهو بحد ذاته ناقص وغير منسجم ويحتاج إلى سند وإيضاح. يقول في الهامش: «أورد اللورد كرزن وآخرون كلاماً ضعيفاً حول أصل الكعبيين وعن الموطن الذي جاؤوا منه إلى خوزستان.»[١٤]. وهو لا يقول أصلاً ما الذي يقوله «اللورد كرزن وآخرون» ولماذا «كلامهم ضعيف». إن المبحث الخاص بأصل بني كعب ونسبهم في «تاريخ بانصد ساله خوزستان» من البحوث غير العلمية وغير الحقيقية التي تفضح توجهات كاتبها ونواياه. يقول اللورد كرزن في كتابه عن بني كعب: «تعتبر قبيلة كعب من أهم القبائل العربية وكانت في الأصل من ٧٢ فرعاً اختفى أكثرها ولكن المتبقي منها في عربستان كثير.»[١٥].

تُرى أي هذا الكلام «كلام ضعيف»؟

والسؤال: لماذا يعتبر كسروي بني كعب فرعاً من بني خفاجة؟ لقد قرأ كسروي في بعض الكتب أشياء عن فرعٍ من بني خفاجة وهو بتضخيم تلك الأشياء أو تحريفها وقلبها تارة أو الكذب تارة يحاول إعطاء صورة قبيحة عن بني خفاجة ومن ثم بني

كعب. ولكن أصل القضية أن افتراض كسروي المسبق بأن بني كعب هم فرع من بني خفاجة خاطئ وهو كلام ضعيف جداً. لأن بني كعب كما ذكرنا هم أبناء ربيعة بن عامر وليسوا أبناء خفاجة(١٦). وسوف أقدم المزيد من الوثائق والمستندات في هذا الخصوص. ولنعد الآن إلى حديث كسروي عن بني خفاجة. إن أحمد كسروي يحرّف الواقع حتى عن خفاجة نفسها فيواصل قائلاً:

«كان بنو خفاجة قبيلة كبيرة نزحت من السعودية إلى العراق قبل الإسلام بقرون فاستوطنت الأرض الكائنة بين بغداد والبصرة. وقد تردد اسمها في كتب التاريخ كثيراً بسبب امتهانها السطو وقطع الطريق والقتل فكانوا يغيرون على قوافل الحجيج كثيراً. وإن كلمة «خفاجة» نفسها مرادفة للسارق وقد وردت في المعاجم الفارسية بهذا المعنى.

في أواخر القرن السادس الهجري كانت خفاجة على فرعين: بني كعب وبني حزن. والغريب أن الخليفة كان يعهد اليهم بحماية الطرق في العراق وربما كان ذلك لأنه لم يجد وسيلة أخرى لحمايتها من اغاراتهم وسطوهم إلاّ بإسناد حمايتها إليهم.»(١٧).

وكعادته لا يذكر كسروي مصادر معلوماته ولا يقول لنا على ماذا اعتمد في قوله إن «كلمة خفاجة نفسها مرادفة للسارق». وكيف نسب بني كعب ساكني القبان إلى بني خفاجة. إنه يكرر ما فعله في السابق فيحيلنا إلى الهامش رقم ٩٧ الذي لا يختلف عن سابقه في كونه عمومياً ولا يساعد القارئ في التوضيح ولا يضفي أي اعتبار على أقوال كسروي. يقول الهامش:

«انظر البرهان القاطع وباقي المعاجم. يقول سعدي في «كلستان» وهو يروي قصة ذهابه إلى الحج: وإذا بلصوص خفاجة سطوا على القافلة ونهبوها.»(١٨).

ولغرض كشف الحقيقة وفضح توجهات كسروي وأغراضه نستعرض كتاباته لبيان الحقيقة للجميع. أولاً: لم يقل سعدي في كلستان أبداً «إن خفاجة مرادفة للص».

إنه يحدد هوية اللصوص فحسب. معنى هذا أن سعدي لم يقل ما تقوّله عليه كسروي.

ثانياً: في البرهان القاطع ليست «كلمة خفاجة مرادفة للسارق». يقول محمد حسين بن خلف التبريزي المعروف ببرهان نقلاً عن «منتهى الأرب» ذيل كلمة خفاجة: «قبيلة من بني عامر أكثر أهلها قطاع طرق.»(١٩) .وهذا أيضاً مخالف لما يقوله كسروي ويكشف بوضوح عن تحريفه لقول محمد حسين التبريزي.

ثالثاً : أننا راجعنا «المعاجم الأخرى» ولم نجد أياً منها يعتبر «خفاجة مرادفة للسارق» وهذه كذبة أخرى من كسروي.فالمنجد، وهو من أهم المعاجم العربية، ليس فقط لا يعتبر «كلمة خفاجة مرادفة للسارق» بل لا يعتبر «أكثر أهلها قطاع طرق»(٢٠) . و«لسان العرب» أيضاً، وهو من أهم المعاجم العربية بل هو مرجع جميع كتّاب المعاجم، لا يقول إن «كلمة خفاجة تعني السارق»(٢١).

إضافة إلى ذلك يقول كسروي ان بني كعب وبني حزن فرعان من بني خفاجة دون أن يورد مصدراً لقوله. والحقيقة أن بني كعب ليسوا فرعاً من بني خفاجة. لأن جميع المصادر المعتبرة تقول ان بني كعب أبناء ربيعة بن عامر وليسوا أبناء خفاجة. يقول ابن خلدون في الصفحة ١٢ من الجزء السادس من كتاب «العبر» عن بني خفاجة: «خفاجة بن عمرو بن عُقيل من بني عُقيل. انهم يسكنون في الوقت الحاضر بين دجلة والفرات وهم أصحاب جاه ومقام وأصحاب قوة وسيطرة في تلك المناطق.»(٢٢) ان ما يقوله ابن خلدون عن بني خفاجة مخالف لما يقوله كسروي من أن كلمة خفاجة مرادفة للسارق. كذلك فإن هذا الكلام مطابق تماماً لما هوموجود في شجرة النسب المرسومة لبني كعب ويبين أن بني كعب ليسوا من خفاجة، بل إن خفاجة هو ابن حفيد كعب بن عامر.

على أن ما يكشف كذب كسروي أكثر من غيره هو ما كتبه عباس العزاوي عن هاتين القبيلتين. فالعزاوي في كتابه يفصل بين بني خفاجة وبني كعب ويتكلم عن كل واحدة

منهما على انفراد[٢٣]. إضافة إلى ذلك يتحدث في «تاريخ العراق بين احتلالين» عن بني خفاجة في القرن التاسع الهجري فيقول إنهم كانوا يسكنون الحلة وكربلاء وبغداد وديالى[٢٤].

لا يتحدث ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ) ولا ابن بطوطة (٧٠٣ ـ ٧٧٩هـ)، وكلاهما عاش في القرن الثامن الهجري، إلاَّ عن بني خفاجة ولا يذكرون بني كعب وبني حزن أبداً وهذا خلاف ما يقوله كسروي.

ويستمر ذكر بني خفاجة في القرن التاسع وهم الذين لجأ اليهم السيد محمد المشعشع حين هرب من الحلة إلى الكوفة[٢٥]. ومنذ ذلك الحين مازال اسم بني خفاجة يتردد كقبيلة مستقلة ولم يتغير اسمهم إلى بني كعب. يقول علي نعمة الحلو في كتابه الرابع: «كان لخفاجة دور بارز في ثورة العشرين في العراق.»[٢٦].

وينقل علي نعمة الحلو في كتابه كلام كسروي حول كون بني خفاجة من فرعين. ولكن كل ما كتبه في هذا الباب كان باسم خفاجة وحدها ولم يذكر بني كعب أو بني حزن. وحين يتحدث عنها في بداية القرن العشرين يقول ان خفاجة تنتشر اليوم في الشطرة والحلة وكربلاء وبغداد وديالى وباقي المناطق. وهو نفسه يتحدث، دون أن يذكر تاريخاً محدداً، عن حضور هذه القبيلة في منطقة الحويزة: «يعود تاريخ هجرة قبيلة خفاجة إلى الأهواز إلى الماضي البعيد ،حيث سكنوا جوانب نهر المالكية لهذا السبب سميت تلك المنطقة التابعة للحويزة باسم «الخفاجية». واختلط بعضهم مع عشائر أخرى مثل «الشرفاء» ولكنهم مازالوا يسمون «خفاجة» في حين حمل بعضهم أسماء جديدة مثل «المراونة».»[٢٧] هذا الكلام يدعم الكلام السابق ويثبت أن خفاجة كان لها مسار مستقل عن بني كعب.

يقول علي نعمة الحلو عن أصل بني خفاجة ونسبهم: «يذكرون في كتب التاريخ باسم بني عامر بن صعصعة وهي من القبائل العدنانية. ويقال لهم بني عُقيل (بضم العين)

أيضاً. عقيل بن كعب من قيس بن عيلان ومنهم الشاعر المعروف أبو سعيد بن سنان الخفاجي ساكن حلب المتوفى سنة ٤٦٦هـ . يقال ان خفاجة هو نفسه معاوية بن عمرو ابن عقيل[٢٨]. وهذا الكلام يتوافق مع كلام ابن خلدون الذي يقول : خفاجة بن عمرو ابن عقيل من بني عقيل ولا يختلف عما في كتاب المنجد. حتى مؤلف كتاب «موسوعة قبائل العرب»، وهو من أحدث ما نشر، يعتبر خفاجة قبيلة من بني عقيل بن كعب بن ربيعة[٢٩].

كذلك فإن ما يجرد كلام كسروي من الاعتبار وجود مدينة الخفاجية في غرب الأهواز. ويحتمل جدا أن تكون هذه المدينة محل توطين قبيلة الخفاجة وسميت باسمهم. من جانب آخر لم تكن هذه المنطقة في أي وقت من الأوقات موطنا لبني كعب. فبنو كعب ينتشرون إما في شمال الأهواز في سهل ميناو أو في جنوبه في القبان والدورق وشط العرب . هذا الموضوع يثبت لنا أن بني كعب وبني خفاجة قبيلتان منفصلتان.

عموما، وبالنظر لما تقدم يتبين أن ادعاء كسروي بأن بني خفاجة وبني كعب قبيلة واحدة ضعيف وهو كلام لا يستند إلى حقيقة تاريخية بل ينطلق من أهداف مغرضة ومن عنصرية كسروي[٣٠].

الآن وقد تبين أصل بني كعب ونسبهم وثبت أنهم ليسوا فرعا من بني خفاجة وأن كل ما قاله كسروي في هذا الصدد مغرض ومجانب للواقع فلا بأس في الإشارة العابرة إلى أسلوبه. تقتضي أصول البحث وكتابة التاريخ، عند تناول شخصية تاريخية أو قبيلة أو أي تجمع بشري، أن تتم تغطية جيل أو جيلين على الأكثر منها ثم إبداء الرأي بحقها. هذا الأسلوب هو الأسلوب المقبول والمتبع في الوقت الحاضر. أما طريقة كسروي الذي رجع فيها إلى ما قبل خمسمائة سنة أو ستمائة سنة ونبش قبور عشرين أو خمسة وعشرين جيلا ليصدر حكما على قبيلة ،فهي مرفوضة تماما. إن طرح مثل هذه الأمور ومحاولة إثبات كون أجداد قبيلة معينة قطاع طرق ولصوصًا، بالتوغل إلى عمق خمسمائة سنة أو ستمائة سنة فهو بحد ذاته يستبطن نظرية غير

علمية. مثل هذه النظريات تعتبر صفات البشر وخصوصياتهم منقطعة عن ظروفهم التاريخية وظروفهم الاقتصادية والاجتماعية. إنهم يعتقدون أن تلك الأوصاف والعادات تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل دون أن يكون للظروف المحيطة أي دور في تكوينها وبلورتها. وكسروي يكشف عن اعتقاده بهذه النظرية من خلال حديثه عن أصل بني كعب واستهلاله حديثه بهذا الموضوع. في حين أن الفرضيات العرقية لم يعد لها مكان في العلوم الاجتماعية والسياسية والدراسات الثقافية التاريخية[٣١]. على أية حال يمكن تقييم آراء كسروي وأفكاره في إطار النزعة الشوفينية للمثقفين الفرس ومعاداتهم للعرب التي تصاعدت بعد ثورة الدستور[٣٢].

الاستيلاء على القبان

منذ أوائل القرن ١٢ الهجري ظهر بنو كعب قوةً مؤثرة في ساحة الصراعات في الأهواز. فبعد أن نجحوا في التغلب على منافسيهم والقوى المحلية استطاعوا أن يبسطوا سيطرتهم ونفوذهم على الجنوب والجنوب الغربي من الأهواز وأن يزيدوا قوتهم بحيث استطاعوا في عهد الشيخ سلمان (١١٥٠ـ ١١٨٢هـ) أن يصدوا الهجوم الكبير الذي شنه عليهم والي بغداد برفقة السيد مطلب المشعشعي وإلحاق الهزيمة بهم. بعد ذلك استطاعوا أن يوصلوا صيتهم إلى أوروبا بعد أن امتلكوا أسطولا من السفن الكبيرة والصغيرة وسيطروا على الجزء الشمالي من الخليج.

كان أول ظهور لبني كعب في هذه المنطقة في أوائل القرن ١١ في مدينة القبان[٣٣]. وقبل ذلك أيضا كانوا ينتشرون في تلك المنطقة وفي شرق شط العرب. ويذكر الأستاذ عباس العزاوي قبيلة بني كعب، في معرض حديثه عن الحوادث التي تلت سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ، ويقول إنهم كانوا ينتشرون في مناطق مختلفة من العراق[٣٤]. أما أحمد كسروي فيُرجع أول حضور لهم إلى سنة ١٠٠٥هـ بعد استيلاء أفراسياب باشا على قبان. ويقول في هذا: «لما كان الكعبيون مناصرين ومؤيدين لأفراسياب باشا وأسرته وكانوا يشكلون فصائل من جيشه، فإنه يمكن الاستنتاج أن أفراسياب أسكنهم القبان بعد أن استولى عليها ...»[٣٥].

ربما كان استنتاج كسروي حول أول حضور للكعبيين في قبان صحيحا. ولكن إذا كان أفراسياب باشا هو من أسكن الكعبيين في القبان فلماذا لم يشر فتح الله بن علوان الكعبي إلى هذا الموضوع في كتابه[٣٦]. إن الشيخ فتح الله الكعبي كان معاصرا لحسين باشا حفيد أفراسياب باشا في النصف الثاني من القرن الـ ١١ وقد ذكر في كتابه تفاصيل صعود أفراسياب باشا إلى السلطة، ثم فتحه للقبان وحكم ابنه علي باشا وحكم حسين باشا. وقد أورد كسروي هذه القصة في كتاب «تاريخ بانصد ساله خوزستان» بتصرف وتلخيص. ويقول الشيخ فتح الله الكعبي، استنادا إلى الشيخ علي بن رحمة الحويزي في كتاب قطر الغمام، إن والد أفراسياب باشا كان من الأتراك السلاجقة أما أمه فمن أهالي الدير[٣٧].

كان أفراسياب باشا يحتل منصب إدارة جيش البصرة الذي كان مسؤولا من قبل العثمانيين عن حماية البصرة وكان يعمل بإشراف حاكم البصرة علي باشا. ولما لم يكن علي باشا قادرا على دفع رواتب الجنود وقد ضاقت به السبل ،فقد باع حكم البصرة إلى أفراسياب باشا مقابل ثمانية أكياس من الرومي كل كيس يساوي ألف سكة محمدية واشترط عليه أن لا يحذف اسم السلطان العثماني من الخطبة. اشترى أفراسياب باشا البصرة من علي باشا فتوجه الأخير إلى إسطنبول. بهذه الطريقة أصبح أفراسياب باشا حاكماً للبصرة وكان عادلاً فازدادت شعبيته يوماً بعد يوم وتنامت قوته وسلطته. في تلك الفترة كان هناك شخص يدعى بكتاش آغا يحكم القبان باستقلالية تملقاً لملوك المناطق القريبة منه مثل حاكم الدورق وحاكم الحويزة السيد مبارك وكذلك لضعف حاكم البصرة. وبعد وصول أفراسياب باشا إلى الحكم وتقوية دعائم السلطة قام بهجوم على القبان وحاصر بكتاش آغا الذي سارع إلى الاستسلام والاعتذار[٣٨].

أسلفنا أن السيد مبارك المشعشعي بعد وصوله إلى السلطة سنة ٩٩٩هـ قام باسترجاع الدورق من الأفشاريين وجعل أباه السيد مطلب حاكما عليها. فكان السيد

مطلب حاكما على الدورق عند هجوم أفراسياب باشا على القبان ولم يكن المشعشعيون يفكرون في الاستيلاء على القبان رغم استرجاعهم للدورق من الأفشاريين فتركوها وشأنها. ولابد من الإشارة إلى أن الدورق وتوابعها كانت قبل ذلك وخاصة في عهد السلطان محسن (حوالي ٨٧٠هـ) موطنا لعشائر بني تميم(٣٩). ويعود استيطان بني تميم لتلك المنطقة إلى فترات أسبق من هذه أي إلى ما قبل الإسلام(٤٠). مع ذلك لا يذكر الشيخ فتح الله الكعبي إلا اسم حاكم القبان ولا يعرّف بهوية ساكنيها. ورغم أنه يتحدث عن استيلاء أفراسياب باشا على القبان إلا أنه لا يقول شيئا عن إسكانه لبني كعب فيها.

في معرض حديثه عن سيرته الذاتية يقول الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي إنه ولد في مدينة القبان سنة ١٠٥٢هـ (٤١) وهذا يعني أنه لا شك أبدا في سكنى بني كعب في القبان في ذلك التاريخ وقبله. بيد أن الاحتمال القوي هو أن بني كعب، وخاصة من اختار منهم حياة الاستقرار، كانوا حتى قبل هذا التاريخ يسكنون القبان وشرق شط العرب(٤٢) في ما يسمى اليوم بعبادان والمحمرة.

بعد سيطرته على القبان قام أفراسياب باشا بالاستيلاء على أكثر الجزائر واسترجاعها من السيد مبارك وقطع الإتاوة التي كان يفرضها السيد مبارك على البصرة ومناطق شرق شط العرب. لقد بدأ حكم أفراسياب باشا سنة ١٠٠٥هـ. ثم توفي بعد أن حكم سبع سنوات فخلفه ابنه علي باشا الذي التزم بما أوصاه به أبوه من بسط العدل وإزالة الظلم. فشهد عهده تحسنا مُطّردًا في حياة الناس وارتفعت مكانة العلم وعلا شأن العلماء. وكان الشيخ عبد علي بن رحمة الحويزي، وهو من كبار علماء عصره، مقربا من علي باشا وكان يستشيره في جميع أموره(٤٣). وقد نظم الشيخ عبد علي الحويزي قصائد في مدح علي باشا وابنه حسين باشا. يقول الشيخ فتح الله الكعبي إن عهد علي باشا كان شبيها بعهد هارون الرشيد من حيث رفاه الناس وأمنهم ومنزلة العلم والعلماء.

فتح علي باشا باقي الجزائر كما استرجع كوت معمر من حاكم بغداد واستولى على كوت الزكية. في تلك الأثناء (١٠٣٧هـ) أرسل الشاه عباس الأول جيشا ضخما بقيادة إمام قلي خان باتجاه علي باشا[٤٤] وقام بمحاصرته. ولكن شعبيته الواسعة منعت العسكر من تسليمه وفشل إمام قلي خان في اختراق جيشه. ثم وصل خبر وفاة الشاه عباس إلى جيش إمام قلي خان أثناء حصاره للبصرة فكف عن المحاصرة وعاد أدراجه إلى أصفهان[٤٥]. على أن ما يستحق الاهتمام في هذا الحصار هو عدم خيانة شيخ بني كعب الشيخ بدر بن عثمان[٤٦] ووفاؤه لعلي باشا رغم الترغيب الذي تلقاه من جيش إمام قلي خان. وقد أدى هذا الموقف النبيل إلى مزيد من التقارب بينه وبين علي باشا فكافأه بتسليمه أقرباءه الذين خانوه. ولكن الشيخ بدر وقف موقفا شهما فتوسط لدى علي باشا للعفو عنهم. فما كان من علي باشا إلا أن قبل شفاعته ووساطته وارتفع شأنه عنده ،ففوضه أمر القبان وتوابعها وكذلك الجزائر[٤٧].

حكم علي باشا خمسة وأربعين عاما ثم خلفه ابنه حسين باشا الذي حكم البصرة وتلك المناطق من سنة ١٠٥٧ حتى سنة ١٠٧٨هـ[٤٨]. وهنا لا بد من التنويه إلى خطأ كسروي في «تاريخ بانصد ساله خوزستان» بقوله في الصفحة ١٣٣ منه إن الهجوم العثماني الكبير على حسين باشا وقع سنة ١٠٨٧هـ في حين أن الشيخ فتح الله الكعبي يقول إن تلك الهجوم وقع سنة ١٠٧٨هـ[٤٩]. كما أن كسروي يغفل حوادث سنة ١٠٦٤هـ وشكوى أهالي البصرة من ظلم حسين باشا وجوره وتوجه أعمام حسين باشا أحمد آغا وفتحي بيك إلى السلطان العثماني. تلك الشكوى التي رفعها أعمام حسين باشا أدت إلى زحف عسكري كبير بقيادة حاكم بغداد مرتضى باشا على البصرة. فهرب حسين باشا مع أسرته وخدمه وحشمه إلى بهبهان. وحين لاحظ مرتضى باشا التطور العمراني والزراعي في البصرة قام بقتل أعمام حسين باشا أحمد آغا وفتحي بيك وتولى هو حكم البصرة. فما كان من أهالي البصرة، بعد أن شاهدوا ما جرى، إلا

أن ثاروا على مرتضى باشا بمساعدة أهالي الجزائر وقتلوا جنوده. فهرب مرتضى باشا ودعا أهل البصرة حسين باشا إلى العودة من بهبهان.

يروي الشيخ فتح الله الكعبي حوادث القبان حتى سنة ١٠٧٨هـ ،ثم لا ندري كم حكم الشيخ بدر بن عثمان أو أعقابه القبان. ويعتقد كسروي أنه «بعد سقوط الديريين عاش الكعبيون مستقلين». ولكنه مع ذلك يعترف بأنه «لا تتوافر معلومات كافية عنهم في تلك الفترات.»[٥٠] ؛ لذا لا يقدم كسروي أية معلومات عن الكعبيين بعد سقوط الديريين سنة ١٠٧٨هـ ولا يبين وضعهم في قبان حتى السنوات الأولى من القرن الحادي عشر أي سنة ١١٠٠هـ . الشيء الوحيد الذي يشير إليه هو ظهور الطاعون في البصرة والمناطق المحيطة بها سنة ١١٠٦هـ ووصوله إلى القبان وإهلاكه الكثير من الناس. ثم كان علي بن ناصر بن محمد حاكماً على القبان.»[٥١]

والحقيقة أن وضع الكعبيين في القبان تدهور بعد «سقوط الديريين» وسيطرة قبيلة المطور على الأمور. هذا وأن شيخ بني كعب علي بن ناصر بن محمد الذي يشير إليه كسروي ليس من نسل الشيخ بدر بن عثمان بل من الفرع الآخر لبني كعب.

كعب القبان وكعب العجزة

يروي الحاج علوان بن عبد الله الشويكي في كتابه تولي بني كعب السلطة في القبان بعد سقوط الديريين بقوله:

«في الثاني عشر من ربيع الثاني سنة ١٠٩٥هـ جاء بنو كعب إلى سهل ميناو (في شمالي الأهواز) من المناطق المجاورة[٥٢] . وكان شيخ بني كعب في تلك الفترة، الشيخ ناصر ابن محمد بن علي بن يحيى بن عبد الله. كانوا يبحثون عن موطن جديد تهرباً من دفع الضرائب للدولة وكذلك لكي لا يكونوا تحت سلطة المشعشعيين. لذا توجهت مجموعة منهم إلى القبان[٥٣]. وبعد عودتها ووصفها لتلك المنطقة قرر زعماء بنو كعب الهجرة من ميناو إلى القبان. ولكن بعض الكعبيين آثروا البقاء في ميناو لأسباب مختلفة منها

عدم القدرة على الهجرة. فأطلق عليهم المهاجرون من الكعبيين لقب «كعب العجزة» لعجزهم عن الهجرة[٥٤]. أمّا الذين هاجروا إلى القبان فسموا «كعب القبان» نسبة للمنطقة التي هاجروا إليها.

ويضيف الحاج علوان الشويكي أن أراضي القبان كانت لقبيلة «المطور»[٥٥]؛ لذا عمل الكعبيون فلاحين في أراضيهم. واتفق شيوخ المطور مع شيخ كعب الشيخ ناصر بن محمد سنة ١٠٩٨هـ على أن يتولى الكعبيون زراعة أراضي المطور ويسلموا مالكيها المطوريين ثلثي المحصول بالإضافة إلى الخراج. فشرع بنو كعب في تنفيذ الاتفاق من تلك السنة. وفي السنة التالية طالب الشيخ ناصر بن محمد الكعبي بزيادة حصة الكعبيين إلى نصف المحصول؛ ولكن شيوخ المطور رفضوا الطلب. فبدأ الصراع بين الطرفين حتى انتهى إلى القتال. وفي تلك الأثناء توفي الشيخ ناصر بن محمد[٥٦] متأثرا بمرض ألم به، فخلفه ابنه علي الذي عقد العزم على مواصلة القتال مع المطور وفي معركة استمرت سبعة أيام نجح الكعبيون عن طريق إغراء عشيرة «آلبوعشيرة» من حلفاء المطور في إلحاق الهزيمة بهم. وقد نتج عن تلك الهزيمة أن تفرقت قبيلة المطور بين الكويت والبحرين والقطيف في السعودية ،فيما هرب الجزء الأكبر منهم إلى ميناء معشور. في حين طلب بعضهم العفو من الكعبيين وطلبوا البقاء في القبان وهكذا استوى حكم القبان وتوابعها إلى الشيخ علي بن ناصر بن محمد بصفته شيخ بني كعب[٥٧] ؛ وواصل الكعبيون حكمها على مدى قرنين باسم بني كعب آل ناصر أو شيوخ آل ناصر.

ورغم أن الحاج علوان الشويكي لم يذكر سنة حكم بني كعب على القبان في كتابه؛ ولكن نظرا لما تقدم فيحتمل جدا أن بني كعب تولوا إدارة القبان بزعامة الشيخ علي ابن ناصر منذ سنة ١٠٩٩هـ.

كما يؤكد السيد هادي باليل الموسوي في مقدمة كتاب الحاج علوان على أن الحاج علوان الشويكي وضع كتابه استنادا إلى الوثائق والمستندات المقدمة من قبل شيوخ

بني كعب والمعلومات الشفهية الواصلة إليه من المعمرين وشيوخ بني كعب. وهذا ما يضفي على كتابه درجة عالية من الصحة والاعتبار(٥٨).

تثبيت سلطة بني كعب

تعتبر هزيمة قبيلة المطور واستيلاء الكعبيين بقيادة الشيخ علي بن ناصر على قبان وتوابعها سنة ١٠٩٩هـ بداية سلطة الكعبيين في تلك المنطقة. في تلك الفترة كان المشعشعيون منشغلين بمشاكلهم الداخلية ونزاعاتهم على حكم الحويزة وقد ذكرنا أن تلك النزاعات استمرت خمس سنوات كانت الحويزة خلالها بلا والٍ حتى اتفق المشعشعيون سنة ١٠٩٧هـ على تولي السيد عبد الله السلطة. من جانب آخر لم يكن ولاة الحويزة يطمحون أو يفكرون في الاستيلاء على القبان وأطرافها فتركوها وشأنها. وهذا ما دعا السيد فرج الله المشعشعي إلى الهجوم على البصرة سنة ١١٠٩هـ والسيطرة عليها دون الالتفات إلى القبان أو الاهتمام بأمرها. بل إنهم حتى عندما احتلوا الدورق في عهد السيد مبارك سنة ٩٩٩هـ تركوا القبان وشأنها.

أمّا الدولة العثمانية فكانت مشغولة إلى درجة تمنعها من التفكير في تلك المناطق النائية(٥٩). هذه العوامل بمجموعها أدت إلى تقوية سلطة بني كعب وازديادها المتواصل. ولا ننس أن عزم واهتمام شيوخ بني كعب بالبناء والإعمار، كان له السهم الأوفر في تثبيت حكمهم وتقويته. فقد عمل شق الأنهر والترع من نهر كارون على تطوير الزراعة وازدهارها وتحسين الحالة المعيشية للناس ودعم أركان الحكم.

بعد وفاة الشيخ ناصر بن محمد بن علي سنة ١٠٩٩هـ، تولى الحكم ابنه علي بن ناصر الذي انتزع القبان من المطور. واستطاع بعد فترة أن يخضع جميع القبائل والعشائر القريبة منه. كما نجح في إنعاش الزراعة في المنطقة باحتكار تصريف المياه. كان يحسن معاملة جيرانه ويوقر الشعراء والأدباء. ولكن بني كعب قتلوه بعد فترة، فتولى الحكم خلفاً له أخوه عبد الله.

كان الشيخ عبد الله بن ناصر شغوفاً بالبناء والإعمار. وبأمره تم شق الأنهار والفروع التالية من نهر كارون لتسقي جميع المنطقة المحصورة بين شرق كارون والدورق وشمالها: نهر الرميلة وموسى والسماوة وهاشمي والشنبارة والقجر وعبد ربه وأبو عاقولة والحياك وشاخة الخان والوسطانية وعبد الواحد وخوين والخضيرية والإسماعيلية وعيده وحوران وغيرها[٦٠]، وقام بإسكان مجموعة من الناس على كل نهر ورافد ليعملوا في الزراعة وتربية المواشي. وفرض ضرائب على تلك الأراضي وكان يرسل موظفين إليها لجباية الضرائب سنويا. ولكن تلك الإنجازات لم تمنع بني كعب من قتله فخلفه على زعامتهم أخوه سرحان.

حاول سرحان بن ناصر تحسين أوضاع الناس بشق الأنهر والروافد من كارون وإسكان المزيد منهم فيها وإنتاج المزيد من المحاصيل. وهو أيضا قتله بنو كعب فحل محله رحمة بن ناصر. وهذا أيضا قتلوه فخلفه فرج الله بن عبد الله. لم يذكر الحاج علوان في كتابه المدة التي حكمها أولاد ناصر واكتفى بالقول بأن فرج الله بن عبد الله تولى الحكم سنة ١١٣٥هـ[٦١].

تزامنت بداية حكم فرج الله بن عبد الله بن ناصر مع سنة هجوم الأفغان على إيران وسقوط الدولة الصفوية. ولكن الأهواز وخاصة القبان كانت في مأمن من تعرض الأفغان. وفي سنة ١١٤٠هـ التي عقدت فيها معاهدة بين أشرف الأفغان والسلطان العثماني وكانت الأهواز بموجبها تابعة للدولة العثمانية، لم يدخلها لا الأفغان ولا العثمانيون وبقيت في مأمن منهم جميعا[٦٢]. وهكذا تفرغ بنو كعب بقيادة فرج الله لتثبيت سلطتهم بعد أن أمنوا من تدخل القوى الكبرى. بعد ذلك فكروا في الاستيلاء على الدورق وضمها إلى مناطق نفوذهم.

استمر فرج الله شيخا لبني كعب إحدى عشرة سنة وكان حاكما على القبان وأطرافها. وفي عهده تصاعدت ثورة محمد خان البلوشي في عربستان ،علما أن مقر الثورة كانت مدينة تستر. غير أن بني كعب لم يشاركوا فيها خلافا لما فعله آل كثير. وفي تلك الفترة

شهدت الأهواز دخول نادر شاه الأفشار إليها مرتين في السنة ١١٤٢و ١١٤٥هـ. وكما ذكرنا فقد أقام في المرة الأولى في رامهرمز ثم توجه منها إلى الدورق ومن ثم إلى تستر. ولم يفكر نادر في التوجه إلى القبان أبدا رغم قربها من الدورق، كما لم يفكر في إخضاع بني كعب. ثم كرر ذهابه إلى الحويزة وتستر ليقوم بتلك الجرائم المعروفة بحق أهاليها ولكنه لم يذهب إلى القبان وترك المدينة وبني كعب وشأنهم.

يؤكد الحاج علوان الشويكي في كتابه على أن قائد الجيش النادري محمد حسين خان قاجار توجه سنة ١١٤٦هـ نحو بني كعب وحاصر «أميان»[٦٣] ولكن بني كعب قتلوهم جميعا. ويرفض أحمد كسروي في «تاريخ بانصد ساله خوزستان» هذه الرواية ويقول إنها كاذبة. ويروي نقلا عن ميرزا مهدي خان الكاتب «تاريخ جهان كشاي نادري» أن «نادرا أرسل أمرا إلى محمد حسين خان بإجلاء مشايخ كعب مع أبناء [الشيخ] فارس آل كثير إلى أسترآباد عن طريق خرم آباد.»، ثم يضيف: «ولكن يبدو أنه لم يتم إجلاء أحد من مشايخ كعب.»[٦٤] إذن فكسروي يعترف بعدم إجلاء أي من مشايخ كعب إلى أسترآباد وأن أوامر نادر لم تنفذ. وهذا ما يؤيد صحة ما كتبه الحاج علوان الشويكي. كما أن الشيخ فرج الله استمر حاكما لبني كعب بعد ذلك وشارك في السنة التالية في دعم حاكم البصرة خلال المعركة التي نشبت بينه وبين شيخ المنتفق وكان يمثل فصائل من جيشه وقد قتل في تلك المعركة.

بل إنه حتى بعد سنوات، أي حوالي سنة ١١٥٠هـ حين جعل نادر الحويزة عاصمة لعموم عربستان وعين عليها حاكما وضم إليها تستر ودزفول ورامهرمز، بعد أن فصلها عن كوه كيلويه[٦٥]، لم يتعرض لقبان بل تركها وشأنها.

خلفاء الشيخ فرج الله بن عبد الله

توفي الشيخ فرج الله سنة ١١٤٧هـ فاختار بنو كعب طهماز بن خنفر بن ناصر شيخاً لهم فاستمر زعيماً عليهم نحو أربع سنوات أي حتى سنة ١١٥٠هـ ولكنه قتل هو الآخر

وحل محله ابنه بندر. ولم تدم زعامة بندر سوى شهرين ثم قتل فأصبح الحكم بيد الشيخ عثمان بن سلطان بن ناصر وأخيه سلمان بن سلطان. وكانا يحكمان بني كعب بشكل مشترك حتى توفي الشيخ عثمان سنة ١١٧٨هـ بعد حكم دام تماني وعشرين سنة فأصبح الشيخ سلمان زعيم الكعبيين حتى سنة ١١٨٢هـ . وهكذا يكون الشيخ سلمان قد حكم ما مجموعه ٣٢ سنة منها ٢٨ سنة مشتركة مع أخيه الشيخ عثمان.

تفيد المصادر والمراجع الموجودة بأن صاحب السلطة الحقيقية كان الشيخ سلمان أما الشيخ عثمان فكان وجوده شكلياً. فالمصادر تنسب جميع الأعمال إلى الشيخ سلمان ولا تذكر الشيخ عثمان في شيء.

الهجرة من القبان وبناء مدينة الفلاحية

يعتبر عهد الشيخ سلمان الذي دام ٣٢ سنة (١١٥٠ - ١١٨٢هـ) منعطفاً تاريخياً لبني كعب. لقد شهدت هذه الفترة هجرة الكعبيين من القبان إلى الدورق وبناء مدينة الفلاحية وتقوية نفوذهم.

في سنة ١١٦٠هـ ،توجه الكعبيون نحو الدورق بحثا عن أراض أكثر خصوبة. تمت الهجرة بشكل جماعي وشملت الجميع بمن فيهم النساء والأطفال والشيوخ. ويحتمل جدا أن تعود هذه الهجرة إلى ازدياد عدد أفراد بني كعب ووقوع القبان على الساحل الشمالي للخليج وكون بعض مناطقها أراضي ملحية أي مملحة[٦٦] وقلة الأراضي الخصبة مقارنة بخصوبة أراضي الدورق ووفرة المياه فيها. وفي هذه المرة لم يرسل الكعبيون طلائع قبل هجرتهم كما فعلوا في الهجرة السابقة (من دشت ميناو إلى القبان) بل نزحوا إلى الدورق عن بكرة أبيهم. على أن ترك الكعبيين لقبان مثير للتساؤل إلى حد بعيد. خاصة وأنهم ضحوا بالأرواح من أجل الحصول عليها. من جانب آخر، فإن الهجرة الجماعية تكون بدورها محفوفة بالأخطار. أما الحاج علوان الشويكي فيعلل هذه الهجرة الجماعية بكسر سد السابلة من قِبل كريم خان زند.

ويؤكد أن كسر السد أدى إلى انغمار القبان بالماء الأمر الذي دفع بالشيخ سلمان وبني كعب إلى الهجرة(٦٧). لكن المؤكد أن الحاج علوان قد أخطأ في هذه الرواية. لأن هجرة الكعبيين، كما سنذكر لاحقا، تمت حوالي سنة ١١٦٠هـ. أما هجوم كريم خان الواسع على الشيخ سلمان الكعبي وكسر سد السابلة فقد تم في السنوات الأخيرة من حكم الشيخ سلمان، كما يقول الرحالة المعروف نيبور بأن هجوم كريم خان على الشيخ سلمان تم سنة ١٧٦٥م الموافق ١١٧٩هـ(٦٨).

ورغم أهمية العوامل المتقدمة في دفع الكعبيين إلى الهجرة ،فإن انطلاق حاكم الدورق المولى مطلب ابن السيد محمد ابن السيد فرج الله المشعشعي من الدورق في ربيع الأول في عام١١٦٠هـ للاستيلاء على الحويزة وتولي حكم المنطقة هو العامل الرئيس لهذه الهجرة(٦٩).

بعد مغادرتهم القبان ، نزل الكعبيون أولا في «شاخة الخان»(٧٠).ويؤكد الحاج علوان الشويكي أن الشيخ سلمان أمر بحفر نهر بين نهر «رملية» ونهر «موسى» سماه «سلمانة»(٧١).ويبدو أن الكعبيين تعرضوا إلى هجوم من العراق في تلك الأثناء وقد تصدى له الشيخ سلمان بنجاح. ولا يذكر الحاج علوان اسم المهاجمين ولا هويتهم ويكتفي بالقول «هجوم العراقيين». بعد ذلك أمر الشيخ سلمان عشائر الدريس والنصار بالسُّكنى على ساحل شط العرب (٧٢). والأرجح أن المهاجمين عبروا شط العرب ثم هاجموا الكعبيين وأن قرار الشيخ سلمان بإسكان عشائر الدريس والنصار على الساحل الشرقي لشط العرب كان بهدف صد المهاجمين. بعد ذلك توجه الكعبيون بزعامة الشيخ سلمان نحو «شط عبد الأحد» ونزلوا على ساحله. في تلك الفترة كان بنو خالد هم السكان الأصليون لمدينة على ساحل نهر الجراحي. وباقتراب الكعبيين من أراضيهم وقصباتهم شعروا بالخطر يداهمهم فعزموا على مكافحة الكعبيين وهكذا خططوا لقتل الشيخ سلمان في مأدبة. ولكن الشيخ سلمان اكتشف الخطة فانقض بكل قوته على بني خالد وألحق بهم الهزيمة.

ثم يكمل الحاج علوان الشويكي رواية الحوادث كما يلي: بعد هزيمة بني خالد، فكر الشيخ سلمان بمكان محصن صعب الوصول إليه يقيه تعرضات الأعداء ولا يمكنهم من الوصول إليه بسهولة. لذا اقترح عليه رجاله منطقة تحيط بها الماء من كل جانب وتقع وسط حقول القصب[٧٣].

يقول الحاج علوان الشويكي إن رجال الشيخ سلمان لما رأوا تلك المنطقة أوصوه بأن يتخذها مستقرا لبني كعب فخاطبهم قائلا: «هذا هو الفلاح». وهكذا سكنوا تلك المنطقة وسموها «الفلاحية». ثم أمر الشيخ سلمان جميع عشائر بني كعب، سواء الساكنون على شط العرب أو الساكنون على نهر كارون، بأن يبنوا قلعة حول الفلاحية. فتم بناء قلعة الفلاحية حولها سنة ١١٦٠هـ وشقوا نهر الفلاحية وسط المدينة[٧٤].

عموما، فإن استقرار بني كعب في الفلاحية واستحداثهم للاستحكامات فيها، فضلا عن موقعها الجغرافي بين حقول القصب ووسط الماء، مع وجود الأراضي الخصبة في أطرافها - قد ضاعف من ازدهارها الزراعي وزاد من قدرة الكعبيين الدفاعية ؛وإتباعا لذلك قوّى سلطتهم ووسع نفوذهم.

بناء سد السابلة على يد الشيخ سلمان

كان الشيخ سلمان الكعبي حكيما وبارعا وله اهتمام بالبناء والإعمار. من إنجازاته المهمة بناء سد على نهر كارون، الذي كان له دور كبير في رفاه الناس وتحسين معيشتهم. يعتبر سهل الأهواز من أخصب الأراضي بسبب استوائه وتوفره على أنهار كبيرة مثل نهر كارون. غير أن انخفاض مستوى الأنهار لدرجة تتعذر معها الاستفادة منها وكذلك الأمطار الموسمية في فصل الشتاء التي تؤدي إلى فيضان الأنهار،أدى إلى تصحر بعض المناطق من هذه الأرض وفي المقابل هناك مناطق تبقى مغمورة بالماء على مدى أشهر بحيث لا يمكن الاستفادة منها. من هنا يكتسب بناء السدود أهميتها في توفير الماء وكذلك منع فيضان الأنهار، وتلعب دورا حيويا في تحسين أوضاع الناس.

لقد أدرك الشيخ سلمان أهمية السدود ودورها في حياة الناس فقام ببناء سد على نهر كارون في منطقة تسمى السابلة(٧٥) يقوم بجمع الماء فيه ورفع مناسيبه. ثم قام بمد شبكة من الروافد الصغيرة والكبيرة من السد إلى الأراضي المحيطة به والكائنة على مسار نهر القبان وبذلك حقق الري لمساحات واسعة من الأراضي(٧٦).

لقد تحمل الشيخ سلمان جهودا جبارة في بناء هذا السد. وفي رحلته إلى البصرة أواخر سنة ١١٦٨هـ أقام السيد عبد الله الجزائري، وكان معاصرا للشيخ سلمان، في الدورق إقامة قصيرة زار خلالها هذا السد. ويصفه بأنه صنع من «الخشب والقصب والقش» على درجة من «الإتقان والقوة» بحيث يعجز عن صناعة مثله «المسؤولون في تستر بالحجر والجير الحي»(٧٧). يقول أحمد كسروي تأييدا لإنجاز الشيخ سلمان ومدحا لبنائه السد نقلا عن الميجر كنز الذي أقام في عربستان بضعة أشهر في زمن فتحعلي شاه القاجاري وشاهد خرائب السد: «لو لم يكسر كريم خان ذلك السد لظل قائما قرونا.»(٧٨) ،وقبله وصف ميرزا محمد صادق نامي ذلك السد بأنه نظير سد إسكندر في الاستحكام(٧٩).

فشل كريمخان في محاصرة بني كعب

في تلك الأوضاع التي كانت فيها باقي مناطق الأهواز، حلبة واسعة للصراعات والنزاعات من أجل السلطة كانت الفوضى وفقدان الأمن هي السمة الغالبة لجميع المدن والقرى. وكذلك الحال في عموم إيران والعراق حيث كان الأقوياء يتصارعون من أجل مصالحهم الشخصية تاركين البلاد فريسة الفتن والاضطرابات العارمة. فكان كل من كريم خان وآزاد خان ومحمد حسن خان وغيرهم يصول ويجول في البلاد يطارد أهدافه الخاصة المتمثلة في الاستيلاء على السلطة. في تلك الظروف كان الشيخ سلمان يفكر في مصالح شعبه ورفاهيته، ويتابع إنجازاته العقلانية بارتياح على حد تعبير صاحب «تاريخ بانصد ساله خوزستان»(٨٠). إن سر نجاح الشيخ سلمان وتنامي قوته ونفوذه يكمن في اهتمامه البالغ بالناس وسعيه لتحقيق الرفاهية لهم.

وهذا ما ساعده على الوقوف بوجه أعتى القوى المعتدية وردِها على أعقابها تجر أذيال الهزيمة والخسران. وإنه لقانون عام أنه اذا رضي الشعب عن حاكمه وشعر بأن المسؤولين عنه تهمهم المصلحة العامة فإن العدو يعجز عن اختراق صفوفه وإذلاله. فحين يتعرض هذا الشعب إلى العدوان يتفجر بطولاتٍ وملاحمَ صوناً لمنجزاته وذوداً عن ثرواته. والتاريخ يزخر بالشواهد على هذا القانون. فقد رأينا في قصة علي باشا الديري كيف عجز الجيش الصفوي بقيادة إمام قلي خان عن هزيمة الديريين،وقرأنا كيف أن الشيخ فتح الله الكعبي يعلل ذلك برضا الشعب عن علي باشا الأمر الذي سد منافذ الاختراق بوجه المعتدين.

والشيخ سلمان الكعبي كان من أولئك القادة بعيدي النظر الذين تشغلهم مصالح شعوبهم. لقد بلغ الشيخ سلمان من العظمة درجة جعلت حتى كسروي، بكل ما يحمله من نزعة شوفينية معادية للعرب، يمتدحه أكثر من مرة. ولهذا السبب تصدى الكعبيون للهجوم الذي شنه كريم خان الزند على الفلاحية سنة ١١٧٠هـ بنجاح وردوه مهزوماً. ويؤكد الحاج علوان في كتابه أن كريم خان فرض الحصار سنة ١١٧٠هـ ولكنه باء بالفشل الذريع(٨١).

هزائم والي بغداد على يد الشيخ سلمان

شهدت فترة حكم الشيخ سلمان الكثير من الحوادث والمعارك بسبب طول مدتها التي استمرت ٣٢ سنة (١١٥٠-١١٨٢هـ). من تلك الحوادث حادثتان منفصلتان، ولكن غير منقطعتي الصلة، تكشفان عن الإطار العام للعلائق التي كانت تربط بين القوى المؤثرة في تلك الفترة وطريقة التعامل بينها. هاتان الواقعتان تبينان لنا أن تحليل تاريخ العهود الماضية ونظرة المؤرخ للأحداث لابد أن تنطلق من نظرة تاريخية للظواهر والعلاقات المتواصلة بينها. ينبغي دراسة كل حادثة من خلال دراسة الأوضاع التاريخية لفترة وقوعها وتفادي إسقاط معايير فترةٍ ما وضوابطها وخصوصياتها على فترة أخرى. إذ لاريب في أن لكل مرحلة من المراحل خصوصياتها ومعاييرها. ولكن بعض المؤرخين

يغفلون هذه القاعدة حين يتناولون بالتحليل قضية تاريخية مضى عليها ثلاثة قرون فيقيسونها على المعايير العصرية الحديثة من قَبيل تشكيل حكومة وطنية وسير عملية تكوين الدولة ـ الأمة ووجود حدود دولية وما إلى ذلك. وهذا ما يصيبهم بالعجز عن تفسير الكثير من الحوادث فيتركونها بدون تحليل. وأحمد كسروي هو واحد من أولئك المؤرخين. فهو يقيّم الحوادث التي وقعت في الأهواز قبل قرون، لا على خلفية الأوضاع التاريخية لذلك الوقت، بل وفق معايير القرن العشرين وخصوصياته. لذلك لا يخبر القارئ عن سبب تحالف السيد مطلب المشعشعي مع والي بغداد ضد الشيخ سلمان الكعبي ومشاركته في الهجوم الكبير عليه..

والحادثة الثانية التي ينبغي الحكم عليها في إطار العلاقات التي كانت تربط الأطراف حينئذ هو هجوم كريم خان الزند على بني كعب الذي تم بعد الهجوم المذكور آنفاً. فقد قام كريم خان الزند بالهجوم بناءً على تحريض وإغراء من والي بغداد وبعد مكاتبات معه.

لقد بث تنامي قوة الكعبيين واتساع مناطق نفوذهم الخوف والذعر في قلوب القوى المجاورة. لذا فكر والي بغداد علي باشا بالهجوم على الشيخ سلمان وإخضاع الكعبيين بحجة أنهم من رعايا الإمبراطورية العثمانية وعليهم دفع الخراج إليها. من جانب آخر كان السيد مطلب المشعشعي يفكر في إحياء نفوذ أسرته بعد تضاؤلها ،فكان يستشعر الخطر من الكعبيين وهم جيرانهم، فعزم على القضاء عليهم. وفي سنة ١١٧٥هـ تحالف والي بغداد مع السيد مطلب فقادا هجوما على الكعبيين بجيش كبير. غير أن ذلك الجيش الجرار لم يحقق شيئا بل عاد مهزوما على يد جيش الشيخ سلمان[٨٢].

ويورد كسروي هذه الحادثة في كتابه ويؤكد هزيمة والي بغداد والسيد مطلب على يد الشيخ سلمان. وهو يعلل المعركة بأن العثمانيين كانوا يعتبرون الكعبيين تابعين لهم ويطالبونهم بالضرائب ولكن الشيخ سلمان لم يكن يدفع لهم الضرائب. إضافة إلى ذلك كان الشيخ سلمان يؤذي العثمانيين في البحر والبر. وهو أيضا يصف الكعبيين

بأنهم نهابة وقطاع طريق ويضيف: «لم يتورع الكعبيون عن المداهمات والسطو»[٨٣]. ولم نجد من يؤيد كلام كسروي هذا من المصادر والمراجع التاريخية وربما انساق كسروي إلى نظريته السابقة المبنية على وصف أجداد الكعبيين بقطع الطريق والنهب، فأراد أن يسوِّد صورة الكعبيين. والحقيقة أن الإمبراطورية العثمانية كانت تفكر في إخضاع الكعبيين وإلحاق الدورق والقبان إلى أراضيها. وما عدا هذا الكلام فهو كلام تافه وفاقد القيمة.

لم يقف والي بغداد بعد هذه الهزيمة متفرجا بل عاد إلى تجهيز جيش كبير من الأكراد والأتراك والعرب والزحف به نحو الفلاحية في سنة ١١٧٧هـ لغرض كسر شوكة الكعبيين. ومرة أخرى كان النصر حليف الشيخ سلمان الكعبي حيث عاد المهاجمون إلى معسكرهم خائبين[٨٤].

هجوم كريم خان على بني كعب

بعد الهزائم التي مُني بها علي باشا من جيش الشيخ سلمان الكعبي فكر والي بغداد الجديد عمر باشا، بعد أن أعيته الحيلة، بطريقة أخرى للحد من قوة الشيخ سلمان وإخضاع الكعبيين. ورأى أن أفضل طريقة هي إغراء كريم خان وتحريضه على الشيخ سلمان وبذلك يضرب عصفورين بحجر واحد، الأول القضاء على الشيخ سلمان والثاني بث الضعف في جيش كريم خان نتيجة لتلك المعركة. فاستغل وجود جيش كريم خان الزند في سيلاخور لرستان [٨٥] فبعث إليه رسوله محمد آقا سلام آقاسي حاملاً رسالة يعرب فيها عن أن «الشيخ سلمان الكعبي هو من العرب البدو المجاورين لملكته وقد صفت له الأمور في الدورق في ظل حماية دولتكم ولكنه يرفع راية العصيان على الدولتين العليتين ويتعرض للمسافرين في البحر وسكان البصرة وتوابعها ويمد يد التطاول على عباد الله ويذيقهم صنوف الأذى. ولا نجد وسيلة لمكافحته إلا اهتزاز راياتكم وزحف جيشكم المنصور عليه وعلى جيشه.»[٨٦].

ثم أكد والي بغداد على أنه «إذا قبلتم فإننا على استعداد لدعمكم بالمؤونة تحملها إلى جيشكم السفن الراسية في البصرة.»(٨٧).

بهذه الرسالة أثار والي بغداد كريم خان الزند على الشيخ سلمان الكعبي وفيها أكد له أن حاكم البصرة سيتولى توفير المؤونة لجيش الزندية في الدورق. وافق كريم خان زند على طلب والي بغداد فانطلق إلى عربستان عن طريق لرّستان في ربيع ١١٧٨هـ.

فأقام يومين في دزفول وأخذ من أهلها وأهل تستر الذين خرجوا لاستقباله عشرين ألف تومان. بعد ذلك أقام معسكره خارج تستر وبعد انقضاء أيام النوروز توجه نحو الفلاحية. وكان الشيخ سلمان على علم بخطته وأهدافه فقام بإجلاء الكعبيين من الفلاحية قبل وصول كريم خان بأيام واستقر هو في قلعة الحفار(٨٨). وواضح أن الشيخ سلمان لم يكن في نيته الاستسلام والخضوع لكريم خان وإلا لخرج لاستقباله وتقديم الهدايا الثمينة إليه كما فعل أهل تستر ودزفول. أما كريم خان الزند فقد أقام في الفلاحية ثلاثة أيام ولما لم يجد الشيخ سلمان توجه نحو الحفار(٨٩) وأقام معسكره قريبا منها. وليس معروفا ما فعله كريم خان في الفلاحية. فهل فعل ما فعله نادر شاه من جرائم أم أنه غادرها بدون قتل وسفك دماء؟

ولما رأى الشيخ سلمان كريم خان الزند قريبا منه غادر الحفار إلى جزيرة المحرزي(٩٠). واستمر كريم خان في ملاحقة الشيخ سلمان فوصل إلى الحفار وحين لم يجده عبر نهر بهمنشير حتى وصل جزيرة المحرزي. ولكن الشيخ سلمان لم يكن فيها حيث كان قد اتخذ طريق البحر وتوارى بسفنه فيه. في تلك الأثناء أرسل كريم خان الزند مبعوثا إلى حاكم البصرة يطالبه بتنفيذ وعد عمر باشا في توفير المؤونة للجيش. فأرسل حاكم البصرة زورقين محملين بالتمر وزورقا للنزهة واعتذر عن إرسال الأرز والغلال وباقي المؤونة(٩١).

وكان والي الحويزة(٩٢) قد أعد قبل ذلك سفنا لهذا الغرض لإرسالها إلى كريم خان

الزند، فأركب زكي خان مع مجموعة من الرجال في تلك السفن وأرسلها لملاحقة الشيخ سلمان ولكنهم فشلوا في مطاردته وذلك لجهلهم بالملاحة فعادوا إلى كريم خان خائبين.

يقول الرحالة الألماني نيبور في وصف هجوم كريم خان: «في السنة ١٧٦٥م [١١٧٩هـ] قاد كريم خان جيشا كبيرا نحو الشيخ سلمان الذي لم يستطع الصمود، فأخذ يتنقل بسفنه ورجاله من جزيرة إلى جزيرة حتى عبر إلى الساحل الغربي من شط العرب ولم ينجح جيش كريم خان في مطاردته بسبب ضعف ملاحتهم فاضطروا إلى التراجع[٩٣].

تدمير سد السابلة على يد كريم خان الزند

لما فشل كريم خان في دحر الشيخ سلمان رغم جيشه الجرار استبد به غضب شديد فعاد من المحرزي إلى الحفار يائسا من تحقيق النصر على الشيخ سلمان فبدأ بتدمير قلعة الحفار ثم توجه إلى سد السابلة فدمره. وكان ذلك من بين أقبح ما فعله كريم خان حتى يقول كسروي: «كان هذا العمل من قبائح أفعال كريم خان.» حتى مؤرخ الزندية الرسمي ميرزا محمد صادق النامي يعترف بقوة هذا السد وفوائده للزراعة: «كان الشيخ سليمان [سلمان] ... قد بنى سدا قويا على شط كرن [كارون] وفتح أنهارا كثيرة منه تسقي الأراضي والصحارى الممتدة على جانبيه والمراتع والمزارع وبساتين النخيل الكثيرة فصدرت الأوامر بتدميره. فانهالت المعاول على السد الذي كان شبيها بسد الإسكندر وكذلك تم تدمير قلعة الحفار فتصاعد التراب من الأسس الراسخة.»[٩٤] والغريب أن المؤرخ الرسمي للزندية يعترف بقوة السد وفوائده الجمة في ريّ الأراضي وتطوير الزراعة. ويبدو أن ميرزا محمد صادق النامي لم يكن راضيا عما فعله كريم خان ولكنه لم يجهر بذمه خوفا منه. وما يؤيد ذلك حديثه عن قوة السد وعن إروائه للصحارى والأراضي المحيطة به. إضافة إلى ذلك يعرب الميرزا عن استيائه بعبارة «انهالت المعاول على السد الذي كان شبيها بسد الإسكندر».

لقد كان قبح عمل كريم خان من الوضوح بحيث أن أحمد كسروي لم يستطع التزام الصمت حياله رغم نظرته العنصرية:

«في بلاد كخوزستان يكتسب إنشاء السدود أهمية خاصة من حيث إعمار المدن وتطوير الزراعة. وهذا ما دعا الملوك المصلحين الذين يتمتعون بسياسة عقلانية إلى رصد تخصيصات ضخمة لبناء السدود . وكان ينبغي على كريم خان أن يعمل على ترميم السدود المعطوبة لا أن يهدم سدودا قوية قائمة تحيل مساحات واسعة من الأرض إلى مناطق مزروعة».

«بكسره للسد قام كريم خان بعمل غاية في القبح نتج عنه خراب القبان وزوال معموراتها بحيث لا يمكننا أن نجد منطقة مزروعة هناك. ويمكن القول أن هجوم كريم خان بحد ذاته على الشيخ سلمان لم يكن إلا خطأ ... فـ (الشيخ) سلمان كان رجلا محنكا وبفضله عمرت القبان والدورق ولم يكن متوقعا أن يكون موقف كريم خان منه عدوانيا. ومؤرخ الزندية نفسه يقول إن الكعبيين كانوا يحترمون إيران في الماء وفي اليابسة ولم يلحقوا أي أذى بالإيرانيين. ومما لا شك فيه أن كريم خان انطلت عليه خدعة والي بغداد ففعل ما لم يكن يليق به»[٩٥].

ذكرنا أن ما قام به كريم خان كان عملا شديد القبح ولكن مؤرخي الزندية لم يتطرقوا لهذا الموضوع أبدًا ولم يصرحوا بقبحه. والشخص الوحيد الذي تناول الموضوع بواقعية وبعيدا عن العصبية والإغراض هو أحمد كسروي. وكسروي بدا في تناوله للشيخ سلمان بشكل عام غير متحيز أو متعصب[٩٦]. فحين يتحدث عن تهديم سد السابلة من قبل كريم خان الزند يتناول الحادثة كمؤرخ متجرد ويتكلم عنها بأفضل ما يكون. ولو كان ألّف كتاب «تاريخ بانصد ساله خوزستان» بهذه الروح وبهذه الطريقة لما كان قد سجل عليه الكثير من الإشكالات المطروحة في هذا الكتاب ولكان كتابا محايدا غير متحيز.

عودة كريم خان إلى شيراز

بعد أن فشل كريم خان زند في الوصول إلى الشيخ سلمان ولم يحقق هجومه على الكعبيين النتيجة المتوخاة «عاد عن طريق خلف آباد قاصدا مناطق كوه كيلويه»(٩٧). ويذكر الميرزا محمد صادق النامي إن كريم خان الزند عندما وصل إلى شيراز قدّم إليه ابن الشيخ سلمان هدية بمبلغ ثلاثة آلاف تومان نقدا وتعهد بدفع المبلغ سنويا(٩٨). ولكن الميرزا محمد صادق لا يوضح إن كان المبلغ قد دفع في السنة التالية أم لا؟

وجدير بالذكر أن الميرزا محمد صادق النامي كان ينتهج المبالغة والاختلاق والإسراف حتى إن بعض كلامه مجانب للواقع. ففي المبحث المذكور آنفا يتحدث عن قبيلة بني سعد في حين أن الشيخ سلمان كان شيخ بني كعب ولم يكن اسم بني سعد مطروحا أبدا. وإنه يورد اسم الشيخ سليمان ويريد به الشيخ سلمان.

ويقول في موضع آخر: إن الفلاحية مدينة يقتضي الوصول إليها عبور أنهار كثيرة شبيهة بجيحون بواسطة جسور عملاقة ولا يعبرها إلا أشباه الحيتان من السباحين. وبعد ذلك بأسطر يقول: تقع الفلاحية على ساحل شط كرن (نهر كارون)(٩٩). في حين أن الفلاحية تقع على نهر الجراحي وليس كارون. كما أن الوصول إليها لا يستلزم عبور أنهار بضخامة نهر جيحون وسباحين كالحيتان.

الهجوم الثالث لباشا بغداد على الشيخ سلمان

بعد صد هجوم كريم خان الزند وصل الدور إلى والي بغداد في محاولة دحر الشيخ سلمان وكأنه تعاهد مع كريم خان الزند على أنه إذا فشل أحدهما في القضاء على الكعبيين يتدخل الثاني لإنجاز المهمة. لهذا أصدر باشا بغداد أوامره بالهجوم على الشيخ سلمان ففعل الشيخ سلمان إزاءه كما فعل إزاء كريم خان فتنقل من جزيرة إلى أخرى وأفشل محاولتهم للقضاء عليه. يقول نيبور، بعد حديثه عن هجوم كريم خان الزند على الشيخ سلمان وتنقل الشيخ من جزيرة إلى جزيرة وعودة كريم خان:

«... وصل الدور إلى باشا بغداد لإصدار الأمر بالهجوم على (الشيخ) سلمان الذي واجه الأتراك كما واجه الإيرانيين من قبل ،حيث تنقل من جزيرة إلى أخرى.»[١٠٠] وهكذا باءت محاولة حاكم بغداد لإخضاع الشيخ سلمان بالفشل فعاد الشيخ برجاله إلى الفلاحية.

تحدث الحاج علوان الكعبي في كتابه عن ازدياد قوة الشيخ سلمان بعد هجوم كريم خان الزند حيث بسط نفوذه أكثر من ذي قبل على الجزر والموانئ في الخليج وأخذ الخراج منها. ويبدو أن جنوحه إلى السلم مع كريم خان وإرسال الهدايا إليه في شيراز رغم تدمير الأخير لسد السابلة حدث قبل الهجوم الثالث الذي شنه عليه باشا بغداد وذلك لكي يتفرغ جيداً لمواجهة الهجوم. ولكن الحاج علوان الشويكي لم يتطرق إلى هذا الموضوع في كتابه. أمّا نيبور فيقول: «لم يطلب أي من الخانات من الشيخ سلمان الوفاء بالعهد إلاّ كريم خان وهو أيضاً رضي بمبلغ بسيط»[١٠١].

عموماً، يستنتج من مجموع هذه الكتابات أن الشيخ سلمان أرسل هدايا إلى كريم خان بعد أن كف عن مطاردته وعاد إلى شيراز رغم عدم تمكنه منه ورغم هدمه لسد السابلة «فرضي [كريم خان] منه بمبلغ بسيط».

هزيمة البريطانيين على يد بني كعب

ذكرنا أنه بعد فشل هجوم كريم خان على الشيخ سلمان الكعبي وعودته إلى إيران ازدادت قوة الكعبيين يوماً بعد يوم. لقد اتبع الشيخ سلمان سياسة اجتناب المواجهة مع كريم خان. وبتقديمه الهدايا والأموال حوّل عداء كريم خان إلى عدم عداء وعدم تعرض. وبعد أن ارتاح باله من جانبه توجه نحو البحر فبسط سلطانه عليه.

تزامن تنامي قوة الشيخ سلمان مع افتتاح ممثلية شركة الهند الشرقية في البصرة. وعندما رأى العثمانيون ازدياد نفوذ الكعبيين وجدوا في تلك الشركة الضمانة الوحيدة لأمنهم مقابل الكعبيين[١٠٢]. وهكذا اتفقت مصالح العثمانيين والبريطانيين ضد الشيخ

سلمان. فبعد أن شن باشا بغداد ثلاث حملات على الكعبيين ولم يحرز نصراً عليهم حاول هذه المرة أن يربط مصالح البريطانيين بمصالح دولته وتشكيل قوة أكبر وأفضل تجهيزاً للإجهاز على الشيخ سلمان والانتهاء منه. ولابد هنا من الإشارة إلى أن الجيش العثماني كان مدعوماً بالسفن البريطانية في الهجمات الثلاث التي شنها باشا بغداد على الكعبيين(١٠٣). هذا يعني أن التعاون بين الدولتين وتحالفهما ضد الكعبيين يعود إلى ما قبل سنة ١١٧٩هـ (١٧٦٥م).

على إثر التدخل البريطاني في الصراع بين الشيخ سلمان وباشا بغداد ودعمهم للعثمانيين أدرك الشيخ أن البريطانيين هم المحرك الأساسي للعثمانيين ضد الكعبيين. لذا قرر أن يتصدى لتدخلاتهم وإثاراتهم للفتنة عليهم باستعراض قوته وتهديد مصالحهم. وأول عمل قام به ضدهم كان في ١٨ حزيران / يوليو ١٧٦٥م (١١٧٩هـ) وفيه استخدم زوارقه الحربية الستة في الاستيلاء على سفينتين بريطانيتين (سفينة صغيرة اسمها سالي وزورق) في طريق بوشهر – البصرة. وبعد ذلك بأيام استولى الكعبيون على سفينة «فورت وليم» التجارية المحمية من قبل شركة الهند الشرقية(١٠٤).

على إثر ذلك بعث مندوب شركة الهند الشرقية في البصرة «بيتر رنج» برسالة إلى الشيخ طالباً فيها إيضاحاً حول استيلاء الكعبيين على السفن وطالب أيضاً بإعادتها بأسرع وقت(١٠٥). كما طالب بإعادة البضائع التي كانت على متنها وتعويض الخسائر الواردة ودفع نفقات الأسطول البريطاني في شط العرب. وطالب أيضاً بتعهد من الشيخ سلمان بعدم التعرض لسفن الشركة. وفي ٣ نيسان (أبريل) ١٧٦٦م، أرسل الشيخ سلمان رده إلى مندوب شركة الهند الشرقية ولم يكن يتضمن تعهداً بعدم التعرض للسفن بل رافقه امتناع عن إرجاع السفن المستولى عليها ولوم لبريطانيا على تدخلاتها وعدم احترامها لأهدافه(١٠٦). بعد ذلك دخل مندوب شركة الهند الشرقية في مباحثات مع حاكم البصرة وتم التوقيع على اتفاقية بين الطرفين نصت على أن

يقوم الجانب البريطاني بتحريك أسطوله البحري من مومبايي إلى تلك المناطق لمواجهة الكعبيين على أن يتولى العثمانيون الهجوم البري عن طريق البصرة.

توجه الأسطول البحري البريطاني القوي إلى الخليج وكان مؤلفاً من أربع سفن أوروبية الصنع وثلاث سفن صغيرة وخمسين جندي مشاة وخمسة عشر مدفعاً و ٣٥٠ جندياً و ٢٥ ملاّحاً[١٠٧]. وكان كريم خان متلهفاً للتعاون مع البريطانيين لذا انتهز الفرصة ما إن سمع بها؛ فأرسل كتاباً إلى مومبايي يعرض فيه المشاركة بعشرين ألف جندي دعماً للبريطانيين والعثمانيين ضد الكعبيين إذا وافق البريطانيون على دعمه عن طريق البحر ضد مير مهنا البندر ريغي[١٠٨].

استمر الصراع بين البريطانيين والشيخ سلمان ستة أشهر، كان يصر البريطانيون على مواصلته رغم الصعوبات التي كان يسببها لهم[١٠٩]. ففي بداية فصل الربيع من سنة ١١٨٠هـ (آذار ١٧٦٦ م) دخلت البصرة سفن بريطانية مع فوج مشاة لضرب الكعبيين[١١٠]. أمّا الأتراك الذين كانوا يتشوقون للحرب على الكعبيين فقد أظهروا عجزاً وضعفاً وتنصلوا عن تعهداتهم وتركوا البريطانيين يدخلون المعركة بلا دعم أو إسناد[١١١]. ولكن لم يلبث العثمانيون أن أرسلوا ١٥٠٠ جندي من بغداد عسكروا قرب الدورق. غير أنهم لم يقوموا بأية أعمال عسكرية ضد الشيخ سلمان بحجة انتظارهم لوصول التعزيزات من بغداد[١١٢].

يقال إن الشيخ سلمان كان لديه ثلاثة آلاف جندي مدرب ماهر[١١٣] وهذا الأمر، بالإضافة إلى الهزائم الثلاث المتوالية للعثمانيين أمام الشيخ سلمان وفشلهم في الهجوم على الدورق، هما السبب الرئيس في عدول الأتراك عن المشاركة ودعم البريطانيين في الحرب. وفي أيلول (سبتمبر) ١٧٦٦ م حين فشل البريطانيون في إقناع الأتراك بخوض عمليات عسكرية على قلعة كعب دخلوا المعركة منفردين وكانت النتيجة كارثية عليهم. لقد هزموا على يد الشيخ سلمان وقتل منهم قبطان واحد وضابطان وعريف و١٨ جندياً وجرح خمسون آخرون. فيما وقعت مدفعيتهم الصحراوية مع ثلاثين

صندوق عتاد بيد الكعبيين[١١٤]. فأصدر مكتب شركة الهند الشرقية أمراً فورياً إلى القوات البريطانية بالانسحاب وإيقاف كل العمليات البرية.

حاول البريطانيون، بعد تلك الهزيمة، أن يستردوا سفنهم من أيدي الكعبيين قرب الدورق ولكنهم فشلوا عندما تعرضوا إلى هجوم قوي من الكعبيين أجبرهم على التراجع والعودة صفر اليدين إلى معسكرهم[١١٥].

ضاعفت هزيمة البريطانيين أمام الكعبيين خوف العثمانيين وقلقهم منهم. فعقدوا اتفاقية جديدة مع البريطانيين في كانون الثاني (يناير) ١٧٦٧م تعهدوا بموجبها بدفع ألف تومان شهرياً لهم مقابل تعهد البريطانيين بحماية البصرة من هجمات الكعبيين[١١٦]. فقامت بريطانيا في بداية سنة ١٧٦٧م بإرسال سفينة حربية قوية بصحبة سفينة تجارية محملة بالسلاح والتجهيزات والجنود إلى الخليج عن طريق مومباي لغرض حماية البصرة وحماية تجارة شركة الهند الشرقية في الخليج والبصرة وتضييق الحصار على الكعبيين وأغراض أخرى[١١٧].

إزاء هذه الإجراءات أعلن الشيخ سلمان عن استعداده لإعادة حمولة السفينة الموقوفة منذ سنة ١٧٦٥م إلى البريطانيين ودفع التعويضات عن الخسائر الحربية التي تكبدتها شركة الهند الشرقية وتعهد بعدم التدخل في تجارة البصرة شريطة أن لا تتدخل بريطانيا في النزاع بينه وبين الأتراك. ولكن البريطانيين لم يوافقوا على هذه الشروط لأن امتلاك الكعبيين لأسطول بحري يشكل تهديدا للتجارة. كما لم يوافق البريطانيون على التزام الحياد في النزاع بين الشيخ سلمان والأتراك[١١٨]، ويرجع عدم موافقة البريطانيين على هذا المقترح إلى أنهم كانوا يعتبرون دحر الكعبيين يبقى هدفهم الرئيس[١١٩]. الواقع أن القضاء على الكعبيين كان من الأهمية للبريطانيين بحيث اتخذوا كافة الوسائل الممكنة لتحقيقه[١٢٠].

بعد هذه الهزيمة بدأ البريطانيون مباحثات مع كريم خان الزند للاستعانة بجيشه

ودعمه وإسناده في القضاء على الكعبيين. لهذا الغرض قام المندوب التجاري لشركة الهند الشرقية في البصرة هنري مور بإرسال جورج سكيب إلى شيراز في نيسان (أبريل) ١٧٦٧م لكسب دعم كريم خان في الصراع مع الكعبيين. في تلك المباحثات اقترح كريم خان بأن يجبر الكعبيين على دفع التعويضات للبريطانيين. كما أعرب عن استعداده لدفع نصف مليون روبية لمساعدة البريطانيين في قمع مير مهنا وأن يسلمهم جزيرة خارك بعد الانتهاء من مير مهنا[١٢١]، مع هذا رفض هنري مور مقترح كريم خان زند لأنه اعتقد أن المقترح سيكبل البريطانيين في علاقتهم مع الكعبيين وهو لا يوفر التعاون مع بريطانيا في مواجهة قبيلة كعب[١٢٢].

عموما فإن البريطانيين بعد أن هزمهم الشيخ سلمان لم يكفوا عن التفكير في القضاء عليه ،فقاموا بضرب حصار على أسطوله البحري[١٢٣]. ولكنهم لم يتمكنوا من دحره حتى بعد انهزام مير مهنا وهربه إلى البصرة ومن ثم إعدامه بيد العثمانيين. ولعل العامل الأساسي في فشل محاولات البريطانيين والعثمانيين وغيرهم القضاء على الشيخ سلمان، هو شعبيته الواسعة فضلا عن حنكته وتدبيره.

معركة «أبو طوق»

من أهم الحوادث التي شهدها تاريخ الكعبيين حربهم مع البريطانيين. تلك الحرب التي وقعت في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري في عهد الشيخ سلمان الكعبي بين الكعبيين والمعتدين البريطانيين يعتبرها أهل الفلاحية مثالا للحمية والشجاعة. وهذا ما جعلهم يتناقلون أحداثها جيلا بعد جيل حفاظا عليها وتخليدا لها. إنهم يفتخرون بانتصار أجدادهم العزل على أعظم قوة استعمارية في العالم ويتداولون الحكاية بحماس وشغف.

بعد أن يقدم الحاج علوان الشويكي وصفا لهزيمة والي بغداد في ربيع الثاني ١١٧٧هـ ووفاة الشيخ عثمان سنة ١١٧٨هـ ووصفا مختصرا عن هجوم كريم خان الزند على

الكعبيين يتناول معركة «أبو طوق» بقوله: «بعد عودة كريم خان اشتدت قبضة الشيخ سلمان على أزمّة الحكم فأمر سفنه بأخذ ضريبة من جميع السفن القادمة من الهند ودبي وبندر عباس وكنكان ومسقط والشارقة وعمان والبحرين والقطيف وقطر والكويت. ولما علم الأوروبيون بذلك تدفقوا بسفنهم الحربية ومدفعيتهم وجيشهم الجرار عن طريق البحر والخور على ساحل الدورق [ربما ١٧٦٦م الموافق ١١٨٠هـ] وكان في مقدمة هذا الجيش محمود كخيه(١٢٤) ومستر زبيد الإفرنجي صاحب القلادة الذهبية(١٢٥).

عندما اطلع الشيخ سلمان على الأمر أمر جميع الكعبيين أينما كانوا بالتجمع في الفلاحية. ثم أمر ببناء قلعة أخرى وربطها بقلعة الفلاحية وسميت بـ «كوت الطرش». أغلق الكعبيون جميع مخارج القلعة بالطين والحصى وأخذوا مواقعهم للدفاع عن الفلاحية. واصل الإفرنجة تقدمهم حتى عسكروا قرب القلعة. ثم قاموا بجمع الكثير من الرمل والحصى لصنع تل عالٍ يشرف على القلعة. ثم وضعوا مدافعهم عليه وشرعوا يقصفون القلعة بشكل متواصل.

أمّا الشيخ سلمان فقد عقد اجتماعاً مع كبراء الكعبيين لوضع طريقة للدفاع. وخلال الاجتماع دخلت «علية» بنت الشيخ ،المجلس سافرة وهي تحمل سيفاً. وما إن دخلت المجلس حتى أغمدت سيفها ودعت الناس إلى النصرة(١٢٦). فسألوها: لماذا دخلتِ المجلس سافرة؟ فأجابت: ذلك أهون من أن أُسبى بيد الأعداء. فدب الحماس في الحاضرين وضج المجلس كما لم يضج من قبل وتصايح الرجال بنداء النخوة من علية. ثم رموا بعمائمهم على الأرض وغادروا المجلس. وكان يتقدمهم أحمد بن محمد رئيس عشيرة مقدم وغبيش وكامل (١٢٧). وكانوا جميعاً على أهبة الاستعداد للقتال. وكان الضجيج والحماس خارج المجلس لا نظير له. التفت الشيخ سلمان إلى ابنته وأخذ يوبخها قائلاً: ما هذا الذي فعلت؟ أتريدين أن تهلكي قومي؟ ولكن علية انطلقت

مع المقاتلين دون أن ترد على أبيها. فأمر الشيخ سلمان أن يشدد إغلاق منافذ الخروج من القلعة بالطين والحصى.

عندما رأى المقاتلون الكعبيون المنافذ محكمة الإغلاق تسوروا أسوار القلعة ليلاً بالحبال وبربط عمائمهم إلى بعضها. فذهب رجل من بني كعب فأخبر الشيخ بأن المقاتلين الكعبيين أنهكم تسور الأسوار والقفز إلى الجانب الآخر من القلعة ويستحسن أن تفتح الأبواب. حينئذ أمر الشيخ سلمان بفتح الأبواب للهجوم على الإفرنجة.

وما إن انفتحت أبواب القلعة حتى اندفع رجال بني كعب نحو الإفرنجة واستولوا على معسكرهم بعد معركة حامية سجلوا فيها ملحمة بطولية فذة. ولما رأى المستر زبيد ومحمود كخية الوضع ركبا عربتهما وفرا من ساحة القتال. وقام الرجال الكعبيون بمطاردة العربة حتى أدركوها وقتلوهما وقطعوا رأسيهما وانتزعوا القلادة الثمينة التي كان يعلقها مستر زبيد في رقبته. وبعد قتلهم لقادة جيش العدو قام الكعبيون بمطاردة البريطانيين حتى مدخل الخور وأخرجوهم من أراضيهم. ولدى عودتهم كانوا يحملون الكثير من الغنائم التي شملت المدافع والهاونات والأسلحة والعتاد والكثير من الأموال فقدموها هدية للشيخ سلمان.

في صباح اليوم التالي انطلق الكعبيون نحو الخور لمواجهة البريطانيين. في تلك الأثناء تقدم رجل اسمه صياح إلى الشيخ سلمان بخطة لإحراق سفن البريطانيين، فوافق عليها الشيخ فنفذت وكانت الحصيلة إحراق الكثير من سفن البريطانيين ،الذين لم يجدوا بعد ذلك خياراً غير الهرب والابتعاد عن سواحل بني كعب. فاستولى الكعبيون على ما تبقى من سفنهم وكانت من نوع «كالي»[١٢٨] . وهكذا استسلم البريطانيون أمام شجاعة الكعبيين وبسالتهم ولم يعودوا يفكرون بالتحرش بهم أو إخضاعهم وبذلك أصبح الكعبيون قلعة حصينة عصية على الأطماع الأجنبية.

يشير الشاعر الملا فاضل السكراني في قصيدته المعروفة باسم «أحبك يا فلاحيتي» إلى هذه المعركة ويقدم وصفاً جميلاً لانتصار أهالي المدينة على الغزاة[١٢٩].

ورغم أهمية هذه المعركة وورود تفاصيلها في الكثير من كتب التاريخ، لا يتحدث كسروي عنها ولا يذكرها أبداً ولو بإشارة عابرة. فما سر هذا التجاهل؟ لقد اطلع كسروي على كتاب الحاج عبد الغفار نجم الملك وقرأه بل اقتبس منه في أكثر من موضع من كتابه «تاريخ بانصد ساله خوزستان». رغم هذا نجده يتغاضى عن الحادثة ولا يشير إليها. يقول الحاج عبد الغفار نجم الملك في كتاب رحلته إلى عربستان مؤيداً وقوع المعركة: «وقد سبق للبريطانيين أن حاولوا الاستيلاء على الفلاحية ولكن شيوخ كعب أحرقوا سفنهم فهزموهم ...»[١٣٠].

وياور فراهاني، هو الآخر، يشير في مذكراته عن الحرب الإيرانية البريطانية في المحمرة سنة ١٢٧٣هـ إلى هذه المعركة نقلاً عن الحاج جابر. إذ إن الحاج جابر استشهد بهزيمة البريطانيين من الكعبيين. يقول الحاج جابر خان مخاطباً خانلر ميرزا: «..هذه السفينة الحربية البريطانية نفسها حاولت بمساعدة الجيش، الاستيلاء على الفلاحية ولكن خمسمائة عربي عزل من المدفعية وبدون مساعدة الجيش قتلوا المهاجمين البريطانيين جميعهم ولم يتركوا منهم واحداً يفر بجلده واستولوا على خمسمائة مدفع وأكثرها الآن موجودة وأنت قد سمعت بذلك»[١٣١].

هيمنة بني كعب على البحر

رغم الهجرة من قبان إلى الدورق والابتعاد عن البحر لم يسقط الشيخ سلمان أبداً من حساباته البحر وأهمية السيطرة عليه. في تلك الفترة كان الاستعمار البريطاني يبحث عن أراضٍ جديدة يستولي عليها فكانت سفنه تجوب الخليج وبحر عمان لذلك الغرض. والكعبيون بدورهم كانوا يفهمون الأوضاع جيداً ويفكرون في بسط الهيمنة على البحر وحماية السواحل الجنوبية من البريطانيين. لقد أنزلوا أولى سفنهم سنة

١١٧١هـ (١٧٥٨م) وبعد مضي سبع سنوات أصبح لديهم عشر سفن كبيرة وسبعون سفينة صغيرة[١٣٢]. وهكذا استطاع الشيخ سلمان حماية السواحل الشمالية الغربية من الخليج والطرق المائية المنتهية إليه عبر تشكيل أسطول بحري ضم العديد من السفن الكبيرة والصغيرة.

ومما ضاعف من أهمية البحر والأسطول البحري لدى الشيخ سلمان الهجوم الذي شنه كريم خان على الفلاحية ومغادرة الشيخ للفلاحية ولجوؤه إلى البحر. فمنذ ذلك الحين أصبح يعتبر البحر أفضل ملجأ وأنسب ملاذ من هجمات كريم خان الزند. ولما كان الزنديون يفتقرون إلى البحرية والخبرة في الملاحة فقد عمل الشيخ سلمان على إحكام قبضته على البحر وبسط نفوذه فيه[١٣٣]. كان يملك من الثقة بسفنه وبرجاله البحريين ما يؤمّن له حماية كافية أمام البريطانيين والعثمانيين في البحر[١٣٤].

لقد أمر الشيخ سلمان سفنه بأخذ الضريبة من جميع السفن القادمة من الهند ودبي وبندرعباس وكنكان ومسقط والشارقة والبحرين وعمان والقطيف وقطر والكويت والتي تدخل مصب شط العرب[١٣٥]. وقد استولوا على سفينتين بريطانيتين في أواخر صيف ١١٧٨هـ (١٧٦٥م) وبعد ذلك بأيام استولوا على سفينة ثالثة[١٣٦].

لم يستطع البريطانيون، وعلى رأسهم شركة الهند الشرقية التي كانت تبحث عن تجارة حرة وسيطرة على أسواق المنطقة، تحمل هذا الوضع. كما لم يتحمل كريم خان الزند وجود الكعبيين على ذلك الوضع وذلك لارتباطه بعقد مع البريطانيين يقضي بتسليمهم تجارة الخليج وكذلك لازدياد قوة الكعبيين ونفوذهم. كما أن الأتراك كانوا منذ القديم يعتبرون القبان وتلك المناطق تابعة إلى الدولة العثمانية[١٣٧]، وتبعاً لذلك يعتبرون الكعبيين من رعاياهم ويسعون إلى قمعهم وإخضاعهم.

لقد أثبت الكعبيون، من خلال حربهم مع كريم خان الزند سنة ١١٧٨هـ وإفلاتهم منه وتحصنهم في البحر، أنهم قادرون على الاستغلال الأمثل للبحر والإمكانات المتوافرة

فيه والجزر المنتشرة عليه في الإفلات من الأعداء وتوفير الأمن لأنفسهم. وعندما أدرك البريطانيون والأتراك تلك الحقيقة سعوا جهدهم لإنهاء هيمنة الكعبيين على البحر. فالهجوم الذي شنه البريطانيون، بتحريض وتخطيط من شركة الهند الشرقية، نفذ بعد سلسلة من المناوشات والصراعات بين الكعبيين والبريطانيين[١٣٨] فبعد أن يئس البريطانيون من فرض السيطرة على البحر وجدوا السبيل الوحيد هو الهجوم البري على عاصمة الكعبيين الفلاحية. الواقع ان المعركة البرية (معركة أبو طوق) كانت ترمي إلى بسط السيطرة على البحر وازاحة الكعبيين عنها.

مهما يكن من أمر فبعد هزيمة البريطانيين المنكرة أمام الكعبيين في معركة أبو طوق [١٣٩] بلغ صيت الشيخ سلمان إلى أوروبا. يقول الرحالة الألماني كارستن نيبور في معرض وصفه لقوة الشيخ سلمان الكعبي: «لم يكن لهؤلاء (بني كعب) أية أهمية تذكر قبل صعود الشيخ الحالي الشيخ سليمان [سلمان] إلى السلطة. وقد وصلت شهرته إلى أوروبا بعد معاركه مع البريطانيين التي استخدم فيها السفن.»[١٤٠].

الشيخ سلمان الكعبي الحكيم والمحنك

أن حكم الكعبيين كان من السنة ١١٥٠هـ إلى السنة ١١٧٨هـ مشتركاً بين الشيخ سلمان وأخيه الشيخ عثمان وبعد وفاة الشيخ عثمان في عام ١١٧٨ هـ أصبح الشيخ سلمان حاكم بني كعب الوحيد حتى سنة ١١٨٢هـ، رغم ذلك فالواقع يشير إلى أن الحكم الحقيقي والتصرف الفعلي في الأمور كان بيد الشيخ سلمان. لهذا السبب فإن جميع الأعمال سجلت باسمه. حتى بناء قرية «السلمانة» على بعد ٢٥ كم شمال عبادان سمي باسمه.

كان الشيخ سلمان أشهر حكام بني كعب هو أكثرهم حكمة وحنكة. ومن ميزاته اهتمامه بالبناء والإعمار وحسن التدبير والذكاء مع السياسة والكياسة. لقد بلغ من الدراية والحكمة حداً جعل حتى أحمد كسروي المعادي للعرب يمتدحه ويعجب به

ويعتبر تهديم كريم خان الزند لسد السابلة [الذي بناه الشيخ] من سيئات أعماله. وكانت إنجازاته ودولته من القوة بحيث باء بالفشل ليس فقط الهجومان اللذان وجههما إليه كريم خان بل حتى الهجوم الذي شنه عليه والي بغداد مع حليفه السيد مطلب المشعشعي فعادوا جميعاً منهزمين. حتى البريطانيون انهزموا أمامه حين زحفوا على عاصمته بجيشهم ومدفعيتهم وقتلوا عن آخرهم. ثم صد الشيخ سلمان هجوماً كبيراً آخر قاده والي بغداد اشترك فيه الكرد والترك والعرب وكبدهم هزيمة قاسية.

إضافة إلى ما تقدم كان الأمن المستتب وراحة بال المواطنين أدلة أخرى على قوة الشيخ سلمان وكفاءته. ففي الوقت الذي كانت الفوضى وعدم الاستقرار يعمان المناطق المجاورة، والنهابة وقطاع الطرق يعبثون بأمن الناس واطمئنانهم كانت مناطق حكمه تنعم بالهدوء والأمان. فهذا مؤلف «تذكرة شوشتر» المعاصر للشيخ سلمان الكعبي يفرد صفحات كثيرة من كتابه للفتن والاضطرابات التي كانت تعيشها تستر ودزفول، وفي الوقت نفسه يتحدث عن الأمن في مناطق مملكة الشيخ سلمان:

«في أواخر هذه السنة [١١٦٨هـ] سئم وتضجر كاتب هذه السطور من كثرة الصراعات والنزاعات والحروب والمعارك فعزمت على السفر إلى البصرة عن طريق الدورق للترفيه عن النفس. وفي الطريق مررت بالشيخ عثمان بن سلطان بن ناصر الكعبي وهو من أشراف عصره وأكابر دهره ونزلت عنده بناء على رغبته ،ثم توجهت إلى أخيه الشيخ سلمان المعروف بسوابقه العظيمة وإنجازاته الرائعة التي منها بناؤه السد على كرن (كارون) ... والذي إليه يعود الفضل في عمران المناطق المحيطة به وازدهار الزراعة وتنوع المحاصيل من نخيل وأرز وباقي الحبوب الصيفية حتى قصده الناس من كل حدب وصوب وهذا ما لم يحصل قبل ذلك. وقد بلغ الشيخ سلمان من حسن السياسة درجة جعلت وجود اللصوص وقطاع الطريق في مملكته كوجود

العنقاء [١٤١]. ولو أن امرأة عمياء حملت على رأسها طَبَقاً من ذهب وسارت به ليلاً من قرية إلى قرية لم يتعرضها أحد».

أمّا السيد عبد الله الجزائري فيقول في أسلوب عمل الشيخ ومناطق نفوذه:

«كان يتعامل مع حكام البصرة وأعيانها بالموافقة والمسالمة وكانت أكثر الأقطاعيات وأسياد تلك المناطق تحت تصرفه بلا منازع» [١٤٢].

إضافة إلى ذلك فإن بناء الشيخ سلمان لمدينة الفلاحية وقرية السلمانة وكذلك إقامة سد السابلة على نهر كارون كانت من إنجازاته الحكيمة العظيمة [١٤٣].

ومن مزايا الشيخ سلمان وسياساته الرائعة عدم تعرضه لجيرانه واجتنابه للحروب وسفك الدماء. فهو لم يبدأ حرباً ولا قتالاً قط. وكانت جميع الحروب التي خاضها حروباً دفاعية. حتى مؤرخ الزندية الرسمي ميرزا محمد صادق النامي، رغم أنه يتحدث عن هجوم كريم خان الزند على الشيخ سلمان الكعبي يعترف بأن الشيخ سلمان لم يتعرض للإيرانيين قط: «كان الشيخ سليمان [سلمان] هذا لا يتجاوز حدوده ولم يتعرض أبداً لأحد من أهل الأمصار المحسوبة في عداد المملكة الإيرانية ولم يكن يمد يد العدوان إلى ايراني لا في البر ولا في البحر» [١٤٤].

اقتدار الكعبيين بعد الشيخ سلمان

حكم الشيخ سلمان ٣٢ عاما بصلابة وفي ذروة قوته وتوفي في عام ١١٨٢هـ. وهو من الشيوخ الكعبيين القلائل الذين لم يقتلوا بل ماتوا موتاً طبيعياً. لقد لعب الشيخ سلمان دوراً كبيراً في تثبيت حكم الكعبيين وتقويته بحيث كان هذا الحكم عند وفاته أقوى وأوسع بكثير منه عند تسلّمه له في عام ١١٥٠هـ. كان من أقوى حكام بني كعب ولكن ما يميزه منهم جمعه بين القوة والحكمة والعقل والاهتمام بالناس.

لم يتنفس البريطانيون ولا العثمانيون ولا غيرهم من القوى الصعداء إلاّ بعد وفاة الشيخ سلمان لأنهم كانوا يرون فيه تهديداً لمصالحهم. لهذا أنهوا حصارهم للكعبيين

سنة ١٧٦٩م (١١٨٣هـ) في عهد الشيخ داود بن سلمان. وهذا ما أدى إلى تحسن العلاقات بين الكعبيين والعثمانيين حتى إن الكعبيين ساندوا العثمانيين في إحدى معاركهم بزوارقهم(١٤٥).

بعد الشيخ سلمان تولى الحكم ابنه غانم. وفي عهده وقعت حرب بين الكعبيين والعمانيين انتهت بنصر الكعبيين. وبعد سنة تم قتل غانم بن سلمان وحل محله أخوه داود الذي قتل هو الآخر بعد سنة فخلفه ابن عمه بركات بن عثمان.

بعد سنتين من تولي بركات الحكم، أي في سنة ١١٨٦هـ، انتشر الطاعون في العراق ومدن الأهواز الجنوبية وقضى على خلق كثير. في تلك السنة هاجم الكعبيون البصرة بقصد الاستيلاء عليها ولكنهم لم ينجحوا(١٤٦)، فقد كان ممثلو شركة الهند الشرقية والقوات البريطانية قد تركوا البصرة إثر شيوع الطاعون فيها قاصدين مومبايي. فوجد الكعبيون الفرصة مواتية فأرسلوا أسطولهم البحري لقصف بعض مناطق البصرة. هذا الأمر أجبر حكام البصرة على تكليف أهاليها بخراج ثقيل ودفعه إلى الكعبيين. وبعد تلك الحادثة توسلوا بقبيلة المنتفق لحماية مدينتهم(١٤٧).

يقول كسروي: «في السنة ١١٧٨هـ هاجم صادق خان أخو كريم خان الزند على البصرة بجيش جرار وحاصرها. وكان الكعبيون بقيادة الشيخ بركات يساعدون الزنديين في الهجوم(١٤٨)». ولكن المؤرخ الرسمي للزندية محمد صادق النامي لم يشر إلى هذا الموضوع أبداً ولم يتحدث عن مشاركة الكعبيين في ذلك الهجوم.

أما كسروي فبعد حديثه عن الحصار الذي استمر أربعة عشر شهراً يروي عن البارون دوبد أن كريم خان سلم هنديجان والقرى التابعة لها إلى الكعبيين ليسكنوا فيها. ويقول إن ذلك جاء «مكافأة للكعبيين على تضحياتهم في الهجوم»(١٤٩)؛ غير أن هذا الكلام غير صحيح. لأنه لو صح أن كريم خان أعطى هنديجان إلى الكعبيين

ليسكنوا فيها فلا يبقى معنى لهجوم الشيخ بركات عليها واحتلالها. هذا الموضوع يقبله حتى كسروي نفسه ويرويه في الصفحة التالية(١٥٠).

بعد وفاة كريم خان زند سنة ١١٩٣هـ ضاعف الكعبيون قوتهم ووسعوا نفوذهم. إذ بوفاته تصاعدت حدة النزاع بين الزنديين على السلطة وكان كل منافس يفكر بالقضاء على غيره. ومن جانب آخر كان آقا محمد خان قاجار يسعى للاستحواذ على التاج الإيراني وكان قد اتخذ من شمال البلاد مسرحاً لطموحاته. أمّا الكعبيون فقد انصرفوا، مطمئنين من خطر الزندية وخلفاء كريم خان، إلى توسيع نفوذهم وتقوية حكمهم. لذا هجم الشيخ بركات على رامهرمز أولاً وضمها إلى ملكه ثم توجه نحو هنديجان وسيطر عليها ،فكان بمثابة أقوى سلطة في المنطقة. وهذا ما جعل الكثير من المناطق والموانئ الجنوبية تخضع له بدون قتال وتؤدي إليه الخراج. حتى إنه في السنوات الأخيرة من حكم الشيخ بركات كان الخراج يأتي إلى الكعبيين من المناطق الواقعة بين بندر بوشهر وعمان حتى أطراف البصرة فضلاً عن المناطق المذكورة آنفاً(١٥١).

في شهر مايس (مايو) ١٧٧٤م (١١٨٨هـ) هجم أسطول الكعبيين على القطيف وعاد منها إلى الدورق بغنائم كثيرة بعد إخضاع أهلها(١٥٢).

كان الشيخ بركات بن عثمان، كالشيخ سلمان، من أقوى الحكام الكعبيين. فقد عمل على مضاعفة قوة الحكم التي أسس لها الشيخ سلمان وتوسيع مناطق سيطرته حتى أصبح يحكم رقعة جغرافية أوسع بكثير من تلك التي حكمها الشيخ سلمان. وكان الفرق الأساسي بين فترتيهما هو أنه في فترة الشيخ بركات كانت القوى الكبرى كالعثمانية والزندية تعترف بالكعبيين قوةً قوية ولم تفكر بالإطاحة بهم أو إخضاعهم. لذا كانوا في مأمن من هجمات كريم خان الزند وكذلك والي بغداد.لهذا السبب وجد الكعبيون فسحة للتفكير في توسيع نفوذهم وتقويته. ففي عهده انشغل كريم خان

الزند بقمع «خوارج عمان» وحلفائهم البصريين وتأديبهم مستفيداً من إمكانات الكعبيين البحرية بقيادة الشيخ بركات وخبرتهم حيث قدم له الكعبيون كل أشكال الدعم والتعاون[١٥٣].

في عهد الشيخ بركات لم يكن الكعبيون يأخذون الخراج من المناطق الشمالية للخليج فحسب، بل من عمان والكويت[١٥٤].

في آخر سنة من حكم الشيخ بركات بن عثمان وهي سنة ١١٩٧هـ (١٧٨٣م) استولت أسرة آل الصباح على الحكم في الكويت وأعلنوا عن عدم دفعهم الضرائب إلى الكعبيين. فقام الشيخ بركات بتجهيز أسطوله والتوجه نحو الكويت لقمعهم وأخذ الضرائب منهم. فاشتبك الجانبان في موضع قرب جزيرة فيلكا يقال له: «الرقة» وكان النصر حليف الكويتيين رغم قوة الكعبيين وسطوتهم[١٥٥].

انتصارات الكعبيين في عهد الشيخ غضبان

قتل الشيخ بركات بن عثمان ليلة العاشر من رجب ١١٩٧هـ[١٥٦] فخلفه غضبان ابن محمد بن بركات. واستمر الشيخ غضبان زعيماً للكعبيين عشر سنوات. وشهدت فترته حوادث كثيرة. يقول الحاج علوان الكعبي إن الحوادث التي وقعت في عهد الشيخ غضبان كانت من الكثرة بحيث لا تسعها صفحات الكتاب[١٥٧]. ويبدو أن وجود حاكم قوي كالشيخ بركات كان يمنع أعداء الكعبيين ومعارضيهم من التفكير في التعرض لهم ولكن مقتله جعلهم يتصورون بأن حكم الكعبيين آيل إلى الضعف وأنهم إلى تفرق فهاجموهم.

فمع صعود الشيخ غضبان إلى السلطة تحالف والي بغداد سليمان باشا مع قبيلة المنتفق فجهزوا جيشاً كبيراً وهجموا على الكعبيين. ولكنهم لم يحققوا شيئاً بل عادوا منهزمين. ثم وصل الدور إلى جيش عدن ليجرب حظه بالهجوم على الكعبيين فانهزم العدنيون أيضاً من الكعبيين. أما الهجوم التالي فقد شنه شيخ المنتفق الشيخ

ليلقى المصير نفسه الذي لقيه من سبقه من المعتدين على الكعبيين. ثم قام أهالي الموانئ وسكان المدن الساحلية بتجهيز جيش لمقاتلة الكعبيين ولكنهم انهزموا أمامهم أيضاً(١٥٨). يقول كسروي: «إن النصر كان من نصيب الكعبيين في تلك المعارك جميعها ولم يحقق أعداؤهم شيئاً.»(١٥٩).

في السنة ١٢٠٠هـ توجه الزنديون إلى بهبهان بعد قمع قبيلة ممسني فمكثوا فيها وتوجه محمد خان وعبد الله خان مع فوج من الجيش نحو الدورق وما يليها ليقابلوا «بغي العرب الكعبيين وعصيانهم» بـ«الإغارة عليهم ونهب أموالهم». يروي الميرزا محمد صادق النامي الحادثة كما يلي: «لما كان الشيخ غضبان متمرداً على السلطة فقد كلف صاحب الجلالة كلاً من محمد خان وعبد الله خان بقيادة فوج من الجيش المنصور لمهاجمة مقره من جهتين والإغارة على العرب الكعبيين ونهب أموالهم. فقام القائدان بتنفيذ الأوامر وانقضوا على تلك القبيلة واستولوا على الكثير من المواشي والدواب وعادوا إلى مقر القيادة.»(١٦٠).

بالإضافة إلى ذلك استرجع الشيخ غضبان هنديجان أولاً وضمها إلى دولته. ثم زحف نحو رامهرمز(١٦١) واستولى عليها. ولكنه قتل ليلة ٢٦ رجب ١٢٠٧هـ(١٦٢) وحل محله الشيخ مبارك بن غضبان.

عموماً، فإن الشيخ مبارك حل محل أبيه الشيخ غضبان سنة ١٢٠٧هـ وكان حاكم الكعبيين حتى سنة ١٢٠٩هـ . في تلك السنة قام الكعبيون بطرده وإبداله بفارس بن داود. ولكن فارس بن داود لم يستمر إلاَّ سنة واحدة ، فطرد بعدها ليكون الشيخ علوان بن محمد بن شناوة بن فرج الله شيخ الكعبيين سنة ١٢١٠هـ(١٦٣). استمر الشيخ علوان حتى سنة ١٢١٦هـ ثم خلفه محمد بن بركات الذي حكم ١١سنة حتى سنة١٢٢٧ الهجري .

الكعبيون وظهور القاجاريين

أسلفنا أنه بموت كريم خان الزند سنة ١١٩٣هـ اشتدت المنافسة وتصاعد النزاع

على السلطة بين الزنديين. كما اتخذ آقا محمد خان القاجار من شمال إيران ميداناً لتحركاته. وهذا ما منح الكعبيين فسحة التفرغ لفتوحاتهم وتثبيت حكمهم وتوسيع نفوذهم بعد أن انشغل الزنديون بصراعاتهم الداخلية. أمّا آقا محمد خان القاجار فبعد أن قضى على كل منافسيه قام بقتل آخر الحكام الزنديين لطفعلي خان سنة ١٢٠٨هـ ووضع أساس الحكم القاجاري. ولكن الكعبيين واصلوا ممارسة الحكم باطمئنان بالغ ولم يدفعوا الخراج لأحد حتى سنة ١٢٥٧هـ. وكما يقول كسروي «عاش أهالي خوزستان وبخاصة الكعبيون مستقلين حتى عهد فتحعلي شاه ولم يعترفوا بملوكية أحد ولم يدفعوا الضريبة لأحد(١٦٤)».

استمر الشيخ محمد بن بركات زعيماً للكعبيين إحدى عشرة سنة حتى ١٢٢٧هـ. ويؤكد السير (جون ماكدونالد معاون السير جون مالكوم الذي أقام في عربستان ستة أشهر من سنة ١٢٣٥هـ في كتابه أن الشيخ محمد الكعبي لم يكن خاضعاً للدولة القاجارية ولم يدفع لها الضرائب(١٦٥). وبعد أن توفي الشيخ محمد حل محله الشيخ غيث بن غضبان سنة ١٢٢٧هـ. وهو أيضاً «واصل نهج أسلافه في عدم الخضوع للدولة القاجارية»(١٦٦).

هجوم القاجار على الشيخ غيث

ذكرنا أن الكعبيين في عهد الشيخ محمد بن بركات وخليفته الشيخ غيث بن غضبان «لم يخضعوا للقاجاريين» وكانوا «مستقلين» ويحكمون باستقلال. لهذا حشد حسين علي ميرزا بن فتحعلي شاه جيشاً ضخماً لإخضاعهم فهجم عليهم عن طريق هنديجان، فاستعد الكعبيون للمواجهة فالتقى الجمعان قرب قرية «ده ملا» من قرى هنديجان. وانتهت تلك المعركة التي نشبت في سنة ١٢٢٧هـ وهي السنة الأولى لحكم الشيخ غيث بانتصار الكعبيين. وأوقع الكعبيون في الجيش القاجاري الكثير من القتلى وأحرقوا فسطاط قائد جيشهم ميرزا بهبهان. والمعركة كانت، حسب ما جاء في كتاب «تاريخ كعب» الذي ألفه شيوخ الكعبيين، حامية الوطيس فأنهاها حسين علي ميرزا بطلب

الصلح من الكعبيين[١٦٧] ويؤكد الحاج علوان الشويكي أيضاً هزيمة جيش حسين علي ميرزا[١٦٨].

وبعد هزيمة حسين علي ميرزا من الكعبيين سنة ١٢٢٧هـ عادت الدولة القاجارية وأرسلت جيشاً نحو الدورق سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٨م) بقيادة والي كرمان لإخضاع الكعبيين وإلزامهم بدفع الخراج. وصل هذا الجيش قرب الفلاحية وحاصر المدينة. غير أن والي كرمان هو الآخر لم يحقق نجاحاً بل طلب الصلح، فانعقد بين الطرفين وعاد هو إلى كرمان خائباً[١٦٩] ويتحدث الحاج علوان الشويكي كذلك عن محاصرة والي كرمان للدورق وفشله وعقد الصلح بينه وبين الكعبيين[١٧٠].

ذكر أحمد كسروي في كتابه معركة حسين علي ميرزا مع الكعبيين وأكد هزيمة حسين علي ميرزا نقلاً عن مختصر تاريخ كعب (تاريخچه ي كعب). ولكنه لم يورد شيئاً في كتابه عن هجوم والي كرمان على الدورق وتكلم، عوضاً عن ذلك، عن هجوم محمد علي ميرزا الابن الآخر لفتحعلي شاه سنة ١٢٣١هـ الذي انتهى هو الآخر بهزيمة القاجاريين[١٧١].

مهما يكن من أمر فإن الكعبيين، كما أسلفنا، كانوا مستقلين حتى هجوم منوجهر خان معتمد الدولة سنة ١٢٥٧هـ.

معارك الشيخ غيث مع والي بغداد

استمرت زعامة الشيخ غيث للكعبيين أربع سنوات منذ توليه الحكم سنة ١٢٢٧هـ حتى سنة ١٢٣١هـ ثم ثار عليه الكعبيون وأحلوا الشيخ عبد الله بن محمد محله. ولكن هذا لم يستمر إلاّ سبعة أشهر وبضعة أيام فعاد الشيخ غيث إلى الحكم مرة أخرى[١٧٢] واستمر هذه المرة حتى سنة ١٢٤٤هـ.

في فترة حكم الشيخ غيث طلب منه زعيم قبيلة المنتفق الشيخ حمود المساعدة في مواجهة والي بغداد. فما كان من الشيخ غيث، وهو يعلم بموقف والي بغداد العدواني

تجاه الكعبيين وتعرضاته لهم، إلاّ أن أرسل جيشاً من الكعبيين بقيادة أخويه مبادر وثامر صوب البصرة. ولما كانت مسقط تابعة للكعبيين وتدفع اليهم الخراج فقد كتب الشيخ غيث كتاباً إلى سلطان مسقط يطلب فيه منه المشاركة بقوة ساندة وسفن حربية. أمّا حاكم البصرة المنتدب من قبل والي بغداد فقد طلب الدعم من شيخ الكويت لمواجهة قوات المنتفق بقيادة الشيخ حمود وحلفائه الكعبيين وسفن مسقط الحربية. فقام شيخ الكويت الشيخ جابر الصباح بإرسال سفنه إلى البصرة. وقام جيش الكعبيين بمحاصرة البصرة وأخذ يضيّق الخناق عليها باستمرار. غير أن حاكم البصرة عزيز آقا دخل في مفاوضات مع قائدَيْ جيش الكعبيين مبادر وثامر بمساعدة سادات البصرة وعلمائها وشيوخها وأقنعهم بترك الحصار والتراجع عن المدينة نحو المحمرة فهدأ التوتر(١٧٣).

بعد هذه الحادثة ثار الشيخ عقيل على عمه الشيخ حمود شيخ المنتفق فقبض عليه وأرسله إلى والي بغداد. ثم حشد جيشاً قوامه أكثر من عشرين ألف جندي مشاة وألفي فارس وهجم به على المحمرة انتقاماً من تضامن الكعبيين مع الشيخ حمود. فوقعت معركة طاحنة في شهر رمضان من سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦م) بين كعب وجيش المنتفق بقيادة الشيخ عقيل في ضواحي المحمرة. وانتهت المعركة بنصر الكعبيين وهزيمة جيش المنتفق.

وعاد الشيخ عقيل وجهز جيشاً من بغداد وماردين ودياربكر وزحف به نحو الكعبيين للثأر لهزيمته منهم. في الوقت نفسه طلب حاكم البصرة من شيخ الكويت تعزيز هذا الجيش لمواجهة الكعبيين. واندلعت معركة طاحنة في ٢٤ صفر ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) في منطقة تابعة للمحمرة يقال لها البريم انتهت أيضاً بانتصار الكعبيين(١٧٤). ويصف الحاج علوان الشويكي تلك المعركة ويورد قصيدة طويلة تتحدث عن تفاصيلها(١٧٥).

بعد تلك المعارك قام شيخ الكويت الشيخ جابر الصباح بالهجوم على الكعبيين بتحريض من حاكم البصرة فعبرت قواته شط العرب واستولت على بعض المناطق

هناك. ولكن الكعبيين ردوا عليهم بهجوم مضاد وهزموهم. وبعد هذه الهزيمة قام والي بغداد داود باشا بالتصالح مع الشيخ غيث في ١٥ رمضان ١٢٤٣هـ واضعاً حداً لحروبه وحروب الكويتيين على الكعبيين.[١٧٦]

جدير بالذكر أنه في السنة ١٢٣٦هـ (١٨٢١م) شاع مرض الطاعون في تلك المنطقة وأهلك الكثير من الناس.

الكعبيون بعد الشيخ غيث

قتل الشيخ غيث سنة ١٢٤٤هـ وخلفه أخوه مبادر. لقد بلغ مجموع فترة حكم الشيخ غيث أكثر من ١٧ سنة ،أربع سنوات منها بين ١٢٢٧ و١٢٣١هـ ثم حكم عبد الله بن محمد سبعة أشهر ثم عاد الشيخ غيث سنة ١٢٣١هـ واستمر حتى قتل بعد ١٣ سنة في ١٢٤٤هـ .

بعد تولي الشيخ مبادر السلطة ثأر لأخيه الشيخ غيث من قاتليه فقتلهم جميعاً. واستمر زعيماً للكعبيين حتى سنة ١٢٤٧هـ لمدة ثلاث سنوات.

نجح الشيخ مبادر في الحفاظ على قوة الحكم في الفترة السابقة حتى يقول ستاكلر: «كان للشيخ مبادر ١٥٠٠٠ جندي مشاة وبين ٦٠٠٠ و٧٠٠٠ فارس وكان يضع المدافع في ميدان الفلاحية ودخله الشهري ٦٠ ألف تومان. وكان يحيط بعاصمته الفلاحية قلعة محيطها ميل ونصف الميل مع ساحة وميدان للمدفعية تضم أكثر المدافع القديمة من الفترة البرتغالية.»[١٧٧]. وهذا ما ردع أعداء الكعبيين وجيرانهم عن التعرض إليهم، في عهده فكان الكعبيون حينئذ ينعمون بالأمن والاستقرار .

في السنة ١٢٤٥هـ وهي السنة الثانية من حكم الشيخ مبادر توجه فتحعلي شاه قاجار إلى رامهرمز عن طريق فارس وبهبهان ومنها إلى تستر. ثم ذهب من تستر إلى دزفول دون المرور بالفلاحية أو الدورق ثم عاد إلى طهران عن طريق خرم آباد ولم يفعل شيئاً سوى التجوال والتفرج» على حد تعبير كسروي[١٧٨]. وإن دل على شيء يدل استقلال بني كعب.

في السنة ١٢٤٧ هـ عزل الكعبيون مبادراً عن السلطة وأحلوا عبد الله بن محمد محله. ولم يستمر الشيخ عبد الله زعيماً للكعبيين سوى بضعة أشهر، فحل محله الشيخ ثامر بن غضبان أخو الشيخ مبادر. وفي عهده استطاع رجل من خوانين البختيارية اسمه محمد تقي خان من فرع جهارلنك أن يستولي على منطقة شملت تستر ودزفول ورامهرمز وبهبهان ويوسع رقعة نفوذه ويشدد قبضة سيطرته يوماً بعد يوم. وبعد فترة التحق به خان ممسني. وبموت فتحعلي شاه تضاعفت قوته. ولكنه رغم ازدياد قوته لم يقترب من المناطق العربية. ففي الوقت الذي «كان رجاله يسيطرون على طريق فارس – كاشان ويجردون القوافل من أموالها» [١٧٩] لم يذهب من جهة الجنوب أبعد من رامهرمز وتستر ودزفول معتبراً هذه المدن حدوده الجنوبية.

هجوم والي بغداد على المحمرة

المحمرة من مدن الأهواز القديمة التي يعود تاريخها إلى ما قبل الميلاد. بناها الإسكندر المقدوني أولاً وسماها «خاراكس». وبعد ذلك بسنوات تعرضت للتدمير واختفت تماماً. ثم تم بناء مدينة في ذلك الموضع اسمها «بيان» [١٨٠]. ويبدو أن نهراً حفر قبل الإسلام لربط كارون بشط العرب وأن مدينة ظهرت شمال هذا النهر. ومنذ ذلك الوقت سمي النهر، أو القناة، باسم «بيان» وأطلق الاسم نفسه على المعمورة التي في شماله. إن معلوماتنا عن هذه المعمورة قليلة جداً ولا ندري إلى أي عهد كانت قائمة. ولكن المؤكد إنها كانت موجودة حتى القرن الرابع الهجري ويذكرها المقدسي في كتابه ويحتمل جداً أن المحمرة بنيت في غير موضع «بيان» والاحتمال الأقرب إلى اليقين هو أن المحمرة بنيت بعد خراب بيان وزوالها. وبنفس الدرجة من عدم معرفة تاريخ زوال «بيان» يبقى تاريخ بناء المحمرة مجهولاً. ولا يورد الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي (ولد ١٠٥٣ هـ) في كتابه ذكراً لـ «المحمرة» أو «بيان». وفي سيرة الشيخ سلمان الكعبي وحادثة تخريب وتدمير سد السابلة على يد كريم خان الزند يتردد اسم «الحفار» و«المحرزي» ولا يرد اسم المحمرة [١٨١]. وأول مرة يرد فيها اسم المحمرة [١٨٢] في

الكتب والمصادر يعود إلى سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) [١٨٣] وهذا يدل على أن بناء المحمرة يعود إلى ما قبل هذا التاريخ. ثم يتكرر اسم «كوت المحمرة» للمرة الثانية [١٨٤] في خبر معركة الشيخ غيث وحليفه الشيخ حمود مع والي بغداد سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٦م). في تلك الفترة كانت المحمرة موطن فرع من بني كعب هو آلبوكاسب برئاسة الشيخ مرداو والد الشيخ جابر. وبعد وفاة الشيخ مرداو خلفه ابنه الحاج يوسف ومن بعده أصبح أخوه الحاج جابر شيخاً للمحمرة ومديراً لشؤونها. كانت المحمرة تابعة لحكم شيخ مشايخ الفلاحية الشيخ ثامر الكعبي وكان شيوخ آلبوكاسب منقادين إليه. أمّا بناء ميناء المحمرة فيعود إلى عهد الشيخ ثامروبأمره قام ببنائه الحاج يوسف ابن الحاج مرداو[١٨٥].

في تلك الأثناء أخذت المحمرة بالازدهار المُطّرد والتوسع التجاري المستمر. لقد أدى استحداث ميناء المحمرة ورسو السفن التجارية عند أرصفته إلى انخفاض عائدات ميناء البصرة وجماركها. فلم يطق ولاة بغداد الوضع خصوصاً وأنهم كانوا يعتبرون المحمرة جزءاً من الأراضي العثمانية. من جانب آخر أثار التقارب بين البريطانيين والحاج جابر خان حفيظة الفرنسيين وغضبهم لذا بدأ القنصل الفرنسي في بغداد بتحريض الدولة العثمانية على الحاج جابر وتشجيعها على مهاجمة المحمرة[١٨٦]. على هذا قام والي بغداد عليرضا باشا بتجهيز جيش كبير من أرناؤود (ألبانيا الحالية) ونجد والعراق في شعبان ١٢٥٣هـ وانطلق به نحو المحمرة. ولم يكتف بذلك الجيش الجرار بل أرسل كتاباً إلى شيخ الكويت طالباً منه إرسال سفن حربية وجيش وتجهيزات نحو المحمرة. فلبى الشيخ جابر الصباح أوامر والي بغداد ونفذ ما أراده منه فبدأ الهجوم على المحمرة من البحر ومن الجبهة الجنوبية[١٨٧]. استمر القتال ثلاثة أيام أبدى فيها أهل المحمرة البطولات ولكن عنصر المباغتة وكثرة عدد المهاجمين أدى إلى هزيمة أهل المحمرة. وبسقوط المحمرة غادرها حاكمها الحاج جابر وتوجه إلى الفلاحية، وقتل الجيش العثماني الأهالي الأبرياء ونهب أموالهم ودمر بيوتهم وأحرق

الكثير من الأماكن وسبى عدداً غفيراً من النساء والبنات والأطفال واقتادهم أسرى إلى العراق.

في تلك المعركة لعب عبد الرضا بن بركات بن عثمان من أسرة آل ناصر ومن شيوخ بني كعب ومن أقرباء الشيخ ثامر دوراً كبيراً في خداع الشيخ ثامر ومباغتته. وكان عبد الرضا على خلاف قبل ذلك مع الشيخ ثامر على زعامة الكعبيين فترك الفلاحية وذهب إلى والي بغداد. وكان يتحين الفرصة لتوجيه ضربة إلى الشيخ ثامر وإزاحته عن السلطة والحلول محله. فواتته الفرصة مع هجوم والي بغداد على المحمرة. وكان والي بغداد قد وعده بمنصب الشيخ في حالة انتصارهم على الشيخ ثامر. فعمل عبدالرضا على خداع الشيخ ثامر والحاج جابر من خلال تصوير حركة الجيش نحو المحمرة بشكل مغاير للواقع وإيهامهما بأن الجيش يتجه صوب البصرة. وعلى هذا الأساس لم يحرك الشيخ ثامر ولا الحاج جابر ساكناً حتى أتاهم الهجوم بغتة. في وصفه لذلك الهجوم يتحدث البارون دوبد عن الدور البعيد عن المروءة الذي لعبه ذلك «الخائن لأهله» في تضليل شيوخ كعب ومباغتتهم قائلاً: «إن من رأى تلك المنطقة يكون واثقاً من أنه لو كان الشيخ على علم بنية الباشا التعرضية ولو قبل وقوعها بوقت قصير لاستطاع، على الأقل، أن يكسر السدود المنتشرة في المنطقة ويغمر الأرض بالماء فتكون مانعاً لاقتراب جيش المعتدي من المحمرة.»(١٨٨).

ثم يتناول الدور الخياني للشيخ عبد الرضا بقوله: «الحقيقة هي أن أحد أقرباء الشيخ قام بتضليله لأن الباشا كان قد استماله إلى جانبه لما عرف من طمعه بالسلطة وتنافسه مع قريبه عليها ووعده بأن تكون له الزعامة في حالة انتصاره. فتمكن هذا الخائن لأهله من أن يقنع الشيخ [ثامر] بأن الباشا يزحف على البصرة لا على أراضيه»(١٨٩).

كانت النتيجة أن انتهت المعركة بانتصار والي بغداد عليرضا باشا على أهالي المحمرة. وللشاعر العراقي عبد الباقي الأفندي، الذي رافق عليرضا باشا في الهجوم

وشاهد المذبحة والنهب الذي تعرض لهما أهل المدينة، قصيدة طويلة في وصف المعركة وانتصارهم على الكعبيين وسبي النساء والصبايا. والقصيدة المنشورة في الصفحة ٢٣٩ من ديوان الشاعر، مما لا شك فيه أن هذه القصيدة، وصف للمصائب والمعاناة التي قاساها سكان المحمرة الأبرياء(١٩٠).

التزم عليرضا باشا بوعده لعبدالرضا فعينه شيخ مشايخ بني كعب وبعث به إلى الفلاحية ، قبل ذلك غادر الشيخ ثامر الفلاحية قاصداً هنديان [هنديجان الحالية] للإقامة فيها. بيد أن ذلك الوضع لم يستمر طويلاً فلم يكد والي بغداد يبتعد عن المحمرة حتى عبر الكعبيون عن رفضهم لعبدالرضا بن بركات لما عرفوه من خيانته لذويه وتضامنه مع والي بغداد، فولى هارباً من الفلاحية وعاد إلى بغداد عند الوالي مرة أخرى. كما رجع الشيخ ثامر من هنديان إلى الفلاحية ليعود شيخ مشايخ بني كعب.

لقد أحدثت الزعامة المؤقتة للشيخ عبد الرضا بن بركات سنة ١٢٥٣هـ التباساً لدى بعض المؤرخين فاعتبروا تلك السنة هي نهاية حكم الشيخ ثامر، وأن حكم الشيخ عبد الرضا بن بركات استمر سنة واحدة حتى سنة ١٢٥٤هـ . هؤلاء المؤرخون اعتبروا الشيخ فارس بن غيث خليفة الشيخ عبد الرضا وقد تزعم الكعبيين من ١٢٥٤هـ حتى ١٢٥٧هـ . والحقيقة هي أن الشيخ عبد الرضا لم يحكم سوى فترة قصيرة ثم عاد الشيخ ثامر ليواصل الحكم حتى سنة ١٢٥٨هـ . لأن قصة هجوم معتمد الدولة على محمد تقي خان البختياري سنة ١٢٥٨هـ تفيد بأن محمد تقي خان هرب من معتمد الدولة لاجئاً إلى الشيخ ثامر بن غضبان(١٩١).



رواية علي نعمة الحلو

التاريخ الصحيح

ثامر بن غضبان ١٢٤٧ – ١٢٥٣هـ	ثامر بن غضبان ١٢٤٧ – ١٢٥٣هـ
عبد الرضا بن بركات ١٢٥٣ – ١٢٥٤هـ	عبد الرضا بن بركات ١٢٥٣ –-١٢٥٣هـ
فارس بن غيث ١٢٥٤ – ١٢٥٧هـ	ثامر بن غضبان ١٢٥٣ – ١٢٥٨هـ
لفتة بن مبادر ١٢٥٧هـ.	عبد الرضا بن بركات ١٢٥٨ –١٢٥٩هـ
فارس بن غيث ١٢٥٩ – ١٢٩٤هـ	

يتحدث عبد الباقي الأفندي في قصيدته عن وجود جابر في الكويت وتقديمه الهدايا إلى والي بغداد عليرضا باشا واعتذاره منه وقبول الأخير بها ومنحه الخِلَع للحاج جابر. غير أنه ليس معلوماً درجة صحة هذا الكلام فكيف يقدم الحاج جابر الاعتذار مع وجود الشيخ ثامر شيخاً للمشايخ؟

لقد ذكرت المصادر المختلفة تواريخ متفاوتة لهجوم والي بغداد على المحمرة. فأحمد كسروي، مثلاً، في «تاريخ بانصد ساله خوزستان» يحدد تاريخ الهجوم بالثالث والعشرين من رجب ١٢٥٤هـ [١٩٢]، في حين يعتبره علي أصغر شميم في مطلع سنة ١٢٥٤هـ [١٩٣] أمّا أصغر جعفري ولدائي فيعطي تاريخاً آخر يختلف عن التواريخ المذكورة. إنه يقول إن هجوم والي بغداد على المحمرة وقع سنة ١٢٥٣هـ [١٩٤].

أمّا عباس العزاوي فيستند إلى الصفحة ٢٣٩ من ديوان عبد الباقي الأفندي وكذلك كتاب «حديقة الورد» للسيد محمد شهاب الدين الألوسي ، فيقول إن تاريخ هجوم عليرضا باشا هو شعبان ١٢٥٣هـ [١٩٥].وبما أن عبد الباقي الأفندي كان برفقة جيش عليرضا باشا في الهجوم «فإن التاريخ الذي يقدمه أكثر اعتبارا ودقة».

الشيخ ثامر الكعبي

ذكرنا أن الشيخ ثامر بن غضبان أخا الشيخ مبادر أصبح حاكماً للكعبيين سنة ١٢٤٧هـ . وكان يحكم «مستقلاً» كأسلافه ولا يدفع الضرائب إلى أي جهة. يقول البارون دوبد إنه في بداية عهد محمد شاه «أرسل حاكم فارس منوجهر خان معتمد الدولة، بعد الاستيلاء على حامية غلاب، أمراً إلى الشيخ ثامر الكعبي بتوفير مؤونة الجيش»، فرد عليه الشيخ «ما كان متعارفاً حتى الآن أن يتولى الكعبيون توفير مؤونة جيش الشاه.»[١٩٦]؛ إضافة إلى ذلك وبناء على قول منوجهر خان: «حين كنت حاكماً على فارس لم يكن الشيخ ثامر يدفع مستحقات ديوان الكعبيين.»[١٩٧] حتى في عهد فرهاد ميرزا الذي خلف منوجهرخان على ولاية فارس كان الكعبيون يتنصلون من دفع الضريبة كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا فكان فرهاد ميرزا يضطر إلى تسيير الفرسان صوبهم لجباية الضريبة منهم[١٩٨].

كان الشيخ ثامر يشبه، من حيث الصفات والخصال، بشيخ الكعبيين المحنك الشيخ سلمان. ورغم أنه أساء لسمعة نفسه في بداية توليه الحكم بارتكابه بعض الجرائم إلاّ أنه نجح بمرور الوقت وبعد تثبيت أسس حكمه في تطوير الزراعة وترميم السدود وشبكات الري وبسط الأمن على طرق القوافل وبناء ميناء المحمرة[١٩٩] .

يمكن توضيح حدود المناطق التي كان يحكمها الكعبيون في عهد الشيخ ثامر بمد خط وهمي من أعلى قرية ويس [٢٠٠] على الساحل الشرقي لكارون باتجاه قرية خلف آباد على نهر الجراحي ومنها باتجاه مرتفعات زيدون في قضاء بهبهان والمناطق الشرقية لنهر زهرة (هنديجان) وده ملا؛ وهكذا تتحدد المنطقة من الشرق بنهر هنديجان ومن الجنوب بالبحر وبكارون من الأهواز حتى مصبه في شط العرب بالإضافة إلى جانبي نهر بهمن شير حتى مصبه في الخليج[٢٠١].

ويؤكد ذلك البارون دوبد الذي كان في معسكر منوجهر خان معتمد الدولة في

خوزستان في عهد الشيخ ثامر الكعبي، يقول : «تنتشر قبيلة كعب في المنطقة المحصورة بين صحراء عربستان وأرض هنديان [هنديجان] ومن الشمال إلى إمارة الحويزة. هذه المنطقة تروى من عدد من الأنهار الصغيرة والكبيرة ويكثر فيها التمر والرز والحبوب وكذلك المراعي»[٢٠٢].

ومن القبائل العربية التي كانت منتشرة في هذه المنطقة قبيلة الباوية وعشيرة الشريفات. ولم تكن خاضعة للشيخ ثامر، وحين هجم والي بغداد عليرضا باشا على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ أعلن الباوية وقوفهم إلى جانب الشيخ عبد الرضا منافس الشيخ ثامر. وكان الشيخ ثامر قد دعا شيخ الباوية قبل ذلك إلى الفلاحية واستقبله هناك ولكنه غدر به وبشيخ آخر كان معه فقتلهما أثناء تناول القهوة بطريقة تنافي التقاليد وقيم المروءة. اعتبر الباوية الشيخ ثامر مسؤولاً عن الحادثة لأنه قام بعد ذلك بتعيين أحد ثقاته هو الشيخ عقيل شيخاً عليهم. والمفارقة العجيبة أنه رغم تعيين الشيخ عقيل بواسطة الشيخ ثامر إلاّ أنه لم يتصدَّ لمنوجهر خان معتمد الدولة عندما هجم على الشيخ ثامر[٢٠٣].

ينبغي القول إن الشيخ ثامر كان يستطيع توفير ما يقرب من خمسة آلاف فارس وعشرين ألف مشاة من القوات التي كانت تحت أمرته. وكان يملك عدداً من المدافع ذات العيارات المختلفة[٢٠٤] وكانت له علاقات طيبة بالبختيارية وخاصة محمد تقي خان البختياري.

معاهدة أرضروم

بعد هجوم والي بغداد عليرضا باشا على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ والمجزرة التي ارتكبها بحق سكانها وتدمير المدينة ،قدمت الحكومة الإيرانية احتجاجاً إلى الدولة العثمانية بواسطة ممثلها في إسطنبول وطالبت بالتعويض. يقول المؤرخ الشيرازي ميرزا أحمد خان بعد وصفه لهجوم عليرضا باشا على المحمرة: «بعد ذلك الهجوم

الذي استمر ثلاثة أيام قدمت الحكومة الإيرانية احتجاجاً للحكومة العثمانية بواسطة ممثلها في إسطنبول ميرزا جعفر خان مشير الدولة وطالبتها بالتعويض والاسترضاء. وكان رد الدولة العثمانية ما يلي: «إن ميناء المحمرة تابع إلى البصرة وبغداد وهو ملك لنا ونحن لم نفعل شيئاً سوى تأديب رعية من رعايانا. فإذا استطعتم أن تثبتوا أنها تابعة لكم حينئذ يمكنكم التحدث عن الترضية.»[٢٠٥].

ويؤكد مؤلف ناسخ التواريخ، بعد وصفه للخراب والقتل الذي أشاعه عليرضا باشا في المحمرة، إن العلاقات الإيرانية العثمانية أصابها التوتر وتحولت إلى علاقة عداء، فكانت إيران تطالب بتعويض مقداره ٥ كرور من المسكوكات الذهبية. وكانت تفكر أحياناً بانتهاز فرصة انشغال العثمانيين بحرب محمد علي باشا المصري للهجوم على بغداد بعدة فرق[٢٠٦]. على أن كلام ناسخ التواريخ هذا ضعيف ولا يعتمد ،لأن إيران في العصر القاجاري، وخاصة في عهد محمد شاه ، لم يكن لها القدرة على خوض الحروب مع خصوم أقوياء.

أيدت الحكومة البريطانية أقوال الحكومة العثمانية واعتبرت المحمرة ملكها. وقال الوزير البريطاني المفوض داعماً الموقف العثماني: «أثبتوا أولاً أن المحمرة تابعة لإيران ثم طالبوا.»[٢٠٧].

أخيراً وبعد مداولات كثيرة ومفاوضات طويلة وبوساطة السفيرين البريطاني والروسي تقرر تشكيل لجنة رباعية تضم ممثلين عن الحكومات الإيرانية والعثمانية والبريطانية والروسية للنظر في المطالبات الإيرانية واتخاذ القرارات المناسبة بحقها. وكان ممثل الحكومة الإيرانية في اللجنة ميرزا تقي خان أمير كبير. وفي ١٣ جمادى الآخر ١٢٦٣هـ الموافق ٢٨ تموز (يوليو) ١٨٤٧م تم توقيع اتفاقية بين البلدين عرفت باتفاقية أرضروم.

قامت تلك الاتفاقية على أساس معاهدة أرضروم الأولى التي وقعت بين البلدين في

١٩ ذي القعدة ١٢٣٨هـ (١٨٢٣م) والقائمة بدورها على معاهدة ١٧ شعبان ١١٥٩هـ (١٧٤٦م) التي أُبرمت في عهد نادر شاه الأفشار[٢٠٨].

تشتمل اتفاقية أرضروم على مقدمة و٩ مواد تتعهد الحكومة الإيرانية بموجب المادة الثانية منها بالاعتراف بعائدية جميع الأراضي المنخفضة الواقعة غرب منطقة زهاب إلى الدولة العثمانية. وتتعهد الدولة العثمانية بتسليم إيران الجزء الشرقي من الأراضي الجبلية من هذه المنطقة بما فيها هضبة كرند.

تنازلت الحكومة الإيرانية عن جميع مطالباتها بمدينة السليمانية والمنطقة المذكورة وتعهدت رسمياً بأن لا تتدخل في حق الدولة العثمانية بحكم هذه المنطقة.

كما تعهدت الدولة العثمانية رسمياً بالاعتراف بحق إيران في حكم مدينة المحمرة وميناءها وجزيرة الخضر [جزيرة عبادان] ومرسى السفن فيها والأراضي الواقعة في الجزء الشرقي من الجانب الأيسر لشط العرب تحت تصرف العشائر العربية التابعة للدولة الإيرانية. كما يحق للبواخر الإيرانية الملاحة بحرية تامة في شط العرب من مصبه حتى نقطة الاتصال الحدودي[٢٠٩].

يذكر أنه أثناء المباحثات السابقة لإبرام الاتفاقية في ٢٦ نيسان (أبريل) ١٨٤٧م طرحت الحكومة العثمانية سؤالاً يخص التعيين الدقيق لحدود المحمرة أجاب عنه سفيرا بريطانيا وروسيا بالجواب الآتي: «مرسى السفن في المحمرة يقع في موضع محاذٍ للمدينة داخل مستنقع الحفار.»[٢١٠].

وضع توقيع هذه الاتفاقية نهاية لنزاع استمر عقوداً من الزمن بين إيران والدولة العثمانية على المحمرة وميناءها وكذلك جزيرة الخضر، فأصبحت المحمرة جزءاً من إيران رسمياً.

لجوء محمد تقي خان البختياري إلى الشيخ ثامر الكعبي

شهدت مناطق البختيارية والتي هي في شمال الأهواز ،في أواخر حكم فتحعلي

شاه القاجار موجة من الاضطرابات والفوضى والنزاعات والحروب الداخلية. ففي منطقة هفت لنك تصارع جعفر قلي خان وأخوه كلبعلي خان الدوركي مع أسد خان وابنه جعفر قلي خان بختياروند (بهداروند). وفي منطقة جهارلنك كان علي خان الكيانرسي على خصومة وعداء مع إخوته حسن خان وفتحعلي خان. واستطاع علي خان أن يستقطب عدداً من عشائر البختيارية، الأمر الذي أثار ظنون الشاه القاجاري (فتحعلي شاه) حتى أمر بعزله من الحكم بتحريض من أخويه حسن خان وفتحعلي خان ثم فقئت عيناه وعين حسن خان حاكماً للبختيارية بدلاً منه.

بعد عزل علي خان وإعمائه ،اختفى أبناؤه في فريدن وهي قرية تابعة له في مصيف البختيارية. ونجح أحدهم ويسمى محمد تقي خان وهو في الثامنة عشرة من عمره في أن يقتل عمه حسن خان ويستولي على الحكم باسم زعيم قبيلة الكيانرسي. واتبع سياسة مدروسة استطاع من خلالها أن يشكل تحالفاً بختيارياً شبه تام شمل أغلب العشائر البختيارية(٢١١).

زوَّج محمد تقي خان أخته من خليل خان البوير أحمدي وبذلك كسب تحالفه وانقياده إليه. وانضمت إليه عشيرة سوهوني أيضاً بزعامة شفيع خان. أمّا عشيرة موكويي الكبيرة فقد أخضعها بالقتال. ثم ساعد حاكم بهبهان منصور خان على طرد حاكم شيراز من بهبهان وبذلك بسط سيطرته على بهبهان ورامهرمز. وكان قبل ذلك قد قتل الشيخ مسلت شيخ قبيلة آل خميس العربية وحاكم رامهرمز. وبهذا زرعت الفتنة والعداء بينه وبين آل خميس(٢١٢).

وهكذا تنامت قوة محمد تقي خان وسلطته وكان من الطبيعي أن لا تطيق الحكومة المركزية وجوده. وكان منوجهر خان المعتمد الدولة الجورجي حاكماً على أصفهان وخوزستان ولرستان وتقع أكثر أراضي البختيارية ضمن مناطق سيطرته. لذا عمد في سنة ١٢٥٨هـ ، بعد عودة محمد شاه من هرات، إلى تشكيل جيش وقيادته نحو البختيارية متظاهراً بنية جمع الضرائب المتأخرة ومضمراً استهداف القضاء على

محمد تقي خان. وكان معتمد الدولة يصطحب علي نقي خان شقيق محمد تقي خان والذي كان رهينة في طهران ليتخذه دليلاً له على الطريق. وكان محمد شاه قد وعد علي نقي خان بأن يصدر أمر حكم البختيارية باسمه ، وذلك إذا ساعد الجيش القاجاري على عبور مرتفعات البختيارية(٢١٣).

يقول السير هنري راولنسون، الذي كان مستشاراً للجيش النظامي سنة ١٢٥٣هـ (١٨٣٦م) ورافق الأخ الأصغر لفتحعلي شاه ، الأمير بهرام ميرزا في هجومه على عشائر غرب إيران لقمعها ، ان قوام جيش محمد تقي خان كان بين عشرة آلاف واثني عشر ألف رجل ويعتقد «أنه قادر الآن على تجهيز جيش من عشرة آلاف أو اثني عشر ألف رجل.»(٢١٤)؛ لذا حين علم محمد تقي خان بزحف معتمد الدولة طلب من البريطاني لايارد الذي كان مقيماً حينئذ في تلك المناطق تحت ذريعة القيام بالأبحاث العلمية والتاريخية أن يتوجه إلى خارك وينقل مقترحه إلى القائد البريطاني لحاميتها ويعلمه بالنتيجة.

يقول لايارد: «كان محمد تقي خان يأمل أنه إذا وقعت حرب بين إيران وبريطانيا فيستغل الفرصة لإعلان استقلال أراضيه. كان تحت تصرفه الآلاف من الخيالة والمسلحة المهرة وكان يعتقد بأنه إذا وفرت بريطانيا له الدعم المالي والتجهيز العسكري يكون بمقدوره حشد المزيد من المسلحين والقيام بثورة عامة ضد الشاه.»(٢١٥). كما خوّل لايارد بإبلاغ السلطات البريطانية عن استعداده لفتح طريق تجاري في أراضي البختيارية لغرض نقل البضائع الأجنبية مع تأمين حراستها(٢١٦). طرح لايارد تلك المقترحات على القائد البريطاني لحامية خارك الذي رفعها بدوره إلى القنصل البريطاني في أرضروم الكولونيل شيل في ٨ شباط (فبراير) ١٨٤١م غير أن السلطات البريطانية «أوصت» مندوب شركة الهند الشرقية الكولونيل هنل «بأن الأفضل أن يحافظ محمد تقي خان على تحالفه مع محمد شاه.»(٢١٧).

من جانب آخر طلب منوجهر خان المعتمد الدولة، خلال الزحف العسكري، من

البارون دوبد الروسي أن يرافقه في رحلته إلى لرستان وخوزستان. ويصرح البارون دوبد في كتابه أن مرافقته لجيش معتمد الدولة جاءت بطلب من منوجهر خان[٢١٨].

في خضم تلك التطورات عبر جيش معتمد الدولة مرتفعات البختيارية الوعرة ووصل إلى هضبة مالمير واستقر قرب لرستان العاصمة القديمة للأتابكية. كما وصل إلى تلك الهضبة محمد تقي خان مع جيشه واستمر التحاور والتفاوض بين الطرفين أربعين يوماً. حاول معتمد الدولة ترغيب محمد تقي خان وتأميله بالألطاف والخلع الملكية وأقسم بالمصحف الشريف على أن لا يكون هناك أي غرض سوء به أو بأسرته. ولكن محمد تقي خان لم يثق بوعود معتمد الدولة وأيمانه واعتبرها مجرد خدع للإيقاع به. رغم ذلك دخل معتمد الدولة تستر عن طريق البختياري فدعا بعض خوانين البختيارية وما إن حضروا حتى أمر بالقبض عليهم وايداعهم السجن. في الوقت نفسه طلب من محمد تقي خان مقابلته. فرفض خان البختيارية الطلب ، وطلب منه المزيد من الضمانات ولكن معتمد الدولة رفض طلبه واعتبر محمد تقي خان «متمرداً على الدولة» وانطلق من فوره يعد العدة للحرب[٢١٩].

في تلك الأثناء قاد حاكم شيراز هجوماً على حاكم بهبهان ميرزا قوما وباقي عشائر كهكيلويه ،ليقطع طريق إمدادهم لجيش محمد تقي خان. من جانب آخر التحق منافسو محمد تقي خان وأعداؤه وباقي العشائر البختيارية التي تأكدت من ضعف محمد تقي خان إلى معسكر معتمد الدولة . حتى الذين بقوا على الوفاء له لم يجرؤوا على اسناده خشية من انتقام معتمد الدولة. وهكذا وجد خان البختيارية نفسه وحيداً عاجزاً عن المقاومة. فلم يجد في تلك الظروف الحرجة ملجأً سوى العرب. لهذا السبب ترك قلعة تل وتوجه مع نسائه وأبنائه وأقاربه ورفاقه إلى الفلاحية عن طريق رامهرمز وبهمئي لاجئاً إلى الشيخ ثامر الكعبي[٢٢٠].

هجوم معتمد الدولة على الفلاحية

بعد لجوء محمد تقي خان البختياري إلى الشيخ ثامر الكعبي في أواخر فصل الربيع من سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤١م) زحف معتمد الدولة بجيشه على الفلاحية، فأقام معسكره قريباً منها. ثم أرسل أحد الرهائن البختيارية حاملاً رسالة إلى الشيخ ثامر يدعوه فيها إلى تسليم محمد تقي خان باعتباره مذنباً بحق الدولة.

يروي لايارد تكملة الأحداث كما يلي: «في البداية عارض الشيخ ثامر ذهاب شفيع خان إلى محمد تقي خان ولكنه وافق بعد ذلك على الفكرة ظناً منه بأن ذلك من شأنه أن يدفع الضرر عن بلاد الكعبيين. ذكر معتمد [الدولة] في رسالته إلى محمد تقي خان أنه يحتفظ بثلاث رهائن من أفراد أسرته (أولئك الثلاثة كانوا الابن الأكبر لمحمد تقي، حسين قلي؛ وأخا محمد تقي، آكريم؛ وابن علي نقي خان، آأسد) فإن لم يرضخ للأمر الملكي ويأتِ إلى مقره فسيقتل الثلاثة فوراً. أمّا إذا سلّم نفسه فلن يغفر له ما قد سلف من أعمال فحسب بل سيشمله صاحب الجلالة بلطفه ويبقيه حاكماً للبختيارية»(٢٢١).

ويواصل لايارد: «أضاف معتمد [الدولة] في نهاية رسالته أنه اذا كان لا يؤمن بقسمه لأنه متحول من المسيحية إلى الإسلام، فإنه سيرسل إليه أحد المجتهدين المسلمين بمعية ابن أخيه سليمان خان وهو من قادة الجيش، فيقسم كل على دينه ومعتقده بأن لا يصيب خان البختيارية مكروه»(٢٢٢).

عند ذاك ذهب محمد تقي خان إلى معسكر معتمد الدولة رغم معارضة الشيخ ثامر والاعتراض الشديد من إخوته وأعضاء أسرته. ولكن معتمد الدولة لم ينكث بعهده فحسب بل لم يحترم يمينه فأعلن أن محمد تقي خان متمرد على الدولة وأمر بحبسه. ثم أرسل رسالة إلى الشيخ ثامر يطالبه فيها بمبلغ اثني عشر ألف تومان بعنوان هدية(٢٢٣).

لما علم الشيخ ثامر بغدر معتمد الدولة ندم على إرسال محمد تقي خان إليه وامتنع

عن تسليم علي نقي خان وباقي أفراد اسرة محمد تقي خان له. ثم عزم على تحرير محمد تقي خان فداهم معسكر منوجهر خان ليلاً ولكنه لم ينجح في إنقاذه رغم القتلى الذين سقطوا من الجانبين.

إن عدم تسليم الشيخ ثامر لعلي نقي خان إلى معتمد الدولة وهجومه على معسكره، كل ذلك تم لأسباب عدة. الأول إن محمد تقي خان البختياري وأسرته كانوا لاجئين عند الشيخ ثامر الكعبي وإن إجارة اللاجئ من القيم العليا عند العرب والتفريط بها علامة الجبن وعدم المروءة. العرب يعتبرون تسليم اللاجئ منافياً للشهامة والنخوة. لذلك عندما شاهد الشيخ ثامر غدر معتمد الدولة بمحمد تقي خان الذي كان في جواره وحماه، شعر بأنه هو الملوم وأنه قصر في حماية اللاجئ ولم يؤد الجوار حقه. والسبب الآخر هو أن الشيخ ثامر لمّا رأى غدر معتمد الدولة ونكثه بعهده ونقضه لأيمانه لم يعد يثق بوعوده وقسمه.

مهما يكن من أمر فإن معتمد الدولة ، بعد أن أفشل الهجوم الليلي الذي شنه الشيخ ثامر، فكر في قمعه وإخضاعه. إذ طلب الدعم من والي الحويزة وشيخ قبيلة الباوية ومناطق أخرى[٢٢٤]. ودعا المشعشعيين والباوية للانضمام إلى معسكره ووعدهم بأن يقسم أرض الكعبيين عليهم[٢٢٥]. من جانب آخر بعث والي بغداد عليرضا باشا إليه برسالة، يحتمل جداً أن تكون رداً على طلب منه بالدعم، يعرب فيها عن استعداده التام لتقديم كل أشكال الدعم[٢٢٦]. جدير بالذكر أن عليرضا باشا هذا سبق له أن قاد هجوماً شرساً على المحمرة قبل ذلك بسنوات واحتل المدينة وأشاع فيها الخراب وفي أهلها القتل والنهب والسبي.

انضم الشيخ عبد الرضا، الذي كان له دور أساسي في تضليل الشيخ ثامر ومساعدة عليرضا باشا في الهجوم على المحمرة، إلى ركب معتمد الدولة منوجهر خان قادماً من بغداد إلى الدورق. والتحق بجيش منوجهر خان، كذلك منصور خان الفراهاني الذي كان يقود فصيلاً من الجيش بأمر والي فارس فرهاد ميرزا نحو الكعبيين لأخذ

الضرائب منهم. وهكذا اجتمع لمنوجهر خان معتمد الدولة جيش عظيم في مواجهة الشيخ ثامر الكعبي. فوصل إلى أطراف الفلاحية بعد أن اجتاز نهر الجراحي.

الشيخ ثامر، التشرد ثمناً لحماية اللاجئ

مع وصول جيش معتمد الدولة وحلفائه قرب الفلاحية طلب الشيخ ثامر من علماء المدينة التوسط لدى منوجهر خان معتمد الدولة، صوناً للمدينة وأهلها من الدمار والقتل وحفاظاً على السلطة. وبعد تشاور علماء الفلاحية مع منوجهر خان معتمد الدولة ، تقرر أن يدفع الشيخ ثامر الضرائب المتأخرة المتراكمة من السنوات السابقة إلى معتمد الدولة بالإضافة إلى تسليم ذوي محمد تقي خان. لم يكن دفع الضرائب يشكل صعوبة على الشيخ ثامر الكعبي بكل ما تحمل العبارة من معنى. أمّا تسليم ذوي محمد تقي خان فكان من المستحيل عليه. بناءً على ذلك دفع الشيخ [ثامر] الكعبي الضرائب المتأخرة، أمّا تسليم اللاجئين فطلب مهلة من معتمد الدولة بشأنه. وكان معتمد الدولة مستعداً لقبول المهلة بشرط أن يقدم له الشيخ ثامر الضمان وهو وضع اثنين من أقرباء الشيخ هما الشيخ مزيد والشيخ فدعم رهائن لديه. وهكذا منح معتمد الدولة الشيخ مهلة وعاد إلى تستر مصطحباً الرهينتين معه.

ولكن الشيخ ثامر، كما قدمنا، كان يؤمن بأن تسليم اللاجئ لا يتفق وقيمه ومثله وأنه عار على فاعله لذا أبلغ اللاجئين البختيارية بالخروج من الفلاحية. وكان يظن أن خروجهم من الفلاحية سيجعل معتمد الدولة يتناسى الأحقاد والعداوات ويجنح إلى التسالم معه ومع الكعبيين. إلاّ أن الحقد الذي كان يستعر في صدر معتمد الدولة كان أشد من ذلك بكثير. فلم يكتف بأسر محمد تقي خان بل طالب بأسر جميع أسرته وذويه.

أمّا أهل محمد تقي خان البختياري الذين تسببوا حتى تلك اللحظة للشيخ ثامر بالكثير من الأذى فقد تركوا الفلاحية عرفاناً منهم بصنيع شيخها وصوناً لها من

الدمار والقتل. كانوا يعلمون جيداً أن عشائر البختيارية منعوهم مساعدتهم إمّا انسجاماً مع معتمد الدولة أو خشية منه. لذا توجه كريم خان الأخ الأصغر لمحمد تقي إلى فارس لكسب الدعم من زعيم عشائر القشقائية. فبدأ أولاً بخليل خان بهمئي فطلب منه أن يساعده على اجتياز المناطق التي تنتشر فيها عشائر ممسني. فما كان من خليل خان إلاّ أن قبض عليه، عكس ما كان يتوقعه منه، وحبسه ثم سلمه إلى عليرضا خان ابن حسن خان خليفة محمد تقي خان فقام هذا بقتله. أمّا باقي أفراد عائلة محمد تقي خان فقد قبض عليهم عبد الله خان بوير أحمدي وبعد أن نهب حلي النساء واستولى على الأمتعة أرسلهم إلى تستر بأمر معتمد الدولة. لكن بعضهم هلك في الطريق بسبب شدة ما قاسوه من مرارة وصعوبة السفر. بعد فترة قصيرة ارسل محمد تقي خان وأسرته إلى طهران إلى أن نقلوا إلى تبريز في بداية حكم ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) وظلوا هناك مقيدين بالأصفاد سنتين. بعدها أُعيد إلى طهران وأُودع السجن فيها وبقي مسجوناً حتى توفي في سجن (توبخانه) سنة ١٢٦٧هـ (١٨٥١م)[٢٢٧].

أمّا منوجهر خان معتمد الدولة فبعد أن سمع بخروج أهل وذوي محمد تقي خان من الفلاحية ،أرسل رهائن الشيخ ثامر وهما الشيخ مزيد والشيخ فدعم إلى سوق تستر وأمر بقتلهما. لكن علماء المدينة أنكروا عليه ذلك وتشفعوا لهما فلم يقتلا.

انتظر منوجهر خان حتى انتهى فصل الصيف وحل الخريف ثم قاد جيشه ومدفعيته نحو الفلاحية. ولمّا سمع الشيخ ثامر بذلك ذهب مع نسائه وأبنائه إلى كوت الشيخ في المحمرة قبل وصول جيش معتمد الدولة. وبعد إقامة قصيرة ذهب إلى الكويت. فدخل منوجهر خان الفلاحية وعين الشيخ عبد الرضا الكعبي (حليف والي بغداد عليرضا باشا في الهجوم على المحمرة) حاكماً عليها. ولكنه فشل مرة أخرى في أن يحكم الكعبيين فهرب من الفلاحية[٢٢٨].

عين معتمد الدولة المولى فرج الله المشعشعي والياً على عربستان وأبقى مجموعة من

الجيش في الفلاحية وتوجه هو إلى طهران عن طريق تستر وخرم آباد مصطحباً معه محمد تقي خان مغلولاً.

وهكذا راح الشيخ ثامر الكعبي ضحية ثباته على القيم الأخلاقية. لقد ضحى بحكم الكعبيين وآثر أن يعيش مشرداً لاجئاً في الغربة على أن يسلم من لجأ إليه. كان الشيخ ثامر آخر الحكام الأقوياء من بني كعب. ولم يستطع الكعبيون من بعده أن يستردوا قوتهم أبداً.

استناداً إلى المصادر والمراجع فإن حرب معتمد الدولة على الكعبيين وقعت سنة ١٢٥٨هـ وإن ما يقوله كسروي من وقوعها سنة ١٢٥٧هـ خاطئ وغير صحيح. وهذا ما يؤكد مرة أخرى صحة القول بأن كسروي، عند تأليفه لهذا الكتاب، لم يهتم كما ينبغي بسنوات وقوع الحوادث بالإضافة إلى عدم دقته في التأليف.

كذلك علي نعمة الحلو فإنه يقول، استناداً إلى «تاريخ كعب»، إن تاريخ خروج الشيخ ثامر الكعبي من الفلاحية هو ٢١ شعبان ١٢٥٣هـ الموافق لسنة ١٨٣٧م [٢٢٩]. وهذا أيضاً خطأ فسنة ١٢٥٣هـ هي السنة التي هجم فيها والي بغداد على المحمرة ولا يمكن أن تكون سنة خروج الشيخ ثامر. إضافة إلى أن معتمد الدولة لم يزحف على الفلاحية عبر البختيارية إلاّ بعد عودة محمد شاه من هرات سنة ١٢٥٨هـ. وتأييداً لهذا الكلام نقول بأن مصطفى الأنصاري مؤلف كتاب «تاريخ خوزستان» يستند إلى وثائق ومستندات معتبرة حين يكتب أن سنة ١٨٤١م (١٢٥٨هـ) هي سنة الختام لحكم الشيخ ثامر [٢٣٠].

قساوة معتمد الدولة منوجهر خان ووحشيته

الاسم الأصلي لمنوجهر خان ، نيكلايف وهو من أهالي جورجيا. وقع في الأسر من حداثة سنه ثم بيع كما يباع الغلمان. وبعد أن أسلم أصبح مقطوع النسل (تعرض للخِصَاء) كغيره من الخواجات [٢٣١]. بعدها وصل إلى ولايات متعددة في إيران في عهد

محمد شاه. ففي النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري كان والياً على أصفهان ولرستان وخوزستان. كان معتمد الدولة غليظاً متشدداً وسياسيا محنَّكًا(٢٣٢).

إن الظروف الصعبة التي عاشها معتمد الدولة المتمثلة بوقوعه في الأسر في صباه وصعوبات الحياة، ثم انقطاع نسله (خصائه) أكسبت شخصيته غلظة وقسوة وجعلته يتبع الطرق الصعبة والعنيفة لتحقيق غاياته. يذكر أحد العاملين في السياسة البريطانية السير أوستن هنري لايارد الذي كان يتجول في إيران تحت غطاء إجراء الأبحاث العلمية إبان هجوم معتمد الدولة على محمد تقي خان البختياري أمثلة كثيرة عن قسوة منوجهر خان ووحشيته. يقول عن منوجهر خان (نيكلايف السابق): «كان متميزاً في ابتكار أساليب التعذيب والعقوبات التي يمارسها على من ينهض بوجهه أو يعارض الشاه ليجعله عبرة للآخرين. عليّ أن أعترف بأنه كان جديراً بكل ذم وتوبيخ ، فهو من أولئك البشر عديمي الرحمة والمشاعر الذين لا يتورعون عن تعذيب الناس»(٢٣٣).

ويقدم لايارد على صفحات كتابه حالات عديدة من قساوة منوجهر خان ووحشيته مما ترك آثاراً تخريبية على حياة الناس وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. ولا يتسع هذا الكتاب لجميع ما ذكر عنه من أمثلة وسأكتفي بالإشارة إلى بعضها فقط. يقول لايارد: «وصلت عصر ذلك اليوم إلى قرية مهجورة تقريباً حتى إني لم أتمكن من توفير القليل من العليق لحصاني إلاّ بشق الأنفس. كانت جميع القرى التي صادفتها في طريقي مهجورة وقد فر أهلها من ظلم الحكام الإيرانيين»(٢٣٤).

ويقول عن مظالم معتمد الدولة وعماله وتعدياتهم: «كان مختاري القرى الواقعة بين [دشت عقيلي وكتوند] عموماً قد ألقى معتمد [الدولة] القبض عليهم وحبسهم وكان الأهالي يتعرضون باستمرار لاعتداءات عمال الحكومة وأذاهم ، لذلك خلت أكثر القرى التي على الطريق من أهلها.»(٢٣٥)، ثم يقول بعد أسطر: «دشت عقيلي منطقة خصبة

يعمل على أرضها ويسكنها فلاحون ماهرون كادحون. ولكنهم بدءُوا يهجرونها مؤخراً بسبب المعاملة المجحفة التي يتلقونها من عمال الدولة».

وبعد صفحات يتحدث لايارد عن عمل الموظفين الحكوميين ودوره التخريبي على اقتصاد المنطقة: «كان ضباط [معتمد الدولة] وموظفوه يرسلون إلى القرى ويستولون على أموال الناس عنوة تحت غطاء جباية الضرائب وهذا ما أجبر الأكثرية على ترك قراها واللجوء إلى المناطق العربية المجاورة أو التخفي في المناطق الجبلية. باختصار، تحولت تلك المنطقة الزراعية العامرة في وقت قصير إلى خرائب. هكذا كان يدير المسؤولون الإيرانيون الأمور»[٢٣٦]. ويقول لايارد الشيء نفسه عن المناطق الجنوبية: «الفلاحية والمحمرة التي كانت مزدهرة ومزدحمة بالسكان في زيارتي الأولى اليها هي الآن مهجورة بفعل إرسال القوات الحكومية اليها إذ تركها أهلها هرباً من بطش معتمد [الدولة]. أسواق الفلاحية وحوانيتها مغلقة وسكان الأرياف لا يجرؤون على حمل محاصيلهم إلى السوق»[٢٣٧].

إن العقيد لوفتوس، وهو من ممثلي الحكومة البريطانية في اللجنة الرباعية لترسيم الحدود في عام ١٢٦٤هـ (بعد هجوم معتمد الدولة بسنوات) والذي سافر إلى عربستان بقصد البحث في الآثار التاريخية لمدينة السوس، قد جمع مذكراته ومشاهداته في كتاب يقول فيه عن أوضاع تستر: «تبدو تستر للوهلة الأولى كمدينة ضربها الزلزال تواً. فأسواقها المعروفة هي الآن خالية ومنازلها آيلة إلى الانهيار على ساكنيها بحيث يبدو الكثير منها أشبه بتل من الطابوق. إن ما يميز عاصمة الحكم في عربستان هذه هو الدمار والدمار فحسب. وان الخراب الذي يعمها يصعب وصفه حتى أكثر من صعوبة وصف قلة السكان في بغداد والبصرة. لكن الحقيقة هي أن المدينة لم تتعرض لا إلى زلزال ولا اجتياح عسكري. إن الذي شاهدناه ناتج عن سوء الإدارة المستمر والمبالغة في فرض الضرائب والنزاعات الداخلية»[٢٣٨]، ومما لا شك فيه أن جزءاً كبيراً من ذلك

الدمار مرده إلى قسوة معتمد الدولة ووحشيته. وأقوال العقيد لوفتوس تؤيد ما كتبه لايارد عن الآثار الكارثية التي تركها منوجهر خان بعمله.

غير أن الأسوأ من كل هذا هتك الأعراض والمحرمات من جانب موظفي معتمد الدولة. تلك الأعمال المنافية للقيم والأخلاق تعيد إلى الذهن الجرائم التي ارتكبها نادر في تستر والحويزة حين أباحها لجنوده ثلاثة أيام. يقول لايارد نقلاً عن جعفر قلي خان البختياري: «قال لي جعفر قلي خان: اذا وقعت أسيراً في قبضة معتمد [الدولة] كما وقع محمد تقي خان وسئمت أنت من طول الإقامة هنا ، فلك أن تقتل نسائي وأبنائي لئلا تصل إليهم أيدي جنود معتمد [الدولة] فينتهكوا حرماتهم»(٢٣٩).

إضافة إلى ذلك فإنه بتحرك جيش معتمد الدولة نحو الفلاحية عمت الفوضى وانعدام الأمن حدود دزفول حتى جنوب بهبهان بسبب عدم انضباط جنوده حتى فر الكثير من سكان المدن إلى الجبال هرباً من بطش معتمد [الدولة] لأنه كان معروفاً بين الناس باستعمال العصا والفلقة. بينما هرب بعض شيوخ العرب إلى الحدود العثمانية خوفاً من عقوبته. أمّا الشيخ ثامر فأمر جميع الكعبيين بترك القرى وحرق الحقول وكسر السدود وتحويل المزارع والسهول إلى مستنقعات ، فهرب جميع القبائل العربية إلى حقول القصب في الفلاحية(٢٤٠).

بنو كعب بعد الشيخ ثامر

ذكرنا أن الشيخ ثامر كان آخر الحكام الكعبيين الأقوياء في الفلاحية وكان يحكم باستقلالية. بعد هجوم معتمد الدولة على الفلاحية وهرب الشيخ ثامر مع أهله وعياله إلى الكويت سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤١م) عين معتمد الدولة عبد الرضا بن بركات حاكماً على الفلاحية. ولكن عبد الرضا بن بركات(٢٤١) لم يكن مرغوباً به لدى بني كعب ،أولاً لأنه رافق والي بغداد في هجومه على المحمرة وبالإضافة إلى ذلك لم يكن مرشحاً من قبل مجلس شيوخ ومعمري بني كعب، لهذا ولى هارباً من الفلاحية إلى مكان غير معروف.

ولكن كسروي يعتبر هروب عبد الرضا من الفلاحية «بدون داعٍ» لأنه لا يلتفت إلى خيانة الشيخ عبد الرضا بن بركات لقومه الكعبيين ولا يأخذ بالاعتبار دور شيوخ بني كعب ومعمريهم في اختيار زعيمهم لذا فاته السبب[٢٤٢]. في حين يقول الحاج عبد الغفار نجم الملك إن «أهل الفلاحية كانوا من الشجاعة بحيث إذا لم يعجبهم شيخ المشايخ فانهم يديرون خفافه، إشارة إلى عدم رضاهم عنه ويقولون له «تفضل اذهب» فلا يجرؤ على البقاء وإذا بقى سيقتل.»[٢٤٣].

مهما يكن فبعد أن هرب عبد الرضا من الفلاحية اختار الكعبيون الشيخ فارس بن غيث شيخاً لمشايخهم. فشغل هذا المنصب ٣٥ سنة من ١٢٥٩هـ إلى ١٢٩٤هـ. ولكن مع هذا لم تكن قوته ونفوذه لتقاس بقوة الشيخ ثامر ولا من سبقوه من المشايخ ونفوذهم. فقد كان مكلفاً بتحصيل الضرائب من المنطقة الواقعة تحت حكمه وتسليمها إلى والي عربستان. وإذا قصر في مهمته تعرض لمحاسبة الوالي وربما العزل. لهذا السبب كان هناك دائماً تقاطع بين إجراءات حاكم خوزستان وقرارات أهل الحل والعقد الكعبيين. «فإذا أحس زعماء القبيلة بأن الشيخ تابع مطيع للحكومة ، عزلوه بسبب عدم حمايته للمصالح المشتركة. وبالمقابل، اذا لاحظت الحكومة تهاوناً في أداء الشيخ لواجباته فقد تقرر عزله من منصبه»[٢٤٤].

من جانب آخر، بظهور آلبوكاسب في المحمرة وبالتحديد بعد الشيخ ثامر الكعبي تضاءلت قوة وسطوة شيخ مشايخ بني كعب. لقد نجح الحاج جابر ، الذي كان مندوباً لشيخ المشايخ في إدارة شؤون المحمرة، أن يعزز قوته ونفوذه مستغلاً ضعف شيوخ الفلاحية واشتداد الخلافات بينهم. حتى استطاع أن يفصل حكم المحمرة من حكم الفلاحية بحكمه ودهاء منقطع النظير.

بالإضافة إلى ذلك فإن احتدام النزاعات والانقسامات بين شيوخ بني كعب وخاصة في أسرة آل ناصر عمل في كيانهم كما تعمل الأَرَضة. الحقيقة أن الضعف الذي انتاب سلطة شيخ المشايخ يعود في الأساس إلى تلك الصراعات وذلك الانقسام وهو

العامل نفسه الذي تسبب من قبل في اضمحلال قوة المشعشعيين. وقد عمل مندوبو الحكومة على توسيع تلك الخلافات واستغلالها لصالحهم. لقد اتبع مندوبو الحكومة الإيرانيون سياسة «فرق تسد» على الدوام. فقد واجهوا جميعاً على اختلاف الفترات كابوساً سياسياً يتمثل في اتحاد القبائل العربية أو تحالفها. لهذا كانوا يعملون لتوسيع الخلافات بينهما»(٢٤٥).

بعد وفاة الشيخ فارس سنة ١٢٩٤هـ تواصل التنافس على منصب شيخ المشايخ بين ثلاثة فروع. الأول أسرة فارس وتشمل أبناءه وأحفاده والثاني أسرة أخيه عيسى والثالث لفتة ابن أخيه. وقبل ذلك حين كان الشيخ فارس مسجوناً في طهران في عام ١٢٧٦هـ (١٨٦٠م) كان الشيخ لفتة قد تزعم بني كعب وذلك من خلال قيادة جيش تحالف الكعبيين لمواجهة الشيخ جابر آلبوكاسب. ومع إطلاق سراح الشيخ فارس من السجن وعودته إلى الفلاحية اشتد التنافس والحقد بين الرجلين وأخذ بالتصعيد يوماً بعد يوم. ومما زاد الحقد والصراع بينهما هو تصرفات مندوبي الحكومة، الذين كانوا يساندون فارس حيناً ولفتة حيناً آخر(٢٤٦).

في عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٧م) أصبح الشيخ محمد بن فارس شيخ بني كعب. ولكن الشيخ لفتة استطاع أن يقنع حاكم خوزستان قُبيل نوروز ١٢٩٥هـ (٢١ آذار / مارس ١٨٧٨م) بأن يجعله مرة أخرى شيخاً ومسؤولاً عن جمع الضرائب من جميع مناطق الكعبيين. فقرر أنصار فارس وهم الشيخ محمد وولداه سلمان وجعفر الانتقام من لفتة. فقاموا بقتله مع ولديه بشير وغضبان في الصيف من سنة ١٢٩٥هـ (مايس / مايو ١٨٧٨م). وبذلك خرج آل لفتة عملياً من حلبة النزاع على حكم آل ناصر وانحصرت المنافسة بين آل فارس وآل عيسى. ومنذئذ أصبح الشيخ محمد بن فارس شيخاً لبني كعب مرة أخرى(٢٤٧).

ولكن نظراً إلى أن حاكم خوزستان كان مخالفاً لقتل الشيخ لفتة فقد أعرب في رسالة بعث بها إلى شيوخ كعب عن سخطه واعتراضه على هذا الاختيار فما كان منهم إلا أن

عزلوا الشيخ محمد واختاروا الشيخ رحمة بن عيسى حاكماً عليهم في أواخر شهر رمضان ١٢٩٥هـ (أيلول/ سبتمبر ١٨٧٨م)[٢٤٨]. عندها حول حاكم خوزستان مهمة تحصيل ضرائب الجراحي والمناطق المجاورة لها إلى مير عبد الله. وهكذا أصبحت منطقة حكم الكعبيين أصغر وأصغر.

نتيجة لشح الأمطار في السنة ١٢٩٦هـ فشل الشيخ رحمة في تحصيل الضرائب المقررة. وفي السنة التالية اضطر لاتباع سياسة مختلفة حيث اختار أسلوب الضغط في جمع الضرائب إرضاء لحاكم خوزستان. هذا الأسلوب الذي تزامن مع قلة الأمطار والجفاف وانخفاض المحاصيل أثار سخط الكعبيين، فاندلع تمرد في جميع أرجاء المنطقة. على أن من المؤكد أن أسرة فارس لعبت دوراً مؤثراً في إشعال نار التمرد التي تمكن الشيخ رحمة من اخمادها بدعم من حاكم خوزستان الذي أرسل قوة من المشاة إلى هناك[٢٤٩].

بعد ذلك التمرد حوّل حاكم خوزستان حشمة الدولة، مهمة تحصيل ضرائب مشيخة كعب بمن فيها الجراحي ورامهرمز إلى شيخ المحمرة الشيخ جابر آلبوكاسب ومساعده أسد الله خان وأحد وجهاء تستر[٢٥٠]. ورغم عدم استمرار ذلك الاتفاق بل إلغائه مع تولي ظل السلطان حكم خوزستان، إلاّ أن هذا وحده يكفي للدلالة على أن العنوان الضخم لشيخ المشايخ فقد بريقه بعد الشيخ ثامر ولم يعد يساوي حتى جابي الضرائب.

بتولي ظل السلطان منصب حاكم خوزستان أسند ممثله جعفر قلي خان مسؤولية جباية ضرائب الكعبيين، والتي كانت بمثابة رئاسة القبيلة، إلى الشيخ جعفر بن محمد ابن فارس من أسرة آل فارس. ولكن آل عيسى احتجوا على هذا التعيين فاضطربت الأوضاع في كعب. وعلى أثر تلك الاضطرابات عُزل جعفر قلي خان في سنة ١٢٩٧هـ وعين احتشام السلطنة بدلاً منه. وتبعاً لذلك ألغي أمر تعيين الشيخ جعفر وأعيد المنصب إلى الشيخ رحمة من آل عيسى[٢٥١].

في تلك الأوضاع تقهقرت قدرة وسطوة آل ناصر بسبب خلافاتهم الداخلية ونزاعاتهم على السلطة بين آل فارس وآل عيسى حتى باتوا يقنعون بمهمة جباية الضرائب بل ينقسمون ويتناحرون من أجل الحصول عليها بعد أن حكموا بلا منازع وعلى مدى قرنين . وفي الوقت الذي كانوا منهمكين في الصراع المدمر الذي لا ينتهي كان الحاج جابر، تزداد قوته يوماً بعد يوم في المحمرة.

مهما يكن من أمر فإن النزاع الداخلي في الأسرة الحاكمة الكعبية أضعفها بشدة وخفض سلطة الشيخ إلى أدنى درجة متصورة فأخذت سلطة الشيخ رحمة الداخلية بالانحطاط ابتداءً من سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م). فحاول أن يوقف ذلك التراجع في سلطة الشيخ ويعيد وحدة الكعبيين إلى صفوفهم باسترجاع منطقة النفوذ التي كانت خاضعة لهم. حتى إنه استغل الثورة التي فجرها النصار على الشيخ مزعل سنة ١٣٠٠هـ فزحف بجيشه على المحمرة ولكنه لم يستطع أن ينهي المعركة كما شاء بسبب الخلافات الداخلية بين الكعبيين فعاد إلى الفلاحية[٢٥٢].

كشفت عملية الشيخ رحمة هذه أكثر من ذي قبل عن ضعف الكعبيين وعجزهم وكانت مقدمة لتدخلات الشيخ مزعل المتزايدة في شؤون الكعبيين وتوسعاته على حسابهم. من هنا اتبع شيوخ آلبوكاسب سياسة واضحة ومحددة من شيوخ بني كعب ليضمنوا عدم تهديدهم لمشيخة المحمرة. ولكنهم، من جانب آخر، لم يستطيعوا، لأسباب عدة، أن يقضوا عليهم[٢٥٣]. عموماً، كان هجوم الشيخ رحمة على الشيخ مزعل آخر (ص ٣٧٣) محاولات أخلاف الشيخ ثامر لاستعادة وإحياء السلطة المفقودة، السلطة التي ضاعت بسبب الخلافات الداخلية التي استعرت بين أفراد الأسرة الحاكمة.

بعد ذلك أيضاً تنقل منصب «شيخ المشايخ» أكثر من مرة بين الشيخ جعفر بن محمد بن فارس والشيخ رحمة بن عيسى والشيخ عبد الله بن عيسى بين سنة ١٣٠٠هـ و١٣٠٥هـ (١٨٨٤- ١٨٨٨م)[٢٥٤]. ومنذ سنة ١٣٠٠هـ أخذت مكانة الشيخ رحمة الداخلية بالانحطاط بحيث يقول روبرتسون في ذلك: «سلطته ضئيلة جداً وشيوخ

القبيلة مستقلون تقريباً.»[٢٥٥] ،وعندما تولى الشيخ خزعل السلطة وتنامت قوته عين الشيخ ، رجلا من رجاله على الفلاحية. وبهذا تلاشى آخر ما تبقى من اعتبار لمنصب «شيخ المشايخ» ولم يعد لشيخ كعب وأسرة آل ناصر أي دور في تاريخ تلك المنطقة.

الفُرقة والخلاف سبب انهيار الكعبيين

حافظ الكعبيون على قوتهم ومتانة سلطتهم ما حافظوا على وحدتهم وتماسكهم وتضامنهم وكانوا يبسطون سيطرتهم على مناطق نفوذهم باقتدار. وحين استحوذ عليهم حب التفرد بالسلطة وبدأت الانقسامات والصراعات العائلية تنخر كيانهم ، أخذت قوتهم في التراجع نحو الاضمحلال. وإنه لقانون صحيح وثابت أن إذا دب الخلاف والانقسام في قوم سهلت هزيمتهم. وهو ليس مختصاً بمرحلة تاريخية محددة أو بالكعبيين وحدهم. فإذا أردنا تتبع أسباب أفول نجم الكعبيين وسقوط حكمهم لا شك في أننا سنجد أساسها في التفرق والخلافات العائلية على الحكم.

ومع أن الخلافات والانقسامات لا تنحصر بمجتمع دون غيره بل تخضع لها جميع المجتمعات بمختلف تركيباتها، إلاً أن الخلافات والانقسامات تكون أشد في المجتمعات القبلية. لأن هوية الفرد فيها تتجلى وتبرز مع هوية القبيلة أو العشيرة بسبب الثقافة القبلية السائدة. فالفرد يرى نفسه جزءاً من القبيلة، وبما أن القبائل في صراع دائم مع بعضها فالشعور بالتفوق القبلي يشكل هاجساً مهماً عند الفرد وفي ذهنيته. وبمرور الوقت يمتزج هذا الشعور كقيمة مع القيم والمشاعر الأخرى ويتحول إلى أساس في تفكير الإنسان القبلي. وهذا ما يجعل الفرقة والخلافات والانقسامات أوضح ما تكون وأشد عند المجتمعات القبلية من سواها.

غير أن التاريخ شهد في بعض فتراته ظهور قادة أقوياء ذوي شخصية قيادية متميزة وزعماء محنكين استطاعوا تضييق دائرة ظاهرة الخلاف والانقسام ومنعها من البروز على السطح.

عموماً، فقد كان بمقدور الكعبيين استعادة قوتهم والمحافظة على نفوذهم حتى بعد الشيخ ثامر لو كانوا قد تركوا خلافاتهم جانباً ولم ينساقوا لأهوائهم الشخصية. لقد انهمك الكعبيون في الصراعات التي دارت بين أسرتَيْ فارس وعيسى واستهلكهم التناحر لدرجة ألهتهم عن أسرة الحاج جابر التي كانت تزداد يوما بعد يوم قدرة في المحمرة. ولم يتنبه آل فارس وآل عيسى للواقع حتى حين حل الشيخ مزعل محل أبيه حاكماً على المحمرة ولم يجدوا القدرة على مقاومته بل واصلوا تناحرهم حتى على مستوى انتزاع منصب جباية الضرائب في منطقة نفوذهم المتفسخة.

الجدول التالي يبين الحكام الكعبيين من ظهور أسرة آل ناصر سنة ١٠٩٥هـ إلى تلاشي نفوذهم سنة ١٣٠٥هـ. هذا وقد وضع الجدول لتصحيح المعلومات الخاطئة التي قدمها كسروي بسبب العمومية التي اتسم بها منهجه في تناول أسماء بعض الزعماء من بني كعب وكذلك الأخطاء التي وقع فيها علي نعمة الحلو في ما يتعلق بسنوات حكم بعض شيوخ كعب وترتيب توليهم الحكم(٢٥٦).

الاسم	التاريخ	مدة الحكم
- ناصر بن محمد بن علي	(١٠٩٥ - ١٠٩٩هـ) (١٦٨٣ - ١٦٨٧م)	٤ سنوات
- علي بن ناصر بن محمد		
- عبد الله بن ناصر بن محمد	(١٠٩٩-١١٣٥هـ)	٣٦ سنة
- سرحان بن ناصر بن محمد	(١٦٨٧ - ١٧٢٣م)	
- رحمة بن ناصر بن محمد		
- فرج الله بن عبد الله	(١١٣٥-١١٤٧هـ)	١١ سنة

		(١٧٢٢ - ١٧٣٣م)	
- طهماز بن خنفر بن ناصر	(١١٤٧ - ١١٥٠هـ)	٤ سنوات
	(١٧٣٣ - ١٧٣٧م)	
- بندر بن طهماز بن خنفر	(١١٥٠-١١٥٠هـ)	شهران
	(١٧٣٧-١٧٣٧م)	
- عثمان بن سلطان	(١١٥٠ - ١١٧٨هـ)	٢٨ سنة
	(١٧٣٧ - ١٧٦٤م)	
- سلمان بن سلطان	(١١٥٠-١١٨٢هـ)	٣٢ سنة
	(١٧٣٧-١٧٦٨م)	
- حكم سلمان وعثمان مشتركين		
- غانم بن سلمان	(١١٨٢-١١٨٣هـ)	أكثر من سنة
	(١٧٦٨ - ١٧٦٩م)	
- داود بن سلمان	(١١٨٣ - ١١٨٤هـ)	سنة واحدة
	(١٧٦٩ - ١٧٧٠م)	
- بركات بن عثمان	(١١٨٤- ١١٩٧هـ)	١٣ سنة
	(١٧٧٠ - ١٧٨٣م)	
- غضبان بن محمد	(١١٩٧ - ١٢٠٧هـ)	١٠ سنوات
	(١٧٨٣ - ١٧٩٢م)	

– مبارك بن غضبان	(١٢٠٧ – ١٢٠٩هـ) (١٧٩٢ – ١٧٩٤م)	سنتان
– فارس بن داود	(١٢٠٩ – ١٢١٠هـ) (١٧٩٤– ١٧٩٥م)	سنة واحدة
– علوان بن محمد	(١٢١٠ – ١٢١٦هـ) (١٧٩٥ – ١٨٠١م)	٦ سنوات
– محمد بن بركات	(١٢١٦– ١٢٢٧هـ) (١٨٠١–١٨١٢م)	١١ سنة
– غيث بن غضبان (المرة الأولى)	(١٢٢٧ –١٢٣١هـ) (١٨١٢ – ١٨١٦م)	٤ سنوات
– عبدالله بن محمد (المرة الأولى)	(١٢٣١ – ١٢٣١هـ) (١٨١٦ – ١٨١٦م)	٧ أشهر وأيام
– غيث بن غضبان (المرة الثانية)	(١٢٣١ – ١٢٤٤هـ) (١٨١٦ – ١٨٢٨م)	١٣ سنة
– مبادر بن غضبان	(١٢٤٤ –١٢٤٧) (١٨٢٨–١٨٣٠م)	٣ سنوات
– عبدالله بن محمد (المرة الثانية)	(١٢٤٧ –١٢٤٧هـ) (١٨٣٠ – ١٨٣٠م)	بضعة أشهر
– ثامر بن غضبان [٢٥٧]	(١٢٤٧ – ١٢٥٨هـ) (١٨٣٠ – ١٨٤١م)	١٢ سنة

– عبد الرضا بن بركات	(١٢٥٨ – ١٢٥٩هـ) (١٨٤١ – ١٨٤٢م)	بضعة أشهر
– فارس بن غيث	(١٢٥٩ – ١٢٩٤هـ) (١٨٤٢ – ١٨٧٧م)	٣٥ سنة
– محمد بن فارس	(١٢٩٤ – ١٢٩٥هـ) (١٨٧٧ – ١٨٧٨م)	سنة واحدة
– لفتة بن مبادر	(١٢٩٥ – ١٢٩٥هـ) (١٨٧٨ – ١٨٧٨م)	بضعة أشهر
– رحمة بن عيسى	(١٢٩٥ – ١٣٠٠هـ) (١٨٧٨ – ١٨٨٤م)	٥ سنوات

تولى محمد بن فارس والشيخ رحمة بن عيسى وأخوه الشيخ عبد الله مشيخة المشايخ أكثر من مرة .

على أن الجدير بالإعجاب والتقدير في حكم الكعبيين الحكم المشترك الذي مارسه الشيخ عثمان بن سلطان والشيخ سلمان بن سلطان والذي استمر ٢٨ سنة ابتداءً من سنة ١١٥٠هـ وانتهاءً بوفاة الشيخ عثمان سنة ١١٧٨هـ . وبعد وفاة الشيخ عثمان واصل الشيخ سلمان حكم الكعبيين لأكثر من أربع سنوات أخرى حتى توفي سنة ١١٨٢هـ . إن الحكم المشترك نادر الحدوث في التاريخ وهذه تعتبر صفحة ناصعة من سجل تاريخ الكعبيين. إن الحكم المشترك من الندرة بحيث أن أحمد كسروي عند حديثه عن الحكم المشترك بين السلطان علي والسلطان أيوب المشعشعي ابنَي السلطان محسن يعتبر الأمر «لا يصدّق»[٢٥٨]. إن ذلك الحكم المشترك و«وحدة الكلمة»

بين زعماء الكعبيين هو الذي جعل من عصر الشيخ سلمان عصرهم الذهبي. لقد بنى الشيخ سلمان سداً كبيراً على نهر كارون، ساهم في إحداث نقلة نوعية في حياة الناس من خلال توفير الري الصحيح الذي ازدهرت بفضله الزراعة، وكان من نتائج الازدهار والرخاء استتباب الأمن حتى لو أن «امرأة عمياء حملت على رأسها طبقاً مليئاً بالذهب وسارت من قرية إلى قرية ما تعرض لها أحد.»[٢٥٩] وقد شن عليه كريم خان الزند هجومين كبيرين ولكنه فشل في تحقيق النصر عليه فما كان منه إلاَّ أن دمر سد السابلة ولكن الشيخ سلمان لم يستسلم مع ذلك[٢٦٠]. ويزحف عليه والي بغداد بجيشه الجرار ويلتحق به المولى مطلب المشعشعي مع جيشه فيبوءان بالهزيمة. حتى البريطانيون صبوا نيران مدافعهم على الفلاحية ولكنهم لم يحققوا ما أرادوا وانهزموا أمام الشيخ سلمان ورجاله. ثم عاد والي بغداد للهجوم على الفلاحية مرة أخرى وكانت الغلبة مرة أخرى من نصيب الشيخ سلمان. وبفضل حكمته وحنكته يتوحد شيوخ بني كعب ويقوى اتحادهم حتى يقول نيبور عنهم: «لم يكن لهؤلاء [الكعبيين] أي اعتبار قبل الشيخ الحالي الشيخ سلمان ولكن بعد معارك الشيخ مع البريطانيين التي استخدم فيها المدافع ذاع صيته حتى بلغ أوروبا»[٢٦١].

وحين دب بينهم الخلاف وفرقتهم النزاعات لم يفقدوا بعض مناطق نفوذهم فحسب بل أخذوا بالضعف يوما بعد يوم حتى لم يبق لسلطة « شيخ المشايخ» إلاَّ اسمه.

والشيء اللافت للنظر في الكعبيين هو قتل الشيوخ. فقد أُزيح عدد غير قليل منهم عن كرسي الحكم بالقتل وحل محلهم آخرون. فمن بين ٢٦ شيخا كعبيا حكموا بين سنة ١٠٩٥ هـ وسنة ١٣٠٠هـ قتل ١٤ منهم وحل محلهم آخرون. حتى الشيخ عثمان وأخوه شيخ الكعبيين المحنك الشيخ سلمان لم يصلا إلى السلطة إلاَّ بعد مقتل بندر بن طهماز ابن خنفر. هذه المواضيع تبين أن قتل الشيوخ للتخلص من منافستهم والاستحواذ على السلطة كان أمرا عادياً بين الكعبيين. ورغم سكوت المصادر عن أسباب هذه المقاتل

ودوافعها وعدم ذكر أسماء القاتلين يمكن تخمين أنها كانت عائلية وفي أسرة آل ناصر حصريا وعلى يد المنافسين بمن فيهم الإخوة وأبناء العمومة[٢٦٢].

مع هذا وبمرور الأيام أمسك الكعبيون عن هذا الأسلوب الذميم ولم يعودوا لمثله إلاّ لماما. فبعد مقتل الشيخ غيث بن غضبان سنة ١٢٤٤ هـ (١٨٢٨ م) لم يقتل أي شيخ حتى سنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م) وهي خمسون سنة[٢٦٣]. ففي سنة ١٢٩٥ هـ فقط قتل الشيخ لفتة بن مبادر مع أبنائه.

علماء بني كعب

يبرز اسم الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي واسم أبيه الشيخ علوان بن بشارة الكعبي أكثر من غيرهما باعتبارهما عالمين من علماء الكعبيين في القبان. ولد الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي مؤلف «زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر» في قبان سنة ١٠٥٣هـ . رحل في السنة ١٠٧٧هـ إلى شيراز للدراسة فيها وكان عمره حينئذ ٢٤ سنة. درس الصرف على السيد نعمة الله الجزائري والنحو على الشيخ حسن بن محمد الجزائري والعَرُوض على الشيخ أحمد المدني في المدرسة المنصورية. بعدها ذهب إلى المدرسة اللطيفية فدرس العربية على السيد عزيز الجزائري والمنطق على الميرزا عليرضا ومدرسين آخرين في المدرسة المنصورية. ثم عاد إلى القبان بعد أن درس الفقه ليستكمل دراسة الفقه والحديث على والده الشيخ علوان.

بعد أن اجتاز الشيخ فتح الله المراحل الدراسية المذكورة عين قاضياً للبصرة. ولكنه لم يلبث أن ترك القضاء وعاد إلى القبان لأنه اعتبره «مخلاً بالدين». يقول الشيخ فتح الله إنه ابن الشيخ علوان ابن الشيخ بشارة ابن الشيخ محمد ابن الشيخ عبد الحسين الكعبي. وهذا يعني أنه من سلالة علماء. وبالإضافة إلى «زاد المسافر» ألف «الدرر البهية» وكتاباً اسمه «شرح الفتوحات» في المنطق وكتاباً صغيراً في النحو ورسالة في العلم ورسالة في باب «الخلف والخلافة» ورسالة في علم القراءة وشرح فوائد قطر النداوة . وكان للشيخ فتح الله الكعبي ذوق شاعري رفيع وقد ضمّن «زاد المسافر»

بعضاً من شعره[٢٦٤]. و«زاد المسافر» كتاب يقع في ٣١٢ صفحة تتناول الحوادث التي شهدتها البصرة في عهد أفراسياب باشا وحسين باشا وعلي باشا بالإضافة إلى مواضيع في العروض وعلم البديع والتاريخ والفقه والحديث.

جدير بالذكر أن الشيخ فتح الله الكعبي كان في القبان قبل وصول آل ناصر الكعبيين اليها وهو لا يمت إلى آل ناصر الكعبيين بأية صلة. لأن الشيخ فتح الله ولد، كما أسلفنا، في قبان سنة ١٠٥٢هـ أما آل ناصر الكعبيون فجاؤوا إلى القبان من « ميناو» سنة ١٠٩٥هـ، يعني بعد ذلك باثنتين وأربعين سنة[٢٦٥].

النقطة الثانية هي أن بني كعب القبان كانوا على المذهب الشيعي قبل مجيء بني كعب آل ناصر، وليس معروفاً تاريخ اعتناقهم لهذا المذهب.

إن ما كتبه أحمد كسروي عن الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي قليل جداً ولا يعرّف القارئ به بشكل صحيح. غير أن أهم ما في الأمر انهيار نظرية كسروي القائلة بكون أجداد الكعبيين «لصوصاً وقطاع طرق». فبعد أن ثبت لديه علم الشيخ فتح الله ووالده الشيخ علوان كما تيقن من شجاعة الشيخ بدر بن عثمان الكعبي ونبله لم يجد مفراً من الاعتراف بأنه «... لم تتوافر لنا معلومات كافية عن حالهم [بني كعب] سوى أن هؤلاء الكعبيين يختلفون كثيراً عن أسلافهم الأولين الخفاجة»[٢٦٦]. والسؤال الملح هنا هو: إذا كان الكعبيون «يختلفون كثيراً» عن «أسلافهم الأولين» فما ضرورة التطرق إلى مواضيع تخص «أسلافهم الأولين» أولئك؟ بل ما الحاجة للإتيان بأمور كاذبة عن هؤلاء «الأسلاف الأولين»؟ ولا ننس أننا أثبتنا في البحوث السابقة، واستناداً إلى مصادر معتبرة ودراسة ميدانية، أن «بني كعب» ليسوا من «بني خفاجة».

أمّا كسروي فبدلاً من أن يصحح أقواله غير العلمية والمغرضة من بعد ما تبين له الحق يعلل «عدم كون» الكعبيين «قطاع طرق» ولا «لصوصا» بكونهم «جيران المشعشعين وقريبين من فارس وباقي المدن الإيرانية». والغريب أنه، في القسم الأول

من كتابه، ينهال على المشعشعين ذماً وانتقاصاً وطعناً ولعناً. ثم يأتي الآن ليقول إنهم مدنيون حضريون أثروا على الكعبيين ! هذه هي آفة الآراء المغرضة، التناقض وغير الواقعية. وقد لاحظ كسروي نفسه هذا التناقض قبل القارئ.

خلاصة القول في ختام هذا المبحث عن الكعبيين قول المستشرق الألماني البارز ورنر كسكل ، يقول كسكل: « لقد سيطر الكعبيون على الشرق الأدنى من كارون . وقد تركت أسرة الشيوخ الموهوبة في القرن الثامن عشر أثراً ثقافياً رائعاً وابتدعت سياسة إدارية وعسكرية راحت ضحية سنوات من المحاولات التي بذلتها الحكومة المركزية الجديدة في إيران. وهذا ما تؤيده تقارير الرحالة الأوروبيين عبر شاهد عيان هو السيد عبد الله في تاريخ تستر»[٢٦٧] .



هوامش الفصل الخامس

(١)عرب الأهواز يلفظون كعب أحياناً «جعب». وهذا ما أوقع بعض الباحثين في الخطأ حيث تصوروا وجود قبيلتين أحداهما كعب والأخرى جعب. وقد وقع فريدون آدميت في هذا الخطأ في كتاب «أمير كبير وإيران»، ص٥٨١.

(٢)عبد الحكيم الوائلي، «موسوعة قبائل العرب»، ص١٨٥٦.

(٣)جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري، «لسان العرب»، ص٧٢٠.

(٤) شجرة النسب المدرجة في الصفحات التالية أعدها السيد كاظم صوفي ووضعها تحت تصرف المؤلف. هذه الشجرة كتبت استناداً إلى الكتب التالية: معجم البلدان لياقوت الحموي، وتاج العروس للزبيدي، والصحاح للجوهري، وسبائك العسجد، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة، وتاريخ ابن خلدون، ونهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، وتاريخ ابن الأثير، وتاريخ أبي الفداء، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وكتاب القلائد.

(٥)أحمد بن عبد الله القلقشندي، «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، سنة ١٩٥٩م.

(٦)عبد عون الروضان، «موسوعة عشائر العراق تاريخ، أنساب، رجالات، مآثر»، ص٢٦٦.

(٧)داود الكعبي، «الدروع الداودية»، ص١٢.

(٨)عبد المسيح الأنطاكي، «الدرر الحسان» نقلاً عن علي نعمة الحلو، الكتاب الثالث، ص٨.

(٩)الحاج علوان بن عبدالله الشويكي، «الإمارة الكعبية في القبان والفلاحية»، ص٢٦.

(١٠) «النخوة» في العربية الفصحى هي حماسة شديدة، مروءة، غيرة واندفاع. وفي اللغة العربية في خوزستان تستعمل أيضاً بهذه المعاني وتستعمل في الشدائد لطلب العون واستمداد الغيرة والمروءة من الآخرين. وأفضل معادل لها في الفارسية نداء «يارى». ولكل قبيلة أو عشيرة نخوة خاصة بها تقتبس عادة من اسم الجد أو الجدة أو الجد الأعلى أو الجدة العليا لها وحين يهتف بها يسكت الحاضرون ويصغون السمع ليتبينوا نوع المساعدة المطلوبة. فنخوة بني تميم «دارم» ونخوة بني كعب «عامر».

(١١)الحاج عصمان الطرفي، «تاريخ عشاير العربية»، ص١٢.

(١٢) لا يذكر كسروي شيئاً في القسم الأول من كتابه عن أصل السيد محمد المشعشع ونسبه رغم أن المصادر التي استند اليها مثل مجالس المؤمنين والرحلة المكية ذكرت نسبه. والسبب يرجع إلى أن نسب السيد محمد ينتهي إلى الإمام موسى الكاظم (ع) الإمام السابع للشيعة.

(١٣)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٢٩.

(١٤)نفس المصدر، ص٢٦٥، هامش رقم ٩٦.

(١٥)جورج ناتانل كرزن، «إيران وقضيه ي إيران»، ص٣٩٠.

(١٦)انظر المبحث السابق، «أصل بني كعب».

(١٧)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، نفسه الصفحة وأيضًا ص١٤٠.

(١٨)نفس المصدر، ص٢٦٥، هامش رقم ٩٧.

(١٩)محمد حسين بن خلف التبريزي المعروف ببرهان، «برهان قاطع»، ص٧٥٩.

(٢٠) لويس معلوف، «المنجد في الأعلام» ، ص٢٧٠.

(٢١)ابن منظور المصري، نفس المصدر.

(٢٢)نقلاً عن عباس العزاوي، «تاريخ العراق بين احتلالين»، ج٣، ص٦٥.

(٢٣)يقول عباس العزاوي في «تاريخ العراق بين احتلالين»، ج١، ص٤٤١، نقلاً عن ابن بطوطة: كانت خفاجة تحكم الكوفة وأطرافها. ويضيف: واليوم يسكن القسم الأكبر من خفاجة في منطقة المنتفق. وهو نفسه يتحدث عن قبيلة بني كعب في الصفحة ٥٤١.

(٢٤)عباس العزاوي، نفس المصدر، ج٣، ص٦٥.

(٢٥)نفس المصدر، ص٦٢ وص١٠٩.

(٢٦)علي نعمة الحلو، « تاريخ الأهواز» ، الكتاب الرابع، ط١، ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م)، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ص٨١.

(٢٧)علي نعمة الحلو، المصدر نفسه، ص٨٢. لقد استفاد من الكتب التالية في كتاباته عن بني خفاجة:

ـ جمهرة أنساب العرب، علي بن حزم الأندلسي، القاهرة، سنة ١٣٥٧هـ. ص٢٦٤.

ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، القاهرة، سنة ١٩٥٩م، ص ص ٢٤٦ و٢٤٧ و٢٥٥ و٣٣٠ و٣٣١ و٣٣٥ و٣٦٦.

ـ معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٤٩م، ج١، ص ص ٦٠ و٣٢٨ و٣٥١ و٣٥٢. ج٢، ص ص ٧١٠ و ٧٢٠ وج٣، ص١١٤٤.

ـ الأغاني، أبو فرج الأصبهاني، ج١، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، ج١، ص ص ١٦١ و١٦٢ و١٦٤ و١٧٤ و١٨٠.

ـ اللباب، علي بن الأثير، مكتبة المقدسي القاهرة، سنة ١٣٥٧هـ، ج١، ص٣٨١.

ـ تحفة الأنظار، ابن بطوطة، القاهرة ١٣٧٧هـ،ج١، ص١٣٧ و١٣٨.

ـ دائرة المعارف، بطرس البستاني، مطبعة المعارف، بيروت سنة ١٨٨٣م، ج٧، ص٤١٩.

(٢٨) علي نعمة الحلو، المصدر نفسه، ص٧٩.

(٢٩)عبدالحكيم الوائلي، نفس المصدر، ج٢، ص٤٩٤.

(٣٠) من المؤسف حقاً أن بعض المؤلفين يسارعون إلى اقتفاء أثر كسروي في اعتبار الكعبيين من خفاجة من غير أن يتجشموا جهدا بحثياً أو تحقيقياً أو يفتشوا عن مصدر أو مرجع. انظر: يوسف عزيزي بني طرف، القبائل

والعشائر العربية في خوزستان، ص٨٢. من الأخطاء التي وقع فيها الكتاب هو ما يتعلق بالسيد علي المشعشعي. ففي الصفحة ١٢٤ من الكتاب المذكور يذكر أن السيد علي ابن السيد عبد الله كان معاصراً لآخر الملوك الصفويين وهو حاكم عربستان وقد ألف [كتاباً] في التاريخ أتمه في سنة ١١٢٨هـ ويضيف «هذا الكتاب من الكتب المعدودة في تاريخ تلك الفترة وقد ذكره القاضي نور الله.» هذا الكلام يثبت أن السيد عزيزي ليس فقط لم ير كتاب القاضي نورالله بل انه يجهل حتى تاريخ ولادته ووفاته. وهو يورد هذا الكلام في كتابه دون أن يقرأ كتاب القاضي نورالله «مجالس المؤمنين». الحقيقة أن السيد علي حين كان يكتب كتابه كان قد مضى على وفاة القاضي نور الله أكثر من ١١٥ سنة.

(٣١) شابور رواساني، «اطلاعات سياسي ـ اقتصادي» ص٧٧.

(٣٢) «القومية بعد المشروطة بما فيه القومية الحكومية والقومية لدى المثقفين كانت ذات صبغة تاريخية ومعادية للعرب»، سهراب يزداني، كسروى وتاريخ مشروطه ى إيران، ص ٣٠ و٣١.

(٣٣) القبان اسم مدينة في جنوب خوزستان تقع على ساحل البحر بين ميناء معشور ومصب نهر بهمن شير. حينئذ كان هناك فرع من كارون ينفصل عن النهر باتجاه الجنوب الأدنى من مدينة الأهواز ببضعة فراسخ ويصب في البحر قرب مدينة القبان بعد أن يسقي الأراضي المحيطة بها وكان يسمى «نهر القبان»؛ «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان»، ص١٣٠.

(٣٤)عباس العزاوي، نفس المصدر، ج١، ص٥٤١.

(٣٥) أحمد كسروي، نفس المصدر.

(٣٦) يقع كتاب «زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر» للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي في ١٥٧ ورقة و٣١٣ صفحة. ولد الشيخ فتح الله الكعبي سنة ١٠٥٣هـ في مدينة القبان. توجد نسخة من الكتاب تحت الرقم ١٤٦٤ كأحد الكتب الموقوفة في مسجد ومدرسة ناصري.

(٣٧)«الدير» اسم قرية شمال البصرة.

(٣٨) في نقله لهذه القصة حذف كسروي كون أم أفراسياب باشا من الدير. الشيخ فتح الله الكعبي، نفس المصدر، ص٤١ و٤٢.

(٣٩) السيد علي خان الموسوي، نفس المصدر، ص٢١.

(٤٠) كانت إحدى عشائر بني تميم وتدعى بني العم ويعود نسبها إلى مرة بن مالك بن حنظلة قد ساعدت أردشير بابكان في حربه مع أردوان الأشكاني (الفرثي)؛ كسروي، أحمد، «شهرياران كمنام»، ص١٣١.

(٤١) فتح الله بن علوان الكعبي، نفس المصدر، ص١٨.

(٤٢) هذا هو المصطلح الذي استعمله الشيخ فتح الله للقرى الواقعة على ضفاف شط العرب. المصدر نفسه، ص٤٢.

(٤٣) لم يورد كسروي أي ذكر للعالم والشاعر في تلك الفترة الشيخ عبد علي بن رحمة الحويزي؛ تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٦٦-٦٨ وص١٣٠-١٣٣.

(٤٤) توجه إليه عسكر عظيم من أمر شاه العجم وهو شاه عباس الأول، «زاد المسافر...»، ص٤٢.

(٤٥)فتح الله الكعبي، نفس المصدر، ص٤٢ و٤٣.

(٤٦)ورد في أحد المصادر أن شيخ مشايخ الكعبيين في فترة أفراسياب باشا كان الشيخ ادريس وليس معلوماً مدى صحة القول لأن فتح الله الكعبي ذكر في كتابه أن الشيخ بدر بن عثمان كان شيخ بني كعب. عقيل حياوي الكعبي، قبائل كعب من الماء إلى الماء، ص٨٢.

(٤٧)السيد علي خان الموسوي، نفسه، ص٤٤، ويتضمن الكتاب طلب الشيخ بدر الذي بعث به إلى علي باشا على هيئة قصائد.

(٤٨)هذه الواقعة أقوى دليل للرد على رأي كسروي القائل بأن بني كعب وبني خفاجة كانوا سراقاً وقطاع طرق. لأن السراق وقطاع الطرق ليس في قاموسهم إلاّ القتل والنهب ولا مكان فيه للمروءة والشهامة. الشيخ فتح الله الكعبي، نفس المصدر، ص٤٣ وص٣.

(٤٩)نفس المصدر، ص٤٣.

(٥٠)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٣٥.

(٥١) أحمد كسروي، نفس المصدر.

(٥٢)«ميناو» اسم لسهل في الشمال الغربي من الأهواز تبدأ من عبدالخان الواقعة على بعد ٦٥كم شمال مدينة الأهواز على طريق أهواز ـ أنديمشك وتمتد لتصل إلى حوالي أنديمشك. والأرجح أن الكلمة مشتقة من «ميان آب» (بين الماءين) أي بين الكرخة وكارون.

(٥٣)الأرجح أن الكعبيين علموا بأوضاع القبان عن طريق سائر الكعبيين.

(٥٤)يوجد في الوقت الحاضر كعب الحاي وكعب الدبيس وكعب الغويث وكعب عمير وكعب فرج الله وكعب كرم الله وكعب ميناو وهم «كعب العجزة».

(٥٥)المطور من العشائر المعروفة التي تسكن المحمرة وعبادان وخاصة المحرزي. البعض يعتبرهم من قبيلة «سبيع» والبعض من قبيلة «بني أسد». فيما يعتبرهم آخرون فرعاً من «طي» وهم أبناء حاتم الطائي المعروف. انظر: علي نعمة الحلو «تاريخ الأهواز» الكتاب الأول والثاني.

(٥٦)يذكر عقيل حياوي الكعبي، أن اسمه الكامل هو ناصر بن محمد الدريس وهو خطأ. نفس المصدر، ص٢٥٠.

(٥٧)الحاج علوان الشويكي، ص١-١١. لابد هنا من التنويه مرة أخرى بالخطأ الذي وقع فيه يوسف عزيزي ،مؤلف «القبائل والعشائر العربية في خوزستان». ففي الصفحة ٨٢ من الكتاب يذكر شخصاً اسمه الشيخ منصور على أنه «من أوائل الحكام الأقوياء لإمارة كعب تصدى للدول الاستعمارية الأوروبية في الخليج .» ثم يضيف بأنه «أخو الشيخ ناصر الذي حكم أبناؤه آلبوناصر مدينة القبان على مدى مئات السنين.» ويواصل [المؤلف] يوسف عزيزي: «يقول الرحالة الإيطالي بيترو دلاواله الذي زار الأهواز سنة ١٦٢٥م وزار حوض نهر كارون: كان الشيخ منصور يسيطر على عموم حوض كارون حتى مصبه في شط العرب» (ص٨٢ و٨٣). وهذا كله خاطئ لأن الكعبيين لم يعرفوا يوماً شيخاً اسمه الشيخ منصور. فالحاج علوان الشويكي لا يذكره في كتابه أبداً. والخطأ هذا أساسه علي نعمة الحلو في كتاب «تاريخ الأهواز» حيث اعتبر السيد منصور المشعشعي شقيق السيد مبارك المشعشعي ،الشيخ منصور

الكعبي. ثم نقل مؤلف «القبائل والعشائر العربية في خوزستان» هذا الخطأ عن علي نعمة الحلو ولكن يوسف عزيزي أورده من علي نعمة الحلو دون ذكر المصدر.

(٥٨)ميرزا محمد صادق نامي موسوي أصفهاني الذي عاش في تلك الفترة وكان مسجل الوقائع الرسمية للزندية يرجع وجود الكعبيين في الدورق إلى عهد الشيخ سلمان الكعبي وذلك في الصفحة ١٢٦ من كتابه. وهذا الكلام عار من الأساس وهو مخالف لجميع المصادر والمراجع التاريخية. حتى أحمد كسروي يعتبر كلام ميرزا محمد صادق هذا «رأياً خاطئاً» ويعتبر [صاحبه] «عديم الاطلاع». (انظر: أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ى خوزستان، هامش رقم ١٠٦، ص٢٦٧).

(٥٩)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٨٨.

(٦٠)ظهرت على ضفاف هذه الأنهار قرى ما زالت تسمى بأسمائها الأولى مثل شاخة الخان والوسطانية ودارخوين والقجر والخضيرية والإسماعيلية.

(٦١)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص١١-٢٥.

(٦٢)أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٩٧.

(٦٣) «أميان» اسم قرية في أطراف القبان. وكسروي يجهل معنى أميان في كتابه ويقول: «ومع أن كلمة «أميان» غامضة في هذه العبارة ولكن...» (ص٢٦٥) وكان لجهله بمعنى الكلمة تأثير على استنتاجاته.

(٦٤)أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٢٦٥، هامش رقم ١٠١.

(٦٥)نفسه المصدر، ص١٠٨.

(٦٦)يتداول أهالي عبادان قولاً مفاده «فلان ذاهب إلى قبان ليجلب الملح». وهو قول ينم عن كون أرض قبان ملحية سبخة أو بالأحرى مملحة. على أنه ليس هناك أي أثر لقبان في الوقت الحاضر.

(٦٧)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٢٢.

(٦٨)نقلاً عن السير بارون دوبد، «سفرنامه لرستان وخوزستان»، الصفحة نفسها.

(٦٩)السيد عبد الله الجزائري، نفس المصدر، ص٢٤.

(٧٠)«شاخة الخان» اليوم تطلق على قرية تقع على بعد ٥٣كم شمال عبادان على طريق عبادان. أهواز وعلى بعد ١٠كم شمال دارخوين. والبعض يكتبها «شاخت الخان» وهو خطأ.

(٧١)اسم «سلمانة» مأخوذ من الشيخ سلمان. ولابد أنه اسم قرية وليس اسم نهر أو رافد. لأن النهر والرافد في العربية مذكران والقرية مؤنثة. إضافة إلى ذلك فإن «سلمانة» اليوم اسم قرية تقع على الضفة الشرقية لكارون وعلى بعد ٣٦كم شمال عبادان على طريق عبادان - أهواز.

(٧٢)«دريس» و«نصار» عشيرتان من بني كعب. وهي اليوم تنتشر في مدينة عبادان والقرى التابعة لها. فالنصار يكثرون في الغالب في القصبة . حتى إن البعض يسمي المنطقة بقصبة النصار. وللمرحوم نعمة الله يبَاري قصيدة يذكر فيها القصبة «بقصبة النصار.

(٧٣)حسب وصف الحاج علوان فإن هذا المكان كان يقع بين حقول القصب بسبب ارتفاعه ويحتمل أن هور الفلاحية كان يغمر المنطقة حين كانت مياه نهر الجراحي أكثر غزارة.

(٧٤)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٢١-٢٥. هنا لابد من التنويه بالخطأ الذي ارتكبه الحاج عبد الغفار نجم الملك في كتاب سفرنامه ي خوزستان. فقد زار المؤلف الفلاحية سنة ١٢٩٩هـ وشاهد تلك القلعة وأخطأ حين أرجع بناءها إلى ما قبل ٢٤٠ سنة وعلى يد «الشيخ سلمان الكبير». والحقيقة أنها كانت قد بنيت قبل ذلك بـ ١٤٠ سنة. والخطأ الثاني هو الناجم من مادة تاريخ «في الفلاحية خنزير سكن» فاعتبر سنة بنائها ١٢٥٢ وهو خطأ أيضاً (سفرنامه ي خوزستان، ص١٠٩). أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ى خوزستان، ص١٣٨.

(٧٥) ليس محدداً حتى الآن على وجه التحقيق مكان بناء سد السابلة، غير أن الحاج عبدالغفار نجم الملك اعتبر قبل ١٢٧ سنة «أن سد السابلة أقيم قرب القصبة مقابل فرع المارد» على بعد ١٥كم شمال عبادان وذلك نقلاً عن البعض (سفرنامه ي خوزستان، ص٤٢). يبدو أن أحمد كسروي شاهد آثاراً وعلائم لتلك الروافد قبل ثمانين سنة.

(٧٦)انظر: تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٣٩.

(٧٧)عبدالله الجزائري، نفس المصدر، ص٢٠٣.

(٧٨)أحمد كسروي، نفس المصدر.

(٧٩)ميرزا محمد صادق نامي، نفس المصدر، ص١٣٤.

(٨٠)أحمد كسروي ، نفس المصدر، ص١٤٠.

(٨١)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٢٦.

(٨٢)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٢٨.

(٨٣)أحمد كسروي، نفس المصدر، ص١٤١.

(٨٤)يذكر الحاج علوان الشويكي «أن جيش علي باشا ضم المصريين فضلاً عن الأكراد والترك وعرب العراق». نفس المصدر، ص٢٩.

(٨٥)سيلاخور من التقسيمات الإدارية لولاية بروجرد في الجنوب والجنوب الغربي منها وهي الحدود الشرقية لجابلق وهي منطقة جبلية تنقسم إلى: سيلاخور العليا وسيلاخور السفلى.

(٨٦)ميرزا محمد صادق نامي موسوي، نفس المصدر، ص١٢٧.

(٨٧)واضح أن عمر باشا لم يضمّن رسالته مثل هذه العبارات. وإنما هو من نثر ميرزا محمد صادق نامي وإنشائه وقد صاغ معاني الرسالة بتعابير منمقة طنانة. يقول سعيد نفيسي «العيب الوحيد في هذا الكتاب كثرة الكنايات والاستعارات والتشبيهات المخلة وغير الضرورية التي قد تلبس الأمور على القارئ.» كتاب ميرزا صادق نامي، الديباجة، ص ألِف.

(٨٨)الحفار اسم قرية تقع على الضفة الغربية لكارون عند التقاء نهري كارون وبهمنشير.

(٨٩)يحدد ميرزا محمد صادق نامي موقع هذا الموضع بقوله: «يبعد ستة فراسخ عن بحر عمان الأعظم وفرسخاً واحداً عن ضفاف شط العرب»، تاريخ كيتى كشا، ص١٣٢.

(٩٠)جزيرة المحرزي هو الاسم السابق لعبادان الذي أصبح منذ ١٣٠٤ش آبادان ويقال لها جزيرة الخضر أيضاً. والخضر قرية على الساحل الجنوبي لنهر بهمنشير تبعد عن عبادان ١٢كم. وفيها مقام الخضر وتنتشر فيها عشيرة القيم. أمّا المحرزي فلم تعد قرية اليوم بل باتت جزءاً من المحمرة. تقع المحرزي على الساحل الجنوبي لبهمنشير مقابل الحفار في الجزء الذي يأخذ شكل جزيرة من المحمرة وتنتشر فيها عشيرة المطور.

(٩١)يتحدث محمد صادق نامي عن قاربي تمر ويخت ، ولكن كسروي أخطأ إذ حسبها سفناً. في حين أن (الجهاز) هو عبارة عن قارب كبير أو لنجة. كذلك يعتبر برويز رجبي الجهاز قارباً. راجع: «كريم خان زند وزمان أو»، ص٩٣.

(٩٢)ربما كان ابن عم السيد مطلب المشعشعي السيد جود الله والي الحويزة حينها.

(٩٣)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٣٢٢، وكارستن نيبور، نفس المصدر، ص١٧٥ و٢٠٥ – ٢٠٦.

(٩٤)محمد صادق نامي موسوي، نفس المصدر، ص١٤٤.

(٩٥)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٤٤ـ١٤٥.

(٩٦)على هذا فإن كسروي لم يعط الموضوع حقه في موضعين مختلفين: الأول عند نقل كلام نيبور والآخر حول هزيمة البريطانيين على يد الشيخ سلمان.

(٩٧)محمد صادق نامي، نفس المصدر، ص١٣٦.

(٩٨)نفس المصدر، ص١٣٩.

(٩٩)نفس المصدر، ص١٣١.

(١٠٠)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٣٢٢.

(١٠١)مبلغ ٣٠٠ تومان من بني كعب يعتبر لا شيء مقارنة بمبلغ ٢٠٠٠٠تومان من أهالي تستر ودزفول. لهذا يعتبره نيبور «مبلغاً زهيداً».

(١٠٢)عبد الأمير أمين، «منافع بريتانيا در خليج فارس»، ص١٢٦.

(103) Factory Record Letters etc. Vol. 21. Report by Henry Moore, The Agent at Basra on Origin of Ka› b. April. 2, 1769

(جميع المصادر البريطانية من الآن فصاعداً تكون نقلاً عن هذا الكتاب).

(104) Bombay Public Consultation, Vol. 28. Letters from Basra Aug. (B.P.C) 14. 1765

(١٠٥) نفسه.

(106) F.R. Letters etc., Vol. 16 A tremslation of anundated Letter from shikh salman

(107) Despatches To Bombay, Letter To Bombay, March 12, 1767

(١٠٨)برويز رجبي، «كريم خان زند وزمان أو»، ص٩٤.

(١٠٩)عبدالأمير أمين، نفس المصدر، ص١٣٥.

يعتقد مؤلف «قبائل كعب. من الماء إلى الماء» أن الحرب بين الكعبيين والبريطانيين دامت ستة أشهر. ويؤكد أن البريطانيين فرضوا الحصار على الكعبيين سنتين. نفس المصدر، ص٢٦٦.

(١١٠)برويز رجبي، نفس المصدر، ص٩٤.

(١١١)عبد الأمير أمين، نفس المصدر، ص١٣٥.

(١١٢)عبد الأمير أمين، نفس المصدر، ص١٣٦.

(113) F.R. Letters, etc, Vol. 16 sept, 25, 1766

(114) F.R. Letters, etc., Vol. 16

(١١٥) تفاصيل هذه المعركة ومقاومة الكعبيين سترد في المبحث التالي تحت عنوان «معركة أبو طوق» عن لسان الحاج عبد الله الشويكي.

(116) B.P.C., Vol. 30. Letters from Basra, Jan.31, 1767

(117) B.P.C., Vol. 30 Jan. 18, 1767

(١١٨)عبدالأمير أمين، نفس المصدر، ص١٤١.

(١١٩)نفس المصدر، ص١٤٢.

(120) B.P.C., Vol. 30. Jan. 18, 1767

(121) B.P.C., Vo;. 30. sept. 11, 1767

(١٢٢) عبد الأمير أمين، نفس المصدر، ص١٤٥.

(١٢٣) نفس المصدر، ص١٥١.

(١٢٤)ربما كان محمود كخيه من قادة الجيش العثماني.

(١٢٥)نص ما كتبه الحاج علوان هو: «... مستر زبيد الفرنجي صاحب الطوق المجوهر»: وهذا الشخص هو المعروف بـ«أبو الطوق» الذي يتحدث عنه أهل الفلاحية.

(١٢٦)هذه هي العبارة التي استخدمها الحاج علوان: «... ونخت قومها». والنخوة عند عرب خوزستان هي نداء الاستغاثة وطلب المساعدة. واذا كان مصدر النداء امرأة أو فتاة كانت الإجابة أوجب وأسرع ولا يقبل خلافها عذر. إن عدم إجابة المرأة عند استغاثتها يعتبر عند العرب عاراً مخلاً بالسمعة.

(١٢٧)عشيرة «مقدم» التي تسمى محلياً «مجدم» ومعها عشيرة آلبوغبيش من العشائر العربية الكبيرة التي تنتشر في الفلاحية والمحمرة ومدينة الأهواز وعبادان.

(١٢٨)الحاج علوان بن عبد الله الشويكي، نفس المصدر، ص٣١– ٣٥. يذكر أنه عند النقل عن كتاب الحاج علوان حول هذه الحادثة قفزت الترجمة على بعض الإيضاحات الزائدة والمواضيع الأقل أهمية. وجدير بالذكر أيضاً أن الحاج علوان سمى المعتدين الإفرنجة ولم يستخدم كلمة «بريطانيين». وبما أن الحاج عبد الغفار نجم الملك والحاج جابر وحتى نيبور لم يذكروا إلاّ البريطانيين فلابد أن «الإفرنجة» هم البريطانيون. ويذكر أن بعض أهالي الفلاحية يسمون المعتدين البرتغال. ولكن الشواهد تدل على عدم استقامة هذا القول.

يقول الملا فاضل السكراني في قصيدته:

أحب ثوارك الثاروا واحبها الهلهلت لافعال ثوارك

أحب أحرارك الصدوا جيوش العزموا يمحون آثارك

أحب زلمك القصوا راس أبو طوك اليدنس راد شنيارك

أحب قومك الهزموا جيش أبو طوب ورجع مغلوب المعارك

ملا فاضل الحاج يعقوب السكراني، «ديوان السكراني»، ص٥٠.

(١٣٠)حاج عبد الغفار نجم الملك، «سفرنامه ي خوزستان»، ص١١٠.

(١٣١)باور فراهاني، «جنك إيران وانكليس در محمره»، ص٥٢.

(١٣٢)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٣٢٢.

(١٣٣)من أسباب عدم هجوم كريم خان زند بعد سنة ١١٧٨هـ التفوق البحري للكعبيين. فالزنديون حتى بعد وفاة الشيخ سلمان وفي سنة ١٢٠٠هـ اكتفوا بنهب المواشي والحيوانات من الكعبيين.

(١٣٤)برويز رجبي، نفس المصدر، ص٩٣.

(١٣٥)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٣٢.

(١٣٦)برويز رجبي، نفس المصدر، ص٩٤.

(١٣٧)تضمنت الرسالة التي بعثها والي بغداد عمر باشا إلى كريم خان زند بهذا الموضوع وطلب والي بغداد من كريم خان زند أن يؤدب الرعايا العثمانيين. ميرزا محمد صادق نامي، نفس المصدر، ص١٢٧.

(١٣٨)استمرت الاشتباكات ستة أشهر من آذار / مارس ١٧٦٦م حتى تشرين الأول / أكتوبر من السنة نفسها.

(١٣٩) مصدر سابق.

(١٤٠) مصدر سابق.

(١٤١)العنقاء طائر أسطوري لم يره أحد، و«وجود العنقاء» كناية عن عدم وجود الشيء أو استحالة وجوده.

(١٤٢)السيد عبد الله الجزائري، نفس المصدر، ص٢٠٣-٢٠٤.

(١٤٣)كذلك يتحدث قائد فوج فراهان في الحرب البريطانية الايرانية في المحمرة سنة ١٢٧٣هـ في مذكراته عن جزيرة سلمان بن غضبان قرب المحمرة، وليس معلوماً أين تقع تلك الجزيرة(ياور فراهاني، جنك إيران و...).

(١٤٤)محمد صادق نامي موسوي، نفس المصدر، ص١٢٧.

(145) B.P.C. Vol. 32. Letters from Basra, Oct. 15. 1769

(١٤٦) علي نعمة الحلو، نفس المصدر، ص٢٧٣. يذكر أن كسروي لم يضمّن كتابه أية إشارة لهذه الحادثة.

(147) F.R. Letters, etc., Vol. 17. Letter from Moore to C.D., Jan. 16, 1779

(١٤٨) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٤٧. يذكر أحد المصادر مشاركة رجال الشيخ بركات في محاصرة البصرة بأربع عشرة سفينة كبيرة ويؤكد أنه لولا تعاون الكعبيين مع صادق خان لما أمكن فرض الحصار. عقيل حياوي الكعبي، نفس المصدر، ص٢٧٧.

(١٤٩) نفس المصدر.

(١٥٠) يؤكد كسروي في الصفحة ١٤٨ نقلاً عن مختصر تاريخ كعب (تاريخچه ي كعب) أن «الشيخ بركات زحف بجيشه على رامهرمز وهندكان واستولى عليها.» ولكن بما أن محمد صادق نامي لم يذكر شيئاً عن مشاركة الكعبيين في محاصرة البصرة فإن «مكافأة التضحيات» يعني تسليم هنديجان يكون عارياً عن الصحة أيضاً.

(١٥١)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٤٢.

(١٥٢)عقيل حياوي الكعبي ، قبائل كعب - من الماء إلى الماء، ص٢٥٥.

(١٥٣)تاريخ كيتى كشا،نفس المصدر، ص١٩٦.١٩٧.

(١٥٤)عقيل حياوي الكعبي، نفس المصدر، ص٢٧٧.

(١٥٥)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، ص٢٧٣-٢٧٥، تحت عنوان «معركة الرقة».

(١٥٦)يؤكد مؤلف «قبائل كعب - من الماء إلى الماء» أن الشيخ بركات خطب مريم بنت الشيخ عبدالله الصباح لأحد أولاده ولكن الشيخ عبد الله رفض تزويجها منه. نفسه، ٢٨٦. عقيل حياوي الكعبي، نفس المصدر، ص٢٨٨.

(١٥٧) «... إن وقائع أيام غضبان ما تحصى ولم تعد ولا يطيق لها الأوراق»؛ تاريخ الإمارة الكعبية...، ص٤٢.

(١٥٨)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٤٣ -٤٤.

(١٥٩)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٤٨.

(١٦٠)ميرزا صادق نامي موسوي، نفس المصدر، ص٢٩٩.

(١٦١)حينئذ كان الشيخ جراح هو شيخ قبيلة آل خميس وقد طلب الأمان. عقيل حياوي الكعبي، نفس المصدر، ص ٢٩٠.

(١٦٢)عقيل حياوي الكعبي، نفس المصدر، ص ٢٩٠.

(١٦٣)علي نعمة الحلو، نفسه، ص٢٧٧.

(١٦٤)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٣١٩، كذلك أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٤٨.

(١٦٥)نفس المصدر، ص١٥٣.

(١٦٦)نفس المصدر.

(١٦٧)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثاني، ص٢٧٩.

(١٦٨)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٤٦.

(١٦٩)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، ص ٢٨٠.

(١٧٠)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٤٧.

(١٧١)جدير بالذكر أن المصادر التاريخية لم تشر أبداً إلى هذه المعركة. الحاج علوان الشويكي وحده يتحدث عن مجيء الأمير سنة ١٢٣٣هـ وعودته دون قتال؛ (تاريخ الإمارة الكعبية، ص٤٧).

(١٧٢)هناك خطآن في كتاب كسروي بخصوص عزل الشيخ غيث. الأول أنه يذكر أن عزله تم سنة ١٣٣١هـ وهذا خطأ والصحيح سنة ١٢٣١هـ. والثاني أنه أخطأ في اسم الشيخ عبد الله بن محمد فذكره باسم الشيخ عبد العلي ابن الشيخ محمد. مثل هذه الأخطاء كثيرة في القسم الخاص بالكعبيين وذلك دليل على تسرع كسروي وعدم دقته في هذا القسم.

(١٧٣) علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثاني، ص٢٨١- ٢٨٣.

(١٧٤) علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثاني، ص٢٨٣-٢٨٧.

(١٧٥)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٤٧-٥٣.

(١٧٦)نفس المصدر، ص٦١-٦٤.

(١٧٧)اللورد كرزن، نفس المصدر، ص٣٩٣.

(١٧٨)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٥٩.

(١٧٩)نفس المصدر، ص١٥٩.

(١٨٠)إنعام مهدي علي السلمان، نفس المصدر، ص٧. حالياً يطلق اسم بيان على قرية على الضفة اليمنى من كارون تبعد ٢كم من أقصى النهر.

(١٨١)ما زالت «الحفار» و«المحرزي» تسمى بهذه الأسماء. قيل الكثير في وجه تسمية المحمرة وهي من الحمرة أُضيف اليها التاء لأن المدينة بالعربية مؤنثة. وقال البعض إنه كان يزرع فيها الأرز وكان معظم المحصول منه أحمر اللون فسميت المدينة المحمرة. بينما عزا البعض التسمية إلى احمرار ماء نهرها عند الغروب. فيما ذهب بعض إلى أن الترسبات الطينية الحمراء من السيول هي سبب التسمية. إنعام مهدي علي السلمان، نفسه.

(182)Iran Ministry of foreign Affairs Archives. Karguzar to the Ministry of foreign Affairs. «Files of the English Dept.» 13. [1902/1903] Vol. 177, 29 Rajab 1320 [oct. 23. 1902]

(١٨٣)نقلاً عن مصطفى أنصاري، نفس المصدر، ص٥٥.

(١٨٤)في الصفحة ١٦٣ من تاريخ بانصد ساله ي خوزستان يقول أحمد كسروي إن تسمية المحمرة وردت لأول مرة سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٦م) في عهد الشيخ غيث. وهذا ليس صحيحاً فإن التسمية تعود إلى سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م).

(١٨٥)اللورد كرزن، نفس المصدر، ص٣٥٩.

(١٨٦)عبد العزيز سليمان نوار: «العلاقات العراقية الإيرانية: دراسة في دبلوماسية المؤامرات»، ص٧٥ و٧٦. نقلاً عن إنعام مهدي السلمان.

(١٨٧)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثالث، ص١٣.

(١٨٨)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٣٢١.

(١٨٩)نفس المصدر.

(١٩٠)عباس العزاوي، نفس المصدر، ج٧، ص٣٨، يورد كسروي مقاطع من هذه القصيدة في كتاب تاريخ بانصد ساله ي خوزستان.

(١٩١)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثالث، ص٢٢. كذلك انظر: يوسف عزيزي، نفس المصدر، ص٨٥.

(١٩٢)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٦٤.

(١٩٣) علي أصغر شميم، «إيران در دوره ى سلطنت قاجار قرن سيزدهم ونيمه أول قرن جهاردهم قمري»، ص٢٠٤.

(١٩٤)أصغر جعفري ولدابي «بررسي تاريخي اختلافات مرزي إيران وعراق»، ص٩.

(١٩٥)عباس العزاوي، نفس المصدر، ج٧، ص٣٨.

(١٩٦)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٣٢٠.

(١٩٧)ميرزا محمد تقي لسان الملك سبهر؛ «ناسخ التواريخ»، ص١٢٦.

(١٩٨)نفس المصدر.

(١٩٩)اللورد كرزن، نفس المصدر، ص٣٩٣.

(٢٠٠)تقع قرية ويس على بعد ٢٥كم شمال مدينة الأهواز.

(٢٠١)السير أوستن هنري لايارد، «سيرى در قلمرو بختياري وعشاير بومي خوزستان» ، ص٨٦.

(٢٠٢)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٣٢٢.

(٢٠٣)السير أوستن هنري لايارد، نفس المصدر، ص٨٦.

(٢٠٤)نفس المصدر، ص٨٩.

(٢٠٥)ميرزا أحمد وقايع نكار شيرازي، «تاريخ قاجاريه»، ص١٩٤.

(٢٠٦)ناسخ التواريخ، نقلاً عن تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٧٢.

(٢٠٧)ميرزا أحمد خان وقايع نكار شيرازي، نفس المصدر.

(٢٠٨) عباس العزاوي، نفس المصدر، ج٧، ص٧٨-٧٩.

(٢٠٩)علي أصغر جعفري ولداني؛ «بررسي تاريخي اختلافات مرزي إيران وعراق»، ص٤٦.

(٢١٠)أرزروم أو أرزن الروم أو أرزنة الروم وتسمى باليونانية ثيودونسيوليس تقع في شرق تركيا. سُميت الاتفاقية بهذا الاسم لأن مباحثاتها عقدت في هذه المدينة. فرهنك (معجم) معين، ج٥، ص١٢٠.

(٢١١)جن. راف. كارثويت؛ «تاريخ سياسي اجتماعي بختياري»، ص١٢١-١٢٣.

(٢١٢)نفس المصدر، ص١٢٤-١٢٥. جدير بالذكر أنه بعد القبض على محمد تقي خان عادت عشائر آل خميس إلى رامهرمز بعد أن كانت غادرتها على أثر مقتل الشيخ مسلت إلى مناطق بين نهر كارون والحويزة.

(٢١٣)نفس المصدر، ص١٢٨.

(214) Rawlinson. «Notes on a march.» P. 104

نقلاً عن: تاريخ سياسي اجتماعي بختياري، ص١٣٦.

(٢١٥)نفس المصدر، ص١٢٩.

(٢١٦)نفس المصدر، ص١٣٠.

(٢١٧)نفس المصدر.

(٢١٨)البارون دوبد،نفس المصدر، ص٤٣.

(٢١٩)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٣٣.

(٢٢٠)نفس المصدر، ص١٣٤.

(٢٢١)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٣٥. يذكر أن أحمد كسروي يتحدث في كتابه عن الوساطة التي قام بها شيخ البحرين بين معتمد الدولة ومحمد تقي خان والتي جاءت إثر رسالة بعثها إليه الشيخ ثامر. وكان من نتائج الوساطة أن تقرر أن يبعث معتمد الدولة أحد أقربائه إلى الفلاحية ليمنح محمد تقي خان الأمان ويجلبه إليه ثم يقوم ثامر بإرسال نسائه وأبنائه. (تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٦٩).

(٢٢٢)نفس المصدر، ص١٣٦.

(٢٢٣)لم يذكر أحمد كسروي في كتابه شيئاً عن مطالبة معتمد الدولة بهدية بل أشار إلى أن منوجهر خان معتمد الدولة أحسن معاملة ثامر وأعاده إلى الفلاحية.

(٢٢٤)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثاني، ص٢٩٢.

(٢٢٥)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٣٥.

(٢٢٦)علي نعمة الحلو، نفس المصدر.

(٢٢٧)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٣٦- ١٣٨.

(٢٢٨)سبق أن أسند والي بغداد علي رضا باشا حكم الكعبيين إلى عبدالرضا مكافأة له على دوره في الهجوم على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ غير أن الكعبيين رفضوه بسبب خيانته لهم فهرب من الفلاحية.

(٢٢٩)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثاني، ص٢٩٣.

(٢٣٠)مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٥٧.

(٢٣١)السير أوستن هنري لايارد، نفس المصدر، ص٥٤.

(٢٣٢)نفس المصدر، ص٤٢.

(٢٣٣)نفس المصدر، ص٥٥

(٢٣٤)نفس المصدر، ص٢٦٦.

(٢٣٥)نفس المصدر، ص٢٨٢.

(٢٣٦)نفس المصدر، ص٢٨٤.

(٢٣٧)أكد كل من الحاج عبد الغفار نجم الملك في «سفرنامه ي خوزستان» وياور فراهاني لدى حديثه عن الحرب البريطانية الإيرانية في المحمرة ، المظالم والاعتداءات التي ارتكبها المسؤولون الحكوميون.

(٢٣٨)العقيد لوفتوس، «نخستين كاوشكر شوش» . هذا الكتاب يقع في ٤٤ فصلاً قام بترجمته مؤخراً السيد عباس رودبند ومن المقرر أن تتولى مؤسسة خوزستان شناسي طبعه ونشره. نقلاً عن الفصل الثاني، ص١٩ من الكتاب واسمه الأصلي Travels And Researches in chaladaea and Susiana ومؤلفه العقيد وليم كنت لوفتوس.

(٢٣٩)نفس المصدر، ص٢٧٤.

(٢٤٠)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٣٤-١٣٥.

(٢٤١)عبدالرضا بن بركات بن عثمان بن سلطان الكعبي من أسرة آل ناصر.

(٢٤٢)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٧١.

(٢٤٣)الحاج عبد الغفار نجم الملك، نفس المصدر، ص١٠٧.

(٢٤٤) مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٥٥.

(٢٤٥) نفس المصدر، ص٥٤.

(٢٤٦) نفس المصدر، ص٥٨-٥٩.

(٢٤٧) نفس المصدر، ص٥٩-٦٠.

(٢٤٨)نفس المصدر

(٢٤٩)نفس المصدر، ص٦٢.

(٢٥٠)نفس المصدر

(٢٥١)نفس المصدر، ص٦٣.

(٢٥٢)نفس المصدر، ص٦٣-٦٤، اللافت للنظر أن الحاج عبد الغفار نجم الملك الذي زار الفلاحية سنة ١٢٩٩هـ ذكر أن عدد المسلحين المرافقين للشيخ رحمة كان لا يقل عن عشرة آلاف. سفرنامه ي خوزستان، ص١٠٥.

(٢٥٣)يعتقد مصطفى الأنصاري أن شيوخ آلبوكاسب لم يريدوا لسلطة بني كعب أن تصل إلى حد الانهيار، لأنهم كانوا يعتبرونهم بمثابة سد منيع للاعتداءات البختيارية.

(٢٥٤)نفس المصدر.

(٢٥٥)مصطفى الأنصاري، ص٦٣.

(٢٥٦)جدير بالذكر أن الجدول الذي يعرضه يوسف عزيزي في «قبائل وعشائر خوزستان العربية» هو نفسه المعروض في «تاريخ الأهواز» لعلي نعمة الحلو وبذلك يكون قد نقل أخطاء علي نعمة الحلو بعينها.

(٢٥٧)بعد هجوم والي بغداد عليرضا باشا على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ واحتلال المدينة قام بتعيين الشيخ عبدالرضا حاكماً لبني كعب ولكنّ رفض الكعبيين له، لم يمهله سوى بضعة أشهر غادر بعدها الفلاحية فعاد الشيخ ثامر إلى منصبه ثانية.

(٢٥٨)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٤١.

(٢٥٩)السيد عبد الله الجزائري،نفس المصدر، ص٢٠٣.

(٢٦٠)بلغ عمل الشيخ سلمان من العظمة وموقف كريم خان الزند من الدناءة حداً جعل حتى كسروي يصف عمل الأخير بأنه من «قبائح الأعمال».

(٢٦١)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٢٢٢.

(٢٦٢) الحاج عبد الغفار نجم الملك الذي زار الفلاحية سنة ١٢٩٩هـ يذكر هذا الموضوع في كتابه بشكل آخر. انظر: سفرنامه ى خوزستان، ص١١٠– ١١١.

(٢٦٣) يبدو أن الكعبيين تخلصوا من هذه العادة الذميمة بمرور الزمان واتجهوا إلى طريقة أفضل وأكثر مسالمة فصاروا يغيّرون زعماءهم دون اللجوء إلى القتل.

(٢٦٤)الشيخ فتح الله الكعبي، نفس المصدر، صفحة ١٨–٢٠.

(٢٦٥)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٢.

(٢٦٦) يذكر أن أحمد كسروي ينسب بني كعب آل ناصر إلى بني كعب قبان أي الشيخ بدر بن عثمان وهذا من أخطاء كسروي ونواقصه. أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٣٥.

(٢٦٧)ورنر كسكل، نفس المصدر، ص٧٨.



الفصل السادس

آلبوكاسب

أصل آلبوكاسب ونسبهم

إبان حكم الكعبيين كان مقر شيخ المشايخ [1] في الفلاحية ، أمّا الشيوخ الذين تحت إمرته فيقيم كل واحد منهم مع عشيرته في منطقة أو مدينة. وكانت المحمرة واحدة من المدن التابعة لحكم الكعبيين وكان حاكمها يأتمر بإمرة شيخ مشايخ الفلاحية. ولا تتوافر معلومات دقيقة عن أول حاكم للمحمرة، بيد أن الكتب والمصادر المعتبرة تفيد بأن الشيخ مرداو بن علي آلبوكاسب كان شيخ المحمرة في [العقد] الثالث من القرن الثالث عشر (حوالي سنة ١٢٢٧هـ)[2]. ويستفاد من هذا أن الشيخ مرداو بصفته شيخ عشيرة أو قبيلة في المحمرة ،لابد أنه كان تابعاً لشيخ مشايخ الفلاحية باعتبار أن المحمرة كانت ضمن منطقة نفوذ الكعبيين. وما يؤيد ذلك خلافة أبناء الشيخ مرداو له بعد وفاته وانتقال إدارة المحمرة إليهم.

هناك الكثير من الأقوال والإشاعات في أصل آلبوكاسب ونسبهم. إنها أقوال وإشاعات تتراوح بين المؤيدين لآلبوكاسب والمعاندين لهم ، كل حسب درجة حبه وبغضه لهم. فثمة من يرى أنهم من أهالي دشتستان في محافظة بوشهر، والبعض يعتقد بأنهم من هنديجان والبعض يقول إنهم ليسوا عرباً وهناك من يقول انهم هنود. ومما زاد الأمر تشعباً وشجع على اتساع الإشاعات تولي شيوخ آلبوكاسب لرئاسة تحالف المحيسن وكذلك العصبية القبلية. غير أن المصادر والكتب التاريخية المعتبرة وكذلك الدراسات الميدانية ومحاورة أخلاف هذه العشيرة تكشف عن أن أصل آلبوكاسب هو كعبي [3]. إنهم من القبائل التي كانت تسكن القبان وعندما هاجر الكعبيون من القبان إلى الدورق سنة ١١٦٠هـ كانوا من الذين بقوا في القبان ثم نزحوا بعد ذلك إلى منطقة هميلي [4].

وفي عهد جدهم الأكبر كاسب انتقلوا من هميلي إلى المحمرة[٥]. وقد أسلفنا أن كعباً من القبائل العربية الكبيرة التي هاجرت من الجزيرة العربية وتوزعت على بلدان مختلفة عبر القرون. وذكرنا أيضاً أنه قبل انتقال الكعبيين من دشت ميناو إلى القبان كان في القبان كعبيون آخرون يسكنونها وكان شيخهم الشيخ بدر بن عثمان وكان منهم العالم المعروف الشيخ فتح الله الكعبي. وهؤلاء، رغم كونهم كعبيين، إلاّ أنهم منفصلون عن الكعبيين الذين نزحوا من دشت ميناو ولا تذكر المصادر التاريخية أية قرابة بين الاثنين. ويبدو أن آلبوكاسب هم من هؤلاء الكعبيين. وربما كانوا من أعقاب الشيخ بدر بن عثمان حاكم القبان في عهد علي باشا [٦].

إن عدم القرابة بين آلبوكاسب والكعبيين جعل البعض يتوهم بأنهم ليسوا كعبيين أصلاً. لأنهم يتصورون أن الكعبية تنحصر في بني كعب الفلاحية والعشائر والقبائل المتصلة بها. وما يعزز هذا التوهم قلة عدد أفراد آلبوكاسب وقلة علاقاتهم السببية والنسبية وقلة عدد أسرهم.

وكما سبق أن ذكرنا، فإن أقدم اسم لشخصية من شخصيات آلبوكاسب ورد في المصادر هو الشيخ مرداو أبو الحاج جابر. ويفيد المصدر نقلاً عن المسؤول الحكومي أن اسم شيخ المحمرة والد الشيخ جابر سنة ١٨١٠م (١٢٢٧هـ) هو الشيخ علي بن مرداو. وكان الشيخ مرداو تابعاً لشيخ مشايخ الفلاحية ومسؤولاً أمامه وكان ملزماً بأن يتولى بنفسه نقل احتياجات زوجة شيخ كعب وعائلته من المحمرة إلى الفلاحية ليثبت تبعيته[٧].

بعده أصبح الحاج يوسف بن مرداو شيخ المحمرة والمسؤول عن إدارتها، فقام ببناء ميناء المحمرة بأمر من الشيخ ثامر الكعبي. ثم خلفه على المنصب أخوه الحاج جابر[٨].

الحاج جابر آلبوكاسب

ولد الحاج جابر بن مرداو بن علي بن كاسب سنة ١٢١١هـ (١٧٩٦م). وفي السنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) تولى حكم المحمرة إثر وفاة أخيه الحاج يوسف[٩].

يؤكد الحاج علوان الشويكي أن الشيخ غيث الذي قتل في عام ١٢٤٤ هـ أرسل الحاج جابر إلى البصرة ، ليجلب حاكمها عزيز آغا إلى المحمرة[١٠]. وكان الحاج جابر آلبوكاسب حاكماً على المحمرة عند هجوم والي بغداد عليرضا باشا عليها سنة ١٢٥٣هـ حيث اضطر للانسحاب إلى الفلاحية بعد المقاومة والدفاع عن المدينة[١١]. وفي السنة ١٢٥٨هـ قاد معتمد الدولة هجوماً واسعاً على الفلاحية ثم طارد الشيخ ثامر إلى جزيرة المحرزي ولكنه لم يتقدم صوب المحمرة بالرغم من قربه منها وهو في المحرزي ولم يتعرض للحاج جابر[١٢].

يقول مؤلف «تاريخ بانصد ساله خوزستان» نقلاً عن «ناسخ التواريخ» إن حاكم خوزستان ولرستان في عهد ناصر الدين شاه وهو عمه أردشير ميرزا توجه في السنة ١٢٦٦هـ بالمدفعية نحو خوزستان وأرسل سليمان خان سردار سبه على رأس خمسة آلاف جندي للهجوم على شيوخ العرب. ثم انضم إليه أردشير ميرزا فتم القبض على عدد من شيوخ العرب وكان منهم «الشيخ جابر» ، وبعد إقامة شهر في تستر أرسل الجميع إلى طهران[١٣]. يعتقد كسروي أن «الشيخ جابر» هذا هو نفسه الحاج جابر آلبوكاسب. ولكنه يعود بعد صفحات ليعترف بأنه «غير مطلع على كيفية إطلاق سراحه [الحاج جابر]»[١٤].

يبدو من المستبعد أن يكون «الشيخ جابر» هذا هو نفسه الحاج جابر آلبوكاسب. أولاً لأن ناسخ التواريخ لم يذكر كيفية إطلاق سراحه. ثانياً كيف عاد الحاج جابر حاكماً على المحمرة بعد تمرده وسجنه في طهران؟ وما يؤيد هذا الكلام عودة الحاج جابر خان إلى الحكم سنة ١٢٦٧هـ بعد سنة واحدة من القبض عليه وسجنه في طهران. إضافة إلى ذلك يعتقد اللورد كرزن أنه بعد أن شن عليرضا باشا هجومه على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ وأبدى الحاج جابر مقاومة ضد المعتدين أعادت السلطات الإيرانية منصب حاكم المحمرة رسمياً إلى الحاج جابر[١٥]. فكيف يمكن أن يكون الحاج جابر حاكماً على المحمرة قبل القبض عليه من قبل أردشير ميرزا ويبقى كذلك بعد إطلاق سراحه.

إضافة إلى ذلك فإن المصادر تذكر الحاج جابر آلبوكاسب باسم «الحاج جابر» أو «الحاج جابر خان» ولم تذكره أبداً باسم «الشيخ جابر». الرأي الآخر هو أن يكون «الشيخ جابر» المقبوض عليه شيخ قبيلة الباوية؛ فقد كان للباوية شيخ بهذا الاسم[١٦].

الحاج جابر خان، الحكيم والذكي

يعتبر الحاج جابر بن مرداو من أذكى الرجال وأحسنهم تدبيراً. لقد فهم الأوضاع المحيطة به من حيث صعود القوى وهبوطها ، فهماً صحيحاً وعمل على استغلالها في تقوية حكمه وتثبيت موقعه. إن هجوم منوجهر خان معتمد الدولة على الشيخ ثامر وهروب الشيخ ثامر من الفلاحية جعل الحاج جابر يفكر في التقرب من الحكومة المركزية. لهذا الغرض قام بعدد من الإجراءات التي أكسبته ثقة السلطة القاجارية وزادت من سلطته ونفوذه.

ظهرت أول بادرة لقدرة الحاج جابر خان في سنة ١٢٦٧هـ ، حيث أصبح خانلر ميرزا حشمة الدولة عم ناصر الدين شاه حاكماً على عربستان. وصادف في تلك السنة أن انتشر الطاعون في المحمرة ، فهلك على أثره عدد من الجنود وفر آخرون. في تلك الظروف رفع جماعة راية التمرد واستولوا على قلعة جزيرة الخضر(عبادان). وكان حاكم البصرة يغذي التمرد خفية. حينها تطوع الحاج جابر لإخماد الفتنة، فنهض لمقاتلة المتمردين واستطاع بعد أن سقط قتلى من الجانبين، أن يطردهم من قلعة جزيرة الخضر وهكذا عُرفت مواهبه القيادية.

وبعد سنتين، أي في عام ١٢٦٩هـ انتشر الطاعون في المحمرة وتفشى في الجنود ومن سلم منهم فكر في الهرب؛ فلجأ قادتهم إلى الحاج جابر خان فأرسل فصيلاً من الرجال المسلحين العرب في أثر الفارين فسدوا الطريق عليهم وأعادوهم جميعاً إلى معسكرهم.

ولكن الطاعون اشتد بعد فترة فحصد أرواح ستة من قادة الجيش و١٥٠ من الجنود. أمّا الباقون فكانوا بين راقد وهارب ولم يكن في وسع أحد أن يمنعهم. فخلت

قلعة الجزيرة من الحراس وكان الاتصال بخانلر ميرزا متعذراً فلجئوا إلى الحاج جابر مرة أخرى فأرسل ابنه الشيخ محمد وكان برتبة عقيد مع مائة رجل مسلح عربي إلى القلعة لحراستها(١٧).

هذه الخدمات الكبيرة التي قدمها الحاج جابر أكسبته ثقة القاجاريين ودعمهم فأخذ يتقرب اليهم يوماً بعد يوم. مع هذا فلم يكن حتى ذلك الحين أكثر من حاكم للمحمرة وما حولها. وكان من نتائج إدارته الناجحة أن انقطع حبل تبعيته لشيخ مشايخ الفلاحية(١٨).

إن حرب إيران مع بريطانيا في المحمرة سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٧م) مثلت ذروة كفاءة الحاج جابر خان القيادية . فبعد المعركة أسند خانلر ميرزا أمور عشيرة الباوية إلى الحاج جابر وقام ناصر الدين شاه بترفيعه إلى رتبة عميد أول. ويحتمل أنه في تلك السنوات ونتيجة لما قدمه الحاج جابر من خدمات للدولة القاجارية عين « حافظ حدود» المحمرة وتوابعها.

كانت الدولة القاجارية تختار أشخاصاً تسند إليهم مهمة «حفظ الحدود» لحماية الحدود من هجمات الأجانب. وكانت وسيلتها إلى ذلك تشجيع الشيوخ والوجهاء والمتنفذين على المشاركة في الدفاع عن الحدود من أجل ضمان الاستقرار الداخلي. في المقابل كان لقادة الحدود صلاحية تأمين مصاريفهم من الضرائب السنوية. كانت هذه السياسة مُرْضَية لطرفيها حكومة الولاية وحافظ الحدود. أمّا حكومة الولاية فكانت تتخلص من أعباء الاحتفاظ بجيش منظم كبير. وأمّا قادة الحدود فكانوا في راحة من وجود مثل هذا الجيش في مناطق نفوذهم. وكان أحد قادة الحدود في عربستان السيد علي الطالقاني المسؤول عن حدود مناطق البسيتين والحويزة. أمّا الآخر فكان كريم خان يار أحمدي من عشيرة يار أحمدي الفارسية وكان مسؤولاً عن المناطق الحدودية في شمال عربستان. أمّا الحاج جابر فكان حافظ حدود المحمرة وتوابعها وكان المسؤول عن حراسة الحدود المائية لشط العرب(١٩).

الحرب الإيرانية البريطانية في المحمرة

تعتبر الحرب الإيرانية البريطانية التي وقعت سنة ١٢٧٣هـ من العوامل التي ساعدت على صعود نجم الحاج جابر. لقد أظهر الحاج جابر ورجاله من البسالة والصمود ما أصبح حديث الجميع وكان سبباً في مزيد من اقتراب الحاج جابر إلى السلطة. ومما زاد في روعة تلك البطولة أنها تزامنت مع هروب عم ناصر الدين شاه، خانلر ميرزا، من جبهة القتال تاركاً الحاج جابر ورفاقه يقاومون الغزاة وحدهم.

لقد أصبح أمر ناصر الدين شاه إلى سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة بالاستيلاء على مدينة هرات سنة ١٢٧٢هـ (١٨٥٧م) وما فعله الأخير من اقتحام المدينة وقتل الناس، أفضل ذريعة بيد البريطانيين. فقامت الحكومة البريطانية بارسال أسطولها البحري إلى الخليج انتقاماً من الإيرانيين ودعماً للهند، فاحتلت مدينة بوشهر وأطرافها. بالمقابل، حشدت الحكومة القاجارية قواها العسكرية من كل مكان لغرض مجابهة البريطانيين. وقام حاكم خوزستان خانلر ميرزا عم ناصر الدين شاه بتجهيز جيش كبير وقيادته إلى المحمرة بصحبة ابنه إبراهيم ميرزا منعاً لسقوطها بيد البريطانيين. يقول ياور فراهاني وكان من قادة فوج فراهان ودوّن مشاهداته في سجل إن عدد جنود خانلر ميرزا كان يتراوح بين ٨٠٠٠ و ٩٠٠٠ جندي[٢٠]. واللورد كرزن أيضاً يقدر عدد الجنود بثمانية آلاف[٢١].

بعد وصول جيش خانلر ميرزا إلى المحمرة عبر نهر بهمن شير ونهر الكارون أقام لمدافعه مواضع في جزيرة الخضر (عبادان الحالية) في الجانب الآخر من المحمرة على ضفاف شط العرب. وانضم إليه حاكم المحمرة الحاج جابر مع رجاله المسلحين العرب. إلاّ أن الجيش الإيراني ترك ساحة القتال للبريطانيين في اليوم نفسه بسبب خوف خانلر ميرزا وانعدام الانضباط والنظام بين الجنود والقيادة. وكان لتوزيع القطعات وطريقة تنظيم المواضع وكذلك الاستخفاف بالحرب من قِبل القيادات دور مهم في الهزيمة.

لقد اتبع قادة جيش خانلر ميرزا منذ البداية أسلوب التملق والتزلف فأخذوا يطلقون التعليقات الهازئة إرضاء له. يقول ياور فراهاني في هذا: «كان خانلر ميرزا يقول دائماً إن البريطانيين لا يملكون القدرة على محاربتنا ونحن لا نخشاهم. في ظل هذا الجهل اتفق القادة سراً على أن لا يثيروا الموضوع أمامه. بل إن التملق بلغ ببعضهم حداً جعلهم ينتهجون الاستهزاء والحط من قدر البريطانيين وقوتهم العسكرية حتى وصلت الأمور إلى حالة جنونية إذ يقول أحد القادة: «اسمح لي يوم القتال أن أحمل السفينة تحت إبطي وأجلبها إلى هنا» ويقول آخر: «سأقاتل يداً للسيف ويداً للنرجيلة»[٢٢]. في مثل تلك الأوضاع وحين كان القادة يطلقون مثل هذه التعابير الهازئة كان الحاج جابر يفكر باهتمام وقلق في طريقة لمواجهة البريطانيين وتنظيم الصفوف فطلب من خانلر ميرزا أن ينظم القوات والمواضع على نحو معين. ولكن خانلر ميرزا لم يعره أذناً صاغية ولم يحمل أفكاره على محمل الجد، وراح يصغي لكلام قادته المتملقين المغرضين وينفذ مقترحاتهم. لقد كان كلاماً «أوصل الأمور إلى حالة من الجنون» على حد قول ياور فراهاني.

لم يمنع صمود الحاج جابر خان ورفاقه وشجاعتهم البريطانيين من الانتصار في تلك المعركة. ولا شك أن جبن خانلر ميرزا وسوء قيادته كانا سببا أساسيا في تلك الهزيمة إضافة إلى ما كان يعاني منه ابنه إبراهيم ميرزا من خوف وفقدان للروح المعنوية[٢٣]، طبعا لم يكن ممكنا أن يفعل الجيش الإيراني شيئا في مثل تلك الأوضاع. لذا انتاب خانلر ميرزا الذعر والاضطراب فور هبوط القوات البريطانية من السفينتين الحربيتين إلى أرض المحمرة يوم الخميس ٢٩ رجب ١٢٧٣هـ (٢٦ آذار / مارس ١٨٥٧م) بدلا من الثبات والمقاومة أمامهم فاستدعى جنوده من الملاجئ وأضرم النار في مخزن العتاد وتفرق الجيش وتوجه نحو مدينة الأهواز. وبعد أربعة أيام وصل خانلر ميرزا إلى الأهواز وكان البريطانيون في إثره يلاحقونه في ثلاث سفن. ولم يبق خانلر ميرزا هناك من شدة الخوف بل سارع إلى الذهاب إلى تستر. حتى إنه ترك جرحاه ومرضاه في

المحمرة دون إخلاء أو معالجة وقام البريطانيون بمعالجة من عثروا عليه ،فيما هلك آخرون بسبب الإهمال.

ياور فراهاني بعد أن يتحدث عن شجاعة أهالي نهر هاشم والحويزة وثباتهم يقول مادحاً شهامة العرب وغيرتهم: «يعلم الله أن الحمية التي شوهدت من جميع سكان تلك الولاية لم تشاهد من أي شعب آخر. فمع الظلم الفادح الذي تعرض له العرب على أيدي أصحاب السمو على مدى سنوات طويلة كنا نتصور أنهم سينتهزون أول فرصة لانهزام الجيش ، فينقضون على الجنود ويجردونهم من ثيابهم ويقتلونهم. ولكن الذي حدث بعد تلك المعركة كان العكس تماماً. حيث لم يستجيبوا لإصرار البريطانيين عليهم بالانخراط في الجيش البريطاني . إن الإنسان ينبغي أن يكون منصفا، لو أن عربياً واحداً شعر بأن الشيوخ والمتنفذين العرب يرغبون في الفتك بالجنود لما وصل جندي واحد إلى تستر سالماً»(٢٤) .

خيانة خانلر ميرزا

إن خانلر ميرزا بعد أن هرب من المحمرة وصل إلى مدينة الأهواز وفي الطريق دعاه سادات نهر هاشم وحاكم الحويزة المولى محمد المشعشعي إلى الصمود ومقاومة البريطانيين ووضعوا كل إمكاناتهم ومقاتليهم تحت تصرفه لهذا الغرض(٢٥). ولكن الخوف والجبن كانا قد أخذا منه مأخذاً فلم يتأثر بكلامهم. وحين وصل البريطانيون إلى مقربة من الأهواز خرج منها خانلر ميرزا قاصداً تستر، فاستولى البريطانيون على مدينة الأهواز.

يبدو أن معاهدة صلح عقدت بين إيران وبريطانيا في باريس في السابع من رجب ولكن قوات الطرفين لم تبلغ بذلك. لهذا نشب القتال بين الجانبين بعد هذا التاريخ باثنين وعشرين يوماً، أي في ٢٩ رجب(٢٦) . والسبب في ذلك يعود إلى انعدام الاتصال التلغرافي بين إيران وأوروبا أو الهند وأوروبا. كما أن قناة السويس لم تكن حينئذ قد

حفرت بعد ، فكان الاتصال بين إيران أو الهند مع أوروبا يتم عبر المحيط ورأس الرجاء الصالح. وهكذا لم يصل خبر المعاهدة إلى القوات العسكرية إلاّ بعد نشوب القتال.

وتتضح خيانة خانلر ميرزا أكثر اذا علمنا أن الكابتن البريطاني هنت يقول إن الإيرانيين، بقليل من الشجاعة والجرأة، بمقدورهم أن يقضوا علينا أو يلحقوا بنا أضراراً فادحة على أقل تقدير. غير أن خانلر ميرزا لم يعاقب أبدا ولم ينل جزاء فعلته. بل على العكس، استطاع بتقديم الرشوة إلى رئيس الوزراء أن يحظى بعنايته ويحصل على خلعة وسيف. يقول اللورد كرزن: «في الوقت الذي كان خانلر ميرزا يستحق الإعدام أعطى رشوة إلى رئيس الوزراء مقدارها ٨٠٠٠ ليرة أي ما يعادل ليرة واحدة عن كل هارب ، وحصل بالمقابل على خلعة وسيف»[٢٧]. وهذا يدل أكثر ما يدل على فساد الحكومة[٢٨].

صعود نجم الحاج جابر

بعد هزيمة الجيش الإيراني بقيادة خانلر ميرزا في الحرب الإيرانية البريطانية في المحمرة سنة ١٢٧٣هـ صعد نجم الحاج جابر وتألق اسمه يوما بعد يوم [٢٩]. ففي سنة ١٢٧٤هـ أسند خانلر ميرزا مسؤولية عشيرة الباوية إليه. ويروي أحمد كسروي استنادا إلى الأمر الصادر من خانلر ميرزا أنه «لو قام الحاج جابر خان بقتل الباوية جميعا فإنه مأذون من قبلي»[٣٠]. وتأتي أهمية هذا الأمر من كونه يؤكد اتساع نفوذ الحاج جابر إلى أبعد من المحمرة للمرة الأولى فتشمل منطقة أوسع. ونظرا إلى أن قبيلة الباوية من كبريات القبائل العربية وتنتشر على أطراف مدينة الأهواز، فهذا يعني أن مساحة نفوذ الحاج جابر باتت أوسع من ذي قبل.

في السنة نفسها عين خانلر ميرزا ،الحاج جابر حاكما على الفلاحية. ولا شك أن ذلك كان مما لا يطيقه الكعبيون ، لأن الحاج جابر سبق أن كان تحت إمرتهم ويتولي شؤون المحمرة. لذا جهز الشيخ لفتة جيشا وهجم على المحمرة للقضاء على الحاج جابر واستطاع جيش تحالف الكعبيين أن يهزم الحاج جابر قرب المنيخ التابعة للمحمرة سنة ١٢٧٦هـ (١٨٠٦م) وأبعدوه عن حكم الفلاحية[٣١].

وفي سنة ١٢٨٤هـ كافأ ناصر الدين شاه الحاج جابر بترفيعه إلى عميد أول ، نظير خدماته الجليلة للدولة القاجارية وحسن إدارته. لقد مهد حسن إدارة الحاج جابر وضعف آل ناصر في الفلاحية لارتفاع نجم الحاج جابر. في تلك السنوات تعرضت مشيخة المشايخ في الفلاحية إلى الضعف نتيجة للضربة الثقيلة التي تلقتها من هجوم منوجهر خان معتمد الدولة وهروب الشيخ ثامر. ومما زاد في هذا الضعف النزاع الداخلي في أسرة آل ناصر على مشيخة المشايخ. ورغم ذلك ومع ارتفاع شأن الحاج جابر فإن قوته وسيطرته كانت في مرتبة أدنى من قوة شيخ مشايخ الفلاحية[٣٢].

حاول الكعبيون في الفلاحية بعد تنامي سلطة الحاج جابر أن يضعفوه عن طريق تقديم المزيد من الضرائب إلى ناصر الدين شاه ، ليستردوا السلطة على المنطقة مرة أخرى وينفردوا بها بدعم من الشاه. ولكن الحاج جابر استطاع أن يقابل الشاه بمساعدة والي بغداد مدحت باشا عندما سافر الشاه سنة ١٨٧١م (١١٨٧هـ) وبعد تبادل وجهات النظر تقرر أن يتولى الحاج جابر جمع ضرائب تلك المناطق والرسوم الجمركية وتسليمها إلى ممثل الشاه في المحمرة. وبعد اللقاء قدم الحاج جابر مبلغاً من المال إلى الشاه كضرائب. فأصدر الشاه أمراً ملكياً منح بموجبه الحاج جابر خلعة ولقب «نصرة الملك» و«أمير تومان». وبهذا تم تثبيت مركز الحاج جابر وإسكات خصومه[٣٣].

بعد أن حاز الحاج جابر خان لقب نصرة الملك ولم يستطع حتى السنوات الأخيرة من حياته التفوق على شيخ مشايخ الفلاحية وبسط سيطرته عليهم ، حاول حشمة الدولة سنة ١٢٩٥هـ إخراج شؤون جباية ضرائب الكعبيين من شيوخهم فعقد اتفاقية مع الحاج جابر، تولى بموجبها الحاج جابر جباية ضرائب مشيخة الكعبيين وكذلك منطقة رامهرمز بالتعاون مع مساعد خانلر ميرزا أسد الله خان وأحد وجهاء تستر. إلا أنه لم يلبث أن تم إبدال حاكم خوزستان العام بضغط من شيوخ الفلاحية بالابن

الأكبر لناصر الدين شاه ، ظل السلطان فأسندت جباية ضرائب بني كعب إلى الشيخ جعفر الكعبي من آل فارس.

تمرّد عشيرة النصّار

عشيرة النصار من العشائر العربية وهي فخذ من بني كعب تسكن في منطقة القصبة من جزيرة الخضر(عبادان) ،في سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) أعلنت التمرد على الحاج جابر الذي لم يتردد بدوره في إعلان الحرب عليهم. وطلب المدد من شيخ الكويت الشيخ عبد الله الصباح الذي كانت تربطه به صداقة ومودة فأرسل عشرين سفينة شراعية ومؤونة ومقاتلين إلى القصبة، وحال وصول السفن قريبا من القصبة دخلت مجموعة منها نهر بهمن شير فيما دخلت مجموعة أخرى شط العرب وتمت محاصرة القصبة. في الوقت نفسه أرسل شيخ الكويت الشيخ عبد الله كتابا إلى أخيه جراح الذي كان في الفاو طالبا منه أن ينضم إلى القوات المرسلة. ولكن الحاج جابر كان قد أكمل هزيمة عشيرة النصار بمساعدة قوات قبيلة المنتفق التي جاءت لمساندته من أطراف البصرة قبل وصول قوات شيخ الكويت.

كان الحاج جابر على علاقة طيبة ليس فقط مع شيخ الكويت، بل كذلك مع شيخ قبيلة المنتفق الكبيرة الشيخ ناصر بن راشد السعدون. فبعد القضاء على تمرد عشيرة النصار، بعث الحاج جابر رسالة شكر إلى شيخ الكويت بيد الشيخ جراح. كما أمر بإرسال كمية كبيرة من التمر إليه سنويا(٣٤).

بعد سنتين، أي في سنة ١١٨٧هـ (١٨٦٩م) امتنعت عشيرة النصار عن دفع الضرائب إلى الحاج جابر ورفعت راية العصيان والتمرد. فقام الحاج جابر بلملمة قواته وتجهيزها لمواجهتهم. غير أن الأزمة انتهت بتدخل شيخ الكويت الشيخ عبد الله الصباح الذي ضمن دفع الضرائب من عشيرة النصار إلى الحاج جابر. لهذا صرف الحاج جابر النظر عن الهجوم على القصبة. بيد أن عشيرة النصار لم تلتزم بوعدها

وتملصت من دفع الضرائب في حينها. ولما رأى شيخ الكويت ذلك منهم هجم بجيشه عليهم وكبدهم هزيمة ساحقة أجبرتهم على دفع الضرائب(٣٥).

الحاج جابر،سياسي محنك

اذا عرّفنا السياسة بعلم معرفة القوى المؤثرة والعلاقات بينها وفن الاستفادة القصوى من تلك العلاقات ، فلا شك أن الحاج جابر كان من أبرز سياسيي عصره. فقد مر علينا كيف أن ذكاء الحاج جابر وبعد نظره وحسن إدارته مكنته من التقرب إلى الحكم القاجاري ونيل ثقتهم واعتمادهم حتى حاز على أعلى الامتيازات وأرقى الرتب والألقاب. وساعده على تحقيق ذلك الأوضاع التي كانت تمر بها البلاد والتراجع الذي كانت تعاني منه مشيخة مشايخ الكعبيين. كذلك فإن طول فترة حكمه البالغة خمسين سنة من ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) إلى ١٢٩٨هـ (١٨٨١م) زودته بتراكم التجارب والخبرات، أفاد منها في سياسته بالتصدي للأحداث وتفادي السياسات الساذجة غير الناضجة.

وكان الحاج جابر وهو يوسع مناطق نفوذه ويقوي سلطته يتفادى أية مجابهة مع منافسيه الأساسيين وهم آل ناصر الكعبيون. ففي السنوات الأخيرة من حكمه حين بدأ يستشعر مشاعر الحسد والحقد التي يحملها له شيخ مشايخ الفلاحية الشيخ رحمة بن عيسى عمل على ازالة سوء ظنه به بإرسال الهدايا وإظهار الولاء له(٣٦). وحتى لو كان الحاج جابر يفكر في إضعاف قوة شيخ المشايخ فما كان ليختار المواجهة المباشرة معه، بل يعمل بشكل غير مباشر وخفي وعبر أطراف أخرى(٣٧). كما نجح في كسب رضا القوتين المتنافستين العظميين في المنطقة أي إيران والدولة العثمانية بسياسته الحكيمة(٣٨).

استطاع الحاج جابر أن يحافظ على أفضل العلاقات مع شيخ قبيلة المنتفق الكبيرة الشيخ ناصر بن راشد السعدون ويرتقي بها إلى مستوى علاقات صداقة. إن قبيلة

المنتفق من أكبر القبائل العربية في جنوب العراق وكان لها دور بالغ الأهمية في حوادث جنوب العراق وخاصة في البصرة في القرون الأخيرة. وكانت هذه القبيلة في صراع دائم وحروب مستمرة مع المشعشعيين والكعبيين وكانت علاقتها مع هاتين الأسرتين وخاصة مع الكعبيين عدائية[٣٩]. أما الحاج جابر فاستطاع بحسن سياسته وتدبيره أن يبدل العلاقات العدائية إلى علاقات ودية وحميمة.

كذلك ومن أجل تثبيت مركزه وتقوية موقعه عمل الحاج جابر على التقرب من شيخ الكويت الشيخ عبد الله الصباح فكان له معه علاقات صداقة وأخوية. لقد قطع في هذا المجال شوطا كبيرا؛ حتى إن شيخ الكويت أمده بسفن المؤونة والمقاتلين عندما تمردت عشيرة النصار عليه. وحين تنصل النصاريون عن دفع الضرائب تولى الشيخ عبد الله الصباح بنفسه الهجوم عليهم ودحرهم.

وكانت علاقة الحاج جابر مع الدولة القاجارية في أفضل حالاتها؛ فقد استطاع أن يكسب ثقة المسؤولين واعتمادهم. الحقيقة أنه كان يرى أن الطريق الوحيد لتقدمه وصعوده يمر عبر الحكومة المركزية وقد نجح في ذلك. ويقول اللورد كرزن: «إن الحاج جابر الذي كان إنسانا طيبا وذكيا وبارعا، أدرك وتفهم أن الطريق الصائب الوحيد أمامه هو عدم تجاهل القوة المتصاعدة للحكومة الإيرانية»[٤٠].

ورغم هجوم علي رضا باشا والي بغداد على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ إلا أن الحاج جابر لم يتخذ موقفا عدائيا حاقدا من العثمانيين. بل انتهج نهجا وديا لكسب صداقتهم وثقتهم. وقد نجح في ذلك بإهداء سفينة إلى والي بغداد الذي تنازل له بالمقابل عن قرية كوت الزين التابعة لأبي الخصيب[٤١]. هذا التقارب صار سببا فيما بعد، حين سافر ناصر الدين شاه إلى بغداد، في أن يرتب والي بغداد لقاءً للحاج جابر به[٤٢].

استعان الحاج جابر بخبراء متمرسين من خارج منطقته لغرض تنظيم شؤون حكومته والمحافظة على الانضباط والنظام فيها. من هؤلاء، ميرزا حمزة خان الذي

يصفه عبد المسيح الأنطاكي بالوزير الذي يتسم بالذكاء العالي وحسن العشرة. والآخر الحاج محمد علي خان رئيس التجار الذي يصفه الأنطاكي بوزير الحاج جابر وله أفكار ممتازة وتدبير عالٍ[٤٣]. وتمثل هذه الظاهرة، أي توظيف الخبراء والمتمرسين في أجهزة الحكم والأمور الديوانية سابقة لم يكن لها نظير في القرون الأخيرة في الأهواز لا في عهد المشعشعيين ولا في حكم الكعبيين[٤٤].

يمتدح الحاج عبد الغفار نجم الملك، الذي زار عربستان سنة ١٢٩٩هـ أي بعد وفاة الحاج جابر خان بسنة واحدة، في كتاب رحلته ،الحاج جابر ويسميه دائما بـ«المرحوم نصرة الملك»[٤٥].

كان الحاج جابر يرى في ازدهار التجارة سبيلا إلى الرقي والتقدم ورفاهية الناس. وهذا ما جعله يعلن ميناء المحمرة ميناء حرا ليكون عاملا على ازدهار التجارة بعد إزالة الموانع المعيقة لتطورها. هذا الإجراء أدى إلى ارتفاع مدخولات الناس وتوفير فرص العمل، ونتيجة لذلك ازدادت القوة الاقتصادية للمحمرة. وأدت هذه السياسة التي اتبعها الحاج جابر إلى اقترابه من البريطانيين وكسب ثقتهم به. يقول وليم ثيودور سترنج إن هذا الإجراء الصادر من الحاج جابر كان يقف في النقيض لإجراءات بني كعب الفلاحية التي تميزت بمهاجمة السفن البريطانية وأدت إلى ركود التجارة[٤٦].

يعتبر إعلان ميناء المحمرة ميناء حرا ومن ثم ازدهار التجارة فيها خطوة إلى الأمام على صعيد الاقتصادي. الحقيقة أن السر في ظهور آلبو كاسب وتنامي قوتهم السياسية يكمن في هذه النقطة. لأن اقتصاد الفلاحية واقتصاد شيوخ بني كعب بقى اقتصادا بدائيا مغلقا غير قادر على مجاراة الاقتصاد القائم على التبادل[٤٧].

إن الحاج جابر استطاع من خلال جعل ميناء المحمرة ميناء حرا سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٢م) وإزالة الرسوم الجمركية من السلع المستوردة أن يحول المحمرة إلى مركز تجاري بالغ الأهمية حتى أصبحت تمثل تهديدا جديا لمدينة البصرة[٤٨]. هذا الأمر، بالإضافة إلى موقع المدينة الاستراتيجي، جعل المدينة تكتسب أهمية متزايدة.

ازدهار التجارة أدى إلى ازدياد الدخل عند الأفراد ونمو رفاهيتهم، الأمر الذي أدى إلى ازدياد القدرة الاقتصادية لحاكم المحمرة. ومما زاد في ذلك كثرة أشجار النخيل على جانبي نهر كورين ، شمالي مدينة عبادان والجانب الشمالي من شط العرب وهو ما ساهم في ازدياد القدرة المالية للحاج جابر خان. هذا النمو في القدرة الاقتصادية نجم عنه نمو القوة السياسية. وقد ساعد الرخاء المالي الحاج جابر في التغلب على الكثير من المشاكل حتى أخذ في منافسة شيخ مشايخ الفلاحية.

إن الموقع الجغرافي الذي تتمتع به المحمرة ووجود الميناء فيها جعلها بؤرة لاهتمامات الدول الأجنبية وخاصة بريطانيا. مما لاشك فيه أن حصول الحاج جابر على منصب حفاظة المنطقة الحدودية كان له دور في تسهيل اتصاله بالآخرين. ولما كان الحاج جابر يتمتع بحس سياسي عالٍ، فقد عمل على تقوية وتوطيد علاقاته وخلق أواصر الصداقة والعلاقات الشخصية ليس فقط مع القوى المحلية بل مع البريطانيين أيضا. ففي عهده كانت السفن البريطانية الداخلة إلى شط العرب إذا وصلت إلى قصر الفيلية تطلق قذيفة مدفع احتراماً للحاج جابر وكان رجال الحاج جابر يردون عليهم بالمثل. واستمرت هذه الحالة إلى عهد الشيخ خزعل.

مهما يكن من أمر فإن إدارة مدينة المحمرة الحدودية جعلت الحاج جابر على علاقة مع البريطانيين شاء أم أبى. وقد عمل هو بدوره ما وسعه لتقوية وتوطيد تلك العلاقة وتدعيمها. خاصة وأنه كان مجاوراً لدولة قوية هي الدولة العثمانية ولم تزل ذكرى هجوم والي بغداد على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ ماثلة في ذهنه. كما كان يدرك من خلال ما عاشه من هزيمة الجيش أمام البريطانيين أنه لا يستطيع التعويل على ذلك الجيش في حماية المحمرة. لذا وجدناه يحافظ على علاقات طيبة مع البريطانيين للحفاظ على التوازن بين القوى في حين كان أغلب المسؤولين في الدولة القاجارية بمن فيهم رئيس الوزراء نفسه صنيعة للبريطانيين[٤٩]. وكان يخطط من خلال إقامة تلك العلاقات

الودية مع البريطانيين لتقوية مركزه في المنطقة والبدء في الابتعاد عن الدولة القاجارية أكثر فأكثر [٥٠].

إضافة إلى ذلك شكل الحاج جابر تحالف قبيلة المحيسن لمواجهة شيوخ آل ناصر واضعاف سلطتهم. وبصفته من الكعبيين رأى أن الوسيلة الوحيدة لمواجهة شيخ مشايخ الفلاحية تتمثل في تشكيل تحالف قبيلة المحيسن. ويمكن تبيان هذا الإجراء في اطار العلاقات العشائرية والقبلية. لقد شمل في تحالفه جميع العرب الموجودين في جزيرة الخضر (عبادان) والمحمرة الذين لا ينتسبون إلى الكعبية وسماه المحيسن[٥١]. لذا لا نجد المحيسن يترابطون مع بعضهم برابطة الدم. ومع تنامي قوة آلبوكاسب، تنامى دور المحيسن وأهميتهم في العلاقات العشائرية. وحين كان الكعبيون يعانون الانقسام والنزاع الداخلي في أسرة آلبوناصر، كانت قبيلة المحيسن تنعم بالتضامن ووحدة الصف والهدوء.

اهتمام الحاج جابر بالعمران

علاوة على حسن السياسة والتدبير كان الحاج جابر خان يمتاز باهتمامه الشديد بالبناء والإعمار. كان يعتزم من خلال إعمار منطقة حكمه وتطويرها عمرانياً أن يساهم في رفع المستوى المعاشي للناس. وكان في ذلك امتداداً للشيخ سلمان الكعبي إذ كان يترسم خطاه ويحذو حذوه.

يقول حاج سياح في مذكراته: « لقد أرسل الحاج جابر رسالة إلى حكومة الوقت بواسطة حمزة ميرزا حشمة الدولة ،قدم فيها مقترحاً حول إنشاء السدود التي تؤدي إلى إعمار المنطقة. واقترح أن تتولى الدولة تنفيذ المهمة ويتعهد هو بتوفير العمالة المجانية للمشروع أو أن يقوم هو بتنفيذ المشروع وتعفيه الدولة من الضرائب سبع سنوات. أمّا المقترح الثالث الذي تقدم به الشيخ فهو أن يتم التنفيذ مشاركة بين الطرفين، الدولة والشيخ جابر . ولم يلبث أن جاءه الرد الرسمي التالي: «حدد هدية الحكومة أولاً»[٥٢].

لقد بدد الفساد المستشري في الحكومة القاجارية أحلام الحاج جابر العمرانية وأُجهضت توصياته العملية النافعة الهادفة إلى تطوير المنطقة الخاضعة لنفوذه. وهكذا تُركت الأراضي البور دون استصلاح.

الواقع أن تعاطي الرشوة وأخذ الحصص الشخصية من المشاريع العامة كان حينئذ من الأمور السائدة والمتعارفة بين المسؤولين وأصحاب القرار. كان همّ المسؤولين الأول جيوبهم ،أمّا مصالح الشعب فما كانت تشغلهم إلاّ قليلاً واذا تحدثوا عن الشعب فما ذلك إلاّ لجمع الضرائب وملء جيوبهم بها. ثم يواصل الحاج سياح: «يروى أن أحد الإفرنجة زار إيران في عهد فتحعلي شاه فقدم كمية من البطاطس إلى الشاه وقال له: لقد اكتشف هذا النبات في أمريكا وهو الآن رائج في أوروبا لأنه مفيد جداً وهو نافع في أيام القحط. وأوصيكم بأن تأمروا بزراعته في إيران. فرد عليه فتحعلي شاه: حسن! وماذا ستعطي أنت للحكومة [من هدية] لتفعل ذلك؟»(٥٣).

في مثل هذه الأوضاع كان الحاج جابر يحلم ويخطط بالبناء والإعمار. وفي حين كان الحكام القاجاريون ورجال البلاط يطاردون مصالحهم الشخصية والخاصة ويأخذون الرُّشَا وحصصا من المشاريع، كان هم الحاج جابر تحسين أوضاع الرعية. وهذا هو السبب في أن يصفه أحمد كسروي بأنه «رجل ذكي وفاهم» رغم رؤيته الخاصة وآرائه المتحيزة والحاقدة على العرب وعلى آلبو كاسب(٥٤).

الشيخ مزعل ؛ تثبيت سلطة آلبوكاسب

توفي الحاج جابر سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨١م) (٥٥) بعد صراع مع مرض في المثانة دام ثلاث سنوات بعد أن حكم المحمرة وأطرافها على مدى ٥٤ سنة(٥٦) وكان له أربعة أولاد كبار، هم محمد ومزعل وسلمان وخزعل. كان الابن الأكبر الشيخ محمد موضع ثقة أبيه واعتماده لما أبداه من شجاعة وهو يقاتل البريطانيين في المحمرة في الحرب الإيرانية البريطانية جنباً إلى جنب والده حتى نال رتبة عقيد. وكان الحاج جابر يعامله

معاملة ولي العهد باعتباره أكبر إخوته. ولكنه لم يحظ باحترام العشائر العربية بسبب سوء شخصيته وقلة مواهبه(٥٧).

كان الشيخ مزعل أشبه بأبيه ويبدو أنه كان يساويه في كل المجالات. كان محارب العشيرة وقد ذاع صيته بفضل شجاعته وكرمه ومصداقيته(٥٨). أمّا الابن الثالث سلمان فلم يكن يطالب بالحكم بسبب بلادته(٥٩). ولم يكن خزعل منافساً لخلافة أبيه بسبب صغر سنه. وهكذا انحصرت المنافسة بين الشيخ محمد والشيخ مزعل.

ظهرت المنافسة بين الشيخ محمد والشيخ مزعل على خلافة الحاج جابر بعد وفاته. حاول الشيخ محمد أن يقبض على مقاليد الأمور منذ البداية ولكن شيوخ قبيلة المحيسن اختاروا مزعل شيخاً. فما كان من الشيخ محمد إلاّ أن يترك المحمرة متوجهاً إلى شيوخ كعب في الفلاحية. ثم ذهب بعد فترة إلى أصفهان ليحل ضيفاً على حاكم خوزستان العام ظل السلطان. وبعد أن يئس من الإقامة في أصفهان توجه إلى طهران ليرفع أمره إلى ناصر الدين شاه. فأصدر الشاه أمراً بحكم المحمرة ومحافظ حدود المنطقة باسمه وأرسله إلى المحمرة. ولكنه لم يلبث أن ذهب إلى البصرة ليقيم فيها لأن شيوخ قبيلة المحيسن لم يعترفوا به شيخاً. وكانت نتيجة غياب الشيخ محمد عن المحمرة ومساندة شيوخ المحيسن للشيخ مزعل أن استقامت الأمور للأخير وعلا نجمه(٦٠). من جانب آخر لم تكن الحكومة القاجارية، لأسباب مختلفة، قادرة على فرض سيطرتها على الأهواز. وكان مما يضعف الاتصال بين العاصمة والاهواز وجود سلسلة جبال زاجروس ذات المرتفعات الوعرة الممتدة بينهما(٦١). إضافة إلى ذلك فإن حرارة الصيف اللاهبة في الأهواز وطول فصل الصيف فيها يجعل من الصعب على غير أهلها تحمل السكن فيها. ويضاعف المشكلة التكاليف الباهظة التي تسببها السيطرة عليها من حيث نفقات الجيش والشرطة وما إلى ذلك. لهذه الأسباب المجتمعة كان وجود الدولة القاجارية في المنطقة اسمياً أمّا حاكم المحمرة فكان ذا

سلطة مطلقة [٦٢]. وكان الحاج جابر ومن بعده ابنه الشيخ مزعل يمتازان على سائر الحكام بالسلطة والنفوذ الأوسع.

تمتع الحاج جابر وابنه الشيخ مزعل بسلطة أقوى وأوسع من سواهم من الحكام نتيجة للنسيج الاجتماعي للمنطقة التي حكماها، وكذلك لأنها منطقة حدودية ومسؤوليتهما عن محافظة المنطقة الحدودية لشط العرب وما يليها ومن ثَم الاتصال الوثيق بالدول الأخرى. لقد كانت سلطة الحاج جابر والشيخ مزعل قد اقتربت بهما إلى مشارف الحكم المستقل. وقد تعلم أولاد الحاج جابر منه ضرورة التقارب مع البريطانيين وتوطيد العلاقات الودية معهم واستغلالها لتعزيز سلطتهم وتوسيع نفوذهم.

ولمواجهة تلك القوة والسلطة استدعت الحكومة القاجارية حاكم المنطقة حشمة الدولة إلى طهران بسبب فشله الصريح في الإشراف على العشائر العربية وأبدلته بظل السلطان الابن الأكبر لناصر الدين شاه حاكماً عاماً لخوزستان والذي كان يسكن في أصفهان. ويبدو أن هذا الإجراء الذي اتخذته الحكومة القاجارية كان موجهاً بالدرجة الأساس إلى شمال عربستان والمناطق التي لم تكن خاضعة لسلطة الشيخ مزعل. لأن ظل السلطان استدعى زعيم عشائر البختيارية حسين قلي خان إلى أصفهان سنة ١٢٩٩هـ وقتله [٦٣]. أمّا الشيخ مزعل فقد نال اهتمام ناصر الدين شاه وحصل منه على لقب «خان» و«نصرة الملك» اللذين سبق أن منحهما لأبيه الحاج جابر خان [٦٤].

حاول الشيخ مزعل، كما فعل أبوه من قبل، أن يثبت ولاءه للدولة القاجارية ويحوز على ثقة القائمين عليها واهتمامهم. وحاول أيضاً، وقد استوعب درس السياسة من أبيه، أن يتقرب إلى الدولة القاجارية وشخص ناصر الدين شاه أكثر بتوثيق علاقته بالبريطانيين. وهكذا منحه ناصر الدين شاه بعد فترة لقب «معز السلطنة» ورتبة «أمير تومان». كما أسند إليه قيادة المدفعية وفوج الجنود الموجود في المحمرة [٦٥].

ذكرنا، نقلاً عن الحاج عبد الغفار نجم الملك، أن الحكومة القاجارية كان حضورها في وسط الأهواز وجنوبها وخاصة في المناطق الخاضعة لسلطة الشيخ مزعل اسمياً وكان الشيخ مزعل هو الحاكم المطلق هناك. واقتصرت علاقته بالحكومة المركزية على التعهد بجمع ضرائب المنطقة. كان الشيخ مزعل مسؤولاً عن جمع الضرائب الخاصة بالمحمرة والمنطقة المحصورة بين القصبة والبصرة وبين المحمرة ومدينة الأهواز[٦٦].

ومما زاد في قوة آلبوكاسب ووسع نفوذهم على الأهواز، انتصار جيش الشيخ مزعل على المشعشعين وعلى آل ناصر الكعبيين. ففي سنة ١٨٨٢م (١٢٩٩هـ)، وبعد سنوات من المنازعات بين بني طرف والمشعشعين نجم عنها مقتل أحد الشيوخ من الجانبين في كل مرة، توجه شيخ بني طرف الحاج منيشد إلى المحمرة وطلب من الشيخ مزعل آلبوكاسب الهجوم على موالي الحويزة للقضاء على المولى مطلب المشعشعي. وكان الشيخ مزعل يتحين تلك الفرصة منذ فترة ليبسط سيطرته على الحويزة، فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة أخيه الأصغر الشيخ خزعل نحو الحويزة، وكانت نتيجة المواجهة هزيمة جيش المولى مطلب المشعشعي وانتصار جيش الشيخ مزعل[٦٧].

والحادثة الثانية تتمثل في هجوم الشيخ مزعل على آل ناصر الكعبيين بعد الهجوم على الحويزة، وكان قائد الحملة هذه المرة أيضاً الشيخ خزعل[٦٨].

إضافة إلى ذلك لم تفلح محاولة الصدر الأعظم أمين السلطان في إضعاف سلطة الشيخ مزعل من خلال تعيين حسين قلي خان نظام السلطنة حاكماً على خوزستان وتكليفه بواجبات مضعفة للشيخ مزعل باءت جميعها بالفشل. الحقيقة أن أمين السلطان أرسل نظام السلطنة وأخاه سعد الملك على رأس جيش إلى كل من بختياري وعربستان لقمع زعيم عشائر البختيارية السابق امام قلي خان وتضعيف قوة الشيخ مزعل[٦٩].

يقول القنصل البريطاني في البصرة روبرتسون في مذكرة إلى كنكل روز (Ross)

بتاريخ ١٢ مايس / مايو ١٨٨٨م: «الحكومة الإيرانية عازمة على الإشراف المباشر على القبائل العربية وعربستان وهي عازمة على أن تستبدل بالحكم الوراثي لشيخ المحمرة حاكمًا منتسبًا للحكومة»(٧٠).

لكن الشيخ مزعل واجه محاولات نظام السلطنة بذكاء وحسن تدبير فأفشل خططه. لذا لم ينجح نظام السلطنة في القبض على الشيخ ، لأنه رفض الحضور إلى الحفل الذي رتبه حاكم خوزستان على السفينة الحكومية في نهر كارون(٧١).

هذا الأمر يكشف عن سوء الظن وانعدام الثقة بين الرجلين والتي تفاقمت مع تغيير مركز الولاية من تستر إلى مدينة الأهواز. لأن حاكم خوزستان الجديد نظام السلطنة أصبح ملزماً منذ سنة ١٨٨٨م بأن يقيم في المحمرة ما لا يقل عن ستة أشهر من السنة(٧٢). ولكن يبدو أن هذا الأمر لم يوضع موضع التنفيذ ، فالمصادر لا تشير أبداً إلى وجود نظام السلطنة في المحمرة أبداً. وهذا يعكس مدى القوة والذكاء اللذين تمتع بهما الشيخ مزعل فضلاً عن حسن السياسة والتدبير.

عموماً، فإن قوة الشيخ مزعل ونجاح سياسته خلال فترة حكمه التي امتدت على مدى سبعة عشر عاماً ما كانت بأي حال من الأحوال أقل من نظيرتها لدى أبيه الحاج جابر خان، بل إنه تفوق فيها عليه. ففي قضية حرية الملاحة في نهر كارون وقضية خط ملاحة شركة لينج البريطانية ، أظهر الشيخ مزعل معارضة جدية لحرية الملاحة في نهر كارون أورثته صراعاً ومنازعات مع البريطانيين. ولم يتوقف عند ذلك الحد بل تابع أهدافاً وآمالاً أبعد مدى. لهذا السبب كانت أصابع الاتهام تشير إليه في اضطرابات تستر سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٦م) وشاع على الألسن أنه هو محرك تلك الاضطرابات.

عصيان عشيرة النصار

ثارت عشيرة النصار التي كانت تسكن القصبة على الشيخ مزعل سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م). وبما أن هذه العشيرة فرع من بني كعب(٧٣)، فقد انتهز شيخ مشايخ بني

كعب الشيخ رحمة الفرصة ،فقاد جيشه نحو المحمرة لتقويض أسس حكم الشيخ مزعل من جانب وتقوية أركان حكم شيخ المشايخ من جانب آخر. فد خل في مفاوضات مع حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في محاولة لكسب دعمه ضد الشيخ مزعل. ولكن الشيخ مبارك لم يشارك في النزاع رغم تلك المباحثات. لذا فشل هجوم الشيخ رحمة على المحمرة. فقد عجز جيش الكعبيين عن تحقيق أهدافه من الهجوم بسبب الخلافات الداخلية وتوقف الهجوم [٧٤].

لقد فضح هجوم الشيخ رحمة على المحمرة ضعف الكعبيين أكثر من ذي قبل. وكان من نتائج ذلك التعرض الفاشل أن تفتحت الأبواب أمام الشيخ مزعل للتدخل المتصاعد في شؤون الكعبيين ومهد الأرضية لاضمحلال قوة شيخ المشايخ.

الشيخ مزعل وحرية الملاحة في نهر كارون

إن من أهم، وفي رأي البعض أهم، ما حدث في عهد الشيخ مزعل الذي استمر سبعة عشر عاماً من ١٢٩٨هـ إلى ١٣١٥هـ (١٨٨١ – ١٨٩٧م) معارضته لحرية الملاحة في نهر كارون وعرقلة نشاط شركة لينتش البريطانية. إن تلك المعارضة وذلك التصدي جعل الشيخ مزعل فيما بعد وجهاً لوجه مع الحكومة البريطانية.

منذ أواسط القرن التاسع عشر كانت بريطانيا تسعى إلى السيطرة على الأسواق الداخلية لإيران من خلال نقل بضائعها عن طريق نهر كارون إلى تستر ومن ثم إلى المناطق المركزية من إيران عبر طريق البري الرئيس الذي يربط تستر بأصفهان [٧٥]. ومما زاد من الأهمية الستراتيجية لهذا الطريق المائي ،الحرب الإيرانية البريطانية في المحمرة سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) وتقدم القوات البريطانية نحو مدينة الأهواز عبر نهر كارون والاحتلال السهل للمدينة [٧٦].

في السنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م) قررت شركة جري باول وشركاه، فتح خط ملاحة نهرية بين المحمرة وتستر. كانت الشركة تعتقد أن نقل البضاعة من بوشهر إلى

أصفهان يستغرق ٣٥ يوماً في حين يمكن نقلها عن طريق المحمرة خلال عشرة أيام[٧٧]. ولكن محاولاتها في الحصول على امتياز الملاحة في نهر كارون باءت بالفشل.

بعد ذلك حاول الفرنسيون الحصول على امتياز الملاحة في نهر كارون فطرحوا الفكرة على ناصر الدين شاه خلال رحلته الثانية إلى أوروبا سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) بواسطة الطبيب الفرنسي طولوزان. كان المشروع يتضمن إقامة سد على نهر كارون واستصلاح الأراضي القريبة منه وري الغابات والاستفادة منها مقابل احتكار الملاحة في نهركارون. ولكن الضغوط البريطانية على الحكومة القاجارية أفشلت المشروع[٧٨].

أخيرا في صفر ١٣٠٦هـ (٢٥ تشرين الأول / أكتوبر ١٨٨٨م) أصدر ناصر الدين شاه القاجاري أمرا بجعل الملاحة الدولية في نهر كارون من المحمرة إلى مدينة الأهواز حرة. بينما واصلت السفن الإيرانية والملاحة الإيرانية احتكارها للملاحة في أعالي كارون من مدينة الأهواز إلى تستر[٧٩].

اعتبرت الحكومة الروسية حرية الملاحة الدولية في نهر كارون امتيازا خاصا بالبريطانيين وقامت بمعارضته[٨٠]. ولكن قدمت كل من فرنسا وألمانيا الدعم للمشروع[٨١].

بعد أن أصبحت الملاحة في نهر كارون حرة، أرسلت شركة لينتش، التي كانت تمارس الملاحة في أنهار العراق باسم «شركة دجلة والفرات للملاحة»، سفينة بخارية اسمها «بلوس لينتش» إلى نهر كارون. وتابعت نشاطها بجدية رغم الصعوبات التي واجهتها[٨٢]، فكان لها رحلتان في الأسبوع بين المحمرة ومدينة الأهواز. وإضافة إلى شركة لينتش قامت شركات أجنبية أخرى برحلات تجريبية في نهر كارون ، لكن بعد فترة توقف النشاط الملاحي لجميع الشركات وبقى نشاط شركة لينتش[٨٣].

تركت حرية الملاحة في كارون تأثيرا كبيرا على حركة الصادرات والواردات في

خوزستان. فبعد أن كانت واردات المحمرة من بريطانيا سنة ١٨٩٥م (١٣١٣هـ) ١٣٨٠٠٠ جنيه إسترليني أصبحت سنة ١٩٠٠م (١٣١٨هـ) ٢٠٢٠٠٠ جنيه إسترليني. بعبارة أخرى حققت واردات ميناء المحمرة في خمس سنوات نموًا بنسبة ٤٦٪ أي بمعدل ٨٪ سنويا. وخلال هذه الفترة ارتفعت الصادرات من ٤٣٠٠٠ جنيه إسترليني إلى ١٠٣٠٠٠ جنيه إسترليني فحققت نموًا بنسبة ١٤٪ وكان النموّ السنوي بنسبة ١٩٪(٨٤). كذلك حدث ارتفاعٌ في النمو السكاني في المحمرة بمقدار ثلاثة أضعاف للفترة من ١٣٠٩هـ إلى ١٣٢٠هـ (١٨٩١-١٩١٢م) أي خلال إحدى عشرة سنة(٨٥).

وقد أدّى فتح نهر كارون أمام الملاحة الدولية إلى ازدياد حجم التدخل من قبل الحكومة المركزية في الشؤون المحلية. فقد أدّى وجود الشركات التجارية الأجنبية وازدهار حركة التصدير والاستيراد إلى ازدياد عدد موظفي الجمارك في المحمرة وكذلك حضور ممثلي وزارة الخارجية فيها. إضافة إلى ذلك أصبحت المحمرة تتوفر على محطة حَجْر صحي «قرنطينة» تعمل بإشراف طبيب إيراني. في مثل هذه الظروف كان الشيخ مزعل ينظر إلى التطورات بعين الريبة وسوء الظن. فقد كان يرى في حرية الملاحة في نهر كارون مقدمة لتدخل الحكومة المركزية في المنطقة وانحسار سلطته ونفوذه(٨٦).

كان الشيخ مزعل يسعى إلى إقناع البريطانيين بضمان استمرار حكمه. من جانب آخر كان يحاول استعراض قوته أمامهم بعرقلة نشاط شركة لينتش وإفهامهم بأن موافقته هي الضمان الوحيد لنجاح أي مشروع وخاصة في مجال التجارة.

واصل الشيخ مزعل معارضته لنشاط شركة لينتش حتى بلغ الأمر بهذه الشركة إلى طلب مساعدة من حكومة الهند مبلغها ٣٠٠٠ جنيه إسترليني تعويضا عن الخسائر التي لحقت بها(٨٧).

لقد نجح حاكم المحمرة من خلال تكوين شبكة من المصالح المتشابكة مع التجار الكبار أمثال معين التجار وملك التجار وسياسيين كبار أمثال نظام السلطنة ورئيس الوزراء أمين السلطان، في تثبيت مركزه وتقوية موقعه والوقوف بوجه الأطماع البريطانية[٨٨].

ومن جانب آخر أثارت تقوية مزعل لعلاقاته مع الفرنسيين ارتياب البريطانيين وقلقهم فقد قام جماعة من التجار الفرنسيين بزيارة المحمرة سنة ١٨٨٣م كما زارتها المدام ديولافوا ومجموعة أخرى من المؤرخين الآثاريين الفرنسيين. وقيل إن ديولافوا كانت مكلفة بدراسة إمكانية حركة السفن في نهر كارون وإيجاد شبكة ري هناك[٨٩].

تواصلت معارضة الشيخ مزعل لنشاط شركة لينج وحاول البريطانيون أن يثنوه عن معارضته تلك إمّا بالتفاوض المباشر وتقديم الضمانات والتطمينات أو بالضغط على الحكومة المركزية.

الإعمار في عهد الشيخ مزعل

كان الشيخ مزعل في البداية مهتما بالبناء والإعمار كأبيه. ونجح في استمالة البعض بعد توليه السلطة من خلال إعادة توزيع الأراضي بين القبائل واصلاح النظام الضريبي لصالح بعض العشائر[٩٠]. أدت هذه الإجراءات، فضلاً عن الإجراءات التي تمت في عهد الحاج جابر، إلى إعمار مساحات واسعة من المحمرة.

يصف الكابتن هنت الذي كان في المحمرة خلال الحرب البريطانية الإيرانية سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) الأراضي المحيطة بالمحمرة بقوله: «بعض هذه الأراضي مستنقعات وبعضها الآخر رملي يتخلله بعض المناطق المزروعة»[٩١]. بينما يصف الحاج عبد الغفار تلك الأراضي في عهد الشيخ مزعل أي بعد ستة وعشرين عاما (عام ١٢٩٩هـ) بأنها عامرة ومزدهرة وتتوافر فيها أشجار النخيل بكثرة[٩٢].

قدم الشيخ مزعل تسهيلات وامتيازات كبيرة للمزارعين بهدف إحياء الأراضي

البور. وكان لتلك التسهيلات دور كبير في استصلاح الأراضي البائرة. على سبيل المثال إعفاء المزارعين في القصبة من الضرائب لمدة خمسة عشر عاماً. ونظراً إلى أن القسم الأعظم من أراضي القصبة كان متروكاً فقد قرر الشيخ مزعل منح المزارعين الراغبين في زراعة النخيل هناك أراضيَ مع إعفائهم من الإيجار لخمسة عشر عاماً. وهذا ما شجع الكثير من رعايا الدولة العثمانية على الهجرة من الفاو إلى القصبة وقد منحوا أراضي [٩٣]. فقاموا بزراعة أشجار النخيل على أراضٍ واسعة كانت متروكة. كذلك كان في المحمرة صناعة للسفن فكانت تُصنع السفن الشراعية للاستفادة منها في كارون وشط العرب والبحر [٩٤].

إلى جانب هذه الإجراءات قام الشيخ مزعل بالاستثمار في ميادين اقتصادية أخرى. وكان يتوخى من تلك الاستثمارات، فضلا عن الفوائد الاقتصادية، تحقيق هدف آخر. فقد كان يرمي إلى تقوية سلطته وتحكيم نفوذه وتحقيق بعض المآرب السياسية باستغلال العلاقات الاقتصادية الناجمة عن خلق مصالح مشتركة مع الشخصيات البارزة والمسؤولين الحكوميين وغير الحكوميين. من ذلك تأسيسه لشركة ناصري مع كبار التجار والمسؤولين القاجاريين. وفي سنة ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) قام بتأسيس شركة لنقل البضائع عبر نهر كارون بالاشتراك مع عدد من تجار تستر وأطلق عليها اسم «شركت شاهنشاهي» [٩٥]. ويقول اللورد كرزن عن الشيخ مزعل: «يقال إنه بالغ الثراء وقد كوّن ثروة هائلة عن طريق تجارة الخيول مع مومبايي» [٩٦].

مع هذا ورغم إنجازاته الرائعة في مستهل عمله فإنه عكف على تكديس الثروة الشخصية لنفسه بعد أن اطمأن لقوة سلطته، فرفع معدل الضرائب واعتبر جميع أملاك حلف المحيسن ملكا خاصا له. فأصبح يؤجر غابات النخيل في المحمرة بأعلى بدلات الإيجار متجاهلا مطاليب المتصرفين بها عن طريق الوراثة [٩٧].

علاقات الشيخ مزعل مع الحكومة الإيرانية والبريطانيين

كان الشيخ مزعل يفكر في أن يزيد قوته ليكون القوة الوحيدة الموجودة في الأهواز.

ويمكن وضع علاقاته الطيبة مع البريطانيين واتصاله بهم في هذا الإطار. ومع هذا كان يسعى إلى تثبيت حكمه وتقوية نفوذه من غير تبعية للقوى الموجودة . يقول كاتب الوقائع الرسمي للعلاقات البريطانية مع شيوخ خوزستان آرنولد ويلسون:

«إن مزعل يبتعد عن البريطانيين والأتراك والإيرانيين ويحاول أن يقف على قدميه بمفرده»[٩٨].

كان سيئ الظن بالموظفين الحكوميين والمسؤولين في الدولة القاجارية. ولعل معارضته لحرية الملاحة في نهر كارون جاءت من حيث أنها تمهد لتدخل المسؤولين الحكوميين وممثلي الحكومة القاجارية. وهو ما كان من شأنه أن يلحق الضرر بحكمه ويمهد لانحسار قوته وسلطته. لقد كان راغبا في التعاون مع البريطانيين في قضية حرية الملاحة في نهر كارون والكفّ عن معارضتهم شريطة أن يضمنوا «دوام وطنه»[٩٩].

في تقرير للممثل السياسي البريطاني في الخليج الذي رفعه بعد مباحثات القنصل البريطاني في المحمرة مع الشيخ مزعل في ذي الحجة ١٣٠٩هـ (تموز/يوليو ١٨٩٢م) حول كسب موافقة الشيخ وعدم مخالفته لنشاط شركة لينتش في معرض حديثه مع القائم بالأعمال البريطاني في طهران ،يصف نظرة الشيخ مزعل إلى الحكومة الإيرانية والحكومة البريطانية بما يلي:

«يمكن بسهولة فهم الدوافع المحركة للشيخ مزعل خان بالنظر لمعاملة الحكومة الإيرانية للشيوخ العرب في السنوات الأخيرة. هذه الدوافع ستبقى مؤثرة حتى تتغلب على الاعتراضات المقدمة من جانب الحكومتين، إلا إذا تمّ التوصل إلى طريقة لكسب تعاونه أو إبطال مفعول مخالفته. إن الفقيد السيد روبرتسون [القنصل البريطاني في البصرة] يصف الشيخ مزعل خان دائما وهو أعرف الناس به بأنه يبقى صديقا لنا مادام خوفه من الحكومة الإيرانية يسمح له بذلك. ومن المعقول الاستنتاج بأنه طالما

أحسّ بالأمان من جانب الحكومة البريطانية تبعا لحسن تدبيرها فإنّ موقفه الحالي سيعطي مكانه للتعاون الوثيق»[١٠٠].

لهذا السبب كان الشيخ مزعل يحاول أن يقلل من حجم تدخل الحكومة المركزية في شؤون مناطق سيطرته. وكان، من جانب آخر، يحاول أن يستعرض أمام البريطانيين قوته ونفوذه ليقنعهم بالتعويل عليه والدخول في مباحثات مباشرة معه لتحقيق أهدافهم في المنطقة ويضمن دوام حكمه.

فبعد ستة أشهر من تعيين القنصل البريطاني في المحمرة قدم [الشيخ] الرُّشا للمسؤولين الحكوميين للتمهيد لإغلاق القنصلية[١٠١]. كان الشيخ مزعل يأمل من إغلاق القنصلية البريطانية أن لا يبقى ثمة موجب للاحتفاظ بممثل للحكومة في المحمرة، فتستدعي الحكومة المركزية ممثلها إلى طهران.

في السنة ١٨٩١م أعطى الشيخ مزعل مبلغاً ضخماً مقداره ٢٠٠٠٠ تومان إلى حاكم بوشهر ليمنع سفينة «برسبوليس» التابعة للقوة البحرية الإيرانية من الرسو في المحمرة[١٠٢]. وبعد تعيين رحمة الله خان بدلاً من أبيه في شهر مايس / مايو ١٨٩١م (١٣٠٨هـ) وتعبيره عن مشاعر الفرح لهذا التعيين شكا [الشيخ] أمره إلى رئيس الوزراء بمجرد أن حدث خلاف وصراع بينهما. وادعى الشيخ مزعل في شكواه أن ممثل الدولة رحمة خان، ترك منصبه عند شيوع الطاعون في المدينة بل إنه كان أثناء تلك المحنة مشغولاً باللهو والمجون. ولم تنفع شهادة القنصل البريطاني في عدم صحة ادعاءات الشيخ مزعل ،فتركت الشكوى أثرها في نفس رئيس الوزراء فأصبح ممثل الدولة من حينها تحت إمرة الشيخ مزعل[١٠٣].

وهكذا كان الشيخ مزعل يعمل على إضعاف دور الحكومة المركزية في منطقة نفوذه من جانب ويعامل البريطانيين بالطريقة نفسها من جانب آخر. لقد كان يحافظ على المستوى من العلاقات مع البريطانيين الذي يتضمن مصالحه ومصالح حكمه. أمّا إذا

كانت تلك العلاقات سبباً في تضعيف سلطته أو فتح الطريق أمام المسؤولين الحكوميين إلى الأهواز، فإنه كان يتصدى لها (١٠٤).

نسمة الأهواز

يقدر الكابتن هنت، الذي كان يرافق الجيش البريطاني في المحمرة خلال حرب الإيرانية البريطانية سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧م)، نفوس مدينة الأهواز بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ نسمة(١٠٥). ثم يأتي الإحصاء العام الذي نفذ بأمر حاكم خوزستان الأمير بهرام ميرزا معز الدولة وكانت نتائجه بالنسبة لمدن الشوش ودزفول والفلاحية كالآتي (١٠٦):

تستر ١٩٦٤٥ نسمة

دزفول ٣٥٢٣٦ نسمة

الفلاحية ٣٦٦٠٩ نسمة

بالرغم من عدم معرفتنا الدقيقة بطريقة إجراء الإحصاء السكاني وفقدان الثقة التامة من النتائج الحاصلة ، فإن وجود هذا الإحصاء بحد ذاته يعطي إلى حد بعيد صورة عن إحصاء السكان في المدن المذكورة.

وفي السنة ١٢٩٥ هـ (١٨٧٨م)، أي بعد تسع عشرة سنة، قدم القنصل البريطاني في البصرة روبرتسون إحصائية أوسع وأكمل من الإحصائية التي أجريت في عهد بهرام ميرزا. فقد شمل إحصاؤه مدن المحمرة والحويزة ورامهرمز إلى جانب المدن المذكورة في الإحصاء السابق. ولعل إحصاء روبرتسون أوثق الإحصائيات المتعلقة بعدد سكان ،هذه الولاية، فقد كان على علم واسع ودقيق بالمنطقة وله علاقات وثيقة مع الكثير من شيوخ العشائر وأشراف المدينة(١٠٧) .

تقدير عدد سكان الولاية سنة ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م)

المحمرة	٤٥٠٠٠ نسمة
الفلاحية	٣٠٠٠٠ نسمة
الحويزة	٣٣٠٠٠ نسمة
تستر	٢٢٠٠٠ نسمة
دزفول	٣٠٠٠٠ نسمة
رامهرمز	٧٠٠٠ نسمة
المجموع	١٦٧٠٠٠ نسمة

تبين من خلال المقارنة بين هذه الإحصائية ونظيرتها التي أجريت في عهد بهرام ميرزا صحة التعداد السكاني لمدينة تستر في سنة ١٢٧٦هـ وكذلك التخمين القريب من الصحيح لروبرتسون لعدد سكان هذه المدينة في سنة ١٢٩٥هـ لأن الزيادة السكانية المتحققة فيها خلال ١٩ سنة كانت بمقدار ٢٣٥٥ نسمة ، حيث ارتفع العدد من ١٩٦٤٥ إلى ٢٢٠٠٠ نسمة. أما إحصائية سكان دزفول والفلاحية فليست كذلك. فقد تقلص عدد سكان هاتين المدينتين خلال ١٩ سنة بنسبة ٢٠٪ وهذا غير معقول ويعني أن كلتا الإحصائيتين لا تخلوان من إشكال.

وبعد ذلك بسنوات وتحديدا في السنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م) قام الحاج عبد الغفار نجم الملك أيضا برحلة إلى عربستان وقدر عدد سكان مدينة تستر بين ٨ و ١٠ آلاف نسمة ،أما دزفول فقدر سكانها بعشرين ألفا[١٠٨] . غير أن ما يستحق التوقف ويثير الغموض في كتاب الحاج عبد الغفار هو أنه قدر سكان تستر في بداية كتابه وعند وصوله إلى خوزستان بحوالي عشرين ألفا[١٠٩]. وسكان دزفول بأربعين ألفا[١١٠] .وربما كان

الرقم الأول يختص بمدينتَيْ تستر ودزفول من غير احتساب القرى والنواحي المحيطة بها ،أمّا الرقم الثاني الوارد في بداية الكتاب فيجمع المدن مع القرى والمناطق المحيطة بها.

قدر الحاج عبد الغفار نجم الملك عدد سكان مدينة المحمرة بثلاثة آلاف نسمة[١١١]. وهذا تقدير لا يخلو من إشكال لأن روبرتسون قدره بـ ٤٥٠٠٠ قبل ذلك بأربع سنوات.

أما ضابط الاستخبارات البريطاني العقيد إم. بل. فحين قدر نفوس إيران بحوالي ثمانية ملايين نسمة سنة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م) قدر سكان الولاية بـ ١٩٩٠٠٠ نسمة موزعا إياها على ثلاث مناطق على النحو التالي[١١٢]:

تقدير العقيد إم. بل في عقد (١٨٨٠)

عرب كعب	٦٢٠٠٠ نسمة
سهل رامهرمز	٢٧٠٠٠ نسمة
سهول شوشتر ودزفول والحويزة	١١٠٠٠٠ نسمة
المجموع	١٩٩٠٠٠ نسمة

وهكذا فإن تقديرات العقيد بلْ قريبة جدا من تقديرات روبرتسون لأن عدد سكان الولاية زاد بعد سنتين بمقدار ٣٢٠٠٠ نسمة. وهذا الإحصاء يعتبر قريبا من الواقع من حيث أن اللورد كرزن قدر سكان الولاية بين ١٧٠ ألف و٢٠٠ ألف نسمة[١١٣]. وقدر الحاج عبد الغفار نجم الملك عرب عربستان بعشرين ألف عائلة [١١٤]. ولكن تقديرات الحاج عبد الغفار نجم الملك، كما قلنا في تقدير سكان المحمرة، غير معتبرة.

ازدهرت التجارة وتبادل البضائع في المحمرة والأهواز في أواخر عهد الشيخ

مزعل ونتيجة لحرية الملاحة في نهر كارون مما أدى إلى نموّ في سكان المدينتين. فنفوس المحمرة بين سنتَيْ ١٣٠٩و ١٣٢٠هـ (١٨٩١-١٩١٢م)، مثلاً، تضاعفت ثلاث مرات[١١٥]. ومادام الحديث عن عدد النفوس فلابد من الإشارة إلى أنه بالرغم من وجود مناطق مثل الخفاجية والبسيتين في ذلك العهد إلا أنها لم تحظ بالأهمية من حيث عدد السكان لذا لم يكن لها إحصاء سكاني وكانت محسوبة ضمن إحصاء الحويزة[١١٦].

كذلك فإن مدينة الأهواز لم تكن حينئذ (سنة ١٢٩٩هـ) ذات حضور ملحوظ إذ، كما أسلفنا، قدر النقيب هنت سكانها سنة ١٢٧٣هـ بألف وخمسمائة نسمة. بعد ذلك وفي سنة ١٢٩٩هـ تحدث الحاج عبد الغفار نجم الملك عن «قرية الأهواز ويسكنها حوالي ٦٠ أسرة عربية»[١١٧]. فإذا احتسبنا كل أسرة بواقع ٧ أفراد يكون عدد سكان قرية الأهواز في ذلك الوقت حوالي ٤٢٠ نسمة. وهذا يفسرسبب عدم ورود اسم الأهواز في أي من الإحصائيات والتقديرات السكانية.

وكان لجزيرة الخضر (عبادان)[١١٨] الحال نفسها. ورغم أن النقيب هنت مر بها فإنه لم يشر إليها ولا لعدد سكانها أبدا. لذا لم يكن لها حضور في الإحصائيات والتقديرات السكانية لتلك الفترة وكانت جزءا من إحصاء المحمرة.

عن مدينة الأهواز

إن المدينة التي تسمى اليوم الأهواز هي من أقدم مدن خوزستان ويعود تاريخها إلى أكثر من عدة قرون قبل الميلاد. شهدت هذه المدينة تحولات وتقلبات كثيرة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن. ولكنها مرت بفترة اختفاء تام عن مضمار التاريخ في الفترة الممتدة بين القرنين الخامس والرابع عشر الهجريين، أي ما يربو على ثمانية قرون بقليل... إلاّ أن الحياة عادت اليها منذ مائة سنة وهي مركز المحافظة منذ ثمانين عامًا. ومنذ أن احتلت مركز المحافظة الإداري اكتسبت أهمية ملحوظة ومُطّردة. وتعتبر اليوم أكبر مدن المحافظة وأهمها لموقعها الجغرافي في مركز المحافظة ولوقوعها على نهر كارون ووجود الأراضي الخصبة المستوية حولها.

ليس معلوماً على وجه الدقة تاريخ بناء هذه المدينة. ولكن أقدم كتابة حولها تفيد بأن الإسكندر بعد أن سيطر على إيران والهند كلف قائد بحريته «نثارخوس» (Nearxus) بالعودة بسفنه إلى الخليج فوصل إليه سنة ٣٢٥ق.م. بعد اجتياز المحيط الهندي ومن ثم دخل نهر كارون ورست سفنه في مدينة تدعى «تارينا» (Tareiana). ويعتقد البعض، لهذا السبب، أن «تارينا» تقع في موضع الأهواز الحالي[١١٩]. ولا يبدو هذا الرأي عديم الأساس تماماً لأن محمد بن جرير الطبري (وولد ٣١٠هـ) يؤكد في كتابه على أن فخذاً من بني حنظلة يسمون «بني العم»: كانوا يسكنون الرميلة من أرض الأهواز في عهد شابور الثاني (٣١٠ – ٣٧٩م)[١٢٠]. ويظهر من ما كتبه الطبري أن الأهواز كان اسماً لمنطقة واسعة لكل موضع منها اسم خاص ولم يكن قصد الطبري مدينة الأهواز تحديداً.

وحتى لو نظرنا بعين الشك لوجود مدينة اسمها «تارينا» في مكان الأهواز الحالية يبقى المؤكد وجود مدينة باسم «سوق الأهواز» في مكان مدينة الأهواز الحالية قبيل الفتح الإسلامي لإيران. فالطبري حين يتحدث في تاريخه عن فتح المسلمين للأهواز سنة ١٨ هـ يصف المنطقة بأنها تضم سبعين مدينة مركزها «سوق الأهواز». ويقول إن نهراً اسمه «الدجيل» يمر من سوق الأهواز[١٢١]. لذا يحتمل جداً أن يكون موقع «سوق الأهواز» في مكان الأهواز الحالية.

وينسب كل من حمزة الأصبهاني [١٢٢] الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (٣٥٠هـ) وحمد الله مستوفي[١٢٣] الكاتب في القرنين السابع والثامن الهجريين (٦٨٠ – ٧٥٠هـ)؛ بناء مدينة الأهواز إلى أردشير بابكان (٢٢٢م). والاحتمال الأرجح أن يكون حمد الله مستوفي نقل الفكرة عن كتاب حمزة الأصبهاني. وليس معلوماً مدى صحة كلام حمزة الأصبهاني. خاصة وأن محمد بن جرير الطبري لم يشر إليه ، كما لم تؤيده المصادر المعتبرة الأخرى.

يحتمل أن قد كانت هناك مدينة باسم «تارينا»، باللفظ اليوناني طبعاً، في موضع

الأهواز الحالي أو بالقرب منه ثم دمرت ثم بنى أردشير بابكان في العصر الساساني مدينة أخرى دمرت هي الأخرى[١٢٤] ثم بُنيت سوق الأهواز في مكانها. ويحتمل أيضاً أن تكون «تارينا» نفسها بقيت حتى قُبيل العصر الإسلامي فسميت سوق الأهواز. ولكن الاحتمال الأقوى أن سوق الأهواز بنيت في القرون الميلادية الأولى.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنّ كلمة «أوكسي» (UXI) أو «أوكسيان» (Uxian) هي في الأصل «خون» أو «خوزي» المتحولة إلى اليونانية وهي في الأصل متحولة عن كلمة «أواج» أو «أوج»[١٢٥]. إن كلمة أوكسي أو أوكسيان ليست الاسم القديم والتاريخي للأهواز بل إن مدينة أوكسين الحقيقية هي أيضا حامية مجهولة صغيرة نائية في منطقة إيذج قرب «أشكفت سلمان» والتي طالب أهلها، وهم الخوزيون، الإسكندر المقدوني بأتاوة خلال مروره بمنطقتهم عندما كان متوجها من السوس إلى تخت جمشيد للسماح له بالمرور. غير أن كراتروس وهو من قادة الإسكندر احتل الحامية وأجبر أهلها على الاستسلام[١٣٦].

هناك آراء مختلفة في وجه تسمية الأهواز. فالبعض يرى أنها كانت في الأصل «هوجستان واجار»[١٣٧]. ويعتقد توزي أنّ «الأهواز كانت تقرأ في الفارسية هوزمسير ثم سميت أخواز ثم غير الناس اسمها إلى أهواز»[١٢٨]. إلا أن رأي توزي ضعيف وغير معتبر، بحيث لم يقبلها حتى أحمد كسروي ذو النزعة الشوفينية[١٢٩].

أما كسروي فيرى أن كلمة «أوواجا»[١٣٠] الواردة في ألواح داريوش الأخميني في بيستون هي نفسها الأهواز[١٣١]. ولكنه لا يقول لنا كيف تحولت كلمة «أوواجا» إلى أهواز. وقد ذكرنا أن كلمة «أواج» أو «أوج» تحولت على عدة مراحل إلى «هوج» أو «خوج» ومنها أصل هوجستان أو خوجستان[١٣٢]. أما تغير «أوواجا» إلى «أهواز» فهو موضوع جديد.

وهناك آراء ضعيفة أخرى فضلا عن رأي كسروي. فحمزة الأصفهاني يعتبر «سوق

الأهواز» معرب «هوجستان واجار». يقول: «هناك مدينتان باسم هرمز أردشير بناهما أردشير ووضع لكل منهما اسما مركبا من اسمه واسم آلهته ثم أسكن الأعيان والوجهاء في إحداهما والكسبة وأهل السوق في الأخرى. لذا عرفت مدينة أهل السوق باسم «خوجستان واجار» ثم عُرِّبت بسوق الأهواز، كما سمى العرب مدينة أخرى بهرمشير. وعندما فتح العرب خوزستان دمرت مدينة الأعيان وبقيت مدينة «أهل السوق»[١٣٣].

لا يمكن أن تكون «سوق الأهواز» معرب «هوجستان واجار»؛ لأن أية كلمة أعجمية إذا عربت يتغير منها حرف أو حرفان أو تتغير حركاتها نحو كلمة «بولاد» ومعربها «فولاد» و«سباهيان» ومعربها «أصفهان» و«بارس» ومعربها «فارس». والحال أن «هوجستان واجار» لا تمت بصلة ولا بسنخية لكلمة «سوق الأهواز». إذن لا يمكن اعتبار الأخيرة معرب الأولى.

بيد أن رأي المؤرخ والجغرافي المعروف ياقوت الحموي أقرب للقبول وأجدر بالاعتبار من سواه. يقول ياقوت الحموي في «معجم البلدان»: «الأهواز» جمع «هوز» وهي في الأصل «حوز».وبما أن الفرس استعملوا الاسم كثيرا فقد بدلوه بحيث ضاع أصله لأن حرف الحاء غير موجود في الفارسية وإذا تلفظه الفرس جعلوه هاء فهم يلفظون حسن «هسن» ومحمد «مهمد». وحين أخذ العرب ذلك الاسم من الفرس لفظوه كما لفظه الفرس، «أهواز». إذن الأهواز اسم عربي أطلق على تلك البلاد »[١٣٤].

إن رأي ياقوت حول أصل كلمة «أهواز» وجذورها أكثر اعتبارا. لأنه من المقبول أن «أهواز» هي جمع تكسير عربي لـ«هوز». ثم إننا جميعا نعلم أن الحاء تلفظ في الفارسية هاء لذا فحتى لو كتب الاسم «أحواز» فإن الفرس يلفظونها «أهواز». وهكذا فليس من المستبعد أو غير المعقول أن كلمة «أحواز» تحولت بمرور الزمان وحسب اللفظ الفارسي لها إلى «أهواز» حتى كتبت على هذا اللفظ. كما نجد اليوم بعض الكلمات في الفارسية تكتب بالحاء وبالهاء مثل «حوله» وهي «هوله» (منشفة).

والدليل الآخر المعزز لقول ياقوت الحموي ما ذكره محمد بن جرير الطبري من أن منطقة الأهواز تشتمل على سبعين مدينة مركزها «سوق الأهواز». وقد ذكرنا أن هذا الكلام يبين أن هذه المنطقة كان فيها سبعون «حوزا» أو «هوزا» مركزها سوق الأهواز.

والدليل الثالث على صحة رأي ياقوت إطلاق اسم الحويزة التي بناها عفيف بن دبيس الأسدي في القرن الرابع الهجري. فالحويزة مصغر «حوز» وقد سميت المدينة بهذا الاسم تمييزا لها من سائر «الأحواز». والمؤكد أنها كانت أصغر من الأحواز الأخرى وأصغر من سوق الأهواز.

ثم إن ضعف الآراء الأخرى في هذا الصدد وافتقارها إلى الأساس يعتبر أفضل وأقوى حجة لرأي ياقوت. فتوزي يرى مثلا أن الأهواز هي نفسها «أخواز» ولكنه لا يدلنا على كيفية تحول «أخواز» إلى «أهواز». فقد كان عليه أن يفسر أولا كيف حذفت نقطة الخاء ثم يقدم دليلا مقنعا على تبدل الحاء إلى هاء. ولكنه لا يقدم أي شيء من هذا القبيل. ثانيا عليه أن يقول كيف جمعت كلمة «خوز» الفارسية على طريقة جمع التكسير العربية وأصبحت «أخواز». وحتى لو افترضنا إمكانية جمع الكلمات الفارسية على الطريقة العربية يبقى قوله مفتقرا إلى الاعتبار لأن «خوز» هو اسم القوم الذين كانوا يسكنون تلك المنطقة و«أخواز» هو جمع تكسيره بمعنى الخوزيين. فإذا جمعت بهذه الصيغة دلت على القوم لا على المكان ، لهذا السبب حتى كسروي لم يقبل برأيه.

تطرقنا إلى عدم صحة قول حمزة الأصبهاني بأن «سوق الأهواز» مُعَرَّب «خوجستان واجار». إلا أن أقوى اعتراض يوجه للذين يعتقدون بأن جذر كلمة أهواز هو كلمة «أوج» أو «أواج» هو أنهم يرجعون أصل كلمة خوزستان أيضا إلى «أوج» أو «أواج» أو «أوواجا». هذا يعني أن «أوج» تحولت من الفارسية إلى البهلوية مرة فصارت «خوز» ثم عادت بنفس الطريقة فأصبحت «هوز» ثم يقولون أخيرا: ...إن كلمتَيْ «خوزستان» و«أهواز» تنبعان من كلمتَيْ «خوز» و«أوز» وهما الصيغة العيلامية لكلمة «أوج»[١٣٥].

مهما يكن فإن هذه الآراء ضعيفة ولا أساس لها. لأننا لو سلمنا بأن كلمة «أوج» تحولت إلى «خوز» بسبب انتقالها من الفارسية إلى البهلوية فإنها لا تستطيع أن تنتقل مرة أخرى من الفارسية إلى البهلوية لتصبح هذه المرة «هوز». فواحد من هذين الاستدلالين فقط يمكن أن يكون صحيحا.

يقول ياقوت الحموي في وجه تسمية الحويزة: الحويزة مصغر حوز من حاز يحوز حوزًا[١٣٦]. وبالنظر إلى معنى كلمة حوز فإن سكنة هذه المنطقة كانوا قبل الإسلام موزعين على قبائل وعشائر مختلفة وكانت كل واحدة منها تضع اليد على أرض لها وتميزها من الأراضي المحيطة بها وتعتبرها حوزا لها فكان هناك مثلا حوز بني تميم وحوز بني حنظلة وحوز كليب بن وائل. تلك كانت أحوازاً مستقلة عن بعضها تدير اقتصاداً مغلقاً[١٣٧]. وكان مركزها سوق الأحواز الذي ربما كان أكبرها. ويؤكد محمد بن جرير الطبري في معرض حديثه عن فتح الأهواز أن كليب بن وائل كان لهم منازل حول الأهواز وكانت تربطهم علاقة عداء مع ملك الأهواز الهرمزان سببها الحدود والأراضي والقرى المنتشرة بينهما[١٣٨].

وهكذا فإن جميع تلك المنطقة كانت تسمى الأهواز قبل الإسلام بقرون أي في عصر الفرثيين[١٣٩]. فيما كانت مدينة الأهواز نفسها تسمى سوق الأهواز. وبمرور السنين حذفت «سوق» وأصبحت المدينة تدعى الأهواز.

في القرن الرابع الهجري تفرع نهر قصير بطول ٣٠٠ متر وعرض ٢٠ متراً من كارون وقسم المدينة إلى جانبين سمي الغربي منهما «الجزيرة» أمّا الشرقي فسمي «المدينة». وكان الجانبان يربطهما جسر اسمه «بل هندوان» (جسر هندوان). حينئذ[١٤٠] كان سكان المدينة على قسمين يحملان آراء مختلفة عن صحابة النبي. كانت المدينة بمثابة مستودع لمدينة البصرة ومحطة لبضائع فارس وأصفهان[١٤١].

وعلى عكس ما حققته مدينة الأهواز من ازدهار وعمران في القرون الإسلامية

الأولى، اتجهت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري إلى الخراب وتفرق أهلها عنها(١٤٢). إذ وصلت إلى أوائل القرن السادس وقد دمرت تماماً. ويصفها عبد الكريم محمد السمعاني الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس بقوله: «كانت الأهواز من المدن المعروفة التي ضمت بين جوانبها العديد من العلماء ورجال الدين والتجار والأغنياء من الأهوازيين وغير الأهوازيين. لقد تهدم الجزء الأعظم من المدينة ولم يبق منه إلاّ الركام الذي لا يؤوي إلاّ القليل من الناس»(١٤٣).

ليس معلوماً على وجه الدقة سبب خراب سوق الأهواز أو الأهواز. وكل ما قيل حتى الآن لا يعدو الحدس والظن الذي جاء به الكتّاب والمؤرخون المحدثون. فكسروي يرى في «خراب الأهواز القديمة أحد ألغاز تاريخ خوزستان الذي لم يذكر زمان حدوثه ولا مكانه في أي كتاب.» ويواصل: «إن ما توصلنا إليه نتيجة بحثنا وتقصينا يشير إلى أن الخراب حصل أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس»(١٤٤). وهذا القول أيضاً غير صحيح لأن ابن حوقل الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع يتحدث عن خراب الأهواز من القرن الرابع. مع هذا يعزو كسروي الخراب إلى سببين: الأول انهيار السد والثاني ارتداد مسرقان عن مجراه والتحاقه بالدجيل [كارون](١٤٥).

أمّا السيد عبد الله الجزائري الذي عاش في القرن الثاني عشر أي بعد خراب الأهواز بقرون فيرى أن فتنة صاحب الزنج هي التي أدت إلى إهمال الخلفاء للمدينة إذ إنه «بعد خمود الفتنة لم يبق في الخلفاء حماس للاهتمام بالمدينة كما أن المتبقين فيها عجزوا عن السيطرة على حقول قصب السكر ودفع المستحقات الحكومية المترتبة عليها، فاضطر أكثرهم إلى الهجرة و...»(١٤٦).

عموماً فإنه لم يبق من الأهواز بعد خرابها في القرن الرابع الهجري إلاّ الركام إلى أن أقام جماعة من آل كثير في عهد المشعشعيين فيها خياماً وأكواخاً وأحيوا على أرضها قرية. بعد ذلك تركوها وحل محلهم جماعة من الكعبيين وقاموا بزراعة الديم عليها(١٤٧).

يتضح من كلام السيد عبد الله الجزائري أن الأوضاع في الأهواز كانت سيئة حتى في أواخر القرن الثاني عشر الهجري. يقول: «لم يبق من مبانيها الآن إلاّ القلعة التي سوّرها الشيخ ناصر بن حميد يسكنها عدد من العوائل التي تعمل في زراعة الديم»[148].

ولم تتغير حالة الأهواز بعد ذلك وبقيت على هيئة قرية صغيرة. حتى إن السير أوستن هنري لايارد الذي كان في المنطقة في عهد الشيخ ثامر الكعبي سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤١م) لا يذكر الأهواز وهو يتحدث عن منطقة نفوذ الكعبيين بل إنه يذكر قرية ويس الواقعة إلى الشمال منها. وهذا يعني أن قرية ويس كانت أكثر سكاناً وعمراناً من مدينة الأهواز[149].

أمّا النقيب هنت الذي كان أحد ضباط الجيش البريطاني في الحرب الإيرانية البريطانية في المحمرة سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٣م) وقام بملاحقة خانلر ميرزا بالسفن عندما هرب إلى الأهواز فيصف الأهواز بما يلي: «مدينة الأهواز، كأية مدينة شرقية، لها بيوت متواضعة مبنية بغير انتظام بالطين واللبِن وتفتقر للشروط الصحية وفيها ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ نسمة. جميع سكان الأهواز من العرب الذين يتسمون بالوسامة العالية وهم أكثر اسمرارا من الإسبان»[150].

بعد ذلك بست وعشرين سنة أي في السنة ١٢٩٩هـ (١٨٨٢م) تحدث الحاج عبد الغفار نجم الملك عن «قرية الأهواز بسكانها العرب البالغ عددهم ٦٠ عائلة» و«عمدتهم الشيخ نبهان»[151]. ويبدو أن الحاج عبد الغفار وقع في خطأ وهو يقدر عدد سكان الأهواز[152]. لأننا لو فرضنا متوسط عدد أفراد العائلة الواحدة ١٠ أفراد لأصبح مجموع سكان الأهواز ٦٠٠ نسمة واذا فرضناه ٢٠ فرداً لأصبح عدد سكانها ١٢٠٠ نسمة وهو أقل من عدد سكانها قبل ذلك بست وعشرين سنة أي في عهد النقيب هنت. ثم إن الحاج عبد الغفار نفسه يتحدث عن صناعة «نسيج العباءات ونسيج البسط وصناعة الفرش من اللباد الملون والسرج» بصفتها «صناعات الأهواز البسيطة»[153]. وهذه الحرف لا تتناسب مع سكان مدينة لا يتجاوز عددهم الـ ٦٠ عائلة.

بعد ذلك يتدهور عدد سكان الأهواز أكثر فأكثر لأنه لم يبق فيها سنة ١٨٨٤م (١٣٠١هـ) أكثر من عشرين إلى ثلاثين داراً متهالكة لا يسكنها أكثر من ٢٠٠ شخص[١٥٤]. ويبقى حال الأهواز كما هو حتى بعد سنوات فلم تعد سوى قرية على الضفة اليسرى لكارون فيها عدد من الأكواخ الطينية وقلعة صغيرة آيلة إلى السقوط. وقد مر بها اللورد كرزن سنة ١٨٩٠م (١٣٠٧هـ) وقدّر عدد سكانها بحوالي ٧٠٠ شخص[١٥٥].

ومع حرية الملاحة في نهر كارون وظهور ميناء ناصري توسعت قرية الأهواز وبدأت الأهواز الجديدة في الظهور.

ميناء الناصري والأهواز الجديدة

أدت حرية الملاحة في كارون الأدنى (من مدينة المحمرة إلى مدينة الأهواز) سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) بوجه السفن الأجنبية إلى ازدهار التجارة في الإقليم وخاصة في مدينتي المحمرة والأهواز. وأدى ازدياد التبادل التجاري وانتعاش الصادرات والواردات بين المحمرة والخارج إلى ازدياد الهجرة إلى هاتين المدينتين وازدياد الكثافة السكانية فيهما.

كانت غاية البريطانيين من الحصول على امتياز الملاحة في نهر كارون بالدرجة الأولى، السيطرة على الأسواق الإيرانية في العمق والمركز من إيران. وما كانت الملاحة في نهر كارون تجتذب الاهتمام لولا اتصال كارون بمركز إيران. لهذا السبب قدمت شركة لينتش سنة ١٨٩٦م (١٣١٣هـ) مشروعاً للحكومة الإيرانية يتضمن فتح طريق قوافل بين مدينتَي الأهواز وأصفهان. وبعد مباحثات طويلة بين البريطانيين والحكومة الإيرانية تم التوقيع على اتفاقية فتح الطريق بين المدير الأول في السفارة البريطانية في طهران تشارلز هاردنغ والحاج عليقلي خان سردار أسعد في الثالث من آذار / مارس ١٨٩٨م[١٥٦]. ثم تم افتتاح الطريق بعد سنة أي في سنة ١٨٩٩م (١٣١٧هـ)[١٥٧]. وكان لهذا الطريق الرابط بين الأهواز وأصفهان أثر بالغ في تسريع التبادل التجاري

وتنشيط حركة الصادرات والواردات[١٥٨]. كما زاد من أهمية مدينة الأهواز إذ باتت حلقة وصل وجسر ارتباط هاماً للنقل المائي والبري[١٥٩].

إضافة إلى ذلك فإن وجود صخور كبيرة في نهر كارون مقابل قرية الأهواز[١٦٠] جعل الملاحة في هذه المنطقة عسيرة، فكانت السفن تفرغ حمولاتها عند وصولها إلى تلك المنطقة ثم تنقل براً حتى تتجاوز منطقة الصخور لتحمل على سفن أخرى. مع إطلاق حرية الملاحة في نهر كارون وخاصة بعد فتح طريق القوافل بين الأهواز وأصفهان بواسطة شركة لينتش وتنامي حجم المبادلات التجارية لم تعد المباني والمنشآت القديمة تستوعب الحجم المتزايد من الحركة التجارية. لذا تلقى حاكم عربستان الجديد حسين قلي خان نظام السلطنة أوامر بعد إطلاق حرية الملاحة في نهر كارون سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) بالعمل بجدية على إحداث إصلاحات وتوسيعات في تلك المنطقة مع اعداد تقرير شامل عن العشائر الساكنة على جانبي نهر كارون ووضعية الملاحة فيه ووضع قوات الشرطة في المنطقة. وجاء في الأمر أيضاً أنّ على نظام السلطنة أن يقيم ستة أشهر من كل سنة في المحمرة[١٦١].

قام نظام السلطنة ببناء مبانٍ ومستحدثات في الموضع الذي يسبق منطقة الصخور وحيث يتم تفريغ البضائع ،و خصص شرطة وجنوداً لحماية البضائع المفرغة[١٦٢]. عرفت المنشآت التي شيدها نظام السلطنة لتسهيل الحركة التجارية وتفريغ البضائع بميناء الناصري. اشتملت تلك المنشآت على مرسى ودار استراحة وسوق وحامية[١٦٣]. أما اسم الميناء فقد اختير نسبة لناصر الدين شاه[١٦٤]. شيد الميناء على الضفة الشرقية لكارون مقابل ميناء أمانية الكائن على الجانب الغربي من النهر في بداية طريق الأهواز- الحويزة التجاري.كانت البضائع المفرغة في ميناء ناصري تنقل بترام تجره الخيول مسافة ثلاثة كيلومترات ليتم تحميلها من هناك إلى تستر[١٦٥].

في السنة ١٩٠٠ ارتبطت هذه المدينة مباشرة بأسواق الولاية الوسطى «المركزية»

في إيران. الحقيقة كانت الأهواز بمثابة ميناء الولايات الوسطى وهذا ما جعل عدد سكانها يزداد.

جدير بالذكر أيضا أنه بالإضافة إلى المنشآت التي أقامها نظام السلطنة قامت شركة ناصري ببناء منشآت اشتملت على مخزن للبضائع ورصيف تحميل وخط ترام خفيف بين كارون الأدنى وكارون الأعلى(١٦٦).

نظرا إلى النتائج المتحققة من حرية الملاحة في نهر كارون وفتح طريق أهواز-أصفهان التجاري والذي ساهم في ازدهار وتوسع مدينة الأهواز وخاصة الجانب الاقتصادي الأهم والمتمثل بتفريغ البضائع في ميناء ناصري ثم تحميلها في الأهواز، فقد أخذ اسم الأهواز يركن إلى الظل من اسم ناصري الذي سمي بندر ناصري (ميناء الناصري) فيما سميت مدينة الأهواز بناصري أو الناصرية.

أدى نمو التجارة وتوسعها واستحداث ميناء ناصري بالكثير من تجار تستر ودزفول إلى الهجرة من مدنهم والانتقال إلى ميناء الناصري(١٦٧). ومما رفع من وتيرة الهجرة من مدينة تستر لكثرة الفتن والاضطرابات فيها والانقسامات بين أهلها. أما دزفول فإن عصابة الشيخ محمد طاهر الإجرامية قد سلبت الأهالي أمنهم وخلقت الدافع لدى التجار في الهجرة(١٦٨). الحقيقة أن تلك كانت أول هجرة للتستريين والدزفوليين إلى مدينة الأهواز وهذا ما دفع بمعين التجار إلى بناء فندق له ٢٤ محلاً في الأهواز، عازما على زيادة عددها حسب تعبير القنصل البريطاني بعد سنوات من إطلاق حرية الملاحة في نهر كارون أي في سنة ١٨٩٢م (١٣١٠هـ)، لقد تم ذلك قُبيل فتح طريق أهواز-أصفهان التجاري(١٦٩). كما قام حاكم الولاية نظام السلطنة بالاشتراك مع معز السلطنة أي شيخ مزعل(١٧٠) ببناء فندقين آخرين بالإضافة إلى بناء سوق(١٧١). وهكذا أدى ميناء الناصري إلى اتساع قرية الأهواز قبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) بحيث لم تصل سنة ١٣٠٣ش (١٩٢٥م) حتى اختير بندر ناصري مركزا للمحافظة ثم تغير اسمه إلى مدينة الأهواز في شهر شهريور ١٣١٤ش(أيلول / سبتمبر ١٩٣٥)(١٧٢).

مقتل الشيخ مزعل

يعرض المؤرخون أسبابا ودوافع متفاوتة لمقتل الشيخ مزعل. فالبعض يرى أنه يكمن في «طمع الشيخ مزعل وقسوة التقاليد القبلية للمحيسن» ويعتبرون «تكديس الثروة ورفع منسوب الضرائب وإعلان أملاك حلف المحيسن ملكا خاصا له وتأجير بساتين النخيل في المحمرة بمبالغ عالية» مؤشرات لهذا الطمع[١٧٣]. فيما يعزو البعض الآخر ذلك إلى «اتساع رقعة نفوذ الحكومة الإيرانية على دزفول وتستر أثار انزعاج القبائل الخاضعة له» لذا لم تمانع التآمر عليه[١٧٤]. أما أحمد كسروي فينسب مقتله إلى «سوء سلوكه» وتشدده مع خزعل حيث «كان متشددا معه في المصاريف أيضًا». ثم يؤكد أن سلوك الشيخ مزعل هذا لا يخلو من تبرير لأن خزعل كان من قبل «يخطط لقتله فانكشف أمره لمزعل وأورثه ضغينة وحقدا عليه.»، ثم يقول كسروي: «من يدري ربما كان يتمنى قتل أخيه ولكنه خشي الفضيحة»[١٧٥].

بغض النظر عن رأي كسروي حول دوافع الاغتيال وهي بدائية وسطحية إلا أن الواضح أن شعبية الشيخ مزعل كانت تتضاءل يوما بعد يوم[١٧٦]. ويعود هذا التضاؤل في الشعبية ،أو بالأحرى عدم شعبيته، إلى شدة حرصه وجشعه وولعه بتكديس الثروة والضغط على الناس.على أن الوقت القليل الذي استغرق تنفيذ المؤامرة وقلة الضحايا تبين أن خطة القتل كانت مبيتة، اشترك فيها جميع الشيوخ وزعماء المحيسن وأقرباء الشيخ مزعل . والسبب في ذلك واضح لأن الشيخ مزعل قد احتكر جميع المناصب والصلاحيات وحرمهم منها. فقد اتبع سياسة مدروسة وزع فيها المناصب كلها على منتدبيه فأثار حفيظة شيوخ المحيسن وشخصياتهم وأقربائه[١٧٧].

حقيقة الأمر أن سياسة الشيخ مزعل مع منافسيه السياسيين كانت تقوم على أساس جعلهم في ضائقة مالية مستمرة ليحرموا من القدرة على تكوين حاشية وأنصار أو تسليحهم. كانت طريقة عمال الشيخ مزعل في التعامل تثير انزعاج وسخط المزارعين أيضاً[١٧٨]. لذا نجد في تقرير كاتب القنصلية البريطانية ما يلي:

«إن مزعل، الذي ضاق العرب بجبروته ذرعاً، يعمل على مضاعفة الضرائب والايجارات التي يتقاضاها منهم سنة بعد سنة. لذا وقع جميع شيوخ المنطقة، إلاّ واحداً، ورقة تعهدوا فيها لخزعل بدعمه في حالة ثورته على أخيه»[١٧٩].

رغم زوجات الشيخ مزعل الخمس عشرة إلاّ أنه لم يكن له ولد[١٨٠]. وكانت التقاليد القبلية السائدة حينئذ تقضي بأن يرث الأخ الأصغر أخاه إذا لم يكن له عقب من صلبه وهكذا كان خزعل هو الوارث. وهذا ما خلق جواً من الريبة وسوء الظن بين الأخوين. ولما كان الشيخ مزعل هو الحاكم المطلق للمنطقة وبيده مقاليد الأمور كلها وهو الرجل الأول في القبيلة فقد كان الشيخ خزعل يمر بأوقات عصيبة ويظن كل يوم آخر يوم في حياته[١٨١].

ثم حول الشيخ مزعل سوء ظن أخيه خزعل به إلى كره وحقد عظيمين حين أعلن ابن أخيه الشيخ عبود خليفة له من بعده لأن ذلك الإعلان جاء مخالفاً صريحاً لجميع الأعراف والتقاليد القبلية السائدة وكذلك للحقوق الإسلامية. لذا حسم خزعل أمره وقرر التخلص من أخيه نهائياً.

وكان لموقف الشيخ مزعل المعارض لحرية الملاحة في نهر كارون ووضعه العراقيل في طريق نشاط شركة لينتش أثر في فتور العلاقة بينه وبين البريطانيين بل توترها بالتدريج. لذلك لم يكن البريطانيون منزعجين من هذا التغيير. فقبل حوالي سنة من اغتيال الشيخ مزعل في آب / أغسطس ١٨٩٦م دعا خزعل معاون القنصل في المحمرة ووعده بأن يدعم تجارة بريطانيا في الأهواز في حالة وصوله إلى الحكم[١٨٢]. وكان لهذا الموقف الرامي إلى ضمان دعم البريطانيين لخزعل وعدم وقوفهم بوجه ما هو مقدم عليه أثر حاسم عندما تم قتل مزعل حيث لم يبد البريطانيون أي اعتراض على تولي خزعل السلطة.

مهما يكن من أمر فقد قتل الشيخ مزعل مع اثنين من غلمانه السود على ساحل

قصره في الفلاحية برصاص «سويد» في الثاني من حزيران / يونيو ١٨٩٧م (الأول من المحرم ١٣١٥هـ). ونفذت خطة اغتياله بأن أطلق عبده الزنجي «سويد» عليه ثلاث طلقات في لحظة نزوله من القارب عائداً من جولته النهرية اليومية. ويقول أحد شيوخ المحيسن إنه بعد أن سقط الشيخ مزعل صريعاً فتح كل من كان يحمل السلاح النار على مرافقيه، فقتلوا منهم اثني عشر رجلاً[١٨٣].

تمهيداً لتنفيذ خطة الاغتيال تباحث خزعل مع قائد حرس القصر الشيخ عبد الله[١٨٤]. وابن عمه الشيخ سلمان بن منصور[١٨٥]. لنيل موافقتهما فقدم الرجلان المساعدة لخزعل عند التنفيذ. فعندما خر الشيخ مزعل صريعاً حاول غلمانه مساعدته ولكن الشيخ عبد الله ورجاله فتحوا عليهم النار وقتلوا خمسة عشر منهم[١٨٦]. وكان الشيخ سلمان حاضراً قرب موقع الاغتيال ومعه عدد من المسلحين تحسباً لفشل الخطة في المحاولة الأولى والإجهاض على مزعل[١٨٧].

بعد الانتهاء من عملية الاغتيال والتأكد من مقتل الشيخ مزعل ذهب الشيخ سلمان إلى دار الشيخ خزعل وأخبره بمقتل مزعل[١٨٨]. هنالك انطلقت إشاعة بين الناس مفادها أن الشيخ عبد الله والشيخ خزعل هما القاتلان الحقيقيان للشيخ مزعل. ولم تَحُم الإشاعات حول معاون القنصل البريطاني رغم علمه المسبق بنية التآمر على الشيخ مزعل ولم يتهمه أحد بالضلوع في المؤامرة. عموماً فقد عمل الشيخ سلمان على الحفاظ على الأمن والنظام في المدينة ومنع أي محاولة انتقامية. ثم توجه الشيخ خزعل إلى القصر عند منتصف الليل وتسلَّم مقاليد الحكم[١٨٩].

يدل تعاون الشيخ عبد الله والشيخ سلمان مع الشيخ خزعل وتنفيذهما لخطة الاغتيال وسط صمت زعماء المحيسن وشيوخها وأفراد أسرة آلبوكاسب على عدم محبوبية الشيخ مزعل لديهم[١٩٠]. ولم يُبْد القادة العسكريون للشيخ مزعل وأقرباؤه أي رد فعل عند سماع خبر مقتله ولم يبادروا إلى أي عمل احتجاجي أو انتقامي.

وهكذا قضى الشيخ مزعل مقتولاً بعد حكم استمر ١٦ عاماً امتد من ١٢٩٨هـ إلى ١٣١٤هـ (١٨٨١ - ١٨٩٧م). ولا شك أن ما أورثه لخَلَفه يزيد أضعافاً على ما ورثه هو من أبيه[١١١]. فأمّا منطقة النفوذ فقد اتسعت في عهده عما كانت عليه في عهد الحاج جابر. وأمّا في الداخل فقد أصبح آلبوكاسب أكثر مقبولية لدى القبائل والعشائر. وأمّا في الخارج فلم تعد القوى الكبرى تفكر في الإطاحة به. وبمقتله وصعود أخيه إلى السلطة بدأت صفحة جديدة من تاريخ الأهواز، وهي صفحة تميزت مرحلتها ببلوغ قوة حاكم المحمرة وسطوته الذروة.



هوامش الفصل السادس

(١)شيوخ جمع تكسير شيخ وكذلك مشايخ جمع جمع شيخ. شيخ المشايخ هو شيخ الشيوخ والأعلى منهم جميعاً رتبة.

(2) Iran, Ministry of Foreign Affairs Archives. Karguazar to the Ministry of Foreign Affairs. "Files of English Dept." 1320 [1902/1903] Vol. 177, 29 Rajab 1320 [oct. 23. 1302]

سيختصر بـM.F.F.A من الآن فصاعداً. (نقلاً عن تاريخ خوزستان، ص٥٥).

(٣)يدعوهم عبد المسيح الأنطاكي العامري الكعبي؛ «الدرر الحسان» نقلاً عن «تاريخ الأهواز»، الكتاب الثالث، ص٨.

(٤) «هميلي» هو أحد فروع نهر كارون ويصب في شط العرب والمنطقة الساحلية منه تسمى هميلي أيضاً.

(٥)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٣٣.

(٦)مولف كتاب قبائل كعب. من الماء إلى الماء أيضاً يعتبر أصل آلبوكاسب من بني عقيل لأن بني عقيل أنفسهم من أبناء عامر فلابد أن آلبوكاسب من أبناء عامر. عقيل حياوي أبو دايم الكعبي، ص٨٢.

(٧)[M.F.A.A bd]المصدر نفسه. المعروف أن اسم أبي الشيخ جابر هو الشيخ مرداو بن علي، ولكن المسؤول الحكومي أخطأ فقال إنه علي بن مرداو.

(٨)يقول أحمد كسروي إن الحاج جابر هو ابن الحاج يوسف. وهذا خطأ آخر من أخطائه، لأن الحاج جابر هو ابن مرداو وأخو الحاج يوسف. وربما ظنه كسروي ابن الحاج يوسف لأنه خلفه.

(٩)علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثالث، ص١٠.

(١٠)الحاج علوان الشويكي، نفس المصدر، ص٦٥. انظر: «هجوم والي بغداد على المحمرة» في هذا الكتاب.

(١١)لم تتطرق المصادر والمراجع لموقف الحاج جابر من ذلك الهجوم، لذا ليس معلوماً الموقف الذي اتخذه منه.

(١٢)المصدر الوحيد الذي تضمن إشارة عابرة لهذه النقطة هو كتاب «تاريخ سياسي، اجتماعي بختياري» تأليف جن. راف. كارثويت الذي يقول فيه: «عندما دخلت القوات الحكومية بقيادة معتمد الدولة أراضي الكعبيين مطاردةً محمد تقي خان نهض شيوخ المحيسن بوجه الشيخ ثامر وانضموا إلى معسكر معتمد الدولة. وليس معلوماً مدى صحة هذا القول.

(١٣)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٧٧ـ١٧٨.

(١٤)نفس المصدر، ص١٧٩.

(١٥)اللورد كرزن، نفس المصدر، ج٢، ص٣٩٣.

(١٦)الحاج عبد الغفار نجم الملك، نفس المصدر، ص٤٦.

(١٧)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٧٩.

(١٨)يؤكد كسروي أن هناك «مجموعة من الأوامر الحكومية حول الحاج جابر خان» وقد استند هو إلى تلك الأوامر، نفس المصدر، هامش رقم ١٣٥، ص٢٧٠.

(١٩)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٥٩ وص١٢٧.

(٢٠)ياور فراهاني، «جنك إيران وانكليس در محمره»، ص٤.

(٢١)اللورد كرزن، نفس المصدر، ص٤٢٧

(٢٢)ياور فراهاني، نفس المصدر، ص١٧ و١٨.

(٢٣)كان إبراهيم ميرزا ابن خانلر ميرزا وقائد الجيش يقبع في حفرة أثناء المعركة ويسأل كل جندي فارّ من موضعه إن كانت المعركة مازالت مستعرة؟!!!

(٢٤)ياور فراهاني،نفس المصدر، ص٦٦. كان خانلر ميرزا احتشام الدولة الابن السابع عشر لنائب السلطنة عباس ميرزا. كان في البداية حاكماً ليزد ثم عزل بعد أربع سنوات أي في سنة ١٢٥٣ ثم عين حاكماً لكرمان ولكن أهالي المدينه شكوه بسبب سوء سلوكه فتم عزله من منصبه سنة ١٢٥٦هـ. بعدها أصبح حاكم همدان ثم مازندران. وفي سنة ١٢٦٤هـ صار حاكماً لبروجرد ولرستان وخوزستان. وفي سنة ١٢٦٨هـ لقب باحتشام الدولة. وفي سنة ١٢٧٥هـ وبعد انهزامه أمام البريطانيين أصبح حاكماً لأصفهان حتى توفي سنة ١٢٧٨هـ.

(٢٥) مهدي بامداد: «شرح حال رجال إيران»، ص٤٧٣.

(٢٦)يعتقد لوريمر أن معاهدة الصلح عقدت في باريس في ١٤ آذار / مارس ١٨٥٧، ولكن الحرب اندلعت بعد ١٨ يوماً بقصف المحمرة. ج.ج.لوريمر: «دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٥، ص٢٤٧٤.

(٢٧)اللورد كرزن، نفس المصدر، ص٤٢٧.

(٢٨)يقول علي أصغر شميم أيضاً في كتاب «إيران در دوره ي سلطنت قاجار» مؤيداً هذا الموضوع: أظهر خانلر ميرزا في هذه الحرب جبناً وتخاذلاً. ص٢٣٤.

(٢٩)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٨٦.

(٣٠)نفس المصدر.

(٣١)مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٥٨.

(٣٢)يؤكد علي نعمة الحلو في كتابه أن الحاج جابر كان يرافق زوجة شيخ مشايخ الفلاحية إلى زيارة العتبات المقدسة؛ كتاب تاريخ الأهواز، ج٢، ص١٠.

(٣٣)مصطفى عبدالقادر النجار، «تاريخ سياسي لإمارة عربستان»، ص٩٦ـ ٩٧.

(٣٤)يقول علي نعمة الحلو إن الكمية كانت سبعين «كارة» من التمر.

(٣٥)علي نعمة الحلو، الكتاب الثاني، ص٣٥ـ ٣٦.

(٣٦)مصطفى عبد القادر النجار، نفس المصدر، ص٩١.

(٣٧)من جملة ما فعله الحاج جابر خان من هذا القبيل تحريضه حاكم خوزستان حمزة ميرزا حشمة الدولة على الشيخ لفتة بن مبادر.

(٣٨)نفس المصدر، ص٩٢.

(٣٩)من تلك المعارك التي دارت رحاها بين قبيلة المنتفق وبني كعب في عهد الشيخ غيث وقبلها في عهد الشيخ غضبان.

(٤٠)اللورد كرزن، نفسه، ص٣٩٧.

(٤١)محمد بن خليفة النبهاني؛ «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية»، ص١٠٤.

(٤٢)انظر مبحث «صعود نجم الحاج جابر خان». نقلاً عن علي نعمة الحلو، نفس المصدر، الكتاب الثالث، ج٢، ص١٠.

(٤٣)يذكر أن عبد المسيح الأنطاكي ذكر أن هذين الرجلين كانا وزيرين للحاج جابر.

(٤٤)الاستثناء الوحيد في هذا المبحث عهد السلطان محسن حيث كان إخوة زوجة مير نورالله المرعشي التستري ذوي مناصب في إدارة السلطان محسن.

(٤٥)نجم الملك، نفس المصدر، ص٦٠ و٨٣ و٨٥ و....

(٤٦)وليم ثيودور استرنك، «حكم الشيخ خزعل بن جابر» ، ص١٨.

(٤٧)لمزيد من الاطلاع على الأوضاع الاقتصادية في تلك الفترة، راجع كتاب «تاريخ خوزستان»، لمصطفى أنصاري.

(٤٨)عبدالعزيز سليمان نوار؛ «تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا»، ص٧٥.

(٤٩)بعد مقتل أمير كبير أصبح الصدر الأعظم لناصرالدين شاه، ميرزا آقاخان نوري رئيساً للوزراء بتوصية من البريطانيين. وكان من العمالة للبريطانيين قبل أن يصبح رئيسا للوزراء بحيث تجنس بجنسية بريطانية وكان يتردد على السفارة البريطانية ليلاً. لمزيد من الاطلاع، راجع كتاب شرح حال رجال إيران، تأليف مهدي بامداد، ج٤، ص٣٦٦. كذلك مذكرات الليدي شل، ترجمة حسين أبوترابيان، نشر نو، طهران، سنة ١٣٦٢.

(٥٠)يؤكد وليم ثيودور استرنك أن الحاج جابر اقترح على البريطانيين إيجاد معاهدة عسكرية مشتركة استدراراً لدعمهم لاستقلال حكمه غير أن البريطانيين ردوا مقترحه بعد أن شكروه عليه. نفس المصدر، ص١٩.

(٥١)هناك أقوال كثيرة في وجه تسمية المحيسن ولكننا لم نجد شيئاً مكتوباً عنه. الشيء الوحيد الذي وجدناه أن محيسن ابن علي بن عمير بن علي بن عبد الله بن مزاحم بن عوف بن قبان بن إدريس جد كعب عمير، ولا ندري إن كان له علاقة بمحيسن هذا أم لا. عقيل حياوي الكعبي، قبائل كعب ـ من الماء إلى الماء، ص٢٣٨.

(٥٢)حميد سياح؛ «خاطرات حاج سياح يا دوره ي خوف ووحشت» ،ص٢١١.

(٥٣)حميد سياح؛ نفس المصدر، ص٢٢٠.

(٥٤)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله خوزستان، ص١٩٠.

(٥٥)يرى أحمد كسروي أن سنة وفاة الحاج جابر خان هي ١٢٩٧ أو ١٢٩٨هـ. في حين أن جميع المصادر المعتبرة تجمع على أن سنة وفاته هي ١٢٩٨هـ. على أن الخطأ الكبير الذي وقع فيه كسروي يتعلق بسنوات حكم الحاج جابر خان والتي يقدرها بـ «نحو ثلاثين سنة». وقبل هذه الصفحة ببضع صفحات ذكر في معرض حديثه عن هجوم والي بغداد على المحمرة سنة ١٢٥٣هـ أن «الحاج جابر كان حاكم المحمرة» (ص١٦٢، مبحث : داستان محمرة). فهو لم يكلف نفسه مراجعة ما كتبه بنفسه ليحسب السنوات بشكل صحيح. لأنه من سنة ١٢٥٣هـ إلى سنة ١٢٩٨هـ خمس وأربعون سنة لا ثلاثون.

(٥٦)حكم الحاج جابر خان المحمرة وأطرافها منذ سنة ١٢٤٤هـ واستمر حتى سنة ١٢٩٨هـ أي أربعاً وخمسين سنة.

(٥٧)مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٦٦.

(٥٨)نفس المصدر.

(٥٩)يفيد تقرير القنصل البريطاني في البصرة روبرتسون أن الشيخ محمد قرر مؤخراً أن يقتل الشيخ مزعل ولكنه لم يستطع تنفيذ القتل لأن آلة القتل لم تكن مناسبة؛ مصطفى الأنصاري، نفسه، ص٦٦.

(٦٠)بعد ذلك حين تسلم الشيخ مزعل السلطة أصبح سلمان نائب الحكومة في المحمرة؛ مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٩١.

(٦١)يرى بعض المصادر أن من الأعمال التي لفتت الأنظار إلى الشيخ مزعل وأكسبته نصرة الفئات المختلفة المصاهرات الائتلافية واعادة توزيع الأراضي بين القبائل واصلاح الأسس الضريبية لصالح بعض العشائر. مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٦٧.

(٦٢)يقول الحاج عبد الغفار نجم الملك الذي زار خوزستان في السنة الثانية من حكم الشيخ مزعل عن وعورة طريق خرم آباد- دزفول الذي يمر عبر سلسلة جبال زاجروس: «... لا يمكن اعتبار خوزستان جزءاً من إيران ما لم يشق هذان الطريقان ويعمرا. بل هي أرض منفصلة ولا تتبع إيران إلاَّ بالاسم». سفرنامه ي خوزستان، ص١٨. ويقول في موضع آخر: «ليس للدولة سيطرة وسطوة كافية على خوزستان بعد.» (ص٧٣).

(٦٣)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٤٥.

(٦٤)أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٩١.

(٦٥)نفس المصدر.

(٦٦)كانت ضريبة أرض المحمرة وكعب في البداية ٢٢٠٠٠ تومان ولكنها ارتفعت بالتدريج حتى وصلت في وقت خانلر ميرزا حشمة الدولة إلى سبعين ألف تومان؛ عبد الغفار نجم الملك، نفس المصدر، ص١١٩.

(٦٧)جاسم حسن شبر، نفس المصدر، ص٢٠٣.

(٦٨)محمد جعفر الأعرجي؛ «مناهل الضرب في أنساب العرب»، مخطوط، ص٤٧٣، نقلاً عن إنعام مهدي علي السلمان، ص١٠.

(٦٩)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٥١. كان ظل السلطان قد استدعى الشيخ مزعل إلى أصفهان قبل ذلك أي في سنة ١٢٩٩هـ ولكن الشيخ مزعل لم يلبِّ أمره، مما يدل على قدرة وعظمة الشيخ مزعل؛ الحاج عبد الغفار نجم الملك، نفس المصدر، ص١١٧.

(70) Great Britain, Foreign office, inclosure 2 in No, 36, Consul P.J.C. Robertson To Col. E.C. Ross. Basrah, 12 May 1888, Fo 539/39

نقلاً عن جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٥٢.

(٧١)جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٥٢. ما قام به نظام السلطنة يذكّر بما فعله زاهدي سنة ١٩٢٥م (١٣٠٣ش) حين دعا الشيخ خزعل إلى سفينة نزهة(يخت) ثم قبض عليه واقتاده إلى طهران.

(٧٢)إبراهيم صفايي؛ أسناد سياسي دوران قاجاريه، وثيقة رقم ٤٤، ص١٤١.

(٧٣)اعتبر مصطفى الأنصاري عشيرة النصار من المحيسن (ص٣٩)، والحقيقة أنها فرع من بني كعب. فالحاج علوان الشويكي حين يتحدث عن نزوح بني كعب من القبان إلى الدورق سنة ١١٦٠هـ يؤكد أن الشيخ سلمان أمر عشيرة النصار أن يستوطنوا ضفاف شط العرب ليكونوا مصداً لتعرضات العراقيين والعثمانيين.

(٧٤)مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص ٣٩.

(٧٥)السير أوستن هنري لايارد، نفس المصدر، ص٣٢١.

(٧٦)جي. إتش. هنت، نفس المصدر، ص٨٩.

(٧٧)فيروز كاظم زاده؛ «روابط روس وانكليس در إيران ١٩١٤-١٨٦٤»، ص١٣٦.

(٧٨)خسرو معتضد؛ حاج أمين الضرب وتاريخ تجارت وسرمايه كذاري صنعتي در إيران، ص٣٧٥.

(٧٩)يقال إن البريطانيين حصلوا على هذا الامتياز من ناصر الدين شاه مقابل سفينتين وتعهد بدعمه في حالة تعرضه إلى هجوم من قبل التركمان عبر الحدود.

(٨٠)عبد الحميد إسماعيل حقي؛ «الوضع القانوني لإقليم عربستان في ظل القواعد الدولية»، ص٤٧.

(٨١)نقلاً عن إنعام مهدي علي السلمان، ص٣٨- ٣٩.

(٨٢)إبراهيم صفايي، نفس المصدر، ص١٢٨-١٣٢.

(٨٣)سنفس المصدر، ص١٣٤-١٣٩. من العوائق الأولية التي واجهتها شركة لينتش للملاحة عدم اجازة بناء منشآت كالمخازن والمستودعات وكذلك المعاملة السيئة من قبل الناس.

(٨٤)تلك الشركات كانت عبارة عن: شركة غري، مك كنزي وشركاوه؛ شركة غري، باول وشركاوه؛ شركة ملاحة بومبي وإيران.

(٨٥)تشارلز عيسوي؛ تاريخ اقتصادى إيران، ترجمة يعقوب آجند، ص١٢٧.

(٨٦)نفس المصدر، ص٢٦٢. الأمر الذي أصدره ناصر الدين شاه إلى أمين السلطان مباشرة بعد جعل الملاحة حرة في نهر كارون سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) والذي كلف فيه نظام السلطنة بالإقامة ستة أشهر من كل سنة في المحمرة أثار ارتياب الشيخ مزعل وضاعف ظنونه؛ إبراهيم صفايي، نفسه، ص١٤١.

87) I.O.R/L/P+S/20.C.242; J.A. Saldanha, Persian Gulf Gazetter Part I: Historical and political Materials Precis on Persian Arbistan Affairs. P. 65

(نقلاً عن مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٩٥).

(٨٨)لا يشير أحمد كسروي بأية إشارة إلى موقف الشيخ مزعل من حرية الملاحة في نهر كارون. بل إنه لا يذكر اسمه ولا مرة واحدة في مبحث «آزادي كشتيراني در كارون بايين» (حرية الملاحة في كارون الأدنى). وهذا ما يجعل كتاباته في هذا الموضوع ناقصة نقصاً كبيراً.

(٨٩)إنعام مهدي علي السلمان، نفس المصدر، ص٣٨.

(٩٠)مصطفى أنصاري، نفس المصدر، ص٦٧.

(٩١)الكابتن (النقيب) هنت، نفس المصدر، ص٨٧.

(٩٢)نجم الملك، نفس المصدر، ص٩٢،٨١.

(٩٣)مصطفى أنصاري، نفس المصدر، ص٣٩.

(٩٤)نجم الملك، نفس المصدر، ص٩٧.

(٩٥)عزيز كل أفشان، آزادي كشتيراني در رود كارون ونتائج آن، كتاب خوزستان، ج٢، ص١٠١.

(٩٦)إيران وقضيه إيران، نفس المصدر، ص١٠٦.

(٩٧)مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص١٠٦. إضافة إلى ذلك، كان قد أجّر مناطق واسعة من مدينة الأهواز على الناس بعقود مدتها ١٠ سنوات (نفسه، ص١٠٩)، كما قام بالتعاون مع نظام السلطنة ببناء محلات في مدينة الأهواز وتأجيرها على الباعة. (عزيز كل أفشان، نفس المصدر، ص١٠٢).

(٩٨)مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص١٠٨.

(٩٩)نفس المصدر، ص٩٦.

(١٠٠)نفس المصدر، ص٩٧. يتحدث اللورد كرزن عن الصداقة التي كانت تجمع الشيخ مزعل والقنصل البريطاني في البصرة السيد روبرتسون ويؤكد أن الشيخ مزعل «رغم علاقاته الحميمة القديمة مع روبرتسون كان يشعر بأن

عليه أن يتعامل بحذر بالغ. لذا كان يسيء الظن بالجميع ولا يريد أن يطأ بقدمه أية سفينة خشية أن تكون هناك مؤامرة عليه لنفيه أو القضاء عليه.» نفس المصدر، ص٧٧.

(١٠١)نفس المصدر، ص٩٨.

(١٠٢)نفس المصدر.

(١٠٣)نفس المصدر. وقد سبق للشيخ مزعل أن قام بإجراءات تمهيدية تمثلت في الضغط لتنحية ميرزا قاسم خان تفنكدارباشي في ٢ربيع الأول ١٣١١هـ (١٢أيلول/سبتمبر ١٨٩٣م) بعد أن كان قد عُين في جمادى الأولى ١٣٠٦هـ (كانون الثاني/يناير ١٨٨٩م) كأول مسؤول حكومي في المحمرة ثم أُنيطت به صلاحيات مسؤول الجمارك مما أثار عدم رضا وسخط الشيخ مزعل.

(١٠٤)لم تكن هناك علاقات رسمية بين الشيخ مزعل وبريطانيا قبل فتح كارون ولكن العلاقات بين الطرفين كانت ودية إلى حد ما. وبعد ذلك بوقت قصير لاحظ القنصل البريطاني في البصرة بدهشة أن الشيخ يعامله بخصومة صريحة. جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٨٩.

(١٠٥) الكابتن (النقيب) هنت، نفس المصدر، ص٩٤.

(١٠٦) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٨٩-١٩٠.

(١٠٧)مصطفى أنصاري، نفس المصدر، ص٣١.

(١٠٨)نجم الملك، نفس المصدر، ص١٣٤.

(١٠٩)نفس المصدر، ص٢٥.

(١١٠)نفس المصدر، ص٢١.

(١١١)نفس المصدر، ص٩٢.

(١١٢)مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص٣٠.

(١١٣)اللورد كرزن، نفس المصدر، ص٦٩.

(١١٤)نجم الملك، نفس المصدر، ص٣٨.

(١١٥)عزيز كل أفشان، نفس المصدر، ص١٠١.

(١١٦)من توابع [الحويزة] المهمة البسيتين والخفاجية وهما المصدران الأساسيان للضرائب؛ نجم الملك، نفس المصدر، ص٦٣.

(١١٧)نجم الملك، نفس المصدر، ص٣٤.

(١١٨)الحاج عبد الغفار نجم الملك، شأنه شأن من سبقه من المؤرخين، يسمي تلك المنطقة «جزيرة الخضر» (سفرنامه ي خوزستان، ص٩١)، وكذلك أحمد كسروي يسميها في عموم كتابه «جزيرة الخضر». ولكنه في الأقسام الأخيرة من

كتابه وتحت عنوان «عمران عبادان وباقي المدن» يسميها «عبادان». (تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٢١٣).
يذكر أن البعض يرجع تسميتها إلى القائد الإسلامي الكبير في صدر الإسلام عباد بن الحصين. عقيل حياوي الكعبي، نفس المصدر، ص٤٢٧.

(١١٩)غلامحسين مصاحب؛ دايرة المعارف فارسي، ج١، ص٣١٧.

(١٢٠)محمد بن جرير الطبري، نفسه المصدر، ج٤، ص٢٠٨.

(١٢١)نفس المصدر، عنوان «خبر كشادن أهواز» (خبر فتح الأهواز).

(١٢٢)حمزة الأصفهاني؛ تاريخ بيامبران وشاهان (سني ملوك الأرض والأنبياء)، ص٤٥.

(١٢٣)حمدالله مستوفي، نزهة القلوب، ص١٣١.

(١٢٤)يؤكد إيرج أفشار سيستاني، دون أن يذكر أي مصدر، أن أردشير بابكان قام ببناء مدينة هرمز أردشير (الأهواز). خوزستان وتمدن ديرينه آن، ص٢٠٥.

(١٢٥) انظر مبحث «حول خوزستان» في هذا الكتاب.

(١٢٦)البارون دوبد، نفس المصدر، ص٢٨١-٢٨٧.

(١٢٧)حمزة الاصفهاني، نفس المصدر.

(١٢٨)أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري؛ «فتوح البلدان»، ص٥٣٥.

(١٢٩)أحمد كسروي، كاروند كسروي، مقاله «أهواز وخوزستان وهويزه»، ص٢٣٩.

(130) U vaja

(١٣١) أحمد كسروي، نفس المصدر.

(١٣٢)انظر: مبحث «حول خوزستان».

(١٣٣)حمزة الأصفهاني، نفس المصدر.

(١٣٤)ياقوت الحموي؛ معجم البلدان، ص٣٦٣.

(١٣٥)إيرج أفشار سيستاني، نفس المصدر، ج١، ص٣٧.

لابد من الالتفات إلى أن خوز أو أوز ليست الصيغة العيلامية لـ (أوج)، بل إن كلمة أوج الفارسية تحولت في العصر الساساني إلى هوج أو خوج. وحينئذ لم يكن هناك للعيلاميين عين ولا أثر. انظر: جهانكير قائم مقامي؛ «تطورات نام سرزمين خوزستان»، ص١٧٥.

(١٣٦)ياقوت الحموي، نفس المصدر، ص٣٧٣. حاز الشيء بمعنى حصل عليه وتملكه نحو «حاز مالاً». أمّا الحوز وجمعها أحواز فهي الأرض التي يقررها الشخص لنفسه ويمتلكها ويعين حدودها كي لا يتعدى عليها أحد. الحوزة هي الشيء الذي يملكه الشخص ويقع تحت تصرفه. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص٣٤٣.

(١٣٧) مازال يتواجد في خوزستان مثل هذه الأحواز، على سبيل المثال حوز الملاكة في المحمرة والذي مازال يسمى بهذه الاسم.

(١٣٨) محمد بن جرير الطبري، نفس المصدر.

(١٣٩) انظر: مبحث «أهواز، عربستان، خوزستان».

(١٤٠) أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي؛ «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، ص٦١٤.

(١٤١) نفس المصدر، ص٦١٣.

(١٤٢) ابن حوقل؛ «سفرنامه ابن حوقل» (رحلة...)، ص٢٤.

(١٤٣) أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، كتاب الأنساب، طبعة حجرية، طبع بغداد، ص٣٢٩.

(١٤٤) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص١٩٦.

(١٤٥) نفس المصدر.

(١٤٦) السيد عبدالله الجزائري، تذكرة شوشتر، ص٣٤.

(١٤٧) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص١٩٧.

(١٤٨) السيد عبدالله الجزائري، نفس المصدر.

(١٤٩) السير أوستن هنري لايارد، نفس المصدر، ص٨٦.

(١٥٠) الكابتن هنت، نفس المصدر، ص٩٤.

(١٥١) نجم الملك، نفس المصدر، ص٢٤؛ الشيخ نبهان العامري الكعبي هو المتبقي من الكعبيين الذين استوطنوا قرية الأهواز بعد ذهاب آل كثير. قرية الأهواز حالياً هي أقدم محلات مدينة الأهواز واسمها مأخوذ من عامر جد الشيخ نبهان فهي تعرف باسم «عامري». والى جوارها محلة تسمى «الأهواز القديمة». والأرجح أن قرية الأهواز كانت في مكان هاتين المحلتين.

(١٥٢) سبق أن ذكرنا خطأً آخر للحاج عبدالغفار نجم الملك حول عدد النفوس. راجع: مبحث «سكان خوزستان» من هذا الكتاب.

(١٥٣) نجم الملك، نفس المصدر، ص٣٤.

(١٥٤) جين ديولافو؛ سفرنامه مادام ديولافو «إيران وكلده»، ص٧٩٨.

(١٥٥) اللورد كرزن، إيران وقضية إيران، ص٤٢٥.

(١٥٦) لمزيد من الاطلاع على مسار المفاوضات وكذلك مفاد الاتفاقية، انظر: جن. راف. كارثويت، نفس المصدر، ص١٧٢-١٨٨.

(١٥٧) ديتر امان، «بختياريها عشاير كوچ نشين إيراني در بويه تاريخ»، ص٩٨.

(١٥٨) ارتفعت واردات المحمرة من بريطانيا بنسبة ٤٦٪ وصادراتها إليها بنسبة ١٤٠٪ وذلك خلال الفترة من ١٣١٣هـ إلى ١٣١٨هـ (١٨٩٥ – ١٩٠٠م). تشارلز عيسوي، نفس المصدر، ص١٢٧.

(١٥٩) الحمولات المائية هي التي تنقل عبر نهر كارون . أمّا الحمولات البرية فهي التي تنقل عبر طريق القوافل المعروف بطريق لينتش.

(١٦٠) يمكن مشاهدة هذه الصخور في الوقت الحاضر مقابل محلة عامري ومن فوق الجسر السابع عند انخفاض مستوى الماء.

(١٦١) إبراهيم صفايي، نفس المصدر، ص١٤١.

(١٦٢) يتبين من تقرير نظام السلطنة إلى أمين السلطان الصدر الأعظم وقتذاك أنه قد رصد مبلغ ٦٥ ألف تومان في الفترة بين ١٣٠٧ – ١٣٠٩هـ (١٨٨٩ . ١٨٩١م) لإقامة منشآت حكومية في مدن الأهواز والمحمرة. حسين قلي خان، نظام السلطنة مافي: «خاطرات وأسناد» ،ص٤٣٥.

(١٦٣) مصطفى الأنصاري، نفسه، ص١٧٨.

(١٦٤) يعزو صفي الدين البغدادي تسمية بندر ناصري إلى الشيخ ناصر بن محمد أول شيخ لبني كعب. وهذا خطأ لأن ناصر بن محمد لم يحكم الأهواز أبداً. بل إنه لم يحكم القبان ، لأنه توفي قبل الانتصار على المطور والاستيلاء على القبان. إضافة إلى ذلك لم يجر الحديث عن بندر ناصري قبل هذه الفترة ولم يتردد اسم ناصري إلاّ بعد هذا التاريخ. ثم إن بندر ناصري ليس الأهواز نفسها كما يزعم صفي الدين البغدادي بل هو ميناء يقع إلى الأدنى من الأهواز. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي؛ «مراصد الاطلاع، على أسماء الأمكنة والبقاع»، ١٩٥٤م.

(١٦٥) مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص١٧٨.

(١٦٦) الوثيقة رقم ١٤٩٩١. ٤.ق، الموجودة في أرشيف مؤسسة الأبحاث والدراسات الثقافية.

(١٦٧) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص١٩٩.

(١٦٨) نجم الملك، نفس المصدر، ص١٣١.

(١٦٩) تقرير القنصل البريطاني في الأهواز في أوائل سنة ١٨٩٢م. (١٣١٠هـ.) نقلاً عن مصطفى الأنصاري، تاريخ خوزستان، ص١٨٠.

(١٧٠) الشيخ مزعل آلبوكاسب.

(١٧١) فريد الملك همداني، «خاطرات فريد»، ص١٦٠.١٦١، نقلاً عن «آزادي كشتيراني در رود كارون ونتايج آن، ص١٠٢–١٠٣.

(١٧٢) محمد معين، فرهنك معين، ج٦.

(١٧٣) مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص١٠٦.

(١٧٤) إنعام مهدي علي السلمان، نفس المصدر، ص١٠. يطرح وليم ثيودور استرنك كذلك هذا الدليل على أنه أحد الاحتمالات. وليم ثيودور استرنك « نفس المصدر، ص٢٣.

(١٧٥) أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ي خوزستان، ص٢٠١.

(١٧٦) عبدالله بن مصطفى قلي خان (سردار أكرم)، كتيب مسافرت عربستان ولرستان، ص١٣٨، نقلاً عن مصطفى الأنصاري، نفسه، ص١٠٦.

(١٧٧) وليم ثيودور استرنك، نفس المصدر، ص٢٢.

(١٧٨) تقرير مك دوال، العدد ٦٤ (A) المحمرة ٣ حزيران / يونيو ١٩٨٧ (F.O.) ٢٤٨ / ٦٤١.

(١٧٩) وزارة الخارجية F.O.=Foreign office . علماً أن جميع تقارير F.O جاءت نقلاً عن كتاب وليم ثيودور استرنك.

(١٨٠) نقلاً عن مصطفى الأنصاري، نفس المصدر، ص١٠٧.

(١٨١) اللورد كرزن، نفس المصدر، ص١٨٢.

(١٨٢) «تحدث الشيخ خزعل خان في العام الماضي في جمعية في ناصري (أهواز الحالية) وكنت حاضراً الاجتماع عن ماضيه وكان مما قال: «بلغ بي الخوف من أخي درجة كنت معها أستيقظ كل صباح وأنا أفكر أنه اليوم الأخير من حياتي. وحين كنت آوي إلى الفراش ليلاً ما كنت أتوقع أن أبقى حياً حتى الصباح. وهذا ما جعل الشيب يغزو رأسي وأنا في العشرينيات من عمري.» أحمد كسروي، تاريخ بانصد ساله ى خوزستان، ص٢٠٢.

(١٨٣) مك دوال إلى الممثل السياسي البريطاني، العدد ذ (A) المحمرة، ١٠ حزيران / يونيو ١٨٩٧ (F.O) ٤٦٠ / ١.

(١٨٤) تقرير وليم مك دوال معاون القنصل [البريطاني] في المحمرة إلى معاون الممثل السياسي [البريطاني] في البصرة جي. إف. فاكان، المحمرة، ٤حزيران / يونيو ١٨٩٧ (F.O) ٤٦٠ / ١.

(١٨٥) تقول إنعام مهدي علي السلمان إن الشيخ عبدالله هو الأخ الأصغر للشيخ خزعل (ص١٠)، والحال أنه لا يذكر ذلك أي مصدر من المصادر. من جانب آخر المعروف أن الحاج جابر له أربعة أولاد هم محمد ومزعل وسلمان وخزعل وليس فيهم عبدالله.

(١٨٦) أخطأ مصطفى الأنصاري حين اعتبر الشيخ سلمان عم الشيخ خزعل؛ نفس المصدر، ص١٠٧. لويس ماسينيون؛ «المحمرة» في مجلة جهان اسلام الفرنسية، العدد السادس سنة ١٩٠٨، ص٣٩٤ وكذلك إتش. ج ويكهام؛ «مشكل فارسى»، نيويورك ١٩٠٣، ص١٠٩-١١١.

(١٨٧) إنعام مهدي علي السلمان، نفس المصدر.

(١٨٨) نفس المصدر.

(١٨٩) تقرير مك دوال إلى فاكان، المحمرة، ٤ حزيران ١٨٩٧، (F.O) ٤٦٠ / ١.

(١٩٠) حتى ميرزا حمزة كاتب الشيخ مزعل الذي كان يعمل في ديوان آلبوكاسب انضم إلى معارضي الشيخ مزعل وكان من الناشطين البارزين في التآمر عليه. (وليم ثيودور استرنك، نفس المصدر، ص٢٤).

(١٩١) جدير بالذكر أن ما كتبه كسروي عن الشيخ مزعل وفترته كان قليلاً جداً ولا يتجاوز في عدد صفحاته عدد أصابع اليد الواحدة. لذا فلا يعتبر ما كتبه تغطية لحوادث تلك الفترة. ويواصل كسروي أسلوبه السطحي المتسم بالعموميات في المبحث التالي الخاص بالشيخ خزعل الذي يطغي عليه التحيز. إضافة إلى ذلك فإن عدم حصوله على الوثائق السرية والمصادر الأصلية زاد من عدم وثاقة كتاباته وعدم جدارته بالاستناد.



كتاب كسروي في سطور

لا شك أن تأليف كتاب على شاكلة «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» قبل ثمانين سنة وفي ظروف وحالة من شح المصادر عمل يثير الإعجاب ويسترعي الاهتمام. خاصة وأن أحمد كسروي يقوم بهذه المبادرة لأول مرة ولم يسبق أن صدر بحث أو كتاب تأريخ في هذا المجال باللغة الفارسية.

ورغم الخدمة التي قدمها كسروي إلى تاريخ عرب خوزستان وثقافتهم ، إلا أن آراءه ونظراته إلى تاريخهم وخاصة في ما يتعلق بالمشعشعين كانت في أكثر الأحيان متحيزة ومغرضة بل كانت أحيانا تنطلق من مشاعر الحقد . كل ذلك مرده إلى أن كسروي كان من رواد الخطاب الشوفيني في بداية القرن وإلى توجهه المعادي للعرب. وطالما تردد في كتابه آراء ووجهات نظر عبر عنها بكلمات نابية لا تليق بالبحث بل تحط من قدره.

ومما ضاعف من مشاعر الكره التي حملها وعبر عنها أحمد كسروي تجاه المشعشعين ، موقفه من مؤسس الحكم المشعشعي السيد محمد بن فلاح ،لهذا السبب نجد كسروي يحاول بشتى الطرق المشروعة وغير المشروعة، وبروايات صادقة وكاذبة أن يلصق بمحمد بن فلاح تهمة ادعاء «المهدوية» ونراه يبالغ في ذم المشعشعين وسبهم حتى يصف القوانين والتعليمات التي وضعها ابن فلاح لتنظيم أمور مجتمع الدولة المشعشعية بأنها «مجازر السيد محمد».

لقد خالف كسروي في كتاب «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» كل ما أكد عليه في كتبه ومقالاته من مواصفات المؤرخ. من ذلك مثلا أنه لم يراع الأمانة في النقل عن الآخرين وأنه كان ينسب إليهم ما لم يقولوا ، كما وجدناه في الرواية عن نيبور حول الكعبيين أو عن القاضي نور الله حول معتقدات السيد علي والسيد أيوب ابنَي السلطان محسن المشعشعي وكذلك الاستنتاج الخاطئ والسيئ من كتابات الآخرين كما وجدناه ينسب إلى السيد بدران مجموعة من الأعمال السيئة. ولو تسامحنا في وصف عدم اهتمامه

بمواضيع هامة مثل علاقة المشعشعيين والكعبيين بالقوى المسيطرة في عصرهم وجيرانهم وبشكل خاص تجاهله لمعركة الكعبيين مع البريطانيين وانصرافه إلى مواضيع لا علاقة لها بتاريخ خوزستان مثل موقف والي الحويزة من هجوم الأفغان وحملناها على حسن الظن، فيبقى تعاطيه مع المواضيع والمصادر انتقائيا ومزاجيا وحسب ما يوافق توجهه مع إغفال المصادر الأخرى وشهود العيان كما في قصة والي الحويزة ووصفه عرب خوزستان بالنهابة وقطاع الطرق وتكرار تلك الأوصاف على صفحات الكتاب ونبش قبور سبعة أجيال أو ثمانية من أسلاف الكعبيين ونسبتهم خطأً إلى بني خفاجة ،وكذلك إطلاق الأحكام وتعميم صفات الخاصة على العامة من بني خفاجة والكذب في هذا المجال والتدليس على الحقائق وعدم التصريح بحقيقة إيفاده إلى خوزستان ومشاركته المؤثرة في الصراع بين رضا خان والشيخ خزعل والتأثر بها وعلاقاته القريبة من البلاط ولقاءاته مع رضا خان إضافة إلى فهمه السطحي لـ «التاريخ التحليلي» وعدم اهتمامه بالأوضاع والظروف المحيطة بالحوادث وتقييم حوادث القرون الماضية على مقاييس القرن العشرين بالإضافة إلى الأسلوب غير الأكاديمي في استخدام المصادر بعدم ذكر أوصافها الكاملة أو أرقام الصفحات المستند إليها وإبداء آراء جازمة وقطعية دون تقديم دليل أو استدلال مقنع وكأن كلامه حجة على الجميع وإهماله أو بالأحرى عدم فهمه لعلاقة الظالم والمظلوم وثورة الطبقات المظلومة على الظالمين خاصة في مبحث السيد محمد بن فلاح والتناقضات الصريحة مع الأخطاء السافرة في التأليف والناجمة عن عدم الدقة وعدم مراجعة ما كتبه سلفا، كل هذا يمثل الإطار العام لعمل كسروي في «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان».

وإذا تصفحنا الكتاب لم نجد المؤلف منصفا ومتجردا من العنصرية الفارسية في سرد الأحداث وإبداء الرأي فيها إلا في الصفحات الخاصة بالشيخ سلمان الكعبي حيث يظهر كسروي أعلى درجات الإنصاف والتجرد من العنصرية فيتحدث عن حنكة الشيخ سلمان وحسن سياسته واهتمامه بالبناء والإعمار ممتدحا إياه على إنجازاته،

شاجبا جريمة كريم خان زند المتمثلة في تدمير سد السابلة، بالرغم من وجود إرهاصات النزعة الشوفينية والآراء المغرضة في أفكار كسروي.

مما لا شك فيه أن كسروي لو تحرر من أفكاره القومية المتطرفة ونظر إلى العرب نظرة غير عدائية، لترك أثرا خالدا رغم فهمه البدائي والسطحي لـ«التاريخ التحليلي».



فهرس المصادر

المخطوطات

١. ابن خلدون ،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ،» تاريخ ابن خلدون، الجزء الثاني»،فتح الأهواز وسوس وبعدها.

٢. الشويكي، الحاج علوان بن عبد الله، «الإمارة الكعبية في القبان والفلاحية».

٣. شيرازي، ميرزا أحمد خان وقايع نكار، «تاريخ قاجارية»، نقلا عن آينده، العدد ٣، الدورة ٤، السنة ١٣٣٨ش.

٤. الطرفي، الحاج عصمان، «تاريخ عشائر العرب».

٥. الكعبي، فتح الله بن علوان، «زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر» العدد ١٤٦٤ من الكتب الموقوفة لمسجد مدرسة ناصري.

٦. مشير الدولة، ميرزا جعفر خان، «رساله ي سرحديه» نسخة خطية موجودة في أرشيف وزارة الخارجية ونسخة في مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة طهران.

٧. الموسوي المشعشعي، السيد علي خان «الرحلة المكية»، نسخة خطية عربية في مكتبة سبهسالار (مطهري الحالية) رقم ١٥١٣.

٨. الموسوي المشعشعي، السيد محمد بن فلاح، «كلام المهدي» نسخة خطية في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي رقم ١٠٢٢٢.

الكتب المطبوعة

١. آدميت، فريدون، «أمير كبير وإيران»، انتشارات خوارزمي، الطبعة الثالثة،

طهران، السنة ١٣٤٨ش.

٢ـ آدميت، فريدون، «أنديشه هاي ميرزا آقاخان كرماني»، انتشارات بيام ، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٥٧ش.

٣ـ آجند، يعقوب، «قيام زنجيان»، انتشارات أمير كبير ، طهران، ١٣٦٤ش .

٤ـ ابن الأثير، «أخبار إيران»، ترجمة محمد إبراهيم باستاني باريزي، دنياي كتاب، طهران، ١٣٦٥ش.

٥ـ ابن بطوطة، محمد بن عبدالله، «سفرنامه ي ابن بطوطة»، ترجمة محمد علي موحد، انتشارات علمي وفرهنكي، المجلد الأول، طهران، ١٣٦١ش.

٦ـ ابن البلخي، «فارس نامه» باهتمام لسترنج ورينولد آلن نيكلسون، نشر دنياي كتاب، طهران، ١٣٦٣ش.

٧ـ ابن حوقل، «سفرنامه ي ابن حوقل، ترجمة جعفر شعار، انتشارات أمير كبير، طهران، ١٣٦٦ش.

٧ـ ابن حوقل ،أبي القاسم محمد، « صورة الأرض» ،ليدن ،بريل ١٩٣٨ ميلادي

٨ـ ابن منظور المصري، جمال الدين محمد بن مكرم، «لسان العرب»، المجلد الأول، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٨م .

٩ـ أبو الفرج الأصفهاني، «الأغاني»، الجزء السادس، دار إحياء التراث العربي،بيروت، عام ١٩٩١.

٩ـ اتحاد، هوشنك، «بجوهشكران معاصر إيران»، فرهنك معاصر، المجلد الرابع، طهران، ١٣٨١ ش.

١٠. إحسان عباس « شعر الخوارج» ،دار الثقافة ، الطبعة الثانية،بيروت، عام ١٩٧٢.

١٠م. استرآبادي، ميرزا مهدي، «تاريخ جهانكشاي نادري» انتشارات دنياي كتاب، طهران، ١٣٦٨ش.

١١. استرنك، وليم ثيودور، «حكم شيخ خزعل بن جابر»، ترجمة عبد الجبار ناجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٢. الأصبهاني، حمزة، «تاريخ بيامبران وشاهان» (سني ملوك الأرض والأنبياء)، ترجمة جعفر شعار، بنياد فرهنك إيران، طهران، سنة ١٣٤٦ ش.

١٣. اصطخري،أبي إسحاق إبراهيم، «مسالك الممالك» ليدن ،بريل، ١٩٢٧ ميلادي

١٣. أفندي تبريزي، ميرزا عبد الله، «رياض العلماء وحياض الفضلاء»، المجلد الثاني، قم، ١٤٠١هـ.

١٤.أفشار سيستاني، أيرج، «خوزستان وتمدن ديرينه ي آن»، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٣٧٣ش.

١٥. إقبال آشتياني، عباس، «مجموعه مقالات عباس إقبال آشتياني»، انتشارات خيام، طهران، ١٣٥٠ش.

١٦. أمان، ديتر، «بختياري ها عشاير كوج نشين إيران در بويه تاريخ»، ترجمة محسن محسنيان، انتشارات آستان قدس رضوي (دار نشر الحضرة الرضوية المقدسة)، مشهد، ١٣٦٧ش.

١٧. أمين، عبد الأمير، «منافع بريتانيا در خليج فارس»، ترجمة علي رجبي يزدي، انتشارات أمير كبير، طهران، ١٣٧٠.

١٨.أنصاري، مصطفى، «تاريخ خوزستان ١٨٩٧.١٩٢٥ (فترة حكم الكعبيين والشيخ خزعل)»، ترجمة محمد جواهر كلام، انتشارات شادكان، طهران، ١٣٧٧ش.

١٩. بامداد، مهدي، «شرح حال رجال إيران»، نشر زوار، باور، طهران، ١٣٨١ش.

٢٠. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، «مراصد الطلاع ،على أسماء الأمكنة والبقاع»، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، المجلد الأول، حلب، ١٩٥٤م.

٢١. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، «فتوح البلدان»، ترجمة محمد توكل، نشر نقره، طهران، ١٣٦٧ش.

٢٢. بهار، ملك الشعراء، «تاريخ مختصر أحزاب سياسي إيران»، انتشارات أمير كبير، المجلد الثاني، طهران، ١٣٦٣ش.

٢٣. البيهقي، أبو الفضل، «تاريخ البيهقي»، تصحيح الدكتور علي أكبر فياض، انتشارات أرغوان، طهران، بلا تاريخ.

٢٤. بري، جان. ر، «كريم خان زند» (تاريخ إيران بين ١٧٧٩ – ١٤٧١)، ترجمة محمد علي ساكي، نشر نو، طهران، ١٣٦٨.

٢٥. بهلوي، رضا، «سفرنامه ي خوزستان»، مركز أبحاث ونشر الثقافة السياسية للعهد البهلوي، طهران، ١٣٣٥ش.

٢٦. تركمني آذر، بروين، صالح بركاري، «تاريخ تحولات سياسي، اجتماعي، اقتصادي، وفرهنكي إيران در دوره ي صفاريان وعلويان»، سازمان مطالعة وتدوين كتب علوم إنساني دانشكاهها (سمت)، طهران، ١٣٧٨.

٢٧. بير نيا، حسن، «تاريخ إيران باستان»، انتشارات دنياى كتاب، المجلد الثالث، طهران، ١٣٦٦.

٢٨. بيكلوسكايا، ن.ر. «تاريخ إيران در دوران باستان تا بايان سده ي هجدهم

ميلادي»، ترجمة كريم كشاورز، نشر بيام، طهران، ١٣٥٤.

٢٩. تبريزي، محمد حسين بن خلف المعروف ببرهان، «برهان قاطع»، مؤسسة انتشارات أمير كبير، المجلد الثاني، الطبعة الخامسة، طهران، ١٣٦٢ش.

٣٠. تقي زاده، حسن، «أز برويز تا جنكيز»، انتشارات فروغي، طهران، ١٣٤٩.

٣١. تقي زاده، محمد، «تاريخ أهواز أز دوران باستان تا انقلاب إسلامي»، الناشر بشير علم وأدب، طهران، ١٣٨٤.

٣٢. تقي زاده، محمد، «شوشتر در كذر تاريخ أز عهد باستان تا انقلاب إسلامي» الناشر مؤسسه ي فرهنكي هنري بشير علم وأدب، طهران، ١٣٨١ش.

٣٣. الجزائري، السيد عبد الله، متخلص بالفقير، «تذكرة شوشتر»، مكتبة صافي، الأهواز، بلا تاريخ.

٣٤. جعفري، جعفر بن محمد بن حسن حسيني، «تاريخ كبير»، مايكرو فيلم رقم ٤٧٧٥ ،المكتبة المركزية في جامعة طهران.

٣٥. جعفري ولدايي، أصغر، «بررسي تاريخي اختلافات مرزي إيران وعراق»، انتشارات مكتب الدراسات السياسية والدولية التابع لوزارة الخارجية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، طهران، ١٣٦٧ش.

٣٦. جعفريان، رسول (تصحيح وتأليف)، «علل برافتادن صفويان، مكافات نامة»، سازمان تبليغات إسلامي، طهران، ١٣٧٢ش.

٣٧. جونس، هنوي، «هجوم أفغان وزوال دولت صفوي»، ترجمة إسماعيل دولتشاهي، منشورات يزدان، طهران، ١٣٦٧ش.

٣٨. جهاردهي، نور الدين، «داعيان بامبري وخدائي» منشورات فتحي، طهران، ١٣٦٦ش.

٣٩. حزين لاهيجي، محمد علي، «تاريخ وسفرنامه ي حزين»، تصحيح علي دواني، مركز وثائق الثورة الإسلامية، طهران، ١٣٧٥ش.

٤٠. حسيني فسايي، حاج ميرزا حسن، «فارس نامه ي ناصري»، تصحيح وتحشية منصور رستكاري فسايي، المجلد الثاني، منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٦٧ش.

٤١. حسيني قمّي، أحمد بن شرف الدين حسين، «خلاصة التواريخ»، تصحيح إحسان إشراقي، منشورات جامعة طهران، المجلد الثاني، طهران، ١٣٦٣ش.

٤٢. الحلو، علي نعمة، «تاريخ أهواز» الكتاب الأول والثاني، دار البصرى، بغداد، ١٩٦٩م.

٤٣. الحلو، علي نعمه، «تاريخ أهواز»، الكتاب الثالث والرابع، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ).

٤٤. الحموي، ياقوت بن عبد الله، «معجم البلدان»، المجلد الأول والثاني، بجهود فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، ١٤١٠هـ.

٤٥. الحموي، ياقوت، «معجم البلدان»، ترجمة علي نقي منزوي، سازمان ميراث فرهنكي، طهران، ١٣٨٠.

٤٦. حيدري، محسن، «حماسه جاويد - بررسي تحليلي واقعه ي جهاد عشاير خوزستان عليه استعمار إنكليس در جنك جهاني أول»، خوزستان، انجمن مفاخر فرهنكي إيران، ١٣٧٥ش.

٤٦م . خسروي، عبد الغلي، «تاريخ وفرهنك بختياري»، نشر حجت، مرداد ١٣٧٢، ص ص ٨ و٥٦٧.

٤٧. خوانساري، محمد باقر، «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات»، بواسطة محمد علي روضاتي، الطبعة الحجرية، المجلد الثاني، طهران، ١٣٦٧هـ.

٤٨. دستغيب، عبد العلي، «نقد آثار أحمد كسروي»، منشورات بازند، طهران، ١٣٥٧ش.

٤٩. دلاواله، بيترو، «سفر نامه ي بيترو دلاواله» ترجمة شعاع الدين شفا، منشورات علمي وفرهنكي، طهران، ١٣٧٠ش.

٥٠. دلفاني، سياوش، «تاريخ مشعشعيان» (أهل حق)، الناشر بحر العلوم، قزوين، ١٣٧٩ش.

٥١. دنداما يف، م.آ. «إيران در دوران نخستين بادشاهي هخامنشي»، ترجمة روحي أرباب، مركز ترجمة ونشر كتاب، طهران، ١٣٥٢ش.

٥٢. دوبد، بارون، «سفرنامه ي لرستان وخوزستان»، ترجمة محمد حسين آريا، منشورات علمي وفرهنكي، طهران، ١٣٧١ش.

٥٣. ديكار، جان بير، برنار هوركاد. يان ريشار، «إيران در قرن بيستم» ترجمة عبد الرضا هوشنك مهدوي، نشر البرز، الطبعة الأولى، طهران، ١٣٧٧ش.

٥٤. ديو لافوا، جين، رحلة مدام ديو لافوا «إيران وكلده»، ترجمة همايون فرح وشي، منشورات دنياي كتاب، طهران، ١٣٧٨ .

٥٥. نكاء، يحيى، «كاروند كسروي»، شركت سهامي كتابهاي جيبي باهمكاري مؤسسه ي انتشارات فرانكلين، طهران، ١٣٥٢ش.

٥٦. ذوقي، إيرج، «تاريخ روابط سياسي إيران وقدرتهاي بزرك»، نشر نقش جهان، طهران، ١٣٦٨ش.

٥٧. راولنسون، السير هنري، «سفرنامه ي راولينسون»، ترجمة سكندر أمان اللهي بهاروند، منشورات آكاه، طهران، ١٣٦٢ش.

٥٨. راوندي، مرتضى، «تاريخ اجتماعي إيران» انتشارات أمير كبير، المجلد الثاني، طهران، ١٣٥٦ش.

٥٩. رجبي، برويز، «كريم خان زند وزمان أو»، انتشارات أمير كبير، طهران، ١٣٥٢ش

٦٠. رشيديان، نيره زمان، «نكاهي به تاريخ خوزستان»، منشورات بوعلي، طهران، ١٣٦٧ش.

٦١. رضا قلي، علي، «جامعه شناسي نخبة كشي»، منشورات ني، طهران، ١٣٧٧ش.

٦٢. رفائيل بابو إسحاق» مدارس العراق قبل السلام» لندن، دار الوراق، ٢٠٠٦ ميلادى

٦٢. رنجبر، محمد علي، «مشعشعيان، ماهيت فكري اجتماعي وفرايند تحولات تاريخي»، منشورات آكاه، طهران، ١٣٨٢ش.

٦٣. الروضان، عبد عون، «موسوعة عشائر العراق تاريخ أنساب رجالات مآثر»، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.

٦٤. روملو، حسن، «أحسن التواريخ»، باهتمام الدكتور عبد الحسين نوايي، مركز الترجمة والنشر، طهران، ١٣٤٩.

٦٥. زاده صفوي، رحيم، «أسرار سقوط أحمد شاه»، مذكرات رحيم زاده صفوي، بجهود بهمن دهكان، منشورات فردوسي، طهران، ١٣٦٢ش.

٦٦. الزبيدي، محمد حسين، «إمارة المشعشعيين أقدم إمارة عربية في عربستان»، دار الحرية للطباعة، بغداد، رقم [الإيداع في المكتبة الوطنية] ٥٤.

٦٧. سانسون، «سفرنامه سانسون وضع كشور شاهنشاهي إيران در زمان شاه سليمان صفوي»، ترجمة تقي فضلي، بدون ناشر، طهران، ١٣٤٦ش.

٦٨. سايكس، السير برسي، «تاريخ إيران»، ترجمة السيد فخرالدين محمد تقي فخرداعي كيلاني، ١٣٧٠ش.

٦٩. سايكس، السير برسي، «ده هزار مايل در إيران يا سفرنامه ي جنرال سربرسي سايكس» (عشرة آلاف ميل في إيران أو رحلة الجنرال السير برسي سايكس)، ترجمة حسين سعادت نوري، منشورات لوحه، طهران، ١٣٦٣.

٧٠. سبهر، ميرزا محمد تقي خان لسان الملك، «ناسخ التواريخ، دوره ي كامل تاريخ قاجاريه»، باهتمام جهانكير قائم مقامي، منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٣٧ش.

٧١. ستوده، منوجهر (بجهود)، «حدود العالم من المشرق إلى المغرب»، منشورات طهوري، طهران، ١٣٦٢ش.

٧٢. ستوده، حسين قلي، «تاريخ آل مظفر»، منشورات جامعة طهران، طهران، المجلد الثاني، ١٣٤٦.

٧٣. سردار ظفر، حاج خسرو خان، «يادداشت ها وخاطرات»، منشورات سياولي، طهران، ١٣٦٢.

٧٤. سكراني، ملا فاضل الحاج يعقوب، «ديوان السكراني»، مطبعة الشهيد قم، الناشر المؤلف، ١٣٧٧ش. (١٤١٩هـ).

٧٥. سياح، حميد، «خاطرات حاج سياح يا دوره ي خوف ووحشت»، تصحيح سيف الله كلكار، منشورات أمير كبير، الطبعة الثانية، طهران.

٧٦. سياح، فاطمة، «كيفيت رمان»، نقد وسياحت، بجهود محمد كلبن، منشورات توس، طهران، ١٣٥٤ش.

٧٧. سيادت، موسى، «تاريخ خوزستان أز دوره ي أفشاريه تا دوره ي معاصر»، الناشر : المؤلف، المجلد الأول والثاني، قم، ١٣٧٩ش.

٧٨. شاملو، ولي قلي بن داود قلي، «قصص الخاقاني»، تصحيح السيد حسن سادات ناصري، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، المجلد الأول، طهران، ١٣٧١ش.

٧٩. شبر، جاسم حسن، «تاريخ المشعشعيين وتراجم أعلامهم»، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

٨٠. شعباني، رضا، «تاريخ اجتماعي إيران در عصر أفشارى»، قومس، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٧٧ش.

٨١. شكري، يداله (بجهود)، «عالم آراي صفوي»، منشورات اطلاعات، طهران، ١٣٦٣ش.

٨٢. شميم، علي أصغر، «إيران در دوره ي سلطنت قاجار قرن سيزدهم، نيمه ي أول قرن جهاردهم»، شركت جاب وانتشارات علمي، طهران، ١٣٧٠ش.

٨٣. شوشتري، قاضي نور الله مرعشي، «مجالس المؤمنين»، كتابفروشي إسلامية، المجلد الثاني، طهران، ١٣٦٥ش.

٨٤. الشيبي، كامل مصطفى، «تشيع وتصوف تا آغاز سده دوازدهم هجري»، ترجمة علي رضا نكاوتي قراكوزلو، منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٧٥ش.

٨٥. الشيبي، كامل مصطفى، «الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر»، بغداد، ١٣٨٦هـ (١٩٦٧م).

٨٦. شيرازي (نويدي)، عبدي بيك، «تكملة الأخبار»، تصحيح عبد الحسين نوايي، منشورات ني، طهران، ١٣٦٩ش.

٨٧. شيرازي، ميرزا أحمد خان وقايع نكار، «تاريخ قاجاريه» نقلاً عن آينده، العدد الثالث، الدورة الرابعة، ١٣٣٨ش.

٨٨. شيل، ليدي، «خاطرات ليدي شيل» (مذكرات ...) ترجمة حسين أبو ترابيان، منشورات نو، طهران، ١٣٦٢ش.

٨٩. الصاوي، محمد إسماعيل عبد الله ،«شرح ديوان جرير»، مطبعة الصاوي، بيروت، بدون تاريخ.

٨٩م ـ صدري أفشار، غلامحسين، نسرين حكمي ونسترن حكمي، «فرهنك معاصر فارسي أمروز» ، فرهنك معاصر تهران، ١٣٨١.

٩٠. صفايي، إبراهيم، «إسناد سياسي دوران قاجاريه» ، منشورات شرق، طهران، ١٣٦٤ش.

٩١. صفايي، إبراهيم، «رهبران مشروطه» ، منشورات جاويدان، المجلد الثاني، طهران، ١٣٦٤ش.

٩٣- محمد بن جرير طبري،«تاريخ الرسل والملوك»، الجزء الثالث، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١

٩٢. الطبري، محمد بن جرير، «تاريخ طبري»، ترجمة أبو القاسم بابنده، منشورات أساطير، طهران، ١٣٧٥ش.

٩٣. الطبري، محمد بن جرير، «تاريخ طبري»، ترجمة أبو القاسم بابنده، منشورات أساطير، المجلد الرابع، طهران، ١٣٦٢ش.

٩٤. طلوعي، محمود، «جهره ها وباورها» ، منشورات علم، طهران، ١٣٨١ش.

٩٥. الطهراني، آغا بزرك، «طبقات أعلام الشيعة، الضياء اللامع في القرن التاسع»، تحقيق علي نقي منزوي، منشورات جامعة طهران، ١٣٦٢ش.

٩٦. العزاوي، عباس، «تاريخ العراق بين احتلالين»، شركة التجارة والطباعة المحدودة، المجلد الأول، بغداد ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).

٩٧. العزاوي، عباس، «تاريخ العراق بين احتلالين»، شركة التجارة والطباعة المحدودة، المجلد الثالث، بغداد، ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).

٩٨. العزاوي، عباس، «تاريخ العراق بين احتلالين»، شركة التجارة والطباعة المحدودة، المجلد الخامس، بغداد، ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).

٩٩. عزيزي بني طرف، يوسف، «قبائل وعشائر عرب خوزستان»، الناشر مؤلف، طهران، ١٣٧٢ش.

١٠٠. عمارة، محمد، «ثورة الزنج»، دار الوحدة، بيروت، بلا تاريخ.

١٠١. عيسوي، تشارلز، «تاريخ اقتصادي إيران»، ترجمة يعقوب آجند، منشورات كستره، طهران، سنة ١٣٦٠.

١٠٢. غفاري قزويني، قاضي أحمد، «تاريخ جهان آرا»، مكتبة حافظ، طهران، ١٣٤٣ش.

١٠٣. غني، سيروس، «إيران، برآمدن رضاخان، برافتادن قاجار ونقش أنكليس ها»، ترجمة حسن كامشاد، نيلوفر، طهران، ١٣٧٧ش.

١٠٤. فصيحي، سيمين، «جريان هاي أصلي تاريخ نكاري در دوره ي بهلوي»، منشورات نوند، مشهد، ١٣٧٢ش.

١٠٥. فضايي، يوسف، «تحقيق در تاريخ وعقايد شيخى كري، بابي كري، بهائي كري... وكسروي كرائي»، مؤسسة مطبوعاتي عطايي، الطبعة السادسة، طهران، ١٣٦٣.

١٠٦. القلقشندي، أحمد بن عبد الله، «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»، القاهرة، ١٩٥٩م.

١٠٧. قوزانلو، جميل، «تاريخ نظامي إيران»، الجزء الأول، مطبعة فردوسي، طهران، ١٣١٥.

١٠٨. كاتوزيان، محمد علي (همايون)؛ «اقتصاد سياسي إيران»، ترجمة محمد رضا نفيسي وكامبيز عزيزي، منشورات مركز، المجلد الثاني، طهران ١٣٧٢ش.

١٠٩. كاظم زاده، فيروز؛ «روابط روس وأنكليس در إيران ١٩١٤ ـ ١٨٦٤»، ترجمة منوجهر أميري، منشورات جيبي، طهران، ١٣٥٤ش.

١١٠. كرزن، جورج ناتانيل؛ «إيران وقضيه إيران»، ترجمة غلامحسين وحيد مازندراني، بنكاه ترجمه ونشر كتاب، المجلد الثاني، طهران، ١٣٥٠ش.

١١١. كروسينسكي، تاديوز يودا؛ «سفرنامه ي كروسينسكي، يادداشت هاي كشيش لهستاني عصر صفوي»، ترجمة عبد الرزاق دنبلي، تصحيح مريم مير أحمدي، منشورات توس، طهران، ١٣٦٣ش.

١١٢. كريستنسن، آرثر؛ «إيران در زمان ساسانيان»، ترجمة رشيد ياسمي، منشورات ابن سينا، طهران، ١٣٤٥.

١١٣. كسروي، أحمد؛ «إيران وإسلام كمونيستي در إيران، بول داران وآزمندان» توليف محمد علي بايدار، منشورات بايدار، طهران، ١٣٥٨ش.

١١٤. كسروي، أحمد؛ «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان»، منشورات كام بايدار، طهران ٢٥٣٦(١٣٥٦ش).

١١٥. كسروي، أحمد؛ «تاريخ هجده ساله ي آذربايجان»، منشورات أمير كبير، طهران، ١٣٥٠ش.

١١٦. كسروي، أحمد؛ «ده سال در عدليه»، منشورات بنياد، ساحة بهارستان، طهران، ١٣٢٣ش.

١١٧. كسروي، أحمد؛ «زندكاني من»(حياتي)، منشورات بنياد، ساحة بهارستان، طهران، ١٣٢٣ش.

١١٨. كسروي، أحمد؛ «شهرياران كمنام»، منشورات جامي، طهران، ١٣٧٧.

١١٩. كسروي، أحمد؛ «مشعشعيان»، منشورات سحر، شارع شاهرضا مقابل

الجامعة، طهران، ١٣٥٦ش.

١٢٠. كسروي، أحمد؛ «مقدمة كتاب بلو تاخ»، كانون آزادكان، طهران، ١٣٢٩.

١٢١. الكعبي، داود؛ «الدروع الداودية»، مطبعة الحيدرية، المجلد الأول، النجف الأشرف، ١٣٧١ش.

١٢٢. الكعبي، عقيل حياوي أبو دايم؛ «قبائل كعب ـ من الماء إلى الماء» مؤسسة البلاغ ، بيروت، لبنان، طبعة ٢٠٠٧م.

١٢٣. كمري، عليرضا؛ «بازيابي يك واقعة»، دفتر أدبيات وهنر مقاومت، طهران، ١٣٧٥.

١٢٤. كارثويت، جن. راف. «تاريخ سياسي اجتماعي بختياري»، ترجمة مهراب أميري، الناشر آنزان، طهران، ١٣٧٣ش.

١٢٥. كرديزي، أبو سعيد عبد الحي؛ «تاريخ كرديزي»، تصحيح عبد الحي حبيبي، دنياي كتاب، طهران، ١٣٦٣.

١٢٦. غيرشمن؛ «إيران أز آغاز تا إسلام»، ترجمة محمد معين، منشورات علمي وفرهنكي، طهران، سنة ١٣٦٦.

١٢٧. كوتشميد، آلفريد فن؛ «تاريخ إيران وممالك همجوار آن أز زمان إسكندر تا انقراض أشكانيان»، ترجمة كيكاوس جهانداري، بنكاه ترجمه ونشر كتاب، طهران، ١٣٥٦ش.

١٢٨. لايارد، السير أوستن هنري؛ «سفرنامه ي لايارد يا ماجراهاي أوليه در إيران» ترجمة مهراب أميري، منشورات وحيد، طهران، ١٣٦٧ش.

١٢٩. لسترنج، كي؛ «جغرافياي تاريخي سرزمينهاي خلافت شرقي»، ترجمة محمود عرفان، انتشارات علمي وفرهنكى، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٦٤ش.

١٣٠.لكهارت، لورنس؛ «انقراض سلسله ي صفويه وأيام استيلاي أفاغنه در إيران»، ترجمة مصطفى قلي عماد، آنتشارات مرواريد، ١٣٦٤ش.

١٣١.لورن، السير برسي؛ «شيخ خزعل وبادشاهی رضاخان»، (خاطرات سياسي سر برسي لورين وزيرمختار إنكليس در إيران) ، أعاد كتابتها جوردن وتر فيلد، ترجمة محمد رفيعي مهرآبادي، انتشارات فلسفه، طهران، ١٣٦٣ش.

١٣٢.لوفتوس، وليم كنت؛ «نخستين كاوشكر شوش» ، ترجمة عباس رودبند إمام، تحت الطبع برعاية بنياد خوزستان شناسي ونشر شادكان.

١٣٣.مالكوم، السير جون؛ «تاريخ إيران»، ترجمة ميرزا إسماعيل حيرت، انتشارات دنياي كتاب، طهران، ١٣٦٢ش

١٣٣.المجلسي، محمد باقر؛ «بحار الأنوار»، تصحيح عبد الرحيم رباني شيرازي، المجلد الأول، طهران، ١٣٧٦ش.

١٣٤.المجلسي، محمد باقر؛ «مهدي موعود»، المجلد الثالث عشر من بحار الأنوار، ترجمة علي دواني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٥٠ش.

١٣٥.مدني، جلال الدين؛ «تاريخ سياسي معاصر إيران»، دفتر انتشارات إسلامي وابسته به جامعه ي مدرسين حوزة علمية قم، قم، ١٣٦٩ش.

١٣٦.مروي، محمد كاظم؛ «عالم آراي نادري»، تصحيح محمد أمين رياحي، إنتشارت علمي، طهران، ١٣٧٤ش.

١٣٧.مزاوي، ميشل؛ «بيدايش دولت صفوي»، ترجمة يعقوب آجند، الناشر كستر، طهران، ١٣٦٣ش.

١٣٨.مستوفي، حمد الله؛ «نزهة القلوب»، بجهود محمد دبير سياقي، مكتبة طهوري، سنة ١٣٣٦ش.

١٣٩. مستوفي، محمد حسن؛ «زبدة التواريخ»، بجهود بهروز كودرزي، منشورات موقوفات أفشار، طهران، ١٣٧٥ش.

١٤٠. مشكوتي، نصرت الله؛ «تاريخ نظامي إيران، جنك هاي دوران ماد وهخامنشي» ستاد بؤرك ارتشتاران، دائرة العلاقات العامة، طهران، بلا تاريخ.

١٤١. مشكور، محمد جواد مسعود رجب نيا؛ «تاريخ سياسي واجتماعي أشكانيان»، منشورات دنياي كتاب، طهران، ١٣٧٤.

١٤٢. مصاحب، غلامحسين؛ «دايرة المعارف فارسي»، المجلد الأول.

١٤٣. مضطر الله ، دتا (بجهود)؛ «جهانكشاي خاقان (تاريخ شاه إسماعيل)»، مركز تحقيقات فارسي إيران وباكستان، إسلام آباد، ١٣٦٤ش (١٩٨٦م).

١٤٤. معتضد، خسرو؛ «حاج أمين الضرب وتاريخ تجارت وسرمايه كذاري صنعتي در إيران» ،منشورات جان زاده، طهران، ١٣٦٦ش.

١٤٥. معلوف، لويس؛ «المنجد في الأعلام»، دار المشرق، الطبعة السادسة والعشرون، بيروت، ١٩٨٠م.

١٤٦. معين، محمد؛ «فرهنك فارسي» ،انتشارات أمير كبير، الطبعة الثامنة ، طهران، ١٣٧١ش.

١٤٧. معين، محمد؛ «فرهنك أعلام» ، انتشارات أمير كبير، طهران، ١٣٧١ش.

١٤٨. المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد؛ «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، ترجمة علي نقي منزوي، شركة مؤلفان ومترجمان إيران، طهران، المجلد الثاني، ١٣٦١.

١٤٨م – مقدسي، أبوعبد الله ،«أحسن التقاسيم»، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٧ ميلادي

١٤٩ـ مقصودي، مجتبى؛ «تحولات قومي در إيران، علل وزمينه ها، مؤسسه مطالعات ملي، طهران، ١٣٨٠ش.

١٥٠ـ مكي، حسين؛ «تاريخ بيست ساله إيران إنقراض قاجاريه وتشكيل سلسله ديكتاتوري بهلوي»، انتشارات أمير كبير، المجلد الثالث، طهران، ١٣٥٧ش.

١٥٢ـ ممتحن، حسين علي؛ «نهضت صاحب الزنج يا قيام خونين بردكان سياه در عراق» ، جامعة الشهيد بهشتي، طهران، ١٣٦٦.

١٥٣ـ «المنجد في اللغة العربية المعاصرة»، دار المشرق، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠١م.

١٥٤ـ منشي، إسكندر بيك؛ «تاريخ عالم آراي عباسي»، بجهود إيرج أفشار، انتشارات أمير كبير، المجلد الأول، طهران، ١٣٥٠ش.

١٥٥ـ مهدوي، مرتضى؛ «كجروييكري» (يا: باسخ أهريمن) كتابفروشي خاور، المجلد الأول، فروردين (آذار) ١٣٢٤، الجزء الثاني، تيرماه(حزيران)١٣٢٤.

١٥٦ـ مهدي علي السلمان، إنعام؛ «حكم الشيخ خزعل في الأهواز (١٨٩٧ـ١٩٢٥)»، منشورات وتوزيع مكتبة دار الكندي، بغداد.

١٥٧ـ مير خواند، غياث الدين بن همام الدين الحسيني؛ «تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد البشر»، كتابفروشي خيام، المجلد الرابع، طهران، ١٣٥٣ش.

١٥٨ـ مينورسكي، فلاديمير فدرويتش؛ « سازمان إداري حكومت صفوي» (مع تحقيق وحواش وتعليق مينورسكي على تنكرة الملوك) ترجمة مسعود رجب نيا، انجمن كتاب، طهران، ١٣٤٤ش.

١٥٩ـ ناصر خسرو؛ «سفرنامه ناصر خسرو» ، بجهود محمد دبير سياقي، منشورات مكتبة زوار، طهران، بلا تاريخ.

١٦٠ـ نامي موسوي إصفهاني، ميرزا محمد صادق؛ «تاريخ كيتي كشا در تاريخ زنديه» ، الناشر إقبال، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٦٣ش.

١٦١. النجار، مصطفى عبد القادر؛ «التاريخ السياسي لإمارة عربستان العربية»، ١٨٩٧-١٩٢٥، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٠.

١٦٢. النبهاني، محمد بن خليفة؛ «التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية»، المجلد التاسع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٤٢ه.

١٦٣. نجم الملك، الحاج عبد الغفار؛ «سفرنامه خوزستان» ، بجهود محمد دبير سياقي، مؤسسة مطبوعاتي علمي، طهران، ١٣٤١ش.

١٦٤. نصيري، محمد إبراهيم زين العابدين؛ « دستور شهرياران (سالهاي ١١٠٥ تا ١١١٠هـ) بادشاهي سلطان حسين صفوي)»، بجهود محمد نادر نصيري مقدم، بنياد موقوفات أفشار، طهران، ١٣٧٣ش.

١٦٥. نظام السلطنة مافي،حسين قلي خان؛ «خاطرات وأسناد» ، بجهود معصومة مافي وآخرين، الطبعة الثانية، الباب الثاني، طهران، ١٣٦٢ش.

١٦٦. نعماني، فرهاد؛ «تكامل فئوداليسم در إيران» ، منشورات خوارزمي، المجلد الأول، طهران، ١٣٥٨ش.

١٦٧. نكهبان، عزت الله؛ «شوش ، كهن ترين مركز شهر نشيني جهان» ، سازمان ميراث فرهنكي كشور، طهران، سنة ١٣٧٥ش.

١٦٨. نوار، عبد العزيز سليمان؛ «تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا»، القاهرة، ١٩٦٨م .

١٦٩. نوار، عبد العزيز سليمان؛ «العلاقات العراقية الإيرانية، دراسة في دبلوماسية المؤامرات»، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٧٠. نيبور، كارستن؛ «سفرنامه كارستن نيبور» ، ترجمة برويز رجبي، منشورات توكا، طهران، ١٣٥٤.

١٧١. الوائلي، عبد الحكيم؛ «موسوعة قبائل العرب»، دار أسامة للنشر والتوزيع، المجلد الخامس، عمان، الأردن، سنة ٢٠٠٢م.

١٧٢. ياور فراهاني؛ «جنك إيران وإنكليس در محمرة»، منشورات بابيروس، طهران، ١٣٥٧ش.

١٧٣. يزداني، سهراب؛ «كسروي وتاريخ مشروطه إيران»، الناشر ني، طهران، ١٣٧٦ش.

المقالات

١. أفشار، محمود؛ «مسئله ي مليت ووحدت ملي إيران»، مجلة آينده، المجلد الثاني، العدد ٨، دي ١٣٠٦.

٢. انتخابي، نادر؛ «ناسيوناليسم وتجدد در فرهنك سياسي بعد از مشروطيت»، شهرية نكاه نو، العدد ١٢ (بهمن – إسفند ١٣٧١).

٣. برزكر، كيهان؛ «انقلاب أكتبر وتأثير آن در به قدرت رسيدن رضا خان»، إطلاعات سياسي اقتصادي، السنة ١٣، العدد ١٣٧ و١٣٨، شهري بهمن وإسفند ١٣٧٧.

٤. بروجردي، مهرزاد؛ «فرهنك وهويت إيراني در فراسوي مرزها»، فصلية مطالعات ملي، العدد ٥، طهران، خريف ١٣٧٩.

٥. بارسي نجاد، إيرج؛ «أحمد كسروي ونقد أدبي»، إيران نامه، السنة ١١، العدد ٣، سنة ١٣٧٢.

٦. جعفري قنواتي، محمد؛ «نقدي بر كتاب سفرنامه ي حاج عبد الغفار نجم الملك در سفر خوزستان» شهرية روزان، السنة ٥، العدد ٤٥، النصف الثاني من شهر دي ١٣٧٨، أهواز.

٧. جعفري قنواتي،محمود؛ «جنكي أز نوشته هاي متناقض» ،كتاب خوزستان(٢)، بنياد خوزستان شناسي، الناشر شادكان، طهران، ربيع ١٣٨٣.

٨. جواهر كلام، فريد؛ «ديدار وكفت وكوهاي علي جواهر كلام وأحمد كسروي»، شهرية بخارا، العدد ١٨، خرداد وتير ١٣٨٠.

٩. جواهر كلام، محمد؛ «درباره ي تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» (حول ...)، شهرية كلك، الأعداد ٩٣،٨٩ (في مجلد واحد)، من مرداد إلى آذر ٧٦.

١٠. جواهر كلام، محمد؛ «فرجام شيخ خزعل» ، كتاب خوزستان(١)، بنياد خوزستان شناسي، منشورات سلمان، سايه هور، طهران، ١٣٨٢ش.

١١. حسيني، سيد حسن؛ «استعمار إنكليس در منطقه ي خليج فارس (سياست دوكانه ي إنكليسيها در برخورد با شيخ خزعل)» ، مجموعة مقالات همايش بين المللي خليج الفارس در كستره تاريخ به اهتمام أصغر منتظر القائم، جامعة أصفهان، ١٣٨٤.

١٢. رضايى، بيجن؛ «ناسيوناليسم وموانع دموكراسي در إيران»، آرش الأعداد ٤١، ٤٢.

١٣. رضواني، محمد إسماعيل؛ «خرمشهر در كذركاه زمان» ، مجلة بندر ودريا، السنة الثانية، العدد ٧، منتصف شهر خرداد ١٣٦٥.

١٤. رواساني، شابور؛ «فرضيه هاي نجادي در علوم اجتماعي وسياسي وبررسيهاي فرهنكي - تاريخي جايي ندارد» ، اطلاعات سياسي - اقتصادي، السنة ١٢، الأعداد ١٢٧ و١٢٨ (فروردين وأرديبهشت ١٣٧٧).

١٥. سروش، أحمد؛ «مدعيان مهدويت أز صدر إسلام تا عصر حاضر» ، بنكاه مطبوعاتي أفشاري، طهران، سنة ١٣٤٨ش.

١٦. سيار، جمشيد؛ «در بيرامون جهان بيني أحمد كسروى تبريزي» ، دنيا، الدورة

الثانية، السنة الخامسة، العدد الثالث، خريف ١٣٤٣.

١٧ـ شيخ الإسلامي، جواد؛ «انكلستان، تنها حامي رجال سرسبرده ي إيران بعد أز انقلاب أكتبر» ، اطلاعات سياسي – اقتصادي، السنة الرابعة، العدد ٣٦، شهري خرداد وتير ١٣٦٩.

١٨ـ قائم مقامي، جهانكير؛ «تطورات نام سرزمين خوزستان» مجلة بررسيهاي تاريخي، مجلة تاريخ وتحقيقات إيران شناسي، نشريه ي ستاد بزرك ارتشتاران، كميته التاريخ، السنة الثالثة، العدد ٦ بهمن – أسفند ١٣٤٧.

١٩ـ قائم مقامي، جهانكير ؛ «تحولات تاريخي وأرضي وإداري خوزستان» ، يغما ، السنة الرابعة، العدد ٤.

٢٠ـ قيم، عبد النبي؛ «نكاهي جامعه شناختي به زندكي وفرهنك مردم عرب خوزستان»، فصلية مطالعات ملي، طهران، العدد السابع، ربيع ١٣٨٠ش.

٢١ـ قيم، عبد النبي؛ «مشعشعيان بجوهشي أرزشمند ودرخور تقدير» ، فصلية آين بجوهش، العدد ٩٣، السنة ١٦ ، شهري مرداد وشهريور ٨٤.

٢٢ـ قيم، عبد النبي ؛ «نكاهي به تاريخ خوزستان يا يادداشتهايي در باره ي خوزستان»، أسبوعية أهواز، الأسبوع الثالث ،شهر أسفند ٧٨، الأهواز.

٢٣ـ قيم، عبد النبي؛ «إقدامات فرهنكي سيد مطلب مشعشعي» ، فصلية تاريخ إسلام، العدد ١٩، السنة الخامسة، خريف ١٣٨٣، قم.

٢٤ـ كاتوزيان، محمد علي؛ «شيخ خزعل ورضا خان»، شهرية رأى ملت، السنة الثالثة، العدد ١٨ ، أرديبهشت ١٣٨١.

٢٥ـ كاتوزيان، محمد علي؛ «كار وبيشه وبول» ، فصلية تحقيقات اقتصادي، العدد ٢١ و٢٢ ،ربيع وخريف ١٣٤٩ش.

٢٦. كتيرايى، محمود؛ «كتاب شناسي كسروي» (طرح بسيار مقدماتي)، فرهنك إيران زمين، المجلد الثامن عشر، السنة ١٣٥١.

٢٧. كسروي، أحمد؛ «بيرامون تاريخ» ، بجهود حسين يزدانيان، نشر وبخش كتاب، الطبعة الثانية، طهران.

٢٨. كسروي، أحمد؛ «بيرامون خرد» ، دفتر برجم، طهران، ١٣٢٤ش.

٢٩. كسروي، أحمد؛ «تاريخ وتاريخ نكاري» ، العددان السابع والثامن من بيمان، السنة الرابعة، شهري آذر ودي ١٣١٦ش.

٣٠. كسروي، أحمد؛ «خرده كيري وموشكافي» ، مجلة آينده، الأشهر أرديبهشت وتير وآبان ١٣٠٥ش.

٣١. كسروي، أحمد؛ «ديباجه ي كتاب نادرشاه»، شهر شهريور ١٣٢٤ ، نقلاً عن كاروند كسروي.

٣٢. كسروي، أحمد؛ «ديباجه ي كلجينى أز كتاب بلوتارخ»، كانون آزادكان، طهران، ١٣٢٩.

٣٣. كسروى، أحمد؛ «شيعي كري» ، طهران، بلا تاريخ.

٣٤. كسروي، أحمد؛ «ما وهمسايكان مان» برجم الأسبوعية، العدد السادس، أرديبهشت ١٣٢٣ش.

٣٥. كسروى، أحمد؛ «يك درفش، يك دين، يك زبان»، بيمان السنة الثانية، ١٣١٣ش.

٣٦. كسروي، أحمد؛ «يك توده را جنان كه راه بايد راهنمايان هم بايد» ، بيمان السنة السادسة، العدد السابع، مهرماه ١٣١٩ش.

٣٧. كسكل، ورنر؛ «واليان حويزة»، ترجمة غلامرضا ور هرام، كتاب كستره ي تاريخ وأدبيات، منشورات كستر، طهران، ربيع ١٣٦٤.

٣٨.كل أفشان، عزيز؛ «آزادي كشتيراني در رود كارون ونتايج آن» ، كتاب خوزستان، كتاب الثاني، بنياد خوزستان شناسي ونشر شادكان ، طهران، ١٣٨٣.

٣٩.لؤلؤيي، كيوان؛ «نهضت سياسي – مذهبي مشعشعيين»، كيهان فرهنكي، السنة الخامسة عشرة، العدد ١٤٣، شهر تير ١٣٧٧.

٤٠. محيط طباطبائي، محمد؛ «خوزستان در بيشكاه تاريخ» ، مجلة كانون وكلا، السنة السادسة عشرة، العدد ٩٤.

٤١. محيط طباطبائي، محمد؛ «خوزستان وعرب ها»، مجلة كوهر، العدد الثاني، أسفند ١٣٥٢.

٤٢. مدرسي جهاردهي، مرتضى؛ «مشعشعيان»، مجلة بررسي هاي تاريخي، السنة ١٢ (١٣٥٦)، العدد ٦.

٤٣. ميلاني، عبد الحسين؛ «دريا نوردي كعبيان خوزستان در خليج فارس» ، مجموعة مقالات همايش بين المللي خليج فارس در كستره ي تاريخ به اهتمام أصغر منتظر القائم، جامعة أصفهان، أصفهان، ربيع ١٣٨٤.

٤٤. ناطق، ناصح؛ «سخناني درباره ي أحمد كسروي»، ضميمه راهنماي كتاب، السنة العشرون، العدد ١٢١١، سنة ١٣٥٦ش.

٤٥. نفيسي، سعيد؛ «خيمه شب بازى»، سبيد وسياه، السنة الثالثة، العدد ٢٤،سنة ١٣٣٤ش.

٤٦. نوذربور، علي؛ «بررسى سازمان قدرت جامعه ي عشايري عرب استان خوزستان» ، رشد آموزش علوم اجتماعي، العدد ٥، السنة الثانية، شهر تير ١٣٦٩ش.، الأعداد ٦ و٧، ١٣٧٠ش.

٤٧. نهجيري، آرمان؛ «أحمد كسروي، عاصى يا مصلح»، نكاه نو، العدد ٢٦، ١٣٧٤ش.

٤٨. هنت، جي. إتش؛ «جنك إنكليس وإيران در سال ١٢٧٣هـ.»، ترجمة حسين سعادت نوري، ملحق السنة الثالثة من مجلة يادكار، طهران، ١٣٢٧ش.

٤٩. ياسمي، رشيد؛ «أدبيات ملي» ، آينده، المجلد الثاني، العدد التاسع، شهر دي ١٣٠٦ش.

المصادر الأخرى

1.Abrahamian , Ervand. «Kasravi: The Integrative Nationalist of Iran» Towards a Modern Iran, London, Frank cass,1980

2 Ahmad seyf. "Despotism and the Disintegration of the Iranian Economy, 1500 - 1800", in Elie Kedourie and Sylvia G. Hain Essays on the Economic History of the Middle East, London; Frank cass, 1988, P. 17

3 Par clement Hurat et Louis Delaporte. L›Iranantique ; Elam et parse et la civilization Iranienne, nouv, ed – Paris: A: Michel, 1943.

J.C. Lorimer, Gazetter of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia I. Historical (Colcutta, 1915). Part II, P. 1720.



الملحق

جاءت العناوين التالية لدراسة والتمعن في عقائد السيد محمد من المهدوية والغلو، وللرد على ما كتبه أحمد كسروي،بما أن تلك العناوين تخص القارئ الإيراني ضمن النسخة الفارسية ،يستطيع قارئ التاريخ أن يغض الطرف عن تلك العناوين: الأسس العقائدية لمشعشع، ادعاء المهدوية، علاقة الروح بالجسد، محاولة لمحاكاة القرآن أم بيان ثوري؟ عقوبات السيد محمد، الثورات والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، السيد محمد والمشعشعيون.

الأسس العقائدية لمشعشع

إن أفضل مصدر يمكن أن يعطي معرفة صحيحة لأفكار السيد محمد بن فلاح ومعتقداته وأوثقها هو كتاب «كلام المهدي» للسيد محمد. بقراءة هذا الكتاب وحده والتدقيق في حيثيات محتوياته يمكن الوقوف على رؤى المشعشع وآرائه. وكما أسلفنا فإن أحمد كسروي هو أول من عرّفنا على أفكار مؤلف هذا الكتاب وآرائه وذلك بالحصول على نسخة منه. غير أن كسروي دفعته نظرته الحادة والمغرضة للسيد محمد وتحريف الكثير من محتويات «كلام المهدي» (خاصة في مبحث المهدوية) إلى إسقاط نظرته ورأيه واستنتاجه المتحيز على ابن فلاح وعرضها على أنها آراؤه. أما ما عدا ذلك، وباستثناء حالة واحدة، فإن جميع من كتبوا عن السيد محمد كتبوه دون الاطلاع على كتاب «كلام المهدي» ودراسته. إن كل ما كتبوه في هذا المجال كان مقتبساً من كتاب كسروي. ولا شك أنه لا يمكن لمثل هذه الكتابات أن تكون علمية وصحيحة. لذا فلا نبالغ اذا قلنا إن رؤية أهل العلم والباحثين ونظرتهم في هذا المجال متأثرة بنظرة كسروي بل إنها، بعبارة أخرى، نظرته ورؤيته بالذات.

إن «كلام المهدي» هو مجموعة رسائل وخطب لابن فلاح ميزتُها البارزة تشتتُ

مواضيعها وعدم تجانسها وكذلك عدم انتظامها وعدم ترابط مباحثها و، أحياناً، تكرار بعض مواضيعها في أبواب مختلفة منه. بالإضافة إلى لغة ابن فلاح اللاذعة والغاضبة والمشاكسة، وفي حالات قليلة جداً، ذات الألفاظ القبيحة(١).

يستفاد من «كلام المهدي» أن السيد محمد بن فلاح كان شيعياً متعصباً ادعى نيابة الإمام المهدي(عج) ولم يدع أنه المهدي الموعود أبداً.

يقول في الصفحة ١١١: «إن قبر الحسين يزار لكل القاصدين والوافدين من أهل الاعتقاد والمحبين وقد أخبر الجميع من هؤلاء ، خصوصا العلماء والمتفقهين أن هذا الغائب هو محمد بن الحسن العسكري أمه نرجس بنت قيصر أخذت من الروم بسبي بني العباس ،اشترتها أخت الهادي عمة الحسن ثم وهبتها للحسن بن علي عليهما السلام فولدت منه محمد المهدي عليه السلام. وهو الى الآن باقٍ، وقد بلغ من العمر ستمائة سنة وعشر سنين فى هذه السنة التى هى سنة خمس وستين وثمان ،لأن مولده عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة وأنه عليه السلام يدخل القبة المشرفة ويزور القبور المعهودة ولا يدرك ولا يشاهد وليس لأحد من ذوي القوة أن يمسه أو يمسكه بل هو لو أراد أن يبطش بظالم لأمكنه ذلك فكيف إذا خرج على وجه البسيطة وزال عنه الستر أن يحتاج بعد هذه الكرامة التي ألبسه الله إياها وهي صفة الملك إذا نزل إلى الأرض وأخذ أرواح الموتى أتنقلب الحقايق إذ ما في الذات لايزول ولايتغير فلا يسلب الله عنه ما ألبسه من كرامة الاقتدار لاسيما إذا ظهر معه الخضر من السياحة وعيسى من السماء وفي تلك الحالة أي من دعاه إليه أجابه فيلزم الجبر إذ ياتيه قوي الأمة وضعيفها ولا يصح في ذلك الاختبار لأن الاختبار لا يبلغ الإلجاء والقهر فلا يثاب المكلف الا بالفعل الاختياري ،بل يجب الاختبار بأن يكون حالة الظهور كمحمد ، الذي هرب إلى الغار من فقد الناصر فوجب أن يكون هذا السيد مقامه في الظهور وهو مقام الله ،ويد الوكيل يد الموكل ولا ينفصل هذا البحث .».

يظهر من كلام السيد محمد عن كيفية ظهور صاحب الزمان(ع) وطرحه لمسألة

الاختبار في زمن الغيبة أنه يجعل نفسه نائباً للإمام ووكيلاً له في غيبته. إن هذا المبحث لا يتضمن أي ادعاء من جانب ابن فلاح بالمهدوية أو مرتبة المهدوية أو «كونه المهدي».

جدير بالذكر أن طرح مسألة الاختبار في زمن غيبة الإمام المهدي(ع) لم ينفرد به السيد محمد بن فلاح. فهناك من يعتقد بأن اختبار الشيعة هو من الأهداف الهامة لزمن الغيبة . وهناك روايات كثيرة تفيد بأن الغاية من الغيبة،اختبار الشيعة وتمييز أهل الإيمان من سواهم[٢] . كما تروى روايات عن الإمام الصادق(ع) وعن الإمام الرضا(ع) حول الاختبار في زمن الغيبة[٣]

وفي موضع آخر من الكتاب وبعد وصف كيفية انتقال السلطة وكذلك طريقة حكم خلفاء النبي وشرح وفاة الإمام علي(ع) وشهادة الإمام الحسين(ع) يشير إلى غيبة الإمام المهدي(ع) إلى اليوم قائلاً: «كما حكم الرسول ودحض الباطل ونصب الإسلام والإيمان، كذا المهدي إذا تولى الأرض يفعل كفعل جده عليه السلام، فيدحض الباطل ويقيم الحق وينصب الحق» ثم يواصل قائلاً: «... إن أصل الجميع قيام الحق ودحض الباطل ، وهلاك الأعداء وقطع موادهم من الأرض ، وهذا حاصل قيام المهدي في الأرض.»[٣].

هنا أيضاً يتحدث السيد محمد بصراحة ووضوح عن المهدي(ع) وثورته ولا يدعو نفسه المهدي أبداً. لذا نجده في موضع آخر وقبل التعرض لمسألة الاختبار وخلافة صاحب الزمان(ع) وفي معرض ذكره لحرب علي(ع) مع الخوارج في النهروان في الصفحات الأولى للكتاب (الصفحة ٦٤ التي يبدو أنه كتبها قبل غيرها من الصفحات التالية) وحربه مع معاوية في صفين وكذلك معركة الجمل مع عائشة ، يدعو نفسه بصراحة «نائب الأئمة».

إن السيد محمد بتصريحه بأنه «نائب الأئمة» يقدم أكبر دليل على عدم ادعائه المهدوية. فمما لاشك فيه أن «نائب الإمام» لا يمكن أن يكون «الإمام بالذات». من

الجائز الإشكال على ادعائه بأنه «نائب الإمام» أو أن يقال: من الذي يختار، أو من هم الذين يختارون، نائب الإمام؟ قد لا يؤمن البعض بموضوع «نائب الإمام»(٥) ولكن هذه الإشكالات وهذه الملاحظات موضوع منفصل تماماً عن موضوع «ادعاء المهدي».

ثم يعود السيد محمد المشعشع في موضع آخر، بعد التعرض لمعنى كلمة «المهدي»، ليفرق بين نفسه وبين المهدي(ع) ويقول إنه «نائب الإمام». فيوضح قائلاً إن «المهدي» اسم مفعول ولا ينطبق إلاَّ على واحد من الأئمة فقط وينقل كلام الإمام الباقر(ع): «الواحد منا يسمى بابن أمير المؤمنين ويسمى القائم من أهل البيت ببقية الله في الأرض وبالمهدي.» ثم تلا عليه :»بقية الله خيرلكم ان كنتم مؤمنين». وأنا والله القائم بحسب النيابة عن الغائب، فلاتشكوا يا نبذة الكتاب يا من حرفوا الكلام عن مواضعه.»(٦).

وهنا أيضاً يؤكد المشعشع على نيابته لصاحب الزمان ويصرح في الوقت نفسه بتفسيره لكلمة «المهدي» وأنها تعني صاحب الزمان(ع). لذا نجد آغا بزرك الطهراني يفسر معنى «المهدي» في السيد محمد بن فلاح بأنها تعني المنقذ فيقول: «المهدي هنا تعني المنقذ ولا تعني (المهدي الموعود والحجة المنتظر).»(٧).

إن طرح مسألة وجوب الاختبار في زمن الغيبة وبيان نيابته للأمام وطرح موضوع «الحجاب» كان من أجل تأسيس قاعدة فكرية وعقائدية لحركته ،لأن الخروج في رأي علماء الشيعة ،خاص بصاحب الزمان وتحت رايته فقط.

ادعاء المهدوية

بعد اتضاح رؤية السيد محمد بن فلاح وفكرته عن صاحب الزمان(ع) وبيان آرائه ومنها اعتقاده بالإمام المنتظر(ع) بعرض نماذج من كتاب «كلام المهدي» يبقى ثمة سؤال وهو أنه مع وجود هذا الكلام الصريح في كتاب السيد محمد، كيف ادعى أحمد كسروي في كتابه «تاريخ بانصد ساله خوزستان» أن السيد محمد ادعى أنه الإمام المهدي؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد من التعرف على أسس كسروي في الاستدلال

والتدقيق في كل ما كتبه في هذا الصدد لنتبين إن كان كسروي، كما يدعي، «صادقاً وعفيف اللسان»[٨] و«منصفاً في الحكم على الشعوب والأفراد»[٩].

لقد وقع كسروي خلال إبداء رأيه بمعتقدات ابن فلاح في التناقض والتخبط فأورد عبارات وعناوين متضاربة تماماً. فهو في البداية يصفه بأنه «على مذهب الاثنى عشرية» ويقول: «لقد كان السيد محمد اثنى عشرياً وكان يواجه الآخرين ويقاتلهم على هذا الأساس» [١٠] وبعد صفحات يؤكد هذا الأمر ويقول إنه «شيعي متعصب» وأنه «يظهر التعصب الشيعي»[١١]. وبعد صفحات يعود لوصفه بأنه «اثني عشري» ويقول: «ولكن السيد محمد الذي يدعو نفسه اثني عشرياً وأن أساس دعوته كانت على هذا المذهب»[١٢]. ولكنه في خضم هذه الإشارات المتناسقة على «تشيع» السيد محمد و«اثني عشريته» نراه فجأة يدعي أنه يدعي المهدوية[١٣]. فكيف يمكن للمرء أن يكون «اثني عشرياً» و«يظهر التعصب الشيعي» وفي الوقت نفسه يدعي مقام المهدوية أو أنه نفس الإمام صاحب الزمان. والغريب أنه بعد إيراده هذه النقطة في الصفحة ٢١ يعود في الصفحة ٢٣ إلى كلامه الأول فيقول: «كان يعتبر نفسه اثني عشرياً»!!

إن كسروي يعتبر السيد محمد أول «اثني عشرياً» «يدعي المهدوية» ولا يجد أحداً قبله جمع بين الصفتين. وتلك «إحدى العجائب». ولكن قول كسروي هذا هو أحد العجائب إذ كيف يمكن لاثنى عشري أن يدعي أنه إمام بل هو الإمام الثاني عشر؟ لذا فإنه يقع في تناقض آخر بعد بضعة أسطر فيقول: «إن السيد محمد يدعي أحياناً بأنه نائب الإمام الثاني عشر.»[١٤].

بعد عبارته هذه ينقل كسروي ترجمة من «كلام المهدي» وهي تقريباً الصفحة ١١١ منه التي وردت ترجمتها الكاملة في الصفحات الآنفة ،مع اختلاف أن السطر الأخير الذي يتحدث فيه عن نيابة الإمام صاحب الزمان و«يد الوكيل هي يد الموكل» محذوف من النص الذي يقدمه كسروي[١٥].

فبعد أن يقوم كسروي بترجمة النص المذكور الذي يشتمل على موضوع الاختبار ونيابة الإمام صاحب الزمان يعتبر كلام السيد محمد دليلاً واضحاً على تلونه فيقول: «هذا هو العنوان الذي يظهر به السيد محمد أمام الأقوياء والذين يخشى جانبهم أو المطلعين والأذكياء. أما الآخرون فإنه يغير ادعاءه أمامهم ويصرح بأنه المهدي نفسه، وليس المهدي فقط بل هو الأئمة والنبي ويهيئ الأرضية لإقناعهم بدعواه كما سنرى. ثم يورد رسالة السيد محمد إلى الأمير بيرقلي شقيق بيربوداق رغم أن السيد محمد لم يذكر في هذه الرسالة أبداً «أنه المهدي» أو «الأئمة والنبي». وخلافاً لما قاله كسروي فإن الأمير بيرقلي كان من الأمراء التركمان وحاكم بغداد ومن «الأقوياء» ومن «المطلعين الأذكياء». ثم إن السيد محمد في هذه الرسالة يذكر الإمام الثاني عشر باسم «المهدي» ويسمي نفسه خادمه. «أبث للأمير بيرقلي حزني الذي يفوق حزن الأنبياء : أولها أني علوي من أهل هذا الزمان والشيعة يعتقدون بإمامة اثني عشر إماماً أولهم علي وآخرهم المهدي ابن الحسن العسكري... الغائب والمتواري عن الأنظار منذ ستمائة وسبع سنوات ...» هذا هو نص ترجمة كسروي التي أوردها في كتابه «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان». وهي من الوضوح في اعتقاد السيد محمد بالإمام المهدي(ع) وغيبته بما لا يحتاج إلى أي إيضاح أو تفسير. وكان المفروض أن يعرض كسروي على القراء نماذج من خطاب السيد محمد الذي يوجهه إلى الفئة الأخرى وهي غير «الأقوياء» وغير «المطلعين الأذكياء». لقد وعد كسروي بعرض كلام السيد محمد المتعلق بـ «كونه المهدي» و«بل الأئمة والنبي»!! ولكنه يقدم مكتوبات تدل على اعتقاده بغيبة الإمام صاحب الزمان.

ولا يكتفي كسروي بهذا ويواصل عرض رسالة السيد محمد وكأن بداياتها لا تكفي في رد شبهة ادعائه بالمهدوية: «... أنا عاجز وضعيف أيها الأمير وعبد وخادم لذلك الإمام . ولا أنا ولا أحد غيري لا ينتسب إليه وهو أسمى من أن ينتسب إليه أحد من أهل هذا الزمان. غاية الأمر أني نائبه في زمان غيبته...». تلك كانت آراء السيد

محمد بن فلاح في الإمام المهدي والتي استخرجها كسروي من «كلام المهدي» وأورد ترجمتها في كتابه. هذا النص كغيره من النصوص المذكورة آنفاً يبين اعتقاده بصاحب الزمان وغيبته. فكيف يمكن للمرء أن يعتبر نفسه خادماً للإمام صاحب الزمان وأن الإمام أسمى وأجل منه وأنه غائب وفي نفس الوقت يعتبر نفسه «الإمام المهدي»؟ هذه الاستنتاجات والآراء بعيدة عن كسروي الباحث. ولكن المؤسف أن كسروي في بحثه لادعاء السيد محمد المهدوية كان يحاول إثبات هذا الادعاء لذا نراه يتغاضى عن الكثير من الحقائق ويفرض آراءه الشخصية واستنتاجاته على القارئ على أنها آراء ومعتقدات السيد محمد.

وفي موضع آخر يذهب كسروي أبعد من ذلك فينسب إلى السيد محمد ما لم يقله ولم يكتبه فيقول: «بما أن السيد محمد كان يعلم بأن الأمير بيرقلي يفهم مقصوده من هذا الكلام المكتوب فإنه لم يذكره في رسالته». وهذا أسلوب جديد في كتابة التاريخ يتمكن فيه المؤرخ أن يفهم بعد خمسة قرون ما كان يدور في خاطر الرجل فينسب إليه ما لم يقل ولم يكتب. يقول كسروي: «مما لا يحتاج إلى كلام أن مراده بالظهور ليس ظهوره هو، بل ظهور «الحجاب» و«المنزلة» وهما السيد نفسه. لاشك أن السيد محمد كان يخشى الأمير بيرقلي الأمر الذي جعله ينتهج في رسالته التلون والنفاق لأنه يقول في مستهل رسالته بصراحة بأنه لا ينتسب إلى الإمام الغائب ولا يكون له ذلك ويقول بصراحة أيضاً إنه بمضي الوقت وببلوغ ندائه كل الأمصار الإسلامية يكون موعد ظهور الإمام الغائب قد حان ومع ذلك يسمي نفسه في نهاية الرسالة «الحجاب» و«المنزلة» ويعني بذلك (كما يشرح في موضع آخر) كونه هو المهدي ولا مهدي سواه. ولم يضف تلك العبارة في آخر الرسالة إلاّ ليقينه بأن بيرقلي لن يفهم معناها.»(١٦) وهذا من عجائب كتابة التاريخ التي توصل إليها كسروي.

خلافاً لما يقوله كسروي فإن «الحجاب» و«المنزلة» لا تتنافى أبداً مع أقوال السيد محمد الأولى. فـ «الحجاب» و«المنزلة» ليست سوى منصب نيابة صاحب الزمان في

غيبته. من جانب آخر لم يفسر السيد محمد أبداً معنى «الحجاب» و«المنزلة» أبداً بأنها «تعني كونه المهدي ولا مهدي سواه» خلافاً لما يقوله كسروي. وكان على كسروي أن يبين لقرّائه متى وأين قال السيد محمد بن فلاح مثل هذا الكلام.

ويعود كسروي في موضع آخر ليحمّل السيد محمد وجهات نظره هو، يقول: «لو سبرنا أغوار كلام السيد محمد لأدركنا أنه يعتقد بأن الإمام الثاني عشر ميت، شأنه شأن النبي والأئمة الأحد عشر، وأن روحه قد حلت في جسده هو»(١٧). هذا القول هو كلام كسروي وليس السيد محمد بن فلاح. فإذا كان الرجل يصف نفسه بعبد الإمام و«غلام صاحب الزمان» ويصرح بأنه «لا أنا ولا أحد غيري لم ننتسب لهذا الإمام» ويقول بصراحة: «إنني نائب الإمام في غيبته» فلماذا يتم استبعاد كلامه الصريح الواضح وتقديم تفاسير شخصية على أنها أفكاره وأقواله؟ هل هذه الطريقة في كتابة التاريخ «صادقة» و«منصفة في الحكم على الأشخاص والشعوب»؟ ولا ننس أن كسروي يعتقد أن إبداء المؤرخ وجهة نظره الشخصية أثناء كتابته للتاريخ غير صحيح. ولكنه يعمل خلاف رأيه وهو يتناول السيد محمد. فهو لم يلتزم بأي شيء مما قاله عن التاريخ والمؤرخ في معرض حديثه عن المشعشعين.

مع هذا نجده في خاتمة مبحث ادعاء السيد محمد يفسر العبارات الدالة على نفي ادعاء المهدوية عن المشعشع تفسيراً مغايراً ويضيفها إلى حساب تناقضات أفكار السيد محمد، يقول: «يبدو أن السيد محمد أدرك الإشكال على أدعائه، في بعض المواضع ،يدعى نيابة الأنبياء والأئمة. ويدعي أحياناً الوكالة عنهم وأحيانا يقول :«يدي هي يد الأئمة والأنبياء»(١٨).

الحقيقة هي أن رأي السيد محمد هو الذي عبر عنه في رسالته إلى الأمير بيربوداق بوضوح. لقد كان شيعياً اثني عشرياً ويعتقد بغيبة الإمام المهدي(عج). أما ما قاله عن «الحجاب» و«المنزلة» والمواضيع الأخرى فهو من باب بيان وتفهيم نيابة الإمام المهدي. كان السيد محمد يرى في ثورته تمهيداً لظهور الإمام المهدي(عج) وهذا

واضح في ما كتبه. أما معارضة مؤلف «تاريخ الغياثي» له واتهامه بادعاء المهدوية فهو بسبب خوف اسبند ميرزا من تنامي ثورته وازدياد قوته وهذا ما دفعه إلى سبه ولعنه في كتابه. أما دوافع كسروي لمهاجمة السيد محمد فكانت شوفينيته وتعصبه العرقي ودور السيد محمد في إعاقة مشروع تشكيل الأمة وهذا ما جعله يندفع أبعد مما فعله الغياثي. إنه لا يعتمد كتابات السيد محمد الواضحة الصريحة في الحكم عليه بل يسقط رأيه الخاص عليه. لقد أثبت كسروي في كتابته لتاريخ المشروطة عجزه في فهم الحركات الفلاّحية وثورات المظلومين على الإقطاعيين[١٩]،وعندما يصل إلى السيد محمد لم يكن بمقدوره فهم حركته، بل يبلغ تخبطه ذروته.

والمدهش هنا أن هذا الكلام القالب للحقائق يصدر عن شخص كان عرضة للنقد بسبب آرائه الخاصة بالإسلام وخاصة التشيع حتى إنه دفع حياته ثمناً لتلك الأفكار. وقد تسامح البعض حين وضع اسم «الإلهيات التعقلية» أو «الدين المدني» لمعتقدات كسروي وأفكاره[٢٠].

يعتقد البعض أنه كان يدعي مقام النبوة[٢١]، والبعض وصفه بأنه مكلف بتضعيف المسلمين[٢٢]، فيما يرى آخرون أنه كان يدعي المهدوية[٢٣] والبعض كان ينسب إليه صفة الداعي إلى الدين الجديد والقائد الديني وكانوا يدّعون أن كسروي هو الداعي إلى الدين الجديد في الإسلام[٢٤] والبعض كانوا يعرفونه على أنه كان يظن أنه «مبعوث إلهي»[٢٥].

تبين لنا هذه الكلمات موقف كسروي المعارض للسيد محمد المشعشع وأن استصراخه للمسلمين كان فقط من أجل استغلال المشاعر الدينية للناس وإثارتها وتشويه صورة المشعشع. لم يكن كسروي على خلاف مع السيد محمد بسبب الاعتقاد بالإسلام وإمامة الإمام المهدي(عج) والمخاوف المترتبة على ذلك، بل كان يتخذ إمامة الإمام المهدي(عج) ذريعة للحط من سمعة المشعشع.

كسروي حين ينظر إلى أفكار السيد محمد ويستهدفها يتقمص دور المسلم الشيعي المعتقد بإمامة المهدي(عج) والقلق على التشيع، بينما في حقيقته لا يحمل مثل هذه المعتقدات والأفكار.

أما مؤلف كتاب «أحسن التواريخ» الذي كان حيا في تلك الفترة خلال أحداث سنة ٨٥٨هـ فيصور السيد محمد بن فلاح صورة أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة: «في هذه السنة، ظهر السيد محمد بن فلاح الذي ينتهي نسبه إلى [الامام المفترض الطاعة] الامام موسى الكاظم صلوات الله وسلامه عليه وآله. وبسط سلطانه على عموم عربستان بما فيها الحويزة ودزفول وتستر. كان يسكن بغداد وتتلمذ على الشيخ أحمد بن فهد، ويقول إنه طليعة الإمام محمد المهدي صلوات الله وسلامه عليه وآله الذي سيظهر في هذه الأيام وكان يعمل بمذهب الفلاسفة والإسماعيلية. ثم اجتمع حوله نحو عشرة آلاف رجل فقام بقتل أكثر مشايخ الجزائر وقضى على أسرة العلويين التي كانت لها الإمارة منذ قديم الأيام»[٣٦].

وفي ختام هذا المبحث نتذكر وجهة نظر مؤلف كتاب «المشعشعيون» واستنتاجاته. فقد استطاع محمد علي رنجبر أن يحصل على كتاب السيد محمد بن فلاح ويقرؤه قراءة دقيقة وبعد تقديمه لبحث واسع ومتقن استطاع أن يبطل شبهة ادعاء المهدوية من السيد محمد، يقول:

١ـ لم يدّعِ السيد محمد، المهدوية أبدا وكان يعتبر نفسه نائب الإمام ووكيله.

٢ـ إن مرتبة النيابة ناتجة عن منزلته العلمية والروحية حيث يوصف بـ«العالم الرباني». علاوة على هذا فإن ظهور النائب والحجاب من شأنه أن يمهد إلى تسامي وتكامل المؤمنين، وذلك من شروط ظهور الإمام الغائب(ع).

٣ـ اختار السيد محمد بن فلاح بصفته قائداً لثورة شعبية أنسب القواعد وأكثرها تناسقاً لتحريك الجماهير المؤمنة وترغيبها.

٤ـ في الختام لابد من القول إن تبيين فكرة المهدوية من خلال ما قاله السيد محمد بن فلاح يختلف اختلافا واضحا عن ما جاء في المصادر ومآخذه التاريخية. لقد أصبح ادعاء السيد محمد للمهدوية الجانب الرئيس لتلك المصادر[٢٧].

تفيد خلاصة هذا المبحث وتبويبه بدفع شبهة ادعاء المهدوية عن السيد محمد بن فلاح والكشف عن تحيز كسروي في آرائه وتبييت الغرض من قبله. أنها آراء عملت على مدى نحو سبعين سنة على تضليل الباحثين وأهل العلم والمهتمين[٢٨].

علاقة الروح بالجسد

من مميزات المنظومة العقائدية للسيد محمد بن فلاح مسألة منزلة وشأن علي(ع). وهذا المبحث واحد من أصعب مباحث «كلام المهدي» وأعقدها. وبسبب هذه الصعوبة كان من الصعب والمعقد تناولها بشكل كامل وجامع وتبيينها بشكل دقيق وصحيح. خصوصاً وأن هذا المبحث يتداخل تداخلاً وثيقاً مع المباحث الفقهية والعقائدية.

فمن جهة نرى السيد محمد يضع الغلاة في دائرة الكفر مع عبدة الأصنام وعبدة النار واليهود والمسيحيين والصابئين والجبرية والناصبيين[٢٩]، كما أنه يهاجم النصيرية في «كلام المهدي» لأنهم يعتبرون الإمام علياً(ع) هو الله[٣٠]. وفي موضع آخر يروي عن أحد الأئمة حديث: «نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»[٣١] إضافة إلى ذلك يقول السيد محمد في «كلام المهدي» رواية عن النبي: «يا علي هلك فيك اثنان محب غالٍ يرفعك فوق منزلتك ومبغض قالٍ ينزلك دون منزلتك»[٣٢].

إن هذه العبارات تبين أن السيد محمد لم يكن يعتقد أن الإمام عليا(ع) هو الله ولم يكن ينسب له مرتبة الربوبية. وحين يذكر اسمه في كلام المهدي فإنه يذكره بعد اسم النبي محمد(ص)[٣٣] وهذا يؤيد القول بأنه لم يكن يضع الإمام علياً(ع) في مرتبة الربوبية. لهذا السبب يعتقد البعض بأن السيد محمد بن فلاح ليس من الغلاة[٣٤].

لقد وضع ابن فلاح في هذه الجمل حداً فاصلاً واضحاً بينه وبين غلاة الشيعة[٣٥].

إنه لا يعطي للإمام علي(ع) مقام الألوهية بصراحة في كتاباته. ولعل مقارنة آرائه ومعتقداته مع معتقدات غلاة الشيعة وكتاباتهم تبين هذا الأمر.

لقد أفرد مؤسس الدولة الصفوية إسماعيل الصفوي في أشعاره مكانا خاصا للإمام علي(ع) يتسم بالغلو. إنه يمتدح علياً(ع) قبل النبي محمد(ص) ويحمد الله من حيث خلقه لعلي(ع) ويصف من لا يؤمن بأن علياً(ع) هو «الحق» بأنه «كافر مطلق» أما النبي محمد(ص) فهو مجرد نبي في حين أن علياً(ع) هو «مظهر الحقيقة» و«النور الإلهي»(٣٦).

على أن إسماعيل الصفوي يعتبر نفسه «سنخ» الإمام علي من خلال هذا المعتقد ويقول إنه خلق من سره وظهر على حلبة الدنيا منذ الأزل بأمر علي(ع). بعد ذلك بقليل يسمي إسماعيل نفسه «عين الله» ويأمر الناس بالسجود له. إنه يتحكم بالشمس والقمر وهو «أول فاعل مطلق» ويضيف: اعلم أن «وجودي هو بيت الله» والأولى لك أن تسجد لي «كل ليل وكل فجر»(٣٧).

إن غلو إسماعيل الصفوي في الإمام علي(ع) كانت الغاية منه استغلال العقيدة لإحكام القبضة على السلطة وتوسيع السيطرة والنفوذ. ورغم أن بعض الباحثين يعتقدون أن كلام الصفويين المغالي في الإمام علي(ع) وغلوهم فيه كبير الشبه بأفكار المشعشعين بل إنه انتقل إلى الصفويين عن طريقهم(٣٨)، إلاّ أن هناك فروقا واضحة بين غلو إسماعيل الصفوي وآراء السيد محمد.

إضافة إلى ذلك فإن السيد محمد لم يستغل هذه الأفكار لمنفعته الخاصة. فلم يكن في نيته أن يرفع من شأن الإمام علي(ع) فوق شأنه ليقول عن نفسه فيما بعد أنه «عين الإمام علي» أو «عين الله» وغيرها. لقد كان يخطط لتثبيت سلطته باعتبار منزلته العلمية حين يقول «أنا أعلم أهل الأرض» و« قد ألهمني الله معارف الأنبياء جميعا» و«أن الله قد ولاني الأرض»(٣٩). ورغم أن هذا الكلام يعد مبالغة وغلواً بحق نفسه وهو

كلام لا يخلو من إشكال، ولكنه قبل كل شيء يبين أن السيد محمد بن فلاح لم يكن يرمي إلى أن يستغل المبالغة في وصف علي لمصلحته الشخصية. بل حتى إنه لم يستغل انتسابه إلى الإمام موسى الكاظم(ع) واكتفى بالاعتماد على علمه وإحاطته بمعارف الأنبياء وصلته بالله.

الميزة الأخرى في تفكير السيد محمد بن فلاح هو التمسك بشريعة النبي محمد(ص). كان أداء الفروض والواجبات كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد له مكانة في تفكيره. لقد خصص جزءاً كبيراً من «كلام المهدي» لشرح كل عمل من أعمال العبادات وتفصيلها. ولم يكن في معتقداته تهاون في تنفيذ الشريعة وخاصة العبادات. ويكتسب هذا الأمر أهميته من اعتقاد السيد محمد بأن الله هو الخالق الأوحد للوجود وهو وحده الجدير بالعبادة وأن محمداً(ص) هو خاتم الأنبياء وحامل الشريعة الكاملة الواجبة التنفيذ.

الحقيقة أن المبالغة والإفراط في الإمام علي(ع) من المواضيع التي تظهر في بعض الفرق الشيعية بين الحين والآخر وتتراوح شدة وضعفا. إنهم ومن أجل إظهار أحقية الإمام علي(ع) يبالغون في وصفه وينسبون خصوصيات غير حقيقية له ويحملونه أحيانا رسالة أكبر من رسالة النبي.

رغم هذا فإن أبرز ما يلفت النظر في آراء السيد محمد بن فلاح ويثير الجدل فيه أكثر من غيره فكرته عن العلاقة بين الروح والجسد. فهو يعتقد أن مصدر أفعال الإنسان وأعماله هو الروح. أما الجسم فليس سوى أداة للروح ووعاء له. وهو يرى أن الإنسان هو خادم لهذه الروح[٤٠]. وأن منشأ الروح واحد وهو الله خالق الوجود الذي أودع الروح في الأجسام المختلفة. ويعتقد بأن الجسم هو «الحجاب» فقط ويمكن أن يكون لغير الإنسان كذلك. كما أن النار التي رآها موسى(ع) هي الروح الإلهية وقد ظهرت له على تلك الهيئة. والنار هنا كانت في الواقع حجابا. والملائكة التي هي روح إلهي يمكن أن تظهر في أجسام مختلفة كما ظهر جبرائيل في جسد الشيخ المسكين والطفل اليتيم والمسلم الأسير[٤١].

في موضع آخر من «كلام المهدي» يبين السيد محمد بوضوح رؤيته للروح والجسد. فبعد أن يذكر مراحل تكوين الجنين في بطن الأم يقول إنه مع إنبات الشعر في جسم الجنين وذلك بعد الشهر الرابع من عمره استحق فيضان الروح[٤٢]؛ لذا يستنتج «فاذا تقرر ذلك تكون الروح غير البدن بالاتفاق» ثم يتساءل «إذا كانت الروح غير البدن فأيهما الإنسان المشار إليه بزيد وبعمرو وبخالد وببكر وبالنبي والوصي والولي والعالم الرباني؟» وفي جوابه يطرح «رأي المتكلمين وهم أهل العقائد الكلامية الذين يعتقدون أنْ ليس الإنسان إلاّ الروح وهذا البدن إنما هوآلة وخادم لذلك الجوهر المحجوب فيه.» ويورد اعتراضا على عقيدة المتكلمين كذلك فيطرح سؤالا آخر هذه المرة : «إذا كانت الروح هي الإنسان وهي النبي والولي فليس للأب بها تعلق ؟ وإنما يتعلق الاب بالبدن،لانه إنما خلق من نطفه التي ألقاها في الرحم» .ويواصل فيصف عقيدة المتكلمين هذه بأنها « المعنى العجيب» فيورد، بسبب هذا المعنى العجيب، حديثا للنبي يقول فيه (ص): «كنت نبيا وآدم ما بين الماء والطين.»[٤٣]. في هذا المبحث يؤكد ابن فلاح على انفصال الروح عن الجسد ولا يعتقد بأن الروح هو الإنسان. ولكنه حين يطرح مسألة ارتباط الفرد بوالده فإنه لا يؤيد بشكل كامل في الواقع انفصال الروح عن الجسد ويعطي للوالد، أي الجسد، مكانة. رغم هذا فإن كلامه في نبوة الرسول(ص) منذ الأزل وآدم بين الماء والطين يناقض بشكل صريح كلامه الأخير ويبين انفصال الروح عن الجسد وانتقاله من جسم إلى جسم آخر.

يبدو أن منظومة أفكار السيد محمد ومعتقداته تفتقر إلى التجانس والتناسق. فهو في أحد المباحث واستكمالا لحديثه نراه يتكلم عن انتماء الروح إلى الجسد ولكنه يعود مباشرة فيطرح في نهاية المبحث مواضيع تدل على استقلال الروح عن الجسد. إن الجزء الأخير من المبحث المذكور يتحدث، في الأساس، عن الروح المستقل عن الجسد. إن لهذا الروح منشأ إلهياً ويظهر في مراحل مختلفة وفي أجسام متعددة. لقد كرر السيد محمد بن فلاح هذا الكلام وهذا المعتقد في أجزاء أخرى من «كلام المهدي». من

هذه الناحية فإن انفصال الروح عن الجسد وظهور الروح في مراحل مختلفة وبأشكال متعددة، هو من معتقداته. إن منشأ الروح في رأي ابن فلاح واحد وهو «الذات المقدسة». إن الله يقر الروح في أماكن مختلفة من الجسد. وبهذا فإن الأحقية الإلهية لدى الإمام علي(ع) باعتباره إلهاً تكمن في جسمه[٤٤]. أو أن علياً(ع) وصي محمد(ص)، هو الله في حجاب. كما كان جبرائيل والآخرون في حجاب[٤٥]. وبحسب معتقده فإن الحقيقة ثابتة ولا تنتقل، بل هو الحجاب الذي ينتقل ويظهر بأشكال متعددة كما في جبرائيل الذي ظهر في أجساد مختلفة. بناء على ذلك فكرة نبوة محمد من الأزل وآدم ما بين الماء والطين، قد نشأت من هذا الاعتقاد. إن القول بـ «محمدا (ص) كان هو الحجاب بنوع الرسالة»، أو مقولات من قبيل: «إن علياً الذي كان بجنب النبي (ص)هو السر الدائر في السماء والأرض» أو «أن الأحد عشر إماماً كانوا هم الملائكة منهم إليه ومنه إليهم» ،و«أن هذا السيد الذي ظهر[السيد محمد] هو بمنزلة كل نبي وكل ولي بالنوع الظاهر.» هي نماذج من هذا الاعتقاد [٤٦].

إن الإشكال الأساسي الوارد على معتقدات السيد محمد ينطوي على علاقة الروح بالجسد. لأن النتيجة الحاصلة من قناعاته هي ثبوت الروح أو الأرواح وحياتها وانتقالها من جسد إلى آخر. على هذا الأساس فإن باستطاعة الروح أن تظهر في أجساد وأجسام مختلفة. تلك الروح التي كانت منذ الأزل وتستطيع أن تحيا إلى هذا اليوم وأن تظهر في أجساد أخرى. إن هذه الروح تستطيع أن تظهر في يوم ما في جسد جبرائيل وفي يوم آخر في جسد الإمام علي(ع) وآخر في جسد سلمان ومرة في جسد السيد محمد.

محاولة لمحاكاة القرآن أم بيان ثوري؟

إن «كلام المهدي» هو مجموعة من رسائل السيد محمد بن فلاح وخطبه وكتاب زاخر بالمواضيع والكلمات التي تدور حول أحقّية الامام علي(ع) وسبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة ولعنهم. استغل ابن فلاح كل فرصة سنحت فتحدث عن غصب الحكم بواسطة

أبي بكر وعمر وعثمان ومظلومية الإمام علي(ع) وفاطمة الزهراء. وكأن أحقية الإمام علي(ع) كانت موضع تحدٍّ وكان على السيد محمد إثبات ذلك. وبناءً علي ذلك لا يمكن اعتبار تسمية كسروي له بأنه «شيعي متعصب» كلاما اعتباطيا.

يختتم كتاب «تاريخ بانصد ساله خوزستان» بمقاطع من «كلام المهدي» ألحقها كسروي بآخر الكتاب باللغة العربية تحت عنوان «ملحق». هذه المقاطع تعاني بعض النواقص والأخطاء أغلبها مطبعية تعود لعدم إجادة المطبعيين للغة العربية. وكان الأولى أن يقوم كسروي بترجمة تلك النصوص وإدراجها في متن الكتاب أو حواشيه. لأنه قد حرم الكثير من القرّاء من قراءتها والاستفادة منها. وربما كان الأفضل أن يطلعنا كسروي على آراء ابن فلاح ومعتقداته من خلال ترجمة تلك النصوص وتحليلها الدقيق. فهو (أي كسروي) لم يقدم لنا صورة واضحة لأفكار ابن فلاح بعد أن خلط «ادعاء المهدوية» بمبحث «الروح والجسد». كما أن هذا الخلط صاحبه سيلٌ من الألفاظ الحادة والأقوال المتحيزة الأمر الذي ضاعف الغموض وعدم الوضوح. في حين أن القطعة الأولى من هذه الكتابات ضمت إشارات ودلالات على «استقلال الروح عن الجسد» و«تجلّي الروح في أجسام مختلفة».

أما المكتوب الثاني فيتعلق بوصف المعاناة والمحن والهزائم والانتصارات التي تعرض لها السيد محمد وأعمال وتصرفات ابنه المولى علي التي كان السيد محمد متألما منها. ولا ندري لماذا أدرج كسروي هذا النص في كتابه فهو يكتفي بالإشارة إلى أن «هذا من تأليفه».

أمّا النص الثالث فهو كتاب الزيارة الذي يعتقد كسروي بأن السيد محمد «ربما وضعه ليقرأه أتباعه كلّ يوم أو في بعض الأيام». ثم يقول: «ويتضح من عباراته طموحات هذا الرجل الجاهل وادعاءاته والمنزلة التي كان يصورها لنفسه...» وكسروي على حق في أن النص يمثل كتاب زيارة ولكن لا أحد يدري كيف كانت تلك الزيارة تتلى، هل كل يوم أم في بعض الأيام، بل متى كانت تتلى. لأن «كلام المهدي» لا يشير اليها. غير أن

هذه الزيارة ليست زيارة ابن فلاح بل زيارة الامام المهدي(ع) لأن فيها تحية صريحة له[٤٧]، وبعد ذلك بأسطر يذكر العبارة المعروفة في جميع زيارات الأئمة وهو ما يؤكد أنها زيارة صاحب الزمان[٤٨] وليست زيارة السيد محمد المشعشع. فالسيد محمد لم يكن بمقدوره أن يسمي نفسه «الإمام المهدي» لأن الناس لم يقبلوا بذلك قط. إضافة إلى أنه كان سيعطي لأعدائه سلاحا قاتلا ضده. هذا وإن غضب وانفعال كسروي في هذا النص واستخدامه عبارة «الرجل التافه الجاهل» لسيد محمد، يجعله بعيدا كل البعد عن شأن المؤرخ والباحث[٤٩].

يطلق كسروي على النص الرابع عنوان «محاولة محاكاة القرآن» ويدعي أن السيد محمد وضعه في مقابل «سورة الرحمن». وهنا أيضاً ينتهج كسروي طريق المبالغة والإفراط ويتحدث بطريقة مغرضة. ولعل أفضل دليل للرد على ادعاء كسروي هو أن السيد يفتتح النص بالحمد والثناء على الله ويختمه به أيضاً.إن هذا النص أشبه بالمناجاة منه بالسورة. ولا يمكن اعتبار استعمال بعض المفردات القرآنية لرفع مستوى المقال البلاغي محاكاةً للقرآن ومحاولة للإتيان بمثله. لقد قارن كامل مصطفى الشيبي هذا النص بأفكار الفيلسوف الكبير ابن عربي وشبّه بينهما[٥٠].

أما النص الخامس ففيه يطلب السيد محمد العون من الله ويدعو الناس لنصرته. ورغم هذه التفاصيل يندفع كسروي مبالغاً لينسب للسيد محاولة الإتيان بقرآن ويصف النص بأنه «سورة أخرى من سوره». على أن النص المذكور في كتاب كسروي مليء بالأخطاء والنواقص. وليس معلوماً إن كان النقص وسقوط بعض الحروف منه حاصلاً منذ الطبعة الأولى للكتاب أم أن مرور الوقت وتكرر الطبعات وعدم إجادة الطباعين باللغة العربية وعدم التطابق مع النص الأصلي هو الذي أدى إلى ذلك.

عموما لا يمكن اعتبار هذا النص سورة أو محاولة من ابن فلاح لمحاكاة القرآن. وقد ردّ كامل مصطفى الشيبي رأي كسروي حول هذا النص واعتبره بيانا ثوريا[٥١].

غير أنه لما كانت السورة كلام الله وأنّ السيد محمد يطلب المدد من الله ويدعو الناس لنصرته فإنّ كلامه كلام عبد الله ولا يمكن أن تكون سورة.

عقوبات السيد محمد

بعد أن نجح السيد محمد بن فلاح في إقامة حكمه في الحويزة أصدر مجموعة من الأحكام الجزائية لتخليص المجتمع من أدران الجهل وللتصدي للمخالفات الأخلاقية. شملت تلك العقوبات حتى أبسط ما يتعلق بحقوق الأفراد وأكثرها تخلفاً وكذلك أكثر الطرق الصحية البدائية. وإذا نظرنا إلى الأعمال المستحقة للعقوبات وفق المنظومة الجزائية التي أصدرها السيد محمد لأدركنا النسيج القبلي للمجتمع الذي كان يديره من جانب وشدة السيد وعدم تسامحه في التنفيذ من جانب آخر.

كان السيد محمد يعتبر نفسه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر. يقول إنه سيقتل كل من يمارس اللواط أو الزنى. وأنه يقطع يد السارق ذكراً كان أو أنثى. ويؤدب من يتعاطى الحشيشة ويعزر المجرمين ويعاقب تاركي الصلاة والعاصين لله[٥٢].

وكان يعتبر عقوبة المرابي الموت[٥٣] وكذلك من لا يعين جاره الجائع وهو قادر على ذلك فعقوبته الموت[٥٤]. كما أن قطع يد السارق منوط ببعض الشروط. فاذا كان ثمن المسروق ربع دينار أو ما يعادله فتقطع يد السارق، خاصة اذا كانت السرقة غير مقرونة بجوع السارق. وتقطع يد السارق الذكر والأنثى على مراحل. فتقطع أصابع اليد اليمنى الأربع أولاً وإذا تكررت السرقة تقطع أصابع اليد اليسرى الأربع. وكانت عقوبة قطع الطريق ،الموت سواء كان في البر أو على الماء. ولقاطع الطريق أن يختار بين القتل بالسيف أو بالسلاسل[٥٥].

يصف السيد محمد أوضاع مجتمعه في رسالة بعث بها إلى العالم البغدادي قائلاً: «إنهم لا يصلّون أبداً وكذلك آباؤهم وأجدادهم إلاّ قليلاً منهم. أكلهم حرام وأعمالهم سيئة وخارجة عن الحد. لقد فرضت عليهم الشريعة وبعثت إلى جميع المناطق قرّاء

يعلمونهم الحمد والسورة والوضوء والغسل وغيرها ويحذرونهم من النجاسات العشر وهي البول والغائط ... والدم والميتة والمنيّ ... والمسكرات والكلب والخنزير والكافر والجعة»(٥٦).

وبعد أن يعدّد الأعمال التي أنجزها لإرشاد الناس وتعداد المحرمات يأتي السيد محمد ليعدد العقوبات المقررة للمخالفات: «من مشى حافياً في زقاق قذر سأضربه حتى يشتري حذاءً، فإذا لم يكن بمقدوره شراء حذاء أعطيته ثمنه. أقول لهم اغسلوا أرجلكم وأرجل أولادكم أو نظفوها بتراب نظيف تجمعونه من أرض نظيفة لكي لا يتنجسوا عندما يذهبون إلى النوم ويدوسون على الفرش. سأضرب القصاب الذي لا ينظف الدم أو يضع السكين في مكان نجس أو يستعمل سكينه للذبح مرتين أو يركل الجلد برجله النجسة أو يضع اللحم عليه وسأضرب الذي يشتري من ذلك اللحم كذلك. سأضرب الصباغ إذا كان يضع الخيوط في مكان نجس ويجعلها عرضة للأقدام الحافية. سأقتل الطباخين والبقالين الذين يضعون الأواني في أماكن نجسة. سأضرب كل من ينظر إلى امرأة أو جارية نظر ريبة أو لذة. ويستثنى من ذلك الطبيب حتى إذا نظر إلى العورة من باب الضرورة».

بعد أن يعدد ابن فلاح العقوبات المقررة وربما المنفذة فعلاً ،يعود ليعدد أعماله وإنجازاته في هذا المجال: «اشتريت أحمالاً من سبح مصنوعة من تربة قبر الحسين(ع) ووزعتها على المصلين. وأقمت صلاة الجمعة وألقيت خطباً بليغة ولم أسمح للرجال أن يلبسوا الحرير ويتختموا بالذهب أثناء الصلاة إلاَّ في القتال. طردت جميع الصباغين اليهود الذين كانوا في البصرة والجزائر والحويزة وأولئك الذين كانوا في دار الضرب لأنهم كانوا غير نظيفين »(٥٧).

تكشف أعمال ابن فلاح والعقوبات التي وضعها عن حالة المجتمع الذي كان يحكمه ومستوى اطلاع الناس على أحكام الشريعة والواجبات وكذلك الحلال والحرام وتبيان أنه كان مجتمعاً بدائياً فقيراً جاهلاً. وواضح أن السيد محمد كان منزعجاً جداً من عدم

نظافة الناس وأعمالهم غير المقبولة فرأى العلاج في وضع قانون للعقوبات القاسية. حتى أحمد كسروي، الذي نظر إلى تلك العقوبات في البداية نظرة جادة وأطلق عليها بدوافع مغرضة اسم «مجزرة» وحاول بإطلاق عنوان «مجازر السيد محمد» وأعطى صورة دموية سفاحة عنه، وجد نفسه مضطراً في نهاية المبحث إلى الطعن بالعنوان الذي وضعه له وتفريغه من محتواه وكذلك إلى التراجع عن كل ما كتبه. ففي معرض إشارته إلى «عدم نظافة الناس وسوء أعمالهم» و«انزعاج السيد محمد الشديد منها» اعتبر تلك القوانين «العمل الجيد الوحيد الذي قام به السيد محمد» ويصفها بأنها «لم تعتبر غير صحيحة وفي غير محلها»(٥٨).

إن مبحث «مجازر السيد محمد» في كتاب كسروي هو من المباحث الكاشفة عن تحيزه في كتابة التاريخ. إنه يصف العقوبات المقررة بـ «المجازر». وهذه الطريقة في التعامل تعني النظر إلى معاقبة المجرمين على أنها مجزرة وإلى واضع تلك العقوبات على أنه «سفاح» و«جزار».

وبعد أن اختار كسروي العنوان القاسي «المجازر» يطلق اسم «الموت والقتل» على عقوبة الجرائم. ثم يتذكر أن السيد محمد لم يذكر في رسالته إلى العالم البغدادي «القتل» بل ذكر «الضرب» فتراجع عن جميع ما كتبه ووصف عقوبات السيد محمد بأنها «عمله الجيد الوحيد» الذي لا ينبغي اعتباره «غير صحيح وفي غير محله».

يبدو أن بعض العقوبات التي قررها السيد محمد كانت بالغة الشدة القساوة ولا تتناسب مع المخالفات، مثل عقوبة الموت للجار الميسور الذي لا يعين جاره المؤمن الجائع، وعقوبة الموت للطباخ أو البقال الذي يرمي الأطباق على أرض نجسة، وعقوبة الموت للمرابي. على أن البعض يرى السيد محمد محقاً في إصدار تلك العقوبات لأن «المجتمع البدوي الفقير الخشن الجاهل لا ينفع معه إلاَّ النظام الحقوقي الواضح القائم على أساس العقوبات الشديدة»(٥٩).

وينبغي اعتباره «فقيهاً متشدداً» «يسعى إلى تطبيق رسالة دينية»(٦٠).

الثورات والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

لقد كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين تهيئ الأرضية الممهدة لظهور المعتقدات الجديدة التي تشترك وتتمايز مع ما سبقها وما تلاها من معتقدات في معارضتها للوضع السياسي القائم والثورة على الحاكم والمعتقدات الرسمية. ويرى أحد الباحثين أن ما يميز تلك المعتقدات أنها كانت تحمل توجهاً تدميرياً للوضع القائم بحيث لم تحظ بالقبول لا من الفقهاء الرسميين الشيعة الاثنى عشرية ولا المسؤولين الرسميين السُّنة[٦١] مثل حركة السربداران (٧٣٥-٧٨٨هـ) والحروفيين (النصف الثاني من القرن الثامن) والسيد محمد النوربخش (٧٩٥-٨٦٩هـ) والمشعشعين (٨٤١هـ وما بعدها) والصفويين (٨٥١هـ وما بعدها) فكلها كانت حركات استعانت بمعتقداتها وقناعاتها الخاصة على تغيير الوضع القائم وإحداث التغيير في موازين القوى. ورغم أن بعض الباحثين يرون أن تلك الحركات حاولت استغلال الوسائل الروحية والمعنوية للوصول إلى السلطة في البلدان الإسلامية[٦٢] إلاّ أنه لا يمكن تجاهل حقيقة أن تلك الحركات وما حملته من أفكار وقناعات كانت استجابة لمقتضيات الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية آنذاك. بعبارة أخرى أن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترات، والمتمثلة في الظلم والاستغلال الذي كانت تعاني منه شرائح المجتمع الواسعة،مهدت الأرضية المناسبة لظهور تلك الحركات وأسسها العقائدية.

إن التفاف الناس حول السيد محمد وقتالهم بين يديه ودعمه في تأسيس حكمه بالرغم من الهجوم الذي شنته عليه القوى الكبرى الحاكمة والحروب المتواصلة التي تعرض لها وموقف حكام بغداد المعارض منه وتكفير بعض العلماء له -لابد أن يكون مرتبطاً بالأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية آنذاك[٦٣].

مما لا شك فيه أن السيد محمد بن فلاح كان يبحث عن أسس عقائدية وتفاسير جديدة للدين والمذهب لإضفاء الشرعية على ثورته على ظلم التيموريين. إن الصفة

الأساسية والخصوصية البارزة لهذه المعتقدات هي التعصب الشيعي واعتبار (أبي بكر وعمر وعثمان) غاصبين والمبالغة في منزلة الإمام علي(ع). لقد حاول السيد محمد إثارة الناس على التيموريين وذلك بالحفاظ على الإطار الرسمي للمذهب الشيعي. إن وصفه للعالم الذي لا يعمل بعلمه بالشيطان[٦٤]. ووجوب القتال على كل رجل من رجاله ضد رجلين من أعدائه[٦٥] يدل دلالة واضحة على روحه الثوري والمتمرد. ولما كان علماء الشيعة حينئذ يحصرون الثورة في الإمام المهدي فقد احتاج السيد محمد لتبرير ثورته إلى الاتكاء على نسبه العلوي فكان يعد نفسه من سلالة النبي من جانب وبدأ حركته على أساس أنه ينتسب إلى النبي من خلال متابعة طريقه كما استحق سلمان الفارسي ذلك من جانب آخر[٦٦]؛ لهذا السبب سمّى نفسه نائب الإمام صاحب الزمان. وبطرحه مسألة الجبر والاختيار والاختبار وصف ثورته بأنها اختيار ضروري، الغرض منه تمييز المؤمنين الحقيقيين من الكفار. ولو أخذنا بنظر الاعتبار أنّ التفكير السائد حينئذ بين فقهاء الشيعة يخالف مثل هذه الثورة ،فإننا سنفهم هذا الموضوع بشكلٍ أفضل. لقد عارض الشيخ أحمد بن فهد الحلّي الفقيه الشيعي الكبير وأستاذ السيد محمد ثورته وكان يخشاها لسببين الأول أنّه كان يرفض تماماً ادّعاء السيد محمد بن فلاح (وراثة الإمام) والثاني أنّه كان يعارض الثورة المسلّحة إلاّ تحت راية الإمام المهدي[٦٧].

إضافة إلى هذا فرض المشعشع نفوذه على الناس واستغلّ مشاعرهم بذكائه الخاص وبمبالغته في إحاطة نفسه بهالة من التقديس. لذا كان يردّ على الذين يشتمونه بقوله: «أنا رجلٌ من آل محمد سيبتموني على رؤوس الأشهاد»، ويقول: «أنا أعلم أهل الأرض»[٦٨]. ثم يقول في الصفحة نفسها: «قد ألهمني الله معارف الأنبياء جميعاً»[٦٩]. ثم يضيف: «إنّ الله قد ولاّني الأرض»[٧٠].

ولضمان دعم الناس استفاد من كتاب «العلوم الغريبة» أقصى الاستفادة وحاول

التأثير على أرواح أنصاره بتلاوة الأدعية والأوراد وخلق حالة روحية خاصّة قبل زجّهم في ساحات القتال(٧١).

وفي هذا السياق جاء طرحه لموضوع نيابة الإمام المهدي(عج) ولزوم إجراء الاختبار في زمن غيبته لغرض ترغيب الناس ورفع حماسهم نحو الثورة. ولمّا كان يعلم جيدا أن الموقف الرسمي لعلماء الشيعة يقوم على أساس حصر الثورة في الإمام المهدي(٧٢) فقد لجأ إلى طرح رؤيته الجديدة في هذه المسألة تمهيداً للتصدّي لحكّام العصر وإقامة العدل. وخلافاً لرأي كسروي فإنّ طرحه لفكرة نيابة الإمام لا يعني بأي شكل من الأشكال ادّعاء المهدوية ولا يمكن تسميته بدعة في المذهب الشيعي.

إنّ العيب الرئيس والإشكال الأساسي على كتاب كسروي هو أنّه يتناول الحوادث التاريخية والحركات الاجتماعية بدون النظر إلى أوضاع الناس وأحوالهم. ففي مبحث المشعشعين نراه يغفل هذا الأمر الهامّ ويكتفي برواية الحوادث بطريقة انتزاعية وتجريدية تامّة. لذا يعجز عن إدراك العلاقة وتبيين الروابط بين الحوادث ولا يستطيع تناول الحوادث ودراستها استناداً إلى أوضاعها وظروفها. ولمّا لم يكن هو نفسه محلّلاً ومفسّراً للتاريخ(٧٣)، وقد حاول فرض توجّهاته وأهوائه على الحوادث التاريخية وخاصة تاريخ الأهواز، فإنّه يجد في السيد محمد بن فلاح «أعجب الرجال» و« من أكبر الكذّابين» ويعتقد أنّ «صراعات القرون الماضية في إيران» وكل ما «جرّ الويلات والحروب والعداوات على إيران بأسرها هو ثمرة البدع التي ابتدعها السيد محمد»(٧٤).

ومن المؤكّد أنّ كسروي لو كان قد أولى الأوضاع الاجتماعية والسياسية ما تستحقّ من الاهتمام ودرس الحركات من حيث مواقعها من تلك الأوضاع لما استعمل مثل تلك الجمل والعبارات. لقد تناول حركة المشعشعين بطريقة انتزاعية تماماً دون الالتفات إلى ظروفها الاجتماعية والسياسية. وليس من الحكمة اختزال حركتين قام بهما رجلان من تلاميذ ابن فهد الحلّي أحدهما في الحويزة والآخر في تركستان فجمعا

حولهما الناس الذين قاتلوا معهما حتى قتلوا، بعبارات مثل «الكذب» و«البدعة» وغيرها.

السيد محمد والمشعشعيون

في رسالته إلى العالم البغدادي وفي معرض حديثه عن مهاجمة قوافل الحجيج وإرساله رسولاً إلى حاكم الحلة، يطلق السيد محمد ،على المولى علي وأنصاره اسم «المشعشعين»(٧٥). إن إطلاق هذه التسمية من قبل السيد محمد ،على المولى علي ورفاقه يساعدنا على فهم سبب سكوت السيد محمد وكذلك نظرته إلى المولى علي وموقفه منه. إن من المثير للتأمل والتساؤل أن نرى السيد محمد بن فلاح الذي يسميه كسروي دائماً بـ «المشعشع» يجرد نفسه من هذا اللقب ويقصره على المولى علي ورفاقه. فهل كانت تسمية السيد محمد بـ «المشعشع» من قبل بعض المؤرخين غير صحيحة ولا ينبغي تسميته بهذا الاسم؟ أم أن السيد محمد كان مشعشعياً حقاً ولكنه بعد أن وصل إلى الحكم وأقام دولته في الحويزة أراد أن يفصل بينه وبين المولى علي وأتباعه فسمّاهم «المشعشعين»؟

هناك آراء مختلفة حول إطلاق تسمية «المشعشع» و«المشعشعين» على هذه الأسرة. ويبدو من خلال الفحص ومراجعة الكتب والمصادر المختلفة أن «المشعشع» أطلقت على السيد محمد لاحمرار وجهه ونورانيته أثناء تلاوته للأدعية والأوراد الخاصة. والأبيات المروية عن السيد جعفر الحلي تدل على ذلك(٧٦). ويحتمل أن السيد محمد أطلق الاسم على المولى علي وأنصاره لتمييز أفكارهم وقناعاتهم عن أفكاره وقناعاته والبراءة منها ومنهم. إن قيام دولة المشعشعين في الحويزة وظهور توجهات المولى علي وأفكاره المتطرفة لعبت دوراً أساسياً في تمايز مواقف الرجلين وآرائهم وإن كان لا ينكر أن لقب «المشعشع» أطلق أولاً على السيد محمد بن فلاح نفسه(٧٧).

إن استحواذ المولى علي على السلطة وإزاحة السيد محمد عنها يبين أن هيكلية حركة

المشعشعيين لم تكن بيد السيد محمد بل بيد المولى علي. ولا يمكن في الحقيقة تصور إمكانية استيلاء المولى علي على السلطة بدون مناصرة المشعشعيين. ولهذا السبب أيضا عجز السيد محمد عن مواجهة المولى علي وأفعاله. وربما كان سكوت السيد محمد وتمكنه خلال فترة سلطة المولى علي يكمن في هذا الأمر. يروي عباس العزاوي نقلا عن «تحفة الأزهار» لضامن بن شدقم رواية تساعدنا على فهم أفضل للسيد محمد والمولى علي والسيد محسن. هذه الرواية تكشف لنا أن أفكار السيد محسن وقناعاته كانت بعيدة عن قناعات المولى علي. وتبين كذلك أن معظم المشعشعيين بل جميعهم كانوا على رأي المولى علي ولم يكن بمقدور السيد محمد والسيد محسن أن يفعلا شيئا(٧٨).

ولو صحت رواية ضامن بن شدقم حول نفوذ المشعشعيين في حكومة السيد محسن وتمكنهم ومجاراته لهم فإن ذلك يوضح أكثر ما يوضح أفكار هيكل الحركة المشعشعية وقناعاتها. وهو هيكل لعب دورا أساسيا وحاسما في صنع القرار تحت تأثير تعاليم المولى علي. كما تبين هذه الرواية اختلاف الفكر بين السيد محسن والمولى علي وكذلك بين السيد محمد والمولى علي. ولا ننس أن السيد محسن منذ أن تسلم الحكم ألزم نفسه باتباع وصية والده وهي اجتناب «معاصي وكفر» المولى علي(٧٩).

غير أن هناك تساؤلا وغموضا يطرحان في هذا الخصوص ويتعلقان بسبب سكوت السيد محمد وحتى السيد محسن على قناعات المولى علي ورفاقه الخاطئة ومعاصيهم ومجاراتهما لهم. فإذا كان اعتقادهما مختلفا عن معتقدات المولى علي والمشعشعيين، فلماذا لم يحاولا إصلاحهم ومنعهم من السير في جادة الخطيئة؟ ولماذا كانا يجاريانهم في الظاهر؟

ذكرنا أن ولاء هيكل الحركة المشعشعية كان للمولى علي ولابد أن ذلك كان السبب الأساسي في امتناع السيد محمد عن القيام بأي عمل إزاء المولى علي. إن «إظهار العجز» من قبل السيد محمد في إصلاح المولى علي و«انزواء السيد محمد» على حد تعبير كسروي و«عدم تدخل الأب العجوز في الأمور» لم يكن ممكنا إلا بوجود قوة

مادية قوية داخل الحركة المشعشعية. وربما كان سكوت السيد محمد حيال المولى علي ومجاراته له حتى استعادته للسلطة أقل المواقف خطورة وأكثرها عقلانية في الحيلولة دون انهيار الدولة المشعشعية. ولا شك أن التصدي والمجابهة المباشرة للسيد محمد مع المولى علي ورفاقه المشعشعين كان سيؤدي إلى نتائج وخيمة لحكم المشعشعين[٨٠]. لهذا اختار السيد محمد الصمت ومراقبة الحوادث والانتظار حتى مقتل المولى علي ثم تحذير السيد محسن من «معاصي وكفر» المولى علي في نهاية الأمر[٨١]. مع هذا يجب أن لا ننسى أن جذور الاعتقادات الإلحادية والكافرة للمولى علي وكذلك ترويج الكثير من الخوارق ومنها الغيبوبة بين المشعشعين تعود إلى أفكار السيد محمد. فقد سبق للسيد محمد أن استقطب الناس حوله بالاستعانة بكتاب «العلوم الغريبة» لابن فهد وكذلك تلاوة الأدعية والأذكار المختلفة واستطاع الانتصار على الحكام والأمراء من خلالها وأقام دولة المشعشعين. لذا نجد جماعة من هؤلاء الناس يغالون في السيد محمد وأولاده. ويقول ابن فلاح (السيد محمد) إنه ردهم عن غلوهم ولكنهم صاروا الآن لا يتراجعون عنه ولا عن أولاده ولو قتلوا جميعا[٨٢]. والحقيقة أن أتباع السيد محمد تمادوا في مبالغتهم وغلوهم في المعتقدات والقناعات حتى انتهجوا التطرف الذي أدى بهم إلى الكفر. وهذه المرة لم يكن اقتداؤهم مبنيا على أساس الانتساب إلى أهل البيت بل على أساس علاقة المريد والمراد فتحولوا من خطاب «السيد» إلى خطاب «المولى» فأطلقوا لقب المولى على ابن السيد محمد المولى علي[٨٣].

يبدو أن الباحثين بنوا حكمهم على آراء ومعتقدات آل المشعشع من خلال معتقدات المولى علي ورفاقه وقناعاتهم. خصوصاً وقد خلفتهم فرقة تعتبر نفسها إحدى الفرق الاثنتي عشرة الحقة وهي لليوم متمسكة بمعتقداتها وتسمى المشعشعية[٨٤]. ولابد من التنويه بأن هذه الفرقة ليس لها اليوم أي أثر في الحويزة، ولا في أعقاب السيد محمد بل إن اسمها ومعتقداتها غير معروفة في الحويزة. أما أتباعها فمنتشرون في أطراف إيران ويتكلمون اللغة الفارسية[٨٥]. في حين أن أعقاب السيد محمد موجودون

في الأهواز والعراق وهم شيعة اثناعشرية يعتقدون بما يعتقد به الشيعة الإمامية الرسمية وجميعهم يتكلمون اللغة العربية. أما أن يكون أتباع المولى علي وورثته قد هجروا المناطق العربية إلى المناطق الجبلية والمناطق التي يسكنها الفرس وانصهروا في مجتمعاتها واكتسبوا طباع الفرس ولغتهم، فإن ذلك يدعو إلى الكثير من التأمل والبحث والدراسة. أما ما تسمح باستنتاجه الدراسة الإجمالية فهو أن أنصار المولى علي لم يكن لهم أية مكانة في المجتمع العربي في عهد السلطان محسن وخاصة في زمن السيد مطلب والد السيد مبارك ولم يكن بمقدورهم مواصلة العيش بين الناس. لذا اختاروا الهجرة والعيش في الغربة بين الجبال ونجحوا في استمالة بعض الأنصار والمريدين هناك[٨٦].



هوامش الملحق

(١) يبدو أنه لم يبق إلاّ نسختان من « كلام المهدي» واحدة في مكتبة آية الله مرعشي في قم بالعدد ١٢١١ والأخرى في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي بالعدد ١٠٢٢٢(محمد علي رنجبر، المصدر نفسه، ص ١٧)، والنسخة التي بين يدي المؤلف هي نسخة مجلس الشورى الإسلامي.

يذكر أن النسخة التي حصل عليها كسروي كانت نسخة حاج ميرزا أبو عبدالله مجتهد زنجاني (أحمد كسروي، المصدر نفسه، ص ٧)،وليس واضحاً إن كانت النسخة الأخيرة أصلية أم مستنسخة من نسخة أخرى.

كذلك يوجد مايكروفيلم لهذا الكتاب في المكتبة المركزية لمركز الوثائق التابع لجامعة طهران.

(كيوان لؤلؤيي، نهضت سياسي مذهبي مشعشعين، هامش رقم ١٥).

(٢) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص ٢١٨.

(٣) العلامة محمد باقر المجلسي؛ «المهدي الموعود»، ج ١٣ من بحار الأنوار، صص ٨٨٠. ٨٨١ و٨٧٧.

(٤) كلام المهدي، صفحة ١١٩.

(٥) قبل محمد بن فلاح، كان محمد بن مكي الجزيني العاملي (الشهيد الأول) أول من ادعى نيابة المهدي (عج) وقال ان صلاة الجمعة لا تنعقد بدون حضوره. وكان يقول انه نائب الإمام والممهد لظهوره. لمزيد من الاطلاع راجع: كامل مصطفى الشيبي، نفس المصدر، ص ١٤٧ . ١٥٥. من الأبحاث القيمة التي تناولت السيد محمد بن فلاح كتاب «التشيع والتصوف» لكامل مصطفى الشيبي. ففيه يتناول العلاقة بين التشيع والتصوف ويشرح آراء منظّري هذه النحلة ومعتقداتهم ، فيتحدث عن الشهيد الأول والعلامة الحلي وأحمد بن فهد ومحمد بن فلاح ومحمد بن عبدالله النوربخش. ورغم أن المؤلف تحدث عن السيد محمد بن فلاح دون رؤية «كلام المهدي» وقراءته وهو ما يعد نقطة ضعف فيه ورغم أنه فهم بعض مواضيع كتاب كسروي بشكل معكوس تماماً إلاّ أن تناوله للأشخاص يتسم بالأكاديمية والحياد. إنه يحاول أن يفهم السيد محمد كما هو وأن لا يحمّل القارئ آراءه الشخصية على أنها أفكار السيد محمد. وهو يراعي الظروف الزمانية والمكانية للظواهر موضوع بحثه فيحللها في إطار ظروفها التاريخية.

(٦) كلام المهدي، صفحة ٧٣.

(٧) آغا بزرك الطهراني؛ «طبقات أعلام الشيعة، الضياء اللامع في القرن التاسع»، ص ١٣٠ . ١٣١.

(٨) يقول كسروي في مقالته «تاريخ وتاريخ نكاري» عن المؤرخ: «على المؤرخ أن يكون ملماً بأسلوب كتابة التاريخ وأن يكون صادقاً عفيف اللسان.» (كاروند كسروي، ص ١٧٨).

(٩) يقول كسروي في مقالة «ديباجه كلجيني أز كتاب بلوتارخ» عن المؤرخ: «على المؤرخ أن يمتدح الخصال الإنسانية الطيبة وأن يكون منصفاً في الحكم على الشعوب والأفراد.» (كاروند كسروي، ص ١٣٤).

(١٠) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٦.

(١١) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ١٨.

(١٢) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٢٣.

(١٣) «لأن السيد محمد اعتنق عقائد الباطنية وأقام عليها مهدويته.» أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٢١.

(١٤) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٢٣.

(١٥) يعيد السيد محمد المبحث نفسه في صفحة ٤٣ من «كلام المهدي». ولا يذكر في هذه الصفحة اسم السيد المسيح أو الخضر ويكتفي بالحديث عن لجوء النبي محمد (ص) إلى الغار وكيفية ابتلاء الله للناس. لذا فإن كل ما يورده أحمد كسروي في الصفحتين ٢٣ و٢٤ من كتابه هو عبارة عن ترجمة ناقصة للصفحة ١١١ من «كلام المهدي».

(١٦) أحمد كسروي، نفسه، ص ٢٥.

(١٧) أحمد كسروي، نفس المصدر، ص ٢٧.

(١٨) أحمد كسروي، المصدر نفسه، ص ٢٧.

(١٩) «في تناوله لثورة القرويين يصف تلك الثورة بأنها عابثة، ... وهكذا يمكننا القول بأن كسروي غير مدرك لأهمية الحركة الفلاحية. ويجب أن نضيف أنه لا يعرف طرق الفلاحين في النضال.» «إنه يعتبر ثورة الفلاحين في ماكو انفلاتاً وشغباً وتمرداً.» (سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ص ٨٢ و٨٣).

(٢٠) سهراب يزداني، نفس المصدر، ص ٢٢.

(٢١) انظر: نورالدين جهاردهي، كذلك فإن سيمين فصيحي تقول في الصفحة ١٩١ من كتاب «جريانهاي أصلي تاريخ نكاري در دوره ي بهلوي» دفاعاً عن كسروي: «حاول مخالفو كسروي أن يظهروه بمظهر مدعي النبوة لتحريض جماعة من الجهلة عليه.».

(٢٢) كتب محمد واحدي وهو من قادة «فدائيان إسلام» في أسبوعية آشفته العدد ٤٠ و٤١ سنة ١٣٢٤ يقول: كان كسروي مكلفاً بالعمل على إضعاف المسلمين فألف كتاب «شهرياران كمنام» (الملوك المجهولون). (نقلاً عن محمود كتيرايي، المصدر نفسه، ص ٣٩٣).

(٢٣) أحمد سروش، مدعيان مهدويت أز صدر إسلام تا عصر حاضر.

(٢٤) يوسف فضايي، نفس المصدر، ص ٢٦٨.

(٢٥) آرمان نهجيري، نفس الصفحة. للاطلاع على آراء مخالفي كسروي في هذا المجال انظر:

» مقالة سعيد نفيسي، في أسبوعية سبيد وسياه، العدد ٢٨ (بتاريخ ٢٢ بهمن ١٣٣٤).

» كتاب «نيمه راه بهشت»، سعيد نفيسي.

» جند سؤال أز كسروي محمود زرندي، ١٣٢٣.

» تناقضات «بيمان» و«برجم». م. توحيدي، تبريز، ١٣٢٣.

» نبرد با بي ديني: شيخ مهدي سراج أنصاري، ١٣٢٣.

» مرتضى مهدوي: كج روى كيرى (أو: باسخ أهريمن).

» إبراهيم مفتح: مي خانه يخواجه حافظ ، (يا: باسخ به كسروي؛ يا: مفتاح بيان؛ يا: كليد زبان حافظ)، ١٣٢٤.

» راجع به قتل كسروي، ص ص ٢ و٣ و١١.

» شيخ محمد دادخواه شيرازي: كسر كسروي (يا: شكست كسروي).

» مقالات سيد محمد واحدي في خواندنى ها، السنة ١٦.

» فرهنك نخعي: كج روي هاي كسروي، مشهد ١٣٢٥.

» رضا أصفهاني، بندار بروري، مؤسسه مطبوعاتي فراهاني، ١٣٤٣.

» أمير أبو الفتح دعوتي، در باسخ كسرويان.

» حسين كاشفي، باسخ داوري، طبع إسلاميه، ١٣٤٦.

(٢٦) حسن روملو، نفس المصدر، ص ٣٤٥-٣٤٦.

(٢٧) محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص ٢٢٦.

(٢٨) أطلق جاسم حسن شبر مبادرة جيدة لمعرفة السيد محمد بن فلاح. ولكنه دافع عنه باطلاق العموميات دون أن يقرأ «كلام المهدي» ودون الحصول على مؤلفات السيد محمد وهذا ما جعل كتاباته تفتقر إلى الأدلة القوية المقنعة في الرد على كسروي.

(٢٩) كلام المهدي، صفحة ٢٨٤.

(٣٠) كلام المهدي، صفحة ٣٦٧.

(٣١) نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم. حتى كسروي أورد هذه الجملة في الصفحة ٣٨ من كتابه.

(٣٢) أحمد كسروي، نفس المصدر ص ٣٨.

(٣٣) كلام المهدي، صفحة ٢٧٦، صفحة ٤٤ ألف، ٤٥ ب، ٤٦ ألف.

(٣٤) مؤلف «تاريخ المشعشعين» جاسم حسن شبر، هو من ضمن هذه المجموعة.

(٣٥) الغلاة هم فرقة يغالون في النبي أو أئمة الشيعة أو الأولياء ويحلونهم في مرتبة الألوهية. (محمد معين، فرهنك معين، ج ٦، ص ١٢٦٥).

(36) V . Minorsky, «The poetry of shah Ismail» Bulletin of the school of oriental and African studies, vol, X (1940 – 2) , P. 102

نقلاً عن محمد علي رنجبر، المصدر نفسه، ص ٩٩.

نشيد رقم ٤٠٢ ،ص ١٠٣٧. نشيد رقم ١٥ .

(٣٧) Ibid, P .ص١٠٣٦ نقلاً عن محمد علي رنجبر، المصدر نفسه، ص ١٠١ و١٠٢.

(٣٨)كامل مصطفى الشيبي، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر، ص ٣١ـ٣٢.

(٣٩) «أنا أعلم أهل الأرض»، «قد ألهمني الله معارف الأنبياء جميعاً»، «ان الله قد ولاّني الأرض»، «كلام المهدي»، صفحة ٦٣ ب. في صفحة ٢٥٩ب يعتبر السيد محمد نفسه منصوباً من الله في مقام الآباء والأجداد حيث وضع هذه الطريقة الإلهية وكشف السر الخفي من معارف الأنبياء والرسل. كما يعتقد السيد محمد بأن كل ما يقوله نابع من الإلهام الإلهي؛ لذا يبدأ كلامه في بعض مواضع «كلام المهدي» بعبارة «الهام من الله». (صفحة ١٥٤ب).

(٤٠)كلام المهدي، صفحة ٣٥.

(٤١) كلام المهدي، صفحة ٢٠.

(٤٢)«استحق فيضان الروح».

(٤٣)كلام المهدي، صفحة ١٥٤ ب.

(٤٤)كلام المهدي، صفحة ٢١٧.

(٤٥)كلام المهدي، صفحة ٢٧٧.

(٤٦)أحمد كسروي أيضا ينقل هذه الكتابات عن «كلام المهدي». ولكن نظراً إلى أنه يخلط هذا المبحث بمبحث «ادعاء المهدوية» فإنه لم يستطع أن يبين بشكل صحيح ومتقن معتقدات ابن فلاح وقناعاته ويحيط القارئ علما بمنظومة معتقداته. (انظر: المصدر نفسه، الملحق، ص٢٤٩).

(٤٧)السلام عليك يا إمام المهدي.

(٤٨)السلام عليك وعلى أجدادك الطاهرين وآلك الصالحين.

(٤٩)الغريب أن كسروي يصف استعمال «العبارات غير اللائقة» و«الكلمات النابية» بأنه عمل «الكتاب غير المثقفين والوضيعين» وأنه «أسوأ أشكال الجهل». (كاروند كسروي، نفسه، ص١٨١).

(٥٠)من الواضح أن الأجزاء المضافة إلى النص القرآني تشتمل على عنصر التصوف في معتقدات محمد بن فلاح وتتعلق بكون الأنبياء والأولياء من منشأ واحد وأن الولاية هي بحد ذاتها هي بمثابة جوهر العناية الإلهية بالإنسان وأن معيار التفوق المعنوي للبشر على باقي المخلوقات هو أعلى من النبوة. وهذه الأفكار سبق لابن عربي أن أوضحها بما يكفي. (كامل مصطفى الشيبي، نفس المصدر، ص ٢٩٠).

(٥١) «من الواضح أن إنشاء هذا النص يعود إلى ما بعد المرحلة الأولى من الدعوة، أولاً: لأنه يشير إلى سفك الدماء وثانيا إلى المخالفة والنفاق وما من حركة إلا وتتطرق إلى مثل هذه المواضيع في بداية انطلاقها ثم إن سياق النص أشبه ما يكون ببيان ثوري يعلن عن تجديد الحركة بعد مواجهتها بعوائق وخيانات وتكبدها خسائر. لذا فإن اعتبارها سورة لا دليل عليه. ثالثا: إن لهذا النص خصائص كتب الزيارات المشعشعية لأنها عبارة عن دعاء من أولها إلى آخرها بالإضافة إلى اشتراكها مع كتب الزيارات بالأسلوب العام والمفردات المصطلحة ؛ ولعل مقارنة بسيطة بتعابيرها مع أي نص من نصوص مفاتيح الجنان يوضح القصد. مهما يكن من أمر فإن هذا النص نموذج لكتابة محمد بن فلاح يبين مدى تأثره بالتشيع الرسمي. وإذا تذكرنا أنه كان متبنى ابن فهد مؤلف «عدة الداعي» وتلميذه اتضح لنا سبب

الصبغة الدعائية في أسلوبه الإنشائي. واستكمالا لا بد من القول بأن هناك شبها بين هذا النص ونص البيان الثوري الذي أصدره محمد نور بخش معاصره وزميله في التلمذة على ابن فهد. [ويثبت مرة أخرى أنه بيان وليس سورة كما يتصوره كسروي]. (كامل مصطفى الشيبي، نفسه، ص٢٩١).

(٥٢)كلام المهدي، صفحة ٩٦-٩٧.

(٥٣)نفس المصدر، صفحة ٢٨٥.

(٥٤)نفس المصدر، صفحة ٢٨٢.

(٥٥)نفس المصدر، صفحة ٢٨٣.

(٥٦)كلام المهدي، صفحة ٥٩ب .

(٥٧)كلام المهدي، صفحة ٦٠.

(٥٨)أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٣٦.

(٥٩)محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص٢٨٦ .

(٦٠)محمد علي رنجبر نفس المصدر، ص٢٨٨.

(٦١)محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص ٥٠.

(٦٢)كامل مصطفى الشيبي، المصدر نفسه، ص١٩٥.

(٦٣) وجد المشعشعيون وهم متأثرون بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للقرن التاسع الهجري في تعاليم السيد محمد بن فلاح أجوبة عن الكثير من أسئلتهم(محمد علي رنجبر؛ نفس المصدر، ص ٩).

(٦٤) كلام المهدي، صفحة ٢٩٥ب.

(٦٥) كلام المهدي، صفحة ١٢٠ب و١٢١.

(٦٦) إن فكرة الانتساب المعنوي لأهل بيت النبي كانت موجودة عند الشيعة وخاصة المتصوفة منهم قبل السيد محمد نظير العودة لصورة جديدة لسلمان، وعلى شكل بنوة متبناة معنوياً. ولمزيد من الاطلاع انظر: كامل مصطفى الشيبي؛ المصدر نفسه، مبحث الأفكار الشيعية، الصفحات من ١٩ إلى ٢٩.

(٦٧)كامل مصطفى الشيبي، المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٦٨) «أنا رجل من آل محمد سبيتموني على رؤوس الأشهاد وأنا أعلم أهل الأرض» كلام المهدي، ص ٦٣ب

(٦٩)«قد ألهمني الله معارف الأنبياء جميعا»، كلام المهدي، ص ٦٣ب.

(٧٠) «إن الله ولاني الأرض»، كلام المهدي، ص ٦٣ب.

(٧١)يقول محمد باقر الخوانساري في الصفحة ٢٠ من روضات الجنات، طبعة ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩-٩٠م) نقلاً عن تاريخ الغياثي: «عرف السيد محمد بن فلاح بالعلوم الغريبة من خلال تتلمذه على ابن فهد». كما أن موضوع العلوم الغريبة

وعلم السحر كان مطروحاً في منطقة «البطائح» قبل ذلك وهناك أمثلة كثيرة على ذلك. يقول ابن فهد المكي (المتوفى سنة ٨٧١) في كتاب «لحظ الألحاظ» إن الشهيد الأول تعلم علم السحر الذي ينسب إليه في الحويزة مركز منطقة البطائح. (كامل مصطفى الشيبي، المصدر نفسه، ص ٣٠٥). أمّا الأستاذ عباس العزاوي فيرى أن السيد محمد المشعشع طبق بعض الحركات الخارقة على العرب الساكنين عند الحدود العراقية فتبعوه واعتقدوا بكل ما عرض عليهم. (المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٨). يقول المؤرخون إن السيوف والسهام ما كانت تؤثر في أجسام المشعشعيين. تاريخ إسماعيل الصفوي، صفحة ٨٢ب، نقلاً عن الدكتور كامل مصطفى الشيبي.

(٧٢)يتحدث ابن بطوطة، الذي زار المنطقة قبل ثورة السيد محمد بقرن واحد، عن تشيع أهل الحلة على المذهب الاثني عشري واشتياقهم لظهور الإمام المهدي(عج). كان أهل الحلة يضعون ستارة من الحرير على باب مسجد كبير ويطلقون عليه اسم «مشهد صاحب الزمان». وفي كل ليلة يذهب مائة رجل مسلح إلى أمير البلدة ويأخذون منه حصاناً مسرجا يتوجهون به إلى مشهد صاحب الزمان، يتقدمهم موكب يضرب الطبول وينفخ في الأبواق. وكان الناس يتحركون معهم. فاذا وصلوا إلى مشهد صاحب الزمان(ع) وقفوا وأنشدوا «بسم الله يا صاحب الزمان اظهر فقد مُلئت الأرض ظلماً وجوراً. آن الأوان لظهورك ليميز الله بك الحق من الباطل.» وكانوا يفعلون ذلك حتى صلاة المغرب. (ابن بطوطة، نفس المصدر، ص٢٣٩).

(٧٣)إن كسروي أقرب إلى مدون وقائع بارز منه إلى محلل وشارح كبير. إن التحليل التاريخي يستلزم رؤية تاريخية واطلاعاً على السببية الزمانية والمكانية للقيم ومعرفة أن وسيلة قياس حسن وقبح أي حادثة تاريخية لا بد أن تكون محددة بالأطر الثقافية والعلمية لتلك الفترة التاريخية. (آرمان نهجيري، نفس المصدر، ص٦١).

(٧٤)أحمد كسروي، نفس المصدر، ص٨.

(٧٥)كلام المهدي، صفحة ٦١

(٧٦)أحمد كسروي، المصدر نفسه، ص٢٥٤

(٧٧)يشير عباس العزاوي إلى بعض الحركات الخارقة التي كان السيد محمد يؤديها فيصبح وجهه أحمر نورانيا. (عباس العزاوي، المصدر نفسه، ج٣، ص١٠٨).

(٧٨) يقول ابن شدقم في الجزء الثالث من «تحفة الأزهار»: «تولى المولى محسن السلطة بعد أخيه المولى علي. كان شجاعاً مقداماً وقام ببناء مدينة المحسنية وسكن فيها. ولا يزال أعقابه يسكنون هناك حتى الآن [١٠٨٣ـ١٠٨٥]. وفي المدينة قلعة «نزل فيها جيش القزلباش الأيراني». ويروي الرواية التالية نقلاً عن الشيخ عبد علي بن فياض بن عبد علي عن لسان الشيخ محمد بن يحيى الحلي: «كانت بيني وبين محسن صداقة وعلاقات متينة منذ الطفولة. مرت بي ضائقة مالية خانقة فقصدته في داره، فوجدته يجلس في منزله وحوله جماعة ،فسلمت ولم يرد علي أحد منهم سلامي ولم يدعني أحد للجلوس. فتألمت كثيراً وندمت على قدومي ولكني لم أبرح مكاني... وبقيت واقفاً حتى حضر ثمان مائة من أبناء الشيطان إلى مجلسه وأخذ يتحدث اليهم. ثم بدءوا يضربون بالدفوف ويضربون بطونهم بالسيف وعندما ألقوا بالسيف في النهر خاطبوه بسرّ علي وطلبوا منه أن يعود فعاد اليهم. وكرروا هذا العمل مرات ومرات حتى استبد بهم السكر وتملكتهم الغيبوبة. ثم جيء بمائدة وهم على تلك الحالة فأكلوا منها ثم تفرقوا. طول تلك الفترة كنت أقف مغموماً أنظر اليهم وأدعو الله بالفرج القريب. في تلك الأثناء جاءت جارية وأشارت لي من خلفي وطلبت مني

أن أتبعها فسألتها عن اسمها ومن الذي يدعوني. فقالت: اتبعني ولك الأمان، أمان أبي طالب. فسرنا في طريق يحف به سعف النخيل. وكانت تزيح السعف بيدها وأنا أتبعها. حتى وصلنا إلى [السلطان] محسن وكان يجلس وحيداً على أريكة خشبية قرب حوض، فقال لي وهو يخلع ثيابه: وعليك السلام يا شيخ محمد بن يحيى، تحية الكرام. فقلت له: ما هذا؟ ما هذا الذي صنعه صاحب السمو لنفسه؟ فقال: انتظر حتى أتطهر ثم أحكي لك ما يلزم. ثم تناول منشفة ولف بها جسمه ودخل الحوض. بعد ذلك ارتدى ثياباً أخرى ووقف يصلي بخشوع وضراعة. وبعد أن فرغ من الصلاة التفت الي واعتنقني وجلس قبالتي وأخذ يحدثني بحميمية ويسألني عن الأصدقاء. ثم سألته عما رأيته وقلت له إنك تعمل خلاف ما كان يعتقد به أسلافك وما كان أجدادك ينهون عنه، انك اخترت الدنيا ونسيت الآخرة. فقال لي: والله إنك صادق. إني أوافقهم على فطهم خشية منهم ولو سنحت لي الفرصة فسأهرب منهم. وكما جاء في الحديث فإنه لا إيمان لمن لا تقية له. ثم طلب من الجارية أن تجلب وعاءً. فمضت الجارية وجلبت وعاءً مزخرفاً. فأقسم السيد محسن قائلاً: إني لا أملك من المال الحلال إلاّ هذه وهي ثمن النخلة الفلانية التي باعها أبي وأعطاني ثمنها. وطلب مني أن أعود ولا أبقى هناك خشية من أولئك الغلاة الكفرة المنكرين للوحدانية. وطلب من الجارية أن تبقى معي نصف يوم. فركبت دابتي مسرعاً ومضيت.» (عباس العزاوي، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤٨).

(٧٩) مع أن شبر انبرى للدفاع عن المولى علي حيال فكرة حلول روح الإمام علي(ع) فيه إلاّ أنه في الوقت نفسه يظهر أنه كان يعتقد برواج الفكرة في عهده. ويدل كتابه على نفوذ المشعشعين في حكم أسرة السيد محمد. السيد علي خان، «الرحلة المكية»، صفحة ٣٥.

(٨٠) كان للمولى علي ورفاقه من القوة بحيث كان السيد محمد يخشى على نفسه منهم(كلام المهدي، صفحة ٣٣٧).

(٨١) يعتقد محمد علي رنجبر أن ذكاء السيد محمد في التعامل مع أفكار المولى علي وأعماله هو الذي أنقذ الحركة المشعشعية من التشتت والزوال المبكر. (انظر المصدر نفسه، ص ١٧٥).

(٨٢) كلام المهدي، صفحة ٦١.

(٨٣) أول من لقب بالمولى من المشعشعين المولى علي ابن السيد محمد. ورغم أن أعقابهم إلى اليوم يسمون في الحويزة الموالي إلاّ أن السيد محمد والد المولى علي لم يكن يسمى مولى. وكذلك أخوه السيد محسن أو السلطان محسن لم يسم المولى محسن. حتى كسروي في «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» لا يسمي بالمولى إلاّ المولى علي ابن السيد محمد ابن فلاح. والأرجح أن وجود مصطلح «المولى علي» واستمراره في الكثير من فرق أهل الحق مرده إلى هذه التسمية.

(٨٤) مادام الحديث عن المشعشعين وأهل الحق فتجدر الإشارة إلى كتاب يتناول هذا الموضوع. فقد صدر مؤخراً كتاب عنوانه «تاريخ مشعشعيان» (أهل حق) للكاتب سياوش دلفاني من أهالي كلاردشت مازندران يقيم حالياً في قزوين. الكتاب أساساً يتناول كيفية تكون فرقة آتش بيكي التي يدعي الكاتب أن مؤسسيها هم من سلالة السيد مبارك المشعشعي. يقدم الكاتب شرحاً مختصراً لتاريخ المشعشعين مقتبساً من «تاريخ بانصد ساله ي خوزستان» و«مجالس المؤمنين» وكتاب السيد علي. وكان الأولى بالكاتب أن يسمي كتابه «فرقة آتش بيكي»؟ نظراً لمحتوياته. لأن تاريخ المشعشعين أوسع وأعقد من أن تلمه تلك السطور. إن تاريخهم معقود بالسلطة والنفوذ. ولكن بما أن اسم «المشعشعين» ترادف مع «أهل الحق» فلا يمكننا الاعتراض على الكاتب. من جانب آخر فإن الكتاب يشكو من خلل أساسي هو عدم طرحه لمعتقدات الفرقة وتحليلها. والإشكال الآخر الموجه للكتاب استناده إلى كتب لا تتمتع باعتبار يعتد به من حيث افتقارها إلى ذكر المصادر والوثائق. والكتاب كذلك يطرح مواضيع جديدة لا يستند فيها إلى مصدر

أو مرجع. وفي بعض المواضع يستند إلى «ملاحظات المؤلف»!! في إدراج بعض المواضيع. وفي موضع آخر يورد روايات غريبة وعجيبة نقلاً عن كتب غير معتبرة مما يصعب قبوله. ففي الصفحة ١٢ مثلاً يقول استناداً إلى كتابات أهل الحق إن أم السيد محمد هي ماما جلالة ابنة أحد زعماء العشائر في حينه. وفي الصفحة ٣٢ يصف السيد محمد بأنه «شاه خويشتن» (ملك نفسه) ويقول إنه كان مزدوج اللغة وله أشعار في اللغة الفارسية. وفي الصفحة ٥٥ يورد أموراً عجيبة غير مقبولة نقلاً عن النسخ الخطية لأهل الحق حول ولادة السيد محمد وربطها بالمشعشعة والمشعشع.

(٨٥)أثبتت أحدث الأبحاث صحة هذا القول. يفيد البحث أن أحد أبناء المولى علي انفصل عن حكم المشعشعين وأدى هذا الانفصال إلى التحاقه مع من حوله بطريقة أهل الحق فتكونت إحدى أسر أهل الحق الإحدى عشرة وحملت اسم «آتش بيكي مشعشعي» وهكذا حافظت هذه الفرقة على ارتباطها بالمولى علي على أساس المباني الاعتقادية رغماً عن باقي المشعشعين(محمد علي رنجبر، نفس المصدر، ص١٩٧).

(٨٦)لا أحد في خوزستان وخاصة الحويزة يعرف أسرة «الموالي» على أساس الاعتقاد بأفكار مغالية ولا أحد يسمح لنفسه بالتشكيك في معتقداتهم.



الفهرس

الفصل الثاني: نبذة عن أحمد كسروي

الفصل الثالث: تاريخ الأهواز

الفصل الرابع: المشعشعيون

الفصل الخامس: بنو كعب

الفصل السادس: آلبوكاسب

فهرس المصادر

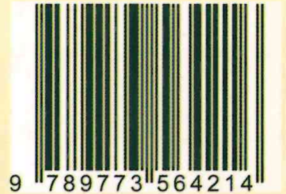


عرب إيران

للأهواز (أو خوزستان كما يسميه الفرس) تاريخٌ طويلٌ ضاربٌ في القِدَم، وهو أطول بآلاف السنين من تاريخ إيران. ويعرض الكتاب الذي بين أيدينا، التسميات المختلفة التي أُطلقت على هذا الإقليم، بالإضافة إلى أهم الحكام الذين تناوبوا حكمه؛ وكذلك الصراعات التي دارت فيما بينهم وبين البريطانيين. كما يتناول أهم الكُتُب التي عرضت لتاريخ الأهواز، ويخص منها بالنقد والتحليل كتابًا يُعدُّ من أهم المؤلَّفات وأكثرها إثارةً للجدل في تاريخ خوزستان، إلى جانب أنه أحد المصادر الأساسية في تاريخ الأهواز، ألَا وهو كتاب (تاريخ بانصد ساله ي خوزستان)، للسيد أحمد كسروي التبريزي.

وفي إطار سعينا لإثراء المكتبة العربية بما تفتقر إليه من هذه النوعية من الكتب، نقدم لكم هذا الكتاب.

الناشر


9 789773 564214

هلا للنشر والتوزيع

www.halapublishing.net
hala@halapublishing.net